تُحْفَةُ الواعِظِ

للخُطَبِ والمواعِظِ

ألف قصة وقصة

مرتبة على العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات

تأليف

أبو همام /السيد مراد سلامة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا؛ من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ **[الأحزاب: ٧٠-٧١].**

أما بعد؛

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد؛

أخي المسلم: إن القصة لها أثرها الفعال في نفسية المستمع، ولم لا والله تعالى قص علينا أخبار الأُمم السابقة، وحدثنا عن أحوالهم وما آلات إليه عاقبتهم، والله تعالى يبن لنا أن في القصص والأخبار عبرة وعظة لأُولي النُهى والأبصار قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي

ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ﴾ [يوسف:١١١].

وأخبرنا أيضًا أن القصص الحق سبب من أسباب الثبات على الإيمان فقال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [هود:١٢٠].

إنها تحمل عنصر التشويق والإثارة، ويُقبل عليها المستمع والقارئ بعناية وإنصات، وهي كذلك تقدم البرهان على تأهل المعاني المجردة إلى التطبيق على أرض الواقع، وتبرز النموذج والقدوة الصالحة، وتزيد المرء إيمانًا بقدرة الله تبارك وتعالى وسائر صفاته.

وتبدو أهمية ذلك بشكل أكبر في تربية الناشئة وخطابهم؛ إذ يعاني شباب المسلمين اليوم وفتياتهم من غياب القدوة الصالحة، ومن بروز النماذج والقدوات السيئة والإعلاء من شأنها وتبجيلها لدى الناس.

القصة لها دور عظيم في التربية، والمربي الناجح هو الذي يستطيع كيف يوظف القصة القرآنية والنبوية والتاريخية التوظيف التربوي الذي يِنفذ من خلاله إلى قلب طلابه وأبنائه؛ ليخرج بعد ذلك بالدروس والعظات والعبر

فالقصة تجسيد للحدث الذي يقوم به المرء فهي نتيجة للاعتقادات والأوامر التي أمر الله تعالى بها عباده، لذا ترى الناس يتأثرون بالقصص أكثر من الأقوال فالخطيب أو الداعية عندما يُلقي محاضرة أو خطبة فإنه يحتاج إلى ما يجذب به أذهان المستمعين إليه ويُشنف آذانهم ويجسد القضية التي يتحدث فيها في قصة من القصص، لذا نرى أن المستمع ينسى كل ما قاله الخطيب إلا القصة لأنها تجسيد وتصوير للعمل... لذا رأيت أن أضع بين يدي كل خطيب وداعية ومحاضر هذا العمل الذي سميته «**تحفة الواعظ للخطب والمواعظ، ألف قصة وقصة**» والهدف من وضع ذلك الكتاب

هو التسهيل على الداعية وإراحته من البحث في بطون الكتب عن قصة تخدم وتوافق موضوع محاضرته أو موعظته أو خطبته، وكذلك إجمام لفؤاد القارئ العادي الذي لا يرتقي منبرًا فهي مادة تُروي ظمأ جميع الأطياف الخطيب والداعية والمدرس والمحاضر والعامي كل سيجد فيها بغيته ويُروي غلته، ولقد قمتُ بفضل الله تعالى بترتيب هذا الكتاب وضمنته خمسة وأربعين فصلًا في الاعتقادات، والعبادات، والأخلاق، والمعاملات، فأصبحت ثمارها سهلة على كل طالب وكل باحث، فهو عبارة عن روضة غناء مثمرة يجد المتنزه فيها غايته ويري غلته، ولقد اعتنيتُ في اختيار القصص الصحيحة الواقعية الهادفة التي تحث على فعل الخيرات وترك المنكرات، وخرجت كل قصة ونسبتها إلى مصدرها وأثبت ذلك في الهوامش. وسيجد القارئ الكريم ما يشرح صدره ويفرج همه ويشحذ همته للمعالي.

وأسأل الله تعالى أن ينفع به الأمة الإسلامية، وأن يكون لهم بمثانة السراج الذي يضيء لهم في وسط تلك الحوالك، وأن يجعل ذلك في ميزان حسناتنا يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وصلوات الله وسلامة على إمام السلف المبعوث رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين، ومحجة للسالكين، وحجة على العباد أجمعين...

إن شـئت أن تحظـى بجنَّـة ربنـا ... وتفـوز بالفضـل الكبـير الخـالد
فـانهض لفعـل الخـير واطـرق بابـه ... تجـد الإعانـة مـن إلهٍ ماجـد
واعكـف على هـذا الكتـاب فإنـه ... جمـع الفضـائل جمـع فـذٍ ناقـد
يهـدي إليـك كلام أفضـل مرسـل ... فيمـا يقـرب مـن رضـاء الواحـد
فـأدم قراءتـه بقلـب خـالص ... وادع لكاتبـه وكلِّ مسـاعد

كان الانتهاء منه في غرة محرم ١٤٣٣ هجرية

تأليف:

أبو همام / السيد مراد عبد العزيز سلامة

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

جمهورية مصر العربية /محافظة البحيرة / مركز شبراخيت / قرية فرنوى

٠١٠٦٩٨٣٥٢٦٨م/

abo_hamam2012@yahoo.com

الفصل الأول: قصص في الإخلاص

١- دخل الجنة رجل في ذباب

عن طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال: **«دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب»**. قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟

قال: **«مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئًا، فقالوا لأحدهما: قرب، قال: ليس عندي شيء أقرب، قالوا له: قرب ولو ذبابًا، فقرب ذبابًا فخلوا سبيله، فدخل النار. وقالوا للآخر: قرب، قال: ما كنت لأقرب لأحد شيئًا دون الله ﷻ، فضربوا عنقه، فدخل الجنة»**[(١)].

٢- لتركبن سنن من كان قبلكم

عن أبي واقد الليثي قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة[(٢)] يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله ﷺ اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر، إنها السنن، قلتم: والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨﴾ [الأعراف:١٣٨]، لتركبن سنن

---

(١) «شعب الإيمان» (٥/ ٤٨٥) رقم (٧٣٤٣)، وأخرجه أحمد في «الزهد» (ص ١٥ - ١٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (١ / ٢٠٣) موقوفًا على سليمان الفارسي. وقال الشيخ الالباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» (١٢/ ٧٢٢): وبالجملة؛ فالحديث صحيح موقوفًا على سلمان الفارسي رضي الله عنه؛ إلا أنه يظهر لي أنه من الإسرائيليات التي كان تلقاها عن أسياده حينما كان نصرانيًا.

(٢) السدرة: شجرة ذات شوك.

من كان قبلكم»[١].

٣- نوح عليه السلام وكلمة الإخلاص

عن عبد الله بن عمرو قال: كنا عند رسول الله ﷺ فجاء رجل من أهل البادية عليه جبة سيجان مزرورة بالديباج فقال: ألا إن صاحبكم هذا قد وضع كل فارس ابن فارس قال: يريد أن يضع كل فارس ابن فارس ويرفع كل راع ابن راع قال: فأخذ رسول الله ﷺ بمجامع جبته وقال: ألا أرى عليك لباس من لا يعقل ثم قال: إن نبي الله نوحًا ﷺ لما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قاص عليك الوصية آمرك باثنتين وأنهاك عن اثنتين آمرك بلا إله إلا الله فإن السموات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة رجحت بهن لا إله إلا الله ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة قصمتهن لا إله إلا الله وسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شيء وبها يرزق الخلق وأنهاك عن الشرك والكبر قال: قلت: أو قيل: يا رسول الله هذا الشرك قد عرفناه فما الكبر قال: أن يكون لأحدنا نعلان حسنتان لهما شراكان حسنان قال: لا قال: هو أن يكون لأحدنا حلة يلبسها قال: لا قال: الكبر هو أن يكون لأحدنا دابة يركبها قال: لا قال: أفهو أن يكون لأحدنا أصحاب يجلسون إليه قال: لا قيل: يا رسول الله فما الكبر قال سفه الحق وغمص الناس[٢].

٤- قصة البطاقة

عن عبد الله بن عمرو، عن رسول الله ﷺ: «إن الله سيخلص رجلا

---

(١) أخرجه الحميدي (٨٤٨). وأحمد (٥/٢١٨) (٢٢٢٤٢)، والترمذي (٢١٨٠)، وقال الألباني: صحيح، «ظلال الجنة» (٧٦)، «المشكاة» (٥٣٦٩)

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٤٨)، وأحمد (٢/ ١٦٩ - ١٧٠، ٢٢٥)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (رقم ١٣٤).

من أمتي له تسع وتسعون سجلا كل سجل مد البصر، فيقول له: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى، إن لك عندي حسنة، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج له بطاقة، فيها أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله فيقول: احضر وزنك فيقول: ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فتثقل البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله شيئًا» «لا يروى هذا الحديث عن رسول الله ﷺ إلا بهذا الإسناد، تفرد به: عامر بن يحيى»[(١)].

٥- إذا بسطت يدي فاعلم أنها قبلت مني

للإمام الماوردي قصة في الإخلاص في تصنيف الكتب، فقد ألف المؤلفات في التفسير والفقه وغير ذلك ولم يظهر شيء في حياته وقال لمن يثق به: الكتب التي في المكان الفلاني كلها تصنيفي، وإنما لم أظهرها لأني لم أجد نيّةً خالصةً، فإذا عاينت الموت ووقعت في النَّزع، فاجعل يدك في يدي، فإن قبضت عليها وعصرتها، فاعلم أنه لم يقبل مني شيء منها، فاعمد إلى الكتب وألقها في دجلة. وإن بسطت يدي ولم أقبض على يدك، فاعلم أنها قبلت، وأني قد ظفرت بما كنت أرجوه من الله.

قال ذلك الشّخص: فلّما قارب الموت، وضعت في يده يدي، فبسطها ولم يقبض على يدي، فعلمت أنها علامة القبول، فأظهرت كتبه بعده[(٢)].

٦- كانت بينهم وبين الله أسرار

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٤٣٧/٢) رقم (٤٣٠٠)، والحاكم (٧١٠/١)، رقم (١٩٣٧)، الترمذي (٢٤/٥)، رقم (٢٦٣٩)، وقال الألباني: صحيح، «المشكاة» (٥٥٥٩)، «الصحيحة» (١٣٥)،

(٢) «تاريخ الإسلام» للإمام الذهبي (٣٠/ ٢٥٤)، و«الضوء اللامع» (١/ ١٣)، «تاريخ الإسلام» ت بشار (٩/ ٧٥٢).

عبد الواحد بن زيد قال: كنت مع أيوب السختياني على حراء، فعطشت عطشا شديدا، حتى رأى ذلك في وجهي، وقلت له، قد خفت على نفسي.

قال: تستر علي؟

قلت نعم.

فاستحلفني، فحلفت له ألا أخبر أحدًا ما دام حيا.

فغمز برجله على حراء، فنبع الماء، فشربت حتى رويت، وحملت معي من الماء[١].

٧- وأنت يا أبا عمر ممن يُشنع علينا

عن عبدة بن سليمان المروزي قال: كنا في سرية مع ابن المبارك في بلاد الروم، فصادفنا العدو، فلما التقى الصفان، خرج رجل من العدو، فدعا إلى البراز، فخرج إليه رجل فقتله، ثم آخر فقتله، ثم آخر فقتله، ثم دعا إلى البراز، فخرج إليه رجل، فطارده ساعة فطعنه فقتله، فازدحم إليه الناس، فنظرت فإذا هو عبد الله بن المبارك، وإذا هو يكتم وجهه بكمه، فأخذت بطرف كمه فمددته، فإذا هو هو.

فقال: وأنت[٢].

٨- اللهم اجعلني مع صاحب النقب

قال الأصمعي قال حاصر مسلمة بن عبد الملك حصنا فأصابهم فيه جهد عظيم فندب الناس إلى نقب منه فما دخله أحد فجاء رجل من الجند

---

(١) «تذكرة الحفاظ وذيوله» (١/ ٩٩)، إسناده مسلسل بالضعفاء، وعبد الواحد بن زيد متروك.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٣٩٥)، «تاريخ بغداد» (١٠/ ١٦٧).

فدخله ففتح الله عليهم فنادى منادي مسلمة أين صاحب النقب فما جاء أحد حتى نادى مرتين أو ثلاثا أو أربعا فجاء في الرابعة رجل فقال أنا أيها الأمير صاحب النقب آخذ عهودا ومواثيقا ثلاثا لا تسودوا اسمي في صحيفة ولا تأمروا لي بشئ ولا تشغلوني عن أمري قال فقال له مسلمة قد فعلنا ذلك بك قال فغاب بعد ذلك فلم ير قال فكان مسلمة بعد ذلك يقول في دبر صلاته اللهم اجعلني مع صاحب النقب[١].

٩- علي بن الحسين زين العابدين

كان علي بن الحسين زين العابدين يحمل الصدقات والطعام ليلًا على ظهره، ويوصل ذلك إلى بيوت الأرامل والفقراء في المدينة، ولا يعلمون من وضعها، وكان لا يستعين بخادم ولا عبد أو غيره.. لئلا يطلع عليه أحد.

قال محمد بن إسحاق: كان ناس بالمدينة يعيشون لا يدرون من أين يعيشون ومن يعطيهم، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ذلك فعرفوا أنه هو الذي كان يأتيهم في الليل بما يأتيهم به.

ولما مات وجدوا في ظهره وأكتافه أثر حمل الجراب إلى بيوت الأرامل والمساكين في الليل.

وقيل إنه كان يعول مائة أهل بيت بالمدينة ولا يدرون بذلك حتى مات[٢].

١٠- لو قدرت أن أتطوع حيث لا يراني ملكاي لفعلت

(١) «تاريخ دمشق» (٥٨/ ٣٦).

(٢) «البداية والنهاية» (١٢٣/٩)، «سير أعلام النبلاء» (٣٩٣/٤)، وابن عساكر (٢١/١٢)، وانظر: «الحلية» (٣/ ١٣٦).

صحب رجل محمد بن أسلم فقال: لازمته أكثر من عشرين سنة لم أره يصلي حيث أراه ركعتين من التطوع في مكان يراه الناس إلا يوم الجمعة، وسمعته كذا وكذا مره يحلف ويقول: «لو قدرت أن أتطوع حيث لا يراني ملكاي لفعلت خوفًا من الرياء»[١].

١١- أحييتني أحياك الله

اجتمع الفضيل بن عياض وسفيان الثوري يومًا، فجلسوا يتذاكرون شيئًا من الرقائق فَرق كل واحد منهم وبكى، فقال سفيان الثوري رحمه الله: «أرجوا أن يكون هذا المجلس علينا رحمة وبركة» فقال الفضيل بن العياض: «ولكني أخاف يا أبا عبد الله ألا يكون أضرُ علينا منه.. ألست تخلصتَ من أحسن حديثك وتخلصتُ أنا إلى أحسن حديثي.. فتزينتُ لك.. وتزينتَ لي..» فبكى سفيان الثوري رحمه الله وقال: «أحييتني أحياك الله»[٢].

١٢- الخوف من الشهرة

يقول أيوب السختياني لأبي مسعود الجريري: «إني أخاف ألا تكون الشهرة قد أبقت لي عند الله حسنة.. إني لأمر بالمجلس.. فأسلم عليهم.. وما أرى أن فيهم أحدًا يعرفني، فيردون علي السلام بقوة، ويسألونني مسألة كأن كلهم قد عرفني، فأي خيرٍ مع هذا»[٣].

١٣- ما هذا البكاء؟

هذا أبو الحسن محمد بن أسلم الطوسي، يقول عنه خادمه أبو عبد الله،

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٢/٢٠٠)، و«حلية الاولياء» (٩/٢٤٣)، و«الوافي بالوفيات» (٢/ ٢٠٤).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٢٦٧)، و«الحلية» (٧ / ٦٤).

(٣) «التواضع والخمول» (ص: ٨٢).

كان محمد يدخل بيتا ويُغلق بابه، ويدخل معه كوزًا من ماء، فلم أدر ما يصنع، حتى سمعتُ ابنًا صغيرًا له يبكي بكاءه، فَنهتهَ أمُهُ، فقلتُ لها: ما هذا البكاء؟

فقالت إن أبا الحسن يدخل هذا البيت، فيقرأ القرآن ويبكي، فيسمعه الصبي فيحكيه، فإذا أراد أن يخرج غسل وجهه؛ فلا يُرى عليه أثر البكاء[١].

١٤- ولم أر رجلاً أسرّ بالخير منه

يقول محمد بن أعين وكان صاحب ابن المبارك في أسفاره: كنا ذات ليلة ونحن في غزو الروم، فذهب عبد الله بن المبارك ليضع رأسه ليريني أنه ينام، يقول فوضعت رأسي على الرمح لأريه أني أنام كذلك، قال: فظن أني قد نمت، فقام فأخذ في صلاته، فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر وأنا أرمُقُه، فلما طلع الفجر أيقظني وظن أني نائم، وقال: يا محمد، فقلتُ: إني لم أنم، فلما سمعها مني ما رأيته بعد ذلك يُكلمني ولا ينبسط إليّ في شيء من غزاته كلها، كأنه لم يعجبه ذلك مني لما فطنت له من العمل، فلم أزل أعرفها فيه حتى مات، ولم أر رجلًا أسرَّ بالخير منه[٢].

* * *

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٢٠١)، و«حلية الأولياء» (٩ / ٢٤٣).
(٢) «الجرح والتعديل» (١/ ٢٦٦).

الفصل الثاني
قصص في حُسن الإتباع

١٥-أطيعوني ما أطعت الله ورسوله

لما تولى أبو بكر الخلافة ﷺ تكلم فحمد الله وأثني عليه بما هو أهله ثم قال: أيها الناس فإني وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعيوني، وإن أساءت فقومني، الصدق أمانة، والكذب خيانة والضعف فيكم قوي عندي حتى أريح[١] عليه حقه إن شاء الله والقوي فيكم ضعيف عندي حتى أخذ الحق منه إن شاء الله لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله[٢].

١٦-كيف تقاتل الناس

يقول الأمام الذهبي ﷺ: لما اشتهرت وفاة النبي بالنواحي ارتدت طوائف كثيرة من العرب عن الإسلام ومنعوا الزكاة فنهض أبو بكر الصديق لقتالهم فأشار عليه عمر وغيره أن يفتر عن قتالهم، فقال: والله لو منعوني عقالا أو عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلهم على منعهما، فقال عمر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ أمرت أن

---

(١) أريح: أراحه: أرجعه حقه.

(٢) «السيرة النبوية» لابن هشام، وقال ابن كثير في «البداية»: إسناده صحيح. و«مصنف عبد الرزاق» (ح ٢٠٧٠٢)، «الثقات» لابن حبان (٢ / ١٥٧)، «الكامل في التاريخ» (١ / ٣٦١)، و«تاريخ الطبري» (٢ / ٢٣٨).

أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله فمن قالها عصم مني ماله ودمه إلا بحقها وحسابه على الله فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فأن الزكاة حق المال، وقد قال: إلا بحقها فقال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق(١).

١٧- لو لا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك

ومن صور حرص السلف على الإتباع والاقتداء حرص أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فها هو يحج بيت الله الحرام ويطوف به حتى إذا وقف على الحجر الأسود فقال: كما عند البخاري عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل الحجر الأسود وقال: لو لا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك(٢). وفي رواية أخري قال: أما والله أني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت النبي ﷺ أستلمك ما استلمتك.

١٨- والله إنه للموضع الذي وضعه النبي ﷺ

وعن عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب أخي عبد الله بن عباس قال: كان للعباس ميزاب على طريق عمر بن الخطاب فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة وكان ذبح للعباس فرخان. فلما وصل الميزاب صب ماء بدم الفرخين [فأصاب عمر وفيه دم الفرخين] فأمر عمر بقلع الميزاب ثم رجع عمر فطرح ثيابه ولبس ثيابا غير ثيابه [ثم جاء] فصلى بالناس فأتاه العباس فقال: والله إنه للموضع الذي وضعه النبي ﷺ فقال عمر للعباس: وأنا

(١) أخرجه البخاري رقم (١٣٣٩) في كتاب «الزكاة» رقم (١٠٩٧)، وأخرجه أحمد ومسلم.

(٢) ومسلم (٩٢٥/٢)، رقم (١٢٧٠)، والنسائي في «الكبرى» (٤٠٠/٢)، رقم (٣٩١٨).

أعزم عليك لما صعدت على ظهري حتى تضعه في الموضع الذي وضعه رسول الله ﷺ ففعل ذلك العباس(١).

يا من يرى عمرًا تكسوه بردته والزيت أدم له والكوخ مأواه
يهتز كسرى على كرسيه فرقًا من خوفه وملوك الروم تخشاه

١٩- اجلسوا

عن جابر قال لما استوى رسول الله ﷺ يوم الجمعة قال: اجلسوا فسمع ابن مسعود فجلس على باب المسجد فرآه رسول الله ﷺ فقال: تعال يا عبد الله بن مسعود(٢).

٢٠- ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل

ومن حرصه رضي الله عنه أنه كان وقافا عند كتاب الله ومن ذلك أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس وكان من النفر الذين يدنيهم عمر وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولا كانوا أو شبابا فقال عيينة لابن أخيه يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه قال سأستأذن لك عليه قال ابن عباس فاستأذن الحر لعيينة فأذن له عمر فلما دخل عليه قال هي يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر حتى هم به فقال له الحر يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف:١٩٩]. وإن هذا من الجاهلين.

---

(١) «مجمع الزوائد» (ج٤ - ص٣٧٤) رواه أحمد ورجاله ثقات إلا أن هشام بن سعد لم يسمع من عبيد الله. والله أعلم.

(٢) أخرجه أبو داود (١٠٩١)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» رقم (١٠٩١).

والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه وكان وقافا عند كتاب الله[١].

٢١- ما كنت لأدع سنة رسول الله ﷺ بقول أحد من الناس.

❁ علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

أخرج البخاري عن مروان بن الحكم قال: شهدت عليًا وعثمان بين مكة والمدينة وعثمان ينهى عن المتعة وأن يجمع بينهما، فلما رأى ذلك علي أهل بهما جميعا فقال: لبيك بحجة وعمره معًا، فقال عثمان: تراني أنهى الناس عن شيئًا وأنت تفعله!! فقال: ما كنت لأدع سنة رسول الله ﷺ بقول أحد من الناس[٢].

ومن شدة حرصه رضي الله عنه عنه ما أخرجه البيهقي بسنده عن علي رضي الله عنه.

قال: لو كان الدين بالرأي لكان باطن الخفين أحق بالمسح من ظاهرهما ولكن رأيت رسول الله ﷺ يمسح على ظاهرهما[٣].

٢٢- الحياء خير كله

❁ عمران بن حصين رضي الله عنه.

أخرج البخاري عن عمران بن حصين أنه قال: قال رسول الله ﷺ الحياء خير كله فقال: بشر بن كعب: أنا نجد في بعض الكتاب أن منه سكينة ووقارا ومنه ضعفا فغضب عمران بن حصين حتى احمرت عيناه وقال: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتعارض فيه - وفي رواية وتحدثني عن

---

(١) أخرجه البخاري (ح ٤٦٤٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣١٥/٦)، رقم (٨٣١٤).

(٢) وأحمد (١٣٥/١، رقم ١١٣٩)، والبخاري (٥٦٧/٢، رقم ١٤٨٨)، والنسائي (١٤٨/٥)، رقم (٢٧٢٣).

(٣) رواه الدار قطني (ح ٣٣)، و«معرفة السنن والآثار» للبيهقي (١ / ٢١٤).

صحيفتك[١].

وعند ابن أبي الدنيا بلفظ: قال بشير بن كعب: إن فيه ضعفا وأن منه لعجزا فقال عمران: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتجئ بالمعاريض لا أحدثك بحديث ما عرفتك، فقالوا يا أبا نجيد أنه طيب الهوى... وأنه فلم يزالوا به حتى سكن[٢].

٢٣- ما هكذا علمنا رسول الله ح

۞ **عبد الله بن عمر** رضي الله عنه.

من شدة حرصه أيضًا أنه سمع رجلًا عطس فقال: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

فقال له: ما هكذا علمنا رسول الله ﷺ بل قال: إذا عطس أحدكم فليحمد الله ولم يقل وليصل على رسول الله[٣].

وعن نافع قال: لو نظرت إلى ابن عمر إذا اتبع رسول الله أثر رسول الله ﷺ لقلت هذا مجنون[٤].

٢٤- كونوا في الصف الذي يلني

عن قيس بن عباد قال: أتيت المدينة للقاء أصحاب محمد ﷺ ولم يكن فيهم رجل ألقاه أحب إلي من أبي فأقيمت الصلاة، وخرج فقمت في الصف الأول فجاء رجل فنظر في وجه القوم فعرفهم غيري فنحاني وقام في

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٦١١٧).

(٢) أخرجه أحمد (ح ١٩٩٧٣)، وأخرجه ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٨٨)، والبيهقي في «الشعب» (٧٧٠٤)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣٩٩/٧).

(٣) «الفكر الصوفي» (ص: ١٠).

(٤) «تاريخ دمشق» (٣١ / ١٢٠)، و«حلية الأولياء» (١ / ٣١٠)، و«سير أعلام النبلاء» (٣ / ٢١٣)، و«تاريخ الإسلام» للإمام الذهبي (٥ / ٤٥٨).

مقامي فما عقلت صلاتي فلما صلى قال: يا بني!! لا يسوؤك الله فإني لم آت الذي أتيت بجهالة ولكن رسول الله ﷺ قال لنا: كونوا في الصف الذي يلني وأني نظرت في وجوه القوم فعرفتهم غيرك، وإذا هو ًابي رضي الله عنه[١].

٢٥- يعذبني الله على الصلاة!!

❁ سعيد بن المسيب رحمه الله .

وها هو سعيد بن المسيب سيد التابعين وإمام من أئمة السنة والفقه كان شديد الحرص على الإتباع شديد البغض للابتداع ينكر على من سول له شيطان الابتداع في دين الله ما لم يأذن به ويحض عليه رسول الله ﷺ. رأى رجل يصلي بعد طلوع الفجر أكثر من ركعتين يكثر فيهما الركوع والسجود، فنهاه، فقال يا أبا محمد: يعذبني الله على الصلاة!! قال لا ولكن يعذبك على خلاف السنة[٢].

٢٦- نعم على السمع والبصر

❁ الأمام الشافعي رحمه الله.

عن الربيع بن سلمان قال سمعت الشافعي يقول: وسأله رجل عن مسألة فقال: روي فيها كذا وكذا عن النبي ﷺ فقال له السائل يا أبا عبد الله تقول به؛ فرأيت الشافعي أرعد وانتفض وقال: يا هذا أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا أرويت عن رسول الله ﷺ حديثًا فلم أقل به؛ نعم على السمع والبصر،

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (ح ٢١٢٦٤)، وأخرجه عبد بن حميد (١٧٧)، والحاكم (٥٢٦/٤-٥٢٧)، و«مسند الطيالسي» (٥٥٥)، وأخرجه عبد الرزاق (٢٤٦٠)، والنسائي (٨٨/٢)، وابن خزيمة (١٥٧٣)، وابن حبان (٢١٨١).

(٢) «السنن الكبير» للبيهقي (ج٢ / ٤٩٦)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (ح ٤٧٥٥).

وعن الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي وقد روى حديثًا فقال: له بعض من حضر؛ تأخذ به؛ فقال: رويت عن رسول الله ﷺ حديثًا صحيحًا فلم أخذ به فأنا أشهدكم أن عقلي قد ذهب ومد يديه؛ وعنه قال: سمعت الشافعي يقول إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ودعوا ما قلت[١].

٢٧- لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي

۞ **مالك بن أنس** رضي الله عنه.

عن معن بن عيسي قال: كان مالك بن أنس إذا أراد أن يحدث بحديث رسول الله ﷺ اغتسل وتبخر وتطيبًا وإذا رفع أحد صوته عنده قال: اغضض من صوتك فإن الله ﷻ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات:٢].

فمن رفع صوته عند حديث رسول الله ﷺ فكأنما رفع صوته فوق صوت رسول الله ﷺ[٢].

٢٨- لا تفعل فإني أخشى عليك الفتنة.

ومن المواقف الدالة على حرص الإمام مالك على الاعتصام بالسنة وإتباع منهج النبي ﷺ ذلك الموقف المشرق جاء رجل إلى الأمام مالك ﷺ فقال: يا أبا عبد الله من أين أحرم.

فقال: من ذي الحليفة من حيث أحرم رسول الله ﷺ.

فقال: إني أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر.

قال: لا تفعل فإني أخشى عليك الفتنة.

---

(١) «صفة الصفوة» (ج١ ص٣٧١).

(٢) «صفة الصفوة» (ج١ ص ٣٣٥)، و«ترتيب المدارك وتقريب المسالك» (١ / ٣٧).

فقال: أي فتنة هذه؛ إنما هي أميال أزيدها.

قال: وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة؛ قصر عنها رسول الله ﷺ؛ إني سمعت الله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور:٦٣][(١)].

٢٩- إن العقيقة سنة ونخل الدقيق بدعة

۞ **محمد بن أسلم بن سالم** رحمه الله.

ولد له ابن فدفع إلى محمد بن القاسم دراهم فقال: اشتر كبشين عظميين وغال بهما واشتر بعشرة دقيقا وأخبزه ففعلت ونخلته فأعطاني عشرة أخرى وقال أشتر به دقيقا ولا تنخله، ثم قال: إن العقيقة سنة ونخل الدقيق بدعة ولا ينبغي أن يكون في السنة بدعة[(٢)].

٣٠- من يتفقه يفقه الله ومن يتعلم يعلمه الله

۞ **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه.

حكى ابن وهب قال: حدثنا مالك بن أنس قال: جعل صبيغ يطوف بكتاب الله معه يقول: من يتفقه يفقه الله ومن يتعلم يعلمه الله فأخذه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فضربه بالجريد ثم سجنه حتى إذا خف الذي به أخرجه فضرب، فقال: يا أمير المؤمنين!! إن كنت تريد قتلي فأجهز علي، وإلا فقد شفيتني شفاك الله فخلاه عمر[(٣)].

٣١- من أحدث في مسجدنا حدثا فعليه لعنة الله

(١) «الفتنة والمتفقة» (ج١ ص١٤٨).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (ج١٠ ص ١٥٢)، و«حلية الأولياء» (٩ / ٢٤٤).
(٣) «البدع» لابن وضاح (رقم ١٤٧).

والملائكة والناس أجمعين

قال: أبو مصعب: قدم علينا ابن مهدي فصلي ووضع رداءه بين يدي الصف، فلما سلم الأمام رمقه الناس بأبصارهم ورمقوا مالكا، وكان قد صلى خلف الأمام، فلما سلم قال: من هاهنا من الحرس؛ فجاءه نفسان فقال: خذا صاحب هذا الثواب فاحبساه فحبس، فقيل له: إنه ابن مهدي، فوجه إليه وقال له: ما خفت الله واتقيته أن وضعت ثوبك بين يديك في الصف، وشغلت المصلين بالنظر إليه، وأحدثت في مسجدنا شيئًا ما كنا نعرفه؛ وقد قال النبي ﷺ: من أحدث في مسجدنا حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. فبكى ابن مهدي وآلى على نفسه أن لا يفعل ذلك أبدًا في مسجد رسول الله ﷺ ولا في غيره. وفي رواية عن ابن مهدي قال: فقلت للحرسين: تذهبان بي إلى أبي عبد الله، قالا: إن شئت، فذهبنا إليه، فقال يا عبد الرحمن!! تصلي مستلبا؛ فقلت يا أبا عبد الله: انه كان يوما حارا، كما رأيت فثقل علي فقال: آلله ما أردت بذلك الطعن على من مضي والخلاف عليه، قلت آلله قال: خلياه[١].

٣٢- لا تحدث في بلدنا ما لم يكن فيه

وحكي ابن وضاح قال: ثوب المؤذن بالمدينة في زمان مالك فأرسل إليه مالك فجاءه، فقال له مالك: ما هذا الذي تفعل؟!؛ فقال: أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر فيقوموا، فقال له مالك، لا تفعل لا تحدث في بلدنا شيئًا لم يكن فيه، قد كان رسول الله ﷺ بهذا البلد عشر سنين وأبو بكر وعمر وعثمان فلم يفعلوا هذا، فلا تحدث في بلدنا ما لم يكن فيه فكف المؤذن عن ذلك، وأقام زمانا، ثم تنحنح في المنارة عند طلوع الفجر، فقال له: ما الذي

(١) «الاعتصام» (ج١ ص٦٢ - ٦٣)، و«ترتيب المدارك وتقريب المسالك» (١ / ٥١).

تفعل؟!، قال: أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر، فقال له: ألم أنهك أن تحدث عندنا ما لم يكن فقال: إنما نهيتني عن التثويب، فقال له لا تفعل فكف زمانا، ثم جعل يضرب الأبواب فأرسل إليه مالك فقال ما هذا الذي تفعل؟! فقال: أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر، فقال له مالك لا تفعل لا تحدث في بلدنا ما لم يكن فيه[١].

(١) «البدع» لابن وضاح (١ / ١٠٤)، و«قواعد وأسس في السنة والبدعة» (ص ٦٠).

الفصل الثالث قصص في التوكل على الله

٣٤- سبقك بها عكاشة

عن النبي ﷺ، قال: عرضت علي الأمم بالموسم أيام الحج، فأعجبني كثرة أمتي، قد ملؤوا السهل والجبل، قال: يا محمد، أرضيت؟ قال: نعم، أي رب، قال: فإن مع هؤلاء سبعين ألفا، يدخلون الجنة بغير حساب، وهم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون، قال عكاشة: فادع الله أن يجعلني منهم، قال: اللهم اجعله منهم، فقال رجل آخر: ادع الله يجعلني منهم، قال: سبقك بها عكاشة(١).

٣٥- أبقيت لهم الله ورسوله

سمعت عمر بن الخطاب يقول: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، فوافق ذلك عندي مالا، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوما، قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال: يا أبا بكر، ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: والله، لا أسبقه إلى شيء أبدًا(٢).

٣٦- بل أنتم المتواكلون

عمر رضي الله عنه لقي ناسًا من أهل اليمن، فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون، فقال: بل أنتم المتواكلون، إنما المتوكل الذي يلقي حبه في

---

(١) أخرجه أحمد (١/٤٠٣) (٣٨١٩).

(٢) أخرجه عبد بن حميد (١٤)، والدارمي (١٦٦٠)، وأبو داود (١٦٧٨).

الأرض ويتوكل على الله ﷻ[١].

عن سعيد بن المسيب أن سلمان الفارسي وعبد الله بن سلام التقيا، فقال أحدهما لصاحبه: إن لقيت ربك قبلي فأخبرني ماذا لقيت منه، فقال أحدهما لصاحبه: أو يلقى الأحياء الأموات؟ قال: نعم، أما المؤمنون فإن أرواحهم بالجنة، وهي تذهب حيث شاءت. قال: فتوفي أحدهما قبل صاحبه، فلقيه الحيّ في المنام، فكأنه سأله فقال الميت: توكل وأبشر. فلم أر مثل التوكل قط[٢].

٣٧- وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها

عن عامر بن عبد قيس أنه كان يقول ثلاث آيات في كتاب الله اكتفيت بهن من جميع الخلائق أولهن: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس:١٠٧] والثانية: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾ [فاطر:٢] والثالثة: وقال ابن برزة والآية الثالثة: ﴿۞وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦﴾ [هود:٦][٣].

٣٨- وتوكل على الحي الذي لا يموت

قال أبو قدامة الرملي قال: قرأ رجل هذه الآية: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٨﴾ [الفرقان:٥٨] فأقبل على سليمان الخواص فقال: يا أبا قدامة ما ينبغي لعبد بعد هذه الآية أن يلجأ إلى أحد غير الله في أمره، ثم قال: والله يا أبا قدامة لو عامل عبد الله

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا «التوكل» (ص ٦١).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٥٥٧)، وأخرجه ابن سعد (٤ / ١ / ٦٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٠٥).

(٣) «تاريخ دمشق» (٢٦/ ٣٦).

بحسن التوكل عليه، وصدق النية له بطاعته لاحتاجت إليه الأمراء، فمن دونهم، فكيف يكون هذا يحتاج وموئله وملجؤه إلى العزيز الحميد[١].

٣٩- علمتُ أن رزقي لا يأكله غيري

قال عمر بن حفص النسائي: قيل لحاتم الأصم علام بنيتَ أمرَكَ هذا في التوكل علي الله؟

قال: «على خصالِ أربع: علمتُ أن رزقي لا يأكله غيري، فاطمأنت به نفسي، وعلمتُ أن عملي لا يعملهُ غيري، فأنا مشغول به، وعلمتُ أن الموت يأتيني بغتةً، فأنا أبادره، وعلمتُ أني لا أخلو من عين الله حيث كنتُ، فأنا مستحٍ منه»[٢].

(١) «بغية الطلب في تاريخ حلب» (٤/ ٣٧٨).

(٢) «طبقات الأولياء» (ص: ٣٠)، و«المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٦٤٩).

الفصل الرابع قصص في اليقين بما عند الله

٤٠- بشره بالجنة

عن هريرة قال كنا قعودا حول رسول الله ﷺ معنا أبو بكر وعمر في نفر فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا فأبطأ علينا وخشينا أن يقتطع دوننا وفزعنا فقمنا فكنت أول من فزع فخرجت أبتغي رسول الله ﷺ حتى أتيت حائطا للأنصار لبني النجار فدرت به هل أجد له بابا فلم أجد فإذا ربيع يدخل في جوف حائط من بئر خارجة والربيع الجدول فاحتفزت كما يحتفز الثعلب فدخلت على رسول الله ﷺ فقال أبو هريرة فقلت نعم يا رسول الله قال ما شأنك قلت كنت بين أظهرنا فقمت فأبطأت علينا فخشينا أن تقتطع دوننا ففزعنا فكنت أول من فزع فأتيت هذا الحائط فاحتفزت كما يحتفز الثعلب وهؤلاء الناس ورائي فقال يا أبا هريرة وأعطاني نعليه قال اذهب بنعلي هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة فكان أول من لقيت عمر فقال ما هاتان النعلان يا أبا هريرة فقلت هاتان نعلا رسول الله ﷺ بعثني بهما من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه بشرته بالجنة فضرب عمر بيده بين ثديي فخررت لإستي فقال ارجع يا أبا هريرة فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأجهشت بكاء وركبني عمر فإذا هو على أثري فقال لي رسول الله ﷺ ما لك يا أبا هريرة قلت لقيت عمر فأخبرته بالذي بعثتني به فضرب بين ثديي ضربة خررت لإستي قال ارجع فقال له رسول الله يا عمر ما حملك على ما فعلت قال يا رسول الله بأبي أنت وأمي أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقي يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه بشره بالجنة قال نعم قال فلا تفعل

فإني أخشى أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون قال رسول الله ﷺ فخلهم[١].

٤١- يقين أبي بكر ا

يقين أي بكر رضي الله عنه حين أتاه كفار قريش وقالوا له: إن صاحبك قد كان يزعم ويزعم أما الآن فقد جاء بأمر عجيب، وما نظنك إلا تكذبه، قال: ما هو؟

قالوا: يزعم أنه ذهب إلى بيت المقدس ثم عرج به إلى السماء وعاد في ليلة، فمعنى كلامهم: حتى في مثل هذا الخبر يمكن أن تصدق صاحبك بما يقول؟ فقال: «إن كان قاله فقد صدق».

٤٢- يقين عمير بن الحصين النجراني

عن بن إسحاق أنه لما مات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتسارع الناس ومنهم أهل نجران إلى الردة قام فيهم فقال إنكم لأن تزدادوا من هذا الأمر أحوج إلى أن تنقصوه فإن الافتكار الشك بعد اليقين ودينكم اليوم دينكم بالأمس فكونوا عليه حتى تخرجوا به إلى رضا الله تعالى ونوره ثم أنشدهم:

أهل نجران أمسكوا بهدى اللـ ـه وكونوا يدًا على الكفار
لا تكونوا بعد اليقين إلى الشـ ـك وبعد الرضا إلى الإنكار
واستقيموا على الطريقة فيه وكونوا كهيئة الأنصار[٢]

٤٣- ما نقص مال من صدقة

(١) أخرجه مسلم (ح ٤٦).
(٢) «الإصابة في معرفة الصحابة» (ج ٢ / ص ٣٧٩).

قال زمعة بن غُرابِي، عن أبيه: أن النعمان بن عبد الله من آل ذي الرأْسَيْن من حَضَرْموت. كان يسكن برقة هو وأخوه يزيد بن عبد الله، فرأى في النوم كأنه يقال له: إخْتَر بين الإيمان واليَقين؟ فقال: اليَقين. فكان أزهد الناس؛ وكان يتصَدّق بعطائه كله حتى لا يَبْقى معه منه شيء، ولا عليه ثَوْبٌ ولا إزارٌ. فوفد إلى الأنْدَلُس بفَتْح إلى سُلَيمان بن عبد المِلِك ومعه محمد بن حَبيب المُعافريّ، فَسَألَهُما سليمان حَوائجهما، فسأله المعافريّ حوائج فَقُضِيت. وقال النعمان: حاجتي أن تَرُدّني إلى ثغر لي ولا تسألني عن شيء فأذن له فرجع واستشهد في أقصى ثغور الأنْدَلُس[١].

٤٤- لو أن لابن آدم من اليقين قدر ذرة لمشى على الماء

عن بكر بن عبد الله المزني قال فقد الحواريون نبيهم فانطلقوا يطلبونه فإذا هو قد انطلق نحو البحر وإذا هو يمشي على الماء فقال له رجل منهم يا نبي الله أجئ إليك قال نعم فذهب يرفع رجلا ويضع أخرى فإذا هو في الماء فقال له عيسى ناولني يدك يا قصير اليقين فلو أن لابن آدم من اليقين قدر ذرة لمشى على الماء.

عن بكر بن عبد الله المزني قال فقد الحواريون نبيهم عيسى فقيل لهم توجه نحو البحر فانطلقوا يطلبونه فلما انتهوا إلى البحر إذا هو قد أقبل يمشي على الماء يرفعه الموج مرة ويضعه أخرى وعليه كساء مرتدي بنصفه ومتزر بنصفه حتى انتهى إليهم فقال له بعضهم قال أبو هلال:ظننت أنه من أفاضلهم ألا أجئ إليك يا نبي الله قال بلى قال فوضع إحدى رجليه في الماء ثم ذهب ليضع الأخرى فقال أوه غرقت يا نبي الله قال:أرني يدك يا قصير الإيمان لو أن لابن آدم من اليقين قدر شعيرة مشى

(١) «تاريخ علماء الأندلس» (ج ١ / ص ١٩٧).

على الماء[١].

٤٥- الله أكبر قصور فارس ورب الكعبة

عن البراء بن عازب الأنصاري، قال: لما كان حين أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق، عرض لنا في بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة، لا تأخذ فيها المعاول[٢]، قال: فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ، قال: فلما رآها أخذ المعول وقال: «بسم الله»، وضرب ضربة فكسر ثلثها، فقال: «الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر إن شاء الله»، ثم ضرب الثانية، فقطع ثلثا آخر فقال: «الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض»، ثم ضرب الثالثة فقال: «بسم الله»، فقطع بقية الحجر، فقال: «الله أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة»[٣].

٤٦- من أين تأكل

كما روى عن حاتم الأصم انه قال له رجل من أين تأكل فقال من خزانته فقال الرجل يلقى عليك الخبز من السماء فقال لو لم تكن الأرض له لكان يلقيه من السماء فقال الرجل أنتم تقولون الكلام فقال لم ينزل من السماء إلا الكلام فقال الرجل أنا لا أقوى لمجادلتك فقال لأن الباطل لا يقوم مع الحق.

---

(١) «تاريخ دمشق» (ج ٤٧ / ص ٤٠٨).

(٢) المعاول: جمع مِعْول، وهو آلة من الحديد يُنقر بها الصخر.

(٣) أخرجه أحمد (٣٠٣/٤)، رقم (١٨٧١٦)، قال الهيثمي (١٣١/٦): والنسائي في «الكبرى» (٢٦٩/٥)، رقم (٨٨٥٨). وأخرجه أيضًا: ابن أبي شيبة (٣٧٨/٧)، رقم (٣٦٨٢٠)، والروياني (٢٧٦/١)، رقم (٤١٠)، وأبو يعلي (٢٤٤/٣)، رقم (١٦٨٥). وفيه ميمون أبو عبد الله وثقه ابن حبان وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات.

٤٧- يا رازق النعاب في عشه

يقول الرازي ﷺ ويحكى أن ولد الغراب كما يخرج من قشر البيضة يخرج من غير ريش فيكون كأنه قطعة لحم أحمر، والغراب يفر منه ولا يقوم بتربيته، ثم إن البعوض يجتمع عليه لأنه يشبه قطعة لحم ميت، فإذا وصلت البعوض إليه التقم تلك البعوض واغتذى بها، ولا يزال على هذه الحال إلى أن يقوى وينبت ريشه ويخفى لحمه تحت ريشه، فعند ذلك تعود أمه إليه، ولهذا السبب جاء في أدعية العرب: يا رازق النعاب في عشه، فظهر بهذه الأمثلة أن فضل الله عام، وإحسانه شامل، ورحمته واسعة[١].

٤٨- سبحانك يا من سخرت الأعداء يرزق بعهم بعضا

ومن جميل ما قرأت أن إبراهيم بن أدهم ذلك السلفي الذي ظن كثير من أحبابنا أنه من المتصوفة ولكنه محسوب على سلف الأمة رضوان الله عليهم كما قال المحققون من أكثر أهل الجرح والتعديل، فذلك الرجل الذي جلس يوما ليأكل بعض قطع اللحم المشوي فجاءت قطة فخطفت قطعة لحم وجرت فقام ورائها ليتابع لماذا جرت فرأى إبراهيم أن القطة قد وضعت قطعة اللحم أمام جحر في مكان مهجور وانصرفت فازداد عجب وظل يراقب الموقف مراقبة دقيقة فنظر فرأى ثعبان أعمي فقأت عيناه خرج من هذا الجحر ليأخذ قطة اللحم ثم يرجع إلي جحره مرة أخري فبكي إبراهيم بن أدهم وقال: «سبحانك يا من سخرت الأعداء يرزق بعضهم بعضًا»[٢].

٤٩- أف لهذه القلوب قد خالطها الشك

قال هرم لأويس ﷺ أين تأمرني أن أكون فأومأ إلى الشام فقال

(١) «تفسير الرازي» (ج ١ / ص ٢١٢)، و«العقد الفريد» (٢/ ٤٨٢).
(٢) دروس للشيخ محمد حسان، ودروس أكاديمية المجد (ص: ١٠٥).

هرم: كيف المعيشة بها؟

قال أويس:أف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها العظة[۱]، أي لأن العظة كالصقر لا يصيد إلا الحي والقلب الذي خالطه الشك بمثابة الميت فلا يفيده التنبيه نسأل الله سبحانه ان يوقظنا من سنة الغفلة ولا يجعلنا من المعذبين بعذاب الجهالة انه الكريم الرؤف الرحيم.

٥٠- قلبي في السفر والحضر واحدًا.

وقال حاتم: وقع الثلج ببلخ فمكثت في بيت ثلاثة ومعي أصحابي فقلت: يخبرني كل رجل منكم بهمته؛ قال: فأخبروني فإذا ليس فيهم أحد لا يريد إلا ان يتوب من تلك الهمة؛ قال: فقالوا لي: همتك أنت يا أبا عبد الرحمن، قال: قلت: ما همتي إلا شفقة على إنسان يريد أن يحمل رزقي في هذا الطين؛ قال: وإذا رجل قد جاء ومعه جراب خبز وقد زلق فابتلت ثيابه بطين، وقال: يا [أبا] عبد الرحمن، خذ هذا الخبز.

قال حاتم: خرجت في سفر ومعي زاد فنفد زادي في وسط البرية فكان قلبي في السفر والحضر واحدًا[۲].

٥١- تسخير الله العقرب لدفع أذي الحية عن نائم

وروى عن ذي النون أنه قال: كنت في البيت إذ وقعت ولولة في قلبي، وصرت بحيث ما ملكت نفسي، فخرجت من البيت وانتهيت إلى شط النيل، فرأيت عقربًا قويًا يعدو فتبعته فوصل إلى طرف النيل فرأيت ضفدعًا واقفًا على طرف الوادي، فوثب العقرب على ظهر الضفدع وأخذ الضفدع يسبح ويذهب، فركبت السفينة وتبعته فوصل الضفدع إلى الطرف

(١) «إحياء علوم الدين» ومعه تخريج الحافظ العراقي (٦/ ٢٣٥).
(٢) «وفيات الأعيان» (ج ٢ / ص ٢٨).

الآخر من النيل، ونزل العقرب من ظهره، وأخذ يعدو فتبعته، فرأيت شابًا نائمًا تحت شجرة،

ورأيت أفعى يقصده فلما قربت الأفعى من ذلك الشاب وصل العقرب إلى الأفعى فوثب العقرب على الأفعى فلدغه، والأفعى أيضًا لدغ العقرب، فماتا معًا، وسلم ذلك الإنسان منهما[١].

٥٢-قصة سفينة مولى رسول الله ﷺ

ذكر الحافظ الطبراني أن سفينة مولى رسول الله ﷺ قال: ركبت البحر فانكسرت سفينتي التي كنت فيها فركبت لوحا من ألواحها فطرحني اللوح في أجَمة فيها الأسد فأقبل إليَّ يريدني فقلت: يا أبا الحارث أنا مولى رسول الله ﷺ فطأطأ رأسه وأقبل إليَّ فدفعني بمنكبه حتى أخرجني من الأجمة ووضعني على الطريق ,وهَمْهم، فظننت أنه يودعني فكان ذلك آخر عهدي به[٢].

٥٣- بماذا كنت تفكر والأسد يزأر ويصيح ويرفع

قصة ابن أبي الحسن الزاهد

كان الملك ابن طولون ظالم من ظلمة الحكام، وقل أن يأتي إليه إنسان ويأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر إلا ويقطع رقبته، حتى إنه قتل ثمانية عشر ألف إنسان صبرا، والصبر هو أشد أنواع القتل يجوع حتى يموت.جاءه الإمام ابن أبي الحسن الزاهد وقال له: يا ابن طولون إنك قد ظلمت وفعلت، وفعلت وأنَّبه وتكلم عليه فاشتد ابن طولون وأمر بحبسه، لما حبسه أمر ابن طولون بتجويع أسد ثلاثة أيام، وعندما جوع الأسد

(١) «تفسير الرازي» (ج ١ / ص ٢١٢).
(٢) أخرجه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي.

اجتمع الناس وفي مقدمتهم ابن طولون ووضع، وجيء بأبي الحسن الزاهد، ووضع أمام الأسد في حلبة .

تصوروا إنسانا ضعيفا أعزل أمام أسد جائع له ثلاثة أيام لم يأكل، فلما رآه الأسد بدأ يزأر ويتقدم ويتأخر، والناس أيديهم على قلوبهم من المعركة غير المتكافئة، وأبو الحسن الزاهد قد أطرق مليا، لا يتحرك منه عضو في جسده كأنه لا يبالي، وبدأ يهدر هذا الأسد والناس بين خائف، ومكبر، ووجل، ووجدوا أن الأسد يتقدم ويتأخر، ثم جاء وطأطأ برأسه على أبي الحسن الزاهد وشمه ثم ذهب، وبدأ يفعل هذا برهة من الزمن، ثم طأطأ رأسه وانصرف في زاوية من المكان، وجلس ولم يمس أبا الحسن الزاهد بسوء، وكبر الناس وتعجبوا.

فقال أحمد بن طولون: ائتوني به، فجاءوا بالإمام الزاهد فسأله وقال: أريد أن أسألك سؤالا بماذا كنت تفكر والأسد يزأر ويصيح ويرفع صوته؟ قال: إن الأسد عندما جاء وشمني ومس ثوبي جلست أتأمل هل لعاب الأسد طاهر أو نجس؟ هذه القضية التي تشغله. قال: أما خفت من الأسد؟ قال: أبدًا؛ لأن الله ﷻ يكفيني إياه(١).

٥٤- الأوزاعي مع الحاكم العباسيي

روي أن الإمامُ الأوزاعي ذلكم الإمامُ المحدثُ الورعُ الفقيه حين دخل عبدُ الله بن علي ذلكم الحاكمُ العباسيُ دمشقَ في يوم من الأيام فقتلُ فيها ثمانيةً وثلاثين آلفَ مسلم ثم يُدخلُ الخيولَ مسجدَ بني أميةَ، ثم يتبجحُ ويقول: من ينكرُ علي في ما أفعل؟ قالوا لا نعلمُ أحدًا غير الإمامُ الأوزاعي فيرسل من يستدعيه، فعلمَ الإمام الأوزاعي أنه الامتحان وعلم أنه الابتلاء،

(١) «صور من الثبات على الإيمان» للمؤلف (ص ١٠٧).

وعلم أنه إما أن ينجحَ ونجاحٌ ما بعدَه رسوب، وإما أن يرسبَ ورسوبٌ ما بعده نجاح، فماذا كان من هذا الإمام؟ قام واغتسلَ وتحنطَ وتكفن ولبس ثيابه من على كفنه، ثم أخذَ عصاه في يده، ثم اتجه إلى من حفظه في وقت الرخاء فقال: يا ذا العزةِ التي لا تضام، والركنَ الذي لا يرام يا من لا يهزمُ جندُه ولا يغلبُ أوليائهُ أنتَ حسبي ومن كنتَ حسبَه فقد كفيتَه، حسبي اللهُ ونعم الوكيل ثم ينطلقَ وقد توكل على الله ﷻ انطلاقة الأسد إلى ذلك الحاكم وقد صفَ وزراءه وصف سماطين من الجلود يريد أن يقتله وأن يرهبه بها قال فدخلت وإذ السيوف وإذ السماط معد، وإذا الأمور غير ما كنت أتوقع قال فدخلت ووالله ما تصورت في تلك اللحظة إلا عرش الرحمن بارزا والمنادي ينادي: فريق في الجنة وفريق في السعير.

فوالله ما رأيته أمامي إلا كالذباب، والله ما دخلت بلاطه حتى بعت نفسي من الله جل وعلا قال فأنعقدَ جبينُ هذا الرجل من الغضب ثم قال له أأنتَ الأوزاعي؟

قال يقولُ الناسُ أني الأوزاعي. قال ما ترى في هذه الدماء التي سفكناها؟ قال حدثنا فلان عن فلان عن فلان عن جَدُك أبن عباس وعن ابن مسعود وعن أنس وعن أبي هريرة وعن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحلُ دمُ امرأ مسلمٍ إلا بأحدِ ثلاث، الثيبُ الزاني، والنفسُ بالنفسِ، والتاركُ لدينه المفارقُ للجماعة».

قال فتلمظَ كما تتلمظُ الحيةَ وقام الناس يتحفزون ويرفعون ثيابهم لِألا يصيبَهم دمي، ورفعتُ عمامتي ليقعُ السيفُ على رقبتي مباشرة وإذ به يقول وما ترى في هذه الدور التي اغتصبنا والأموالِ التي أخذنا؟

قال سوفَ يجردُك اللهُ عريانًا كما خلقَك ثم يسأُلك عن الصغيرِ والكبيرِ والنقيرِ والقطميرِ، فإن كانت حلالًا فحساب، وإن كانت حرامًا فعقاب

قال فأنعقدَ جبينُه مرة أخرى من الغضبِ وقام الوزراء يرفعون ثيابهم وقمت لأرفع عمامتي ليقع السيف على رقبتي مباشرة .قال وإذ به تنتفخ أوداجه ثم يقول اخرج قال: فخرجت فوالله ما زادني ربي إلا عزا(١).

٥٥- حفظ الله لصلة بن أشيم؟

ماد بن جعفر بن زيد، قال: إن أباه أخبره قال: خرجنا في غزاة إلى كابل وفي الجيش صلة بن أشيم، قال: فترك الناس عند العتمة، فقلت: لأرمقن عمله فأنظر ما يذكر الناس من عبادته، فصلى، ثم اضطجع فالتمس غفلة الناس، حتى إذا قلت هدأت العيون وثب فدخل غيضة قريبًا مني، فدخلت في أثره فتوضأ ثم قام يصلي فافتتح الصلاة، قال: وجاء أسد حتى دنا منه، قال: فصعدت إلى شجرة، قال: أفتراه التفت إليه حتى سجد، فقلت: الآن يفترسه فلا شيء فجلس ثم سلم، فقال: أيها السبع اطلب الرزق من مكان آخر، فولى وإن له لزئيرًا، أقول تصدعت منه الجبال، فما زال كذلك يصلي حتى لما كان عند الصبح جلس فحمد الله بمحامد لم أسمع بمثلها إلا ما شاء الله ثم قال: اللهم إني أسألك أن تجيرني من النار أو مثلي يجترئ أن يسألك الجنة، ثم رجع فأصبح كأنه بات على الحشايا، وقد أصبحت وبي من الفترة شيء الله تعالى به عليم(٢).

﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٦٤﴾ قال أحد علماء المسلمين: لما أطعنا الله سخر لنا الوحوش ولما عصيناه سلط علينا الفئران.

٥٦- اسكت يا بني إن ربي آ اختبرني فأحببت أن أزيده

(١) «دروس للشيخ علي القرني» (١٧/٣٤)، «صور مشرقة من الثبات على الإيمان» (١٠٤-١٠٦).

(٢) «المنتظم» لابن الجوزي (ج ٢/ ص ٢٦٦)، و«المعرفة والتاريخ» (ج ١/ ص ١٩٨)، «حلية الأولياء» (ج ١ / ص ٣١٧).

أحمد بن أبي الحواري، قال: حدثني أبو عمرو الكندي، قال: أغارت الروم على جواميس لبشير الطبري نحو من أربعمائة جاموس قال: فاستركبني فركبت معه أنا وابن له قال: فلقينا عبيده الذين كانوا مع الجواميس معهم عصيهم قالوا: يا مولانا ذهبت الجواميس فقال: «وأنتم أيضًا فاذهبوا معها فأنتم أحرار لوجه الله»، فقال له ابنه: يا أباه أفقرتنا فقال: «اسكت يا بني إن ربي ﷻ اختبرني فأحببت أن أزيده»[١].

٥٧- يا ابن أخي هو الذي ابتلاني فأنا أكره أن أرده

عبد العزيز بن عمير، يقول: كان في خرابات القبائل بمصر رجل مجذوم[٢] وكان شاب من أهل مصر يختلف إليه يتعاهده ويغسل خرقه ويخدمه فتعرى فتى من أهل مصر فقال للذي كان يخدمه: إنه بلغني أنه يعرف اسم الله الأعظم وأنا أحب أن أجيء معك إليه فأتاه فسلم عليه وقال: يا عم إنه بلغني أنك تعرف اسم الله الأعظم فلو سألته أن يكشف ما بك.

قال: «يا ابن أخي هو الذي ابتلاني فأنا أكره أن أرده»[٣].

٥٨- عسى أن يكون خيرًا

عن مسروق، قال: «كان رجل بالبادية له كلب وحمار وديك فالديك يوقظهم للصلاة والحمار ينقلون عليه الماء ويحمل لهم خباءهم[٤] والكلب يحرسهم قال: فجاء ثعلب فأخذ الديك فحزنوا لذهاب الديك وكان الرجل صالحا فقال: عسى أن يكون خيرًا ثم مكثوا ما شاء الله ثم جاء ذئب فخرق بطن الحمار فقتله فحزنوا لذهاب الحمار فقال الرجل الصالح: عسى أن

---

(١) «الرضا عن الله بقضائه» (ص ٣١).
(٢) المجذوم: من أصيب بمرض يشوه جسمه ويسقط بسببه أطرافه.
(٣) «الرضا عن الله بقضائه» (ص ٣٢).
(٤) الخباء: الخيمة.

يكون خيرًا ثم مكثوا ما شاء الله بعد ذلك ثم أصيب الكلب فقال الرجل الصالح: عسى أن يكون خيرًا ثم مكثوا بعد ذلك ما شاء الله، فأصبحوا ذات يوم فنظروا فإذا قد سبي[١] من حولهم وبقوا هم قال: وإنما أخذوا أولئك بما كان عندهم من الصوت والجلبة ولم يكن عند أولئك شيء يجلب، قد ذهب كلبهم وحمارهم وديكهم»[٢].

٥٩- أحبه إلي أحبه إلى الله

عن علي بن الحسن بن موسى، قال: قال رجل: لأمتحنن أهل البلاء فقال: فدخلت على رجل بطرطوس وقد أكلت الأكلة أطرافه فقلت له: كيف أصبحت؟

قال: «أصبحت والله وكل عرق وكل عضو يألم على حدته من الوجع لو أن الروم في كفرها وشركها اطلعت علي لرحمتني مما أنا فيه وإن ذلك لبعين الله، أحبه إلي أحبه إلى الله، وما قدر ما أخذ ربي مني وددت أن ربي قطع مني الأعضاء التي اكتسبت بها الإثم وإنه لم يبق مني إلا لساني يكون له ذاكرا»

فقال له رجل: متى بدأت بك هذه العلة؟

قال: «أما كفاك الخلق كلهم عبيد الله وعياله فإذا نزلت بالعباد علة فالشكوى إلى الله ليس يشتكى الله إلى العباد»[٣].

٦٠- يقين أبي طلحة رضي الله عنه

عن أنس، كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل، وكان

---

(١) سبي: أسر

(٢) «الرضا عن الله بقضائه» (ص ٤٣)

(٣) «الرضا عن الله بقضائه» (ص ٩٥)

أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما نزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢] قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن الله يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب أموالى إلى بيرحاء وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال النبي، ﷺ: «بخ بخ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين»، فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبنى عمه(١).

٦١- يقين عمرو بن الجموح

كان عمرو بن الجموح رجلا أعرج شديد العرج وكان له بنون أربعة مثل الأسد يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا له: إن الله ﷻ قد عذرك فأتى رسول الله ﷺ فقال: إن بني يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة. فقال رسول الله ﷺ: أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك

وقال لبنيه: ما عليكم ألا تمنعوه لعل الله أن يرزقه الشهادة. فخرج معه فقتل. يوم أحد شهيدًا(٢).

عن أبي قتادة أنه حضر ذلك قال أتى عمرو بن الجموح إلى رسول

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١٤١/٣)، و«صحيح البخاري» برقم (١٤٦١، ٢٧٥٢، ٢٣١٨، ٢٧٦٩، ٥٦١١، ٤٥٥٤)، و«صحيح مسلم» برقم (٩٩٨).

(٢) «معرفة الصحابة» لأبي نعيم الأصبهاني (ج ١٤ / ص ١٥٦)، «فقه السيرة» (ج ١ / ص ٢٦٠)

الله ﷺ فقال يا رسول الله أرأيت إن قاتلت في سبيل الله حتى أقتل أمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة وكانت رجله عرجاء قال رسول الله ﷺ نعم فقتلوا يوم أحد هو وابن أخيه ومولى لهم فمر عليه رسول الله ﷺ فقال كأني أنظر إليك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة فأمر رسول الله ﷺ بهما وبمولاهما فجعلوا في قبر واحد(١).

٦٢- يقين أبي الدحداح

عن حماد بن سلمة: حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك: أن رجلًا قال: يا رسول الله! إن لفلان نخلة، وأنا أقيم نخلي بها، فمره أن يعطيني إياها حتى أقيم حائطي بها. فقال له النبي ﷺ: **«أعطها إياه بنخلة في الجنة»** فأبى، وأتاه أبو الدحداح فقال: بعني نخلك بحائطي. قال: ففعل. قال:فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! إني قد ابتعت النخلة بحائطي، فاجعلها له، فقال النبي ﷺ: فذكره. فأتى امرأته فقال: يا أم الدحداح! اخرجي من الحائط، فإني بعته بنخلة في الجنة. فقالت: قد ربحت البيع. أو كلمة نحوها(٢).

(١) أخرجه أحمد (٥ / ٢٩٩) بسند حسن كما قال الحافظ (٣ / ١٦٨).
(٢) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٦ / ١١٣١): أخرجه أحمد (٣ / ١٤٦)، وابن حبان (٢٢٧١).

الفصل الخامس قصص عن العلم وطلبه

٦٣- حرص عمر بن الخطاب ورجل من الأنصار على تعلم العلم:

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن عمر بن الخطاب قال: كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أميه بن زيد - وهي من عوالي المدينة - وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ ينزل يوما وأنزل يوما، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل ذلك فنزل صاحبي الأنصاري يوم نوبته فضرب بابي ضربا شديدا فقال أثم هو؛ ففرعت، فخرجت إليه فقال قد حدث أمرا عظيم... قال فدخلت على حفصة فإذا هي تبكي، قلت: طلقكن رسول الله؟ قالت لا أدري ثم دخلت على النبي ﷺ فقلت وأنا قائم: أطلقت نساءك؟ قال لا فقلت الله أكبر(١).

٦٤- كان هذا الفتي أعقل مني

قال بن عباس رضي الله عنه: لما توفي رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار: يا فلان هلم فنسأل أصحاب النبي ﷺ فإنهم اليوم كثير فقال: واعجبا لك يا أبن عباس أترى الناس يحتاجون إليك وفي الناس من أصحاب النبي ﷺ من ترى؟

فتركت ذلك وأقبلت على المسألة فإذا كان يبلغني الحديث عن الرجل فآتيه وهو قائل فأتوسد ردائي على بابه فتسفي الريح على وجهي التراب

---

(١) أحمد (٣٣/١)، رقم (٢٢٢)، والبخاري (٨٧١/٢)، رقم (٢٣٣٦)، ومسلم (١١١١/٢)، رقم (١٤٧٩)، والترمذي (٤٢٠/٥)، رقم (٣٣١٨) وقال: حسن صحيح. والنسائي (١٣٧/٤)، رقم (٢١٣٢)، وابن حبان (٤٩٢/٩).

فيخرج فيراني فيقول: يا بن عم رسول الله ما جاء بك؟

ألا أرسلت إلي فأتيتك؟ فأقول أنا أحق أن آتيك... فأسأله عن الحديث قال: فبقي الرجل حتى رآني وقد أجتمع الناس على فقال: كان هذا الفتي أعقل مني[١].

ولما فتحت البلاد آثر ابن عباس من أجل العلم ظمأ الهواجر في دروب المدينة ومسالكها على الجهاد.

٦٦- أني أصبت العلم

عن بن عباس رضي الله عنهما قال: «كنت آتي باب أبي بن كعب وهو نائم فأقيل على بابه ولو علم بمكاني لأحب أن يوقظ لي لمكاني من رسول الله ﷺ لكني أكره أن أمله». وقال رضي الله عنه كنت ألزم الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار فأسألهم عن مغازى رسول الله ﷺ وما نزل من القرآن في ذلك، وكنت لا آتي أحدًا إلا سر بإيتاني لقربي من رسول الله ﷺ فجعلت أسال أبي بن كعب يوما؛ وكان من الراسخين في العلم، عما نزل بالقران في المدينة؟ فقال: نزل بها سبع وعشرون سورة وسائرها بمكة[٢].

وسئل رضي الله عنه : أني أصبت العلم؟

فأجاب: بلسان سؤول. وقلب عقول[٣].

---

(١) أخرجه الدارمي في «سننه» برقم (٥٧٠) (١/ ١٥٠-١٥١)، والخطيب في «الجامع» (٢١٩) (١/ ٢٣٥-٢٣٦)، وانظر: «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٢٣٠)، ورجاله ثقات، وأحمد في «الفضائل» (١٩٢٥) وإسناده صحيح.

(٢) «الطبقات الكبرى» (٢ / ٣٧١)، «تاريخ جرجان» (١ / ٢٨٧).

(٣) «المدخل إلى السنن الكبرى» للبيهقي (١ / ٣٣٢)، «فضائل الصحابة» لأحمد بن حنبل (٢/٩٧٠).

٦٦- من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟

فعن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث: أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة ومن قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه[١]. ولقد كان أبو هريرة حريصًا على حفظ أحاديث الرسول ﷺ لذا شكى للنبي ﷺ كثرة النسيان فدعا له ﷺ فما نسي شيئًا.

فعن أبي هريرة قال: قلت يا رسول الله أسمع منك حديثًا كثيرًا أنساه قال: أبسط رداءك، فبسطه قال: فغرف بيديه ثم قال: ضمه فضممته فما نسيت شيئًا بعده[٢].

٦٧- أسألك أن تعلمني مما علمك الله

وعنه ﷺ قال: أن رسول الله ﷺ قال: **«ألا تسألني من هذه الغنائم التي يسألني أصحابك؛ قلت أسألك أن تعلمني مما علمك الله فنزع نمرة[٣] كانت على ظهري، فبسطها بيني وبينه حتى كأني أنظر إلى النمل يدب عليها فحدثني حتى إذا استوعبت حديثه قال: أجمعها فصرها إليك»**. فأصبحت لا أسقط حرفا مما حدثتني[٤].

٦٨- يرحمك الله، فإنك غليم معلم

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩/١)، رقم (٩٩)، وأخرجه أيضًا أحمد (٣٧٣/٢)، رقم (٨٨٤٥).

(٢) أخرجه أحمد (ح ٧٢٧٥)، والبخاري (١١٩) و(٣٦٤٨)، والترمذي (٣٨٣٤، ٣٨٣٥).

(٣) والنمرة: شملة فيها خطوط بيض وسود.

(٤) جاله ثقات، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١ / ٣٨١)، وهو في «تاريخ ابن عساكر» (١٩ / ١١٣).

عن ابن مسعود، قال: كنت أرعى غنما لعقبة بن أبي معيط، فمر بي رسول الله ﷺ وأبو بكر، فقال: **«يا غلام، هل من لبن؟»** قال: قلت: نعم، ولكني مؤتمن، قال: **«فهل من شاة لم ينز عليها الفحل؟»** فأتيته بشاة، فمسح ضرعها، فنزل لبن، فحلبه في إناء، فشرب، وسقى أبا بكر، ثم قال للضرع: **«اقلص»** فقلص، قال: ثم أتيته بعد هذا، فقلت: يا رسول الله، علمني من هذا القول، قال: فمسح رأسي، وقال: **«يرحمك الله، فإنك غليم معلم»**[(١)].

٦٩- رحلة أبي ذر رضي الله عنه وحرصه على طلب الهداية

عن أبي حمزة: أن ابن عباس أخبرهم عن بدء إسلام أبي ذر قال بلغه أن رجلًا خرج بمكة يزعم أنه نبي فبعث أخاه فقال انطلق إلى مكة حتى تأتيني بخبره وذكر قصة إسلامه أنه انطلق حتى أتى مكة معه شنة فيها ماؤه وزاده فدخل المسجد ولم يسأل أحدًا عن شيء ولم يلق رسول الله ﷺ وكان في ناحية المسجد حتى أمسى فمر به على بن أبي طالب فقال أما آن للرجل أن يعرف منزله فمر معه على أثره حتى دخل على رسول الله ﷺ وأخبره خبره ثم أسلم فقال يا رسول الله مرني بما شئت قال ارجع إلى أهلك حتى يأتيك خبري فقال والله ما كنت لأرجع حتى أصرخ بالإسلام فخرج إلى المسجد فصاح بأعلى صوته أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله فقال المشركون صبأ الرجل صبأ الرجل ثم قاموا إليه فضربوه حتى سقط[(٢)].

---

(١) أخرجه أحمد (٦ / ٨٢)، وابن حبان (٧٠٦١) من طريق أبي بكر بن عياش، بهذا الإسناد.

(٢) البخاري (٦ / ٤٠٠) و(٧ / ١٣٢، ١٣٤) في المناقب: باب إسلام أبي ذر، ومسلم رقم (٢٤٧٤).

٧٠- رحلة جابر بن عبد الله، وحرصه على طلب العلم

عن عبد الله بن محمد بن عقيل، أنه سمع جابر بن عبد الله، يقول: بلغني حديث عن رجل سمعه من رسول الله ﷺ فاشتريت بعيرا، ثم شددت عليه رحلي، فسرت إليه شهرا، حتى قدمت عليه الشام فإذا عبد الله بن أنيس، فقلت للبواب: قل له: جابر على الباب، فقال ابن عبد الله؟ قلت: نعم، فخرج يطأ ثوبه فاعتنقني، واعتنقته، فقلت: حديثًا بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ في القصاص، فخشيت أن تموت، أو أموت قبل أن أسمعه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يحشر الناس يوم القيامة - أو قال: العباد - عراة غرلا بهما»** قال: قلنا: وما بهما؟ قال: **«ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان، ولا ينبغي لأحد من أهل النار، أن يدخل النار، وله عند أحد من أهل الجنة حق، حتى أقصه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، ولأحد من أهل النار عنده حق، حتى أقصه منه، حتى اللطمة»**، قال: قلنا: كيف وإنا إنما نأتي الله ﷻ عراة غرلا بهما؟ قال: **«بالحسنات والسيئات»**[(١)].

٧١- رحلة أبي أيوب إلى مصر من أجل طلب حديث واحد

عطاء بن أبي رباح، يقول: خرج أبو أيوب إلى عقبة بن عامر - وهو بمصر - يسأله عن حديث سمعه من رسول الله ﷺ، لم يبق أحد سمعه من رسول الله ﷺ غيره، وغير عقبة فلما قدم أتى منزل مسلمة بن مخلد الأنصاري، وهو أمير مصر، فأخبر به فعجل إليه فعانقه ثم قال: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ فقال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ لم يبق أحد سمعه

---

(١) أخرجه أحمد (٢٥ / ٤٣٣)، أخرجه الحافظ في «تغليق التعليق» (٥/٣٥٥) من طريق الإمام أحمد، بهذا الإسناد.

من رسول الله ﷺ غيري وغير عقبة، فابعث إلى من يدلني على منزله، قال: فبعث معه، من يدله على منزل عقبة، فأخبر عقبة به فعجل، فخرج إليه فعانقه، وقال: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ فقال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ، لم يبق أحد سمعه غيري وغيرك في ستر المؤمن، قال عقبة: نعم، سمعت رسول الله ﷺ، يقول: من ستر مؤمنا في الدنيا على خزية، ستره الله يوم القيامة فقال له أبو أيوب: صدقت، ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته، فركبها راجعا إلى المدينة، فما أدركته جائزة مسلمة بن مخلد إلا بعريش مصر(١).

٧٢- كيف شهوتك للعلم؟

استمع إلى الشافعي رحمه الله وهو يحدث عن نفسه فيقول: «حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر سنين»(٢).

وقال ابن أبي حاتم سمعت المزني يقول: قيل للشافعي: كيف شهوتك للعلم؛ قال أسمع بالحرف - أي بالكلمة - مما لم أسمعه فتود أعضائي أن لها أسماعا تتنعم به ما تنعمت به الأذنان.

فقيل له: كيف حرصك عليه؟ قال: حرص الجموع المنوع في بلوغ لذته للمال.

فقيل له فكيف طلبك له؟

قال: طلب المرأة المضلة ولدها ليس لها غيرة(٣).

---

(١) أخرجه الحميدي (ح ٣٨٤)، و«تعجيل المنفعة» (٢ / ٤١٠) رقم (١٢٣١)، و«الرحلة» (٣٥) و(٣٦) و(٣٧)، و«مجمع الزوائد» (١ / ١٣٤).

(٢) «التقييد» (١ / ٤٣)، «ترجمة الأئمة الأربعة» (١ / ١١٩)، و«تهذيب التهذيب» (٩ / ٢٥).

(٣) «علو الهمة» (ص ١٤٧).

٧٣- من أشبه أبا فما ظلم

حرص أبي حاتم وأبنه عبد الرحمن رحمهما الله.

ذكر الحافظ الذهبي في ترجمة أبي حاتم الرازي محمد بن إدريس المتوفى سنة ٢٧٧هـ أن أبا حاتم قال: قال لي أبو زرعة يعني الرازي ما رأيت أحرص على طلب الحديث منك فقلت له: أن عبد الرحمن أبني لحريص، فقال: من أشبه أبا فما ظلم. قال الرقام ،وهو أحمد بن على أحد رجال إسناد الخبر - فسأل عبد الرحمن عن اتفاق كثرة السماع له وسؤالا ته لأبيه فقال: ربما كان يأكل وأقرا عليه، ويمشي وأقرا عليه، ويدخل الخلاء وأقرا عليه، ويدخل البيت في طلب شيء وأقرا عليه(١).

٧٤- لا يستطاع العلم براحة الجسد!

قال الذهبي رحمه الله: قال علي بن أحمد الخوارزمي قال: ابن أبي حاتم كنا بمصر سبعة أشهر لم نأكل فيها مرقة، نهارنا ندور على الشيوخ وبالليل ننسخ ونقابل، فأتينا يوما أنا ورفيق لي شيخنا فقالوا: هو عليل، فرأيت سمكة أعجبتنا فاشتريناها، فلما صرنا إلى البيت حضر وقت مجلس بعض الشيوخ فمضينا فلم تزل السمكة ثلاثة أيام، وكادت أن تنتن فأكلناها نيئة لم نتفرغ لشويها، ثم قال: «لا يستطاع العلم براحة الجسد!»(٢).

٧٥- مشيت على قدمي زيادة على ألف فرسخ

وروي عن الرازي ما يدهش اللب من علو همته في الرحلة لتحصيل العلم إذا قال: أول ما رحلت أقمت سبع سنين ومشيت على قدمي زيادة

(١) «تاريخ دمشق» (١٢/٥٢)، «تهذيب الكمال» (٣٨٨/٢٤)، «سير أعلام النبلاء» (٢٥١/١٣).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (ج١٠ ص ٥٩١).

على ألف فرسخ، ثم تركت العدد وخرجت من البحرين إلى مصر ماشيا ثم إلى الرملة ماشيا ثم إلى طرسوس ولي عشرون سنة[١].

سأضرب في طول البلاد وعرضها لأطلب علما أو أموت غريبا

فإن تلفت نفسي فلله ردها وإن سلمت كان الرجوع قريبا[٢]

٧٦- أفيكم ابن القاسم؟

قال بن القاسم: «أنخت بباب مالك سبع عشر سنة ما بعت فيها ولا اشتريت شيئًا، قال فبينما أنا عنده، إذا أقبل حاج مصر فإذا شاب متلثم دخل علينا، فمسلم على مالك، فقال: أفيكم ابن القاسم؟ فأشير إلي فأقبل يقبل عيني ووجدت منه ريحا طيبة، فإذا هي رائحة الولد، وإذا هو أبني وكان بن القاسم ترك أمه حاملا به وكانت أبنه عمه؛ وقد خيرها عند سفره لطول إقامته فاختارت البقاء»[٣] وهكذا كان ابن القاسم رحمه الله حريصًا على طلب العلم وعانى من أجل ذلك فراق زوجته ووطنه ثم عانى السهر من أجل تحصيل العلم فأضحى بعد ذلك مصباحا يُنيرو ويُهتدى بعلمه.

إذا النفوس كن كبارا تعبت في مرادها الأجسام

٧٧- حرص بقي بن مخلد الأندلسي:

ومن هؤلاء العلماء الذين تحملوا المشاق والغربة في تحصيل العلم. بقي بن مخلد الأندلسي رحمه الله

رحل إلى بغداد ماشيا على قدميه وكان جل بغيتة أن يلقي إمام أهل

---

(١) «تذكرة الحفاظ وذيوله» (٢ / ١١٢)، «تهذيب التهذيب» (٩ / ٢٩).

(٢) «علو الهمة» (ص ١٥٧- ١٥٨)، و«البيت في الصلة» (١ / ١٠٦)، «جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس» (١ / ٩٦).

(٣) «ترتيب المدارك وتقريب المسالك» (١/ ١٥٧).

السنة أحمد بن حنبل ﷺ ليأخذ عنه العلم حكى عنه أنه قال لما قربت من بغداد أتصل بي خبر المحنة التي دارت على أحمد بن حنبل، وأنه ممنوع من الاجتماع إليه والسماع منه، فاغتممت بذلك غما شديدا، فاحتللت الموضع فلم أعرج على شيء بعد إنزالي متاعي في بيت اكتريته في بعض الفنادق أن أتيت المسجد الجامع الكبير، وأنا أريد أن أجلس إلى الخلق وأسمع ما يتذكرونه فدفعت إلى حلقة نبيلة فإذا برجل يكشف عن الرجال فيضعف ويقوي، فقلت: من هذا؟ لمن كان قربي فقال: هذا يحيى بن معين فرأيت فرجه قد انفرجت قربه فقمت إليه فقلت له أبا ذكريا رحمك الله: رجل غريب نائي الدار، أردت السؤال فلا تستخفني فقال لي: قل فسألته عن بعض من لقيت من أهل الحديث فبعضا يزكي وبعضا جرح، فسألته في آخر السؤال عن هاشم بن عمار وكنت قد أكثرت من الأخذ منه فقال أبو الوليد هاشم بن عمار صاحب صلاة دمشقي ثقة فوق الثقة، ولو كان تحت ردائه كبر وتقلد كبرا ما ضره شيئًا لمخبرة وفضله فصاح أهل الحلقة يكفيك رحمة الله عليك غيرك له سؤال. فقلت وأنا واقف على قدمي أكشفك عن رجل واحد: أحمد بن حنبل؛ فنظر إلي يحيى بن معين كالمتعجب وقال لي: «ومثلنا نحن يكشف عن أحمد بن حنبل؟! إن ذاك إمام المسلمين وخيرهم وفضلهم، فخرجت أستدل على منزل أحمد بن حنبل فدللت عليه فقرعت بابه فخرج إلي وفتح الباب فنظر إلى رجل لم يعرفه، فقلت: يا أبا عبد الله رجل غريب الدار، وهذا أول دخولي هذا البلد، وأنا طالب حديث ومقيد سنة - أي جامع سنة - ولم تكن رحلتي إلا إليك، فقال أدخل الأسطوان ولا تقع عليك عين، فقال لي: وأين موضعك؛ قلت المغرب الأقصى، فقال لي أفريقية؛ فقلت أبعد من ذلك أجوز من بلدي البحر إلى أفريقية، الأندلس، فقال لي: إن موضعك بعيد، وما كان شيء

أحب إلي من أن أحسن عون مثلك على مطلبه غير أني في حيني هذا ممتحن بما لعله قد بلغك، فقلت له: بلي قد بلغني، وأنا قريب من بلدك مقبل نحوك، فقلت له: يا أبا عبد الله هذا أول دخولي، وأنا مجهول العين عندكم فإن أذنت لي أن آتي في كل يوم في زي السؤال فأقول عند باب الدار ما يقولون، فتخرج إلى هذا الموضع فلو لم تحدثني في كل يوم إلا بحديث واحد لكان فيه كفاية، فقال لي: نعم على شرط أن لا تظهر في الخلق ولا عند أصحاب الحديث، فقلت شرطك».

فكنت أخذ عودًا بيدي وألف رأسي بخرقه وأجعل كاغدي أي: ورقي ودواتي في كمي، ثم آتي بابه فأصيح الأجر رحمكم الله والسؤال هنالك كذلك، فيخرج إلي ويغلق باب الدار ويحدثني بالحديثين والثلاثة والأكثر. فالتزمت ذلك، حتى مات الممتحن له، وولي بعده من كان على مذهب السنة فظهر أحمد بن حنبل وسما ذكره وعظم في عيون الناس وعلت إمامته، وكانت تضرب إليه آباط الإبل، فكان يعرف لي حق صبري فكنت إذا أتيت حلقته فسح لي وأدناني من نفسه ويقول الأصحاب الحديث: هذا يقع عليه اسم طالب العلم، ثم يقص عليهم قصتي فاعتللت أشفيت منها ففقدني من مجلسه فسأل عني فأعلم بعلتي فقام من فوره مقبلا إلي عائدا لي بمن معه وأنا مضطجع في البيت الذي كنت اكتريت ولبدي تحتي وكسائي علي، وكتبي عند رأسي فسمعت الفندق قد ارتج بأهله وأنا أسمعهم يقولون هو الذي أبصروه، هذا أمام المسلمين مقبلا، فبدر إلي صاحب الفندق مسرعا فقال لي: أبا عبد الرحمن هذا أبو عبد الله أحمد بن حنبل إمام المسلمين مقبلا إليك عائدا لك، فدخل فجلس عند رأسي وقد احتشي البيت من أصحابه فلم يسعهم حتى صارت فرقة في الدار وقوفا وأقلامهم بأيديهم، فما زادني على هذه الكلمات فقال لي: يا أبا عبد الرحمن أبشر

بثواب الله أيام الصحة لاسقم فيها، وأيام السقم لا صحة فيها أعلاك الله إلى العافية، ومسح عنك بيمينه الشافية، فرأيت الأقلام تكتب لفظة، ثم خرج عني فأتاني أهل الفندق يلطفون بي ويخدمونني ديانة وحسبة، فواحد يأتي بفراش وآخر بلحاف، وبأطايب من الأغذية وكانوا في تمريض أكثر من تمريض أهلي لو كنت بين أظهرهم لعيادة الرجل الصالح[١].

٧٨- يكتب كل ما سمع

ومن العلماء الذين كانت لهم همة عالية في طلب العلم والحرص على تحصيله: محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري ﷺ قال أبو الزناد: كنا نطوف مع الزهري على العلماء ومعه الألواح والصحف يكتب كلما سمع.

وعن معن بن عيسي عن ابن أخي الزهري قال: «جمع عمي القرآن في ثمانين ليلة»[٢].

وعن إبراهيم بن سعد عن أبيه قال: ما سبقنا ابن شهاب من العلم بشيء إلا أنه كان يشد ثوبه عند صدره ويسأل عما يريد، وكنا تمنعنا الحداثة وعن ابن أبي الزناد عن أبيه قال: كنا نكتب الحلال والحرام وكان ابن شهاب يكتب كلما سمع، فلما احتيج إليه علمت أنه أعلم الناس وبصرت عيني به ومعه ألواح أو صحف يكتب فيها الحديث وهو يتعلم يومئذ[٣].

٧٨- كنت البارحة هاهنا؟

حرص أحمد بن الأزهر النيسابوري ﷺ.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٣ / ٢٩٢)، «تاريخ الإسلام» للإمام الذهبي (٢٠ / ٣١٨).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (ج٦ ص ١٤٧- ١٤٨).
(٣) المصدر السابق (ج٦ ص ٥٠٢)، و«المدخل إلى السنن الكبرى» للبيهقي (١ / ٣٠٩).

قال مكي بن عبدان: سمعت أبا الأزهر يقول: خرج عبد الرازق إلى قريته فبكرت إليه يوما، حتى خشيت على نفسي من البكور، قال فوصلت إليه قبل أن يخرج لصلاة الصبح فلما خرج رآني فقال: كنت البارحة هاهنا؟ قلت لا خرجت في الليل، فأعجبه ذلك، فلما فرغ من صلاة الصبح دعاني وقرأ علي هذا الحديث وخصني به دون أصحابي[١].

فتأمل حرص ابن الأزهر حيث خرج مبكرا قبل صلاة الفجر من أجل أن يدرك عبد الرازق حتى يحدثه فلما رآه عبد الرازق ورأى حرصه على الحديث حدثه بحديث لم يحدث به غيره.

٧٩- رحلة الاهوال

وسمعت أبي يقول: خرجنا من المدينة، من عند داود الجعفري، وصرنا إلى الجار وركبنا البحر، فكانت الريح في وجوهنا، فبقينا في البحر ثلاثة أشهر، وضاقت صدورنا، وفني ما كان معنا، وخرجنا إلى البر نمشي أياما، حتى فني ما تبقى معنا من الزاد والماء، فمشينا يوما لم نأكل ولم نشرب، ويوم الثاني كمثل، ويوم الثالث، فلما كان يكون المساء صلينا، وكنا نلقي بأنفسنا حيث كنا، فلما أصبحنا في اليوم الثالث، جعلنا نمشي على قدر طاقتنا، وكنا ثلاثة أنفس: شيخ نيسابوري، وأبو زهير

المروروذي، فسقط الشيخ مغشيا عليه، فجئنا نحركه وهو لا يعقل، فتركناه، ومشينا قدر فرسخ، فضعفت، وسقطت مغشيا علي، ومضى صاحبي يمشي، فبصر من بعد قوما، قربوا سفينتهم من البر، ونزلوا على بئر موسى، فلما عاينهم، لوح بثوبه إليهم، فجاؤوه معهم ماء في إداوة.

فسقوه وأخذوا بيده، فقال لهم: الحقوا رفيقين لي، فما شعرت إلا برجل

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٢ / ٣٦٨)، «تاريخ بغداد» (٤ / ٤٢).

يصب الماء على وجهي، ففتحت عيني، فقلت: اسقني، فصب من الماء في مشربة قليلا، فشربت، ورجعت إلى نفسي، ثم سقاني قليلا، وأخذ بيدي، فقلت: ورائي شيخ ملقى، فذهب جماعة إليه، وأخذ بيدي، وأنا أمشي وأجر رجلي، حتى إذا بلغت إلى عند سفينتهم، وأتوا بالشيخ، وأحسنوا إلينا، فبقينا أياما حتى رجعت إلينا أنفسنا، ثم كتبوا لنا كتابا إلى مدينة يقال لها: راية، إلى واليهم، وزودونا من الكعك والسويق والماء.

فلم نزل نمشي حتى نفد ما كان معنا من الماء والقوت، فجعلنا نمشي جياعا على شط البحر، حتى دفعنا إلى سلحفاة مثل الترس، فعمدنا إلى حجر كبير، فضربنا على ظهرها، فانفلق، فإذا فيها مثل صفرة البيض، فتحسيناه حتى سكن عنا الجوع، ثم وصلنا إلى مدينة الراية، وأوصلنا الكتاب إلى عاملها، فأنزلنا في داره، فكان يقدم لنا كل يوم القرع، ويقول لخادمه: هاتي لهم اليقطين المبارك.

فيقدمه مع الخبز أياما، فقال واحد منا: ألا تدعو باللحم المشؤوم؟! فسمع صاحب الدار، فقال: أنا أحسن

بالفارسية، فإن جدتي كانت هروية، وأتانا بعد ذلك باللحم، ثم زودنا إلى مصر

وسمعت أبي يقول: كتبت الحديث سنة تسع، وأنا ابن أربع عشرة سنة، وكتبت عن عتاب بن زياد المروزي سنة عشر، فلما قدم علينا حاجا وكنت أفيد الناس عن أبي عبد الرحمن المقرئ، وأنا بالري، فيخرج الناس إليه، فيسمعون منه، ويرجعون وأنا بالري[1].

(١) «سير أعلام النبلاء» (ج ١٠ ص ٥٩٥ - ٥٩٦)، «الجرح والتعديل» (١ / ٣٦٤-٣٦٦).

٨٠- أطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي

سفيان الثوري العالم الأمام الجليل كان ثمرة أم صالحة غذته بلبنها وحاطته بكنفها حتى صار إمام المسلمين وأمير المؤمنين في الحديث عن عبد الرحمن قال سمعت وكيعا يقول قالت أُم سفيان الثوري لسفيان يا بني إذا كتبت عشرة أحرف فأنظر هل ترى في نفسك زيادة في خشيتك وحلمك ووقارك فإن لم تر ذلك فأعلم إنها تضرك ولا تنفعك وقال وكيع قالت أم سفيان لسفيان يا بني أطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي(١).

٨١- ألن جانبك لقومك يحبوك

لما أحتضر ذو الإصبع العدواني دعا ابنه أسيد فقال له: يا بني إن أباك قد فني وهو حي وعاش حتى سئم العيش وإني موصيك بما لو حفظته بلغت في قومك ما بلغته، ألن جانبك لقومك يحبوك، وتواضع لهم يرفعوك وابسط لهم وجهك يطيعوك، ولا تستأثر عليهم بشيء يسوودك وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمك كبارهم ويكبر على مودتك صغارهم، واسمح بما لك واعزز جارك، وأعن من استعان بك، وأكرم ضيفك وأسرع النهضة في الصريح فإن لك أجلا لا يعدوك وصن وجهك عن مسألة أحد شيئًا فبذلك يتم سيؤودك(٢).

٨٢- لا تصحب خمسة ولا تحادثهم

حرص علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

---

(١) «الورع» لابن حنبل (١ / ١٩٣)، «بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب» (١ / ١٢)، «صفة الصفوة» (٣ / ١٨٩).

(٢) كتاب «جواهر الأدب» (ص١٨٨)، «الأغاني» (٣ / ٩٥)، «جمهرة خطب العرب» (١ / ١٢٠)، «التذكرة الحمدونية» (١ / ١٤٦).

عن أبي جعفر محمد بن علي قال: أوصاني أبي.

فقال: لا تصحب خمسة ولا تحادثهم ولا ترافقهم في طريق.

قال: قلت: جعلت فداءك يا أبت من هؤلاء الخمسة.

قال: لا تصحبن فاسقا فإنه يبيعك بأكله فما دونها.

قال: قلت ثم يا أبه وما دونها؛

قال: يطمع فيها ثم لا ينالها.

قلت: يا أبه ومن الثاني.

قال: لا تصحبن البخيل فإنه يقطع بك في ماله أحوج ما كنت إليه.

قال: قلت يا أبه ومن الثالث.

قال: لا تصحبن كذابا فاته بمنزلة السراب يبعد منك القريب ويقرب منك البعيد.

قال: قلت يا أبه وما الرابع؛

قال: لا تصحبن أحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك.

قال: قلت: يا أبه وما الخامس؛

قال: لا تصحبن قاطع الرحم فإني وجدته ملعونا في كتاب الله في ثلاث مواضع[١].

لو ماتت اليوم ما ندمت على حديث عندها إلا وقد وعيته

٨٣- حرص عروة بن الزبير بن العوام ؟.

(١) «تاريخ دمشق» (٥٤ / ٢٩٢)، ورواه أبو نعيم الحافظ في «حلية الأولياء» (٣ / ١٨٣- ١٨٣)، «صفة الصفوة» (ج١ ص ٣٠١)، و«صور من وصايا الأنبياء والعلماء والآباء» (ص ٣٧-٣٨).

عن هشام عن أبيه - عروة - أنه كان يقول لنا ونحن شباب ما لكم لا تعلمون، إن تكونوا صغار قوم يوشك أن تكونوا كبار قوم، وما خير الشيخ أن يكون شيخا وهو جاهل، لقد رأيتني قبل موت عائشة بأربع حجج وأنا أقول: لو ماتت اليوم ما ندمت على حديث عندها إلا وقد وعيته، ولقد كان يبلغني عن الصحابي الحديث فآتيه فأجده قد قال، فأجلس على بابه، ثم أسأل عنه(١).

فكان ثمرة حرصه على العلم أن قال عنه الزهري: رأيت عروة بحرا لا تكدره الدلاء(٢) وكان ﷺ حريصًا على نشر العلم وجمع طلبة العلم عليه وتلك من سمات العلماء الربانيين.

قال الزهري: كان عروة يتآلف الناس على حديثه.

وقال ﷺ: ما حدثت أحدًا بشيء من العلم قط لا يبلغه عقله إلا كان ضلالة عليه.

(١) «سير أعلام النبلاء» (ج٥ ص ٣٤٩)، «تهذيب الكمال» (٢٠ / ١٧)، «تاريخ الإسلام» للإمام الذهبي (٦ / ٤٢٥).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٤ / ٤٢٥)، وابن عساكر (١١ / ٢٨٤)، وانظر: «المعرفة والتاريخ» (٥٥٢/١)، و«الوافي بالوفيات» (٦ / ٣٥٨).

الفصل السادس علو الهمة عند الاطفال

٨٤ - الطفل الإمام

إنه عمرو بن سلمة رضي الله عنه، كان يؤم قومه وهو ابن سبع سنوات، لأنه كان أكثرهم حفظًا.

قال رضي الله عنه: قال لي أبو قلابة: ألا تلقاه - يعني النبي ﷺ، فتسأله..

قال عمرو بن سلمه: فلقيته فسألته.

قال: وكان يمر بنا الركبان فنسألهم: ما للناس؟ ما هذا الرجل؟

فيقولون: يزعم أن الله أرسله وأوحي إليه بكذا؟ فكنت أحفظ ذلك الكلام، وكأنما يقر في صدري..

فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم، وبدر أبي وقومي بإسلامهم، فلما قدم قال: جئتكم والله من عند النبي ﷺ حقا، فقال: «صلوا صلاة كذا في حين كذا، وصلوا صلاة كذا في حين كذا، فإذا حضرت الصلاة، فليؤذن أحدكم، وليؤمكم أكثركم قرآنا» فنظروا، فلم يكن أحد أكثر قرآن مني لما كنت أتلقى الركبان، فقدموني بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين[١].

٨٥-الحفاظ الصغار

قال الشافعي رحمه الله: حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر.

---

(١) «صحيح البخاري» رقم (٤٣٠٢).

وقال سهل التستري: مضيت إلى الكتاب، فتعلمت القرآن وحفظته، وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين.

أما ابن سينا فلما بلغ عشر سنين من عمره، كان قد أتقن القرآن العزيز.

قال إبراهيم بن سعيد الجوهري: رأيت صبيًا ابن أربع سنين، قد حمل إلى المأمون، قد قرأ القرآن، ونظر في الرأي، غير أنه إذا جاع يبكي[١]!!

٨٦- الطفل الداعية

قال محمد بن ظفر المكي: بلغني أن أبا يزيد طيفور بن عيسى لما حفظ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢﴾ [المزمل:١-٢].

قال لأبيه: يا أبتي! من الذي يقول الله تعالى له هذا؟

قال: يا بني! ذلك النبي محمد ﷺ.

قال أبو يزيد: يا أبتي! ما لك لا تصنع كما صنع النبي ﷺ؟

قال: يا بني! إن قيام الليل خصص بافتراضه النبي ﷺ دون أمته.. فسكت عنه أبو يزيد.

فلما حفظ قوله ﷻ: ﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ [المزمل:٢٠].

قال: يا أبتي! إني أسمع أن طائفة كانوا يقومون الليل، فمن هذه الطائفة؟

قال: يا بني! أولئك الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

قال أبو يزيد: يا أبتي! فأي خير في ترك ما عمله النبي ﷺ

(١) «نجابة الأطفال» ص (٦٩-٧٠).

وأصحابه؟

قال: صدقت يا بني، فكان أبوه بعد ذلك يقوم من الليل ويصلي.

فاستيقظ أبو يزيد ليلة، فإذا أبوه يصلي، فقال: يا أبت! علمني كيف أتطهر وأصلي معك.

فقال أبوه: يا بني! ارقد، فإنك صغير بعد..

قال أبو يزيد: يا أبتي! إذا كان يوم يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم، أقول لربي: إني قلت لأبي: كيف أتطهر لأصلي معك، فأبي، وقال لي: ارقد، فإنك صغير بعد، أتحب هذا؟

فقال له أبوه: لا والله يا بني، ما أحب هذا، وعلمه، فكان يصلي معه!

(٤) الحافظ الأصفهاني

قال أبو محمد عبد الله بن محمد الأصفهاني: حفظت القرآن ولي خمس سنين، وحملت إلى أبي بكر المقرئ لأسمع ولي أربع سنين.

فقال بعض الحاضرين: لا تسمعوا له فيما قرأ، فإنه صغير، فقال لي ابن المقرئ: اقرأ سورة (التكوير) فقرأتها.

فقال لي غيره: اقرأ سورة (المرسلات) فقرأتها، ولم أغلط فيها.

فقال ابن المقرئ: اسمعوا له، والعهدة علي[١].

٨٧- تعلم لغة أجنبية في ١٥يومًا فقط

إنه زيد بن ثابت رضي الله عنه، جاء به قومه إلى النبي ﷺ مفاخرين به فقالوا: هذا غلام من بني النجار، معه مما أنزل الله عليك بضع عشرة سورة، فأعجب ذلك النبي ﷺ وقال: «يا زيد! تعلم لي كتاب يهود، فإني

(١) «الكفاية في علم الرواية» ص (١١٧).

والله ما آمن يهودا على كتابي».

قال زيد: فتعلمت كتابهم، ما مرت بي خمس عشرة ليلة، حتى حذقته، وكنت أقرأ له كتبهم إن كتبوا إليه، وأجيب عنه إذا كتب(١).

فأين هذه الهمم أيها الطلاب النجباء؟!

٨٨- أوسعوا للشيخ الصغير

قال النصر الهلالي: كنت في مجلس سفيان بن عيينة، فنظر إلى صبي دخل المسجد، فكأن أهل المجلس تهاونوا به.

فقال سفيان: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء:٩٤].

ثم قال: يا نضر! لو رأيتني ولي عشر سنين، وطولي خمسة أشبار، ووجهي كالدينار، وأنا كشعلة نار، ثيابي صغار، وأكمامي قصار، وذيلي بمقدار، ونعلي كآذان الفار، أختلف إلى علماء الأمصار، مثل الزهري وعمرو بن دينار، أجلس بينهم كالمسمار، محبرتي كالجوزة، ومقلمتي كالموزة، وقلمي كاللوزة، فإذا دخلت المجلس قالوا: أوسعوا للشيخ الصغير. ثم تبسم ابن عيينة وضحك(٢).

٨٩- صبي يحفظ خمسة عشر ألف حديث

قال بعض المحدثين: كان البخاري يختلف معنا إلى السماع وهو غلام، فكنا نكتب ولا يكتب، فأكثرنا عليه في ذلك.

فقال: إنكما قد أكثرتما عليّ، فاعرضا عليّ ما كتبتما، فأخرجنا إليه ما

(١) أبو داود، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٢) «الكفاية في علم الرواية» ص (١١٢) نقلًا عن: «صفحات مضيئة من حياة السابقين» (٣٠/٢).

كان عندنا، فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلها عن ظهر قلب، حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه.

ثم قال: أترون أني أختلف هدرًا، وأضيع أيامي!! فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد[١].

٩٠- صبي اسمه ابن تيمية

انبهر أهل دمشق من فرط ذكائه، وسيلان ذهنه، وقوة حافظته، وسرعة إدراكه، واتفق أن بعض مشايخ العلماء بحلب قدم إلى دمشق وقال: سمعت في البلاد بصبي يقال له: أحمد بن تيمية، وإنه سريع الحفظ، وقد جئت قاصدًا لعلي أراه.

فقال له خياط: هذه طريق كُتّابه، وهو إلى الآن ما جاءنا، فاقعد عندنا، الساعة يجيء يعبر ذاهبا إلى الكتاب. فجلس الشيخ الحلبي، فمر صبيان، فقال الخياط: ها ذاك الصبي الذي معه اللوح الكبير هو أحمد بن تيمية.

فناداه الشيخ، وتناول اللوح منه، فنظر فيه، ثم قال له: امسح يا ولدي هذا حتى أملي عليك شيئًا تكتبه، ففعل، فأملى عليه من متون الأحاديث أحد عشر أو ثلاثة عشر حديثًا، وقال له: اقرأ عليّ هذا، فلم يزد على أن تأمله مرة بعد كتابته إياه، ثم دفعه إليه وقال: اسمعه عليّ!، فقرأه عليه عرضا كأحسن ما أنت سامع، فقال له: يا ولدي! امسح هذا، ففعل، فأملي عليه عدة أسانيد انتخبها، ثم قال: اقرأ هذا، فنظر فيه كما فعل أول مرة، ثم أسمعه إياه كالأولى، فقام الشيخ وهو يقول: إن عاش هذا الصبي، ليكونن له شأن عظيم، فإن هذا لم ير مثله[٢].

---

(١) «تذكرة الحفاظ» (٥٥٦/٢) نقلا عن «حكايات ونوادر الأطفال» ص (٨١).

(٢) «منهج التربية النبوية للطفل» ص (٢٢٥).

٩١- ذكاء ابن عمر

روى البخاري وغيره عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما - وكان دون الحلم - أن رسول الله ﷺ قال: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدثوني ما هي؟».

فوقع الناس في شجر البوادي. قال عبد الله بن عمر: ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت.

ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: «هي النخلة» وفي رواية: فأردت أن أقول هي النخلة فإذا أنا أصغر القوم.

وفي رواية: «ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان، فكرهت أن أتكلم، فلما قمنا، حدثت أبي بما وقع في نفسي فقال: لئن تكون قلتها أحب إلى من أن يكون لي حمر النعم»[(١)].

٩٢- فتى يرحل في طلب العلم

قال علي بن عاصم: خرجت من واسط إلى الكوفة، أنا وهشيم، لنلقي منصورًا، فلما خرجت من واسط، وسرت فراسخ، لقيني إما معاوية، وإما غيره، فقلت: أين تريد؟

قال: أسعى في دين عليّ.

فقلت: ارجع معي، فإني عندي أربعة آلاف درهم، أعطيك منها.

فرجعت، فأعطيته ألفين، ثم خرجت.

فدخل هشيم الكوفة بالغداة، ودخلتها بالعشي، فذهب هشيم، فسمع من منصور أربعين حديثًا، ودخلت أنا الحمام، فلما أصبحت، مضيت، فأتيت

(١) «أطفال أذكياء جدًا» ص (٧١).

باب المنصور، فإذا جنازة، فقلت: ما هذه؟

قالوا: جنازة منصور!

فقعدت أبكي. فقال لي شيخ هناك: يا فتى! ما يبكيك؟

قلت: قدمت على أن أسمع من هذا الشيخ، وقد مات.

قال: أفأدلك على من شهد عُرْسَ أمِّ هذا؟

قلت: نعم.

قال: اكتب: حدثني عكرمة عن ابن عباس.

قال: فجعلت أكتب عنه شهرًا. فقلت له: من أنت رحمك الله.

قال: أنت تكتب عني منذ شهر ولم تعرفني؟ أنا حصين بن عبد الرحمن، وما كان بيني وبين أن ألقي ابن عباس إلا سبعة دراهم، أو تسعة دراهم، فكان عكرمة يسمع منه ثم يجيء فيحدثني[١].

فانظر - رعاك الله - إلى تضحية هذا الفتى، الذي بذل نصف ماله، وبذل من وقته، وهجر الأوطان، فتأخر عن لقاء الشيخ منصور، فهيأ الله تعالى له شيخا هو شيخ المشايخ وأستاذهم آنذاك: حصين بن عبد الرحمن، وما ذاك إلا دليل على شدة إخلاصه في طلب العلم، وصدق المحبة لرسول الله ﷺ[٢].

٩٣- معلم قرآن عمره ثلاث سنوات

وهذه هي قصتنا الأخيرة - أخي الطالب النجيب - وهي ليست من قصص السابقين، بل هي من قصص أطفال المسلمين في هذه العصر.. إنه الطفل الذي التقى به الشيخ سعود الشريم أثناء زيارته إلى جنوب أفريقيا..

(١) «الرحلة في طلب الحديث» للخطيب البغدادي ص (١٧٢).

(٢) «منهج التربية النبوية للطفل» ص (٢٢٧).

لقد شاهد الشيخ هذا الطفل الذي لم يتجاوز الثالثة من عمره، في إحدى قاعات مركز (يولزافارم) الإسلامي، شاهده وهو يحفظ أقرانه التشهد الأول والتشهد الأخير، وعددًا من الأدعية المأثورة، وبعض قصار السور القرآنية، بطريقة جادة وجذابة، حيث كان ٣٥ طفلًا بالقاعة يرددون وراء الطفل سليمان العبارات والكلمات، وفي حديث طفولي عذب وابتسامة عريضة على محياه، قال الطفل سليمان: لا يمكن أن أصف مشاعري، ومشاعر إخواني، ونحن ندرس في القاعة التي وفرها لنا مركز التوحيد الإسلامي، ونحن عازمون على حفظ القرآن الكريم، وتعلم السنة النبوية والشريعة، والتفقه في الدين، كي نسهم في إثراء الدعوة إلى الله في بلادنا(١).

٩٤- ما يبكيك؟

قال أبو بكر محمد بن سليمان الربعي: حدثنا محمد بن الفيض الغساني، سمعت هشام بن عمار، يقول: باع أبي بيتا له بعشرين دينارا، وجهزني للحج. فلما صرت إلى المدينة، أتيت مجلس مالك، ومعي مسائل أريد أن أسأله عنها فأتيته، وهو جالس في هيئة الملوك، وغلمان قيام، والناس يسألونه، وهو يجيبهم، فلما انقضى المجلس، قال لي بعض أصحاب الحديث: سل عن ما معك؟ فقلت له: يا أبا عبدالله، ما تقول في كذا وكذا؟ فقال: حصلنا على الصبيان، يا غلام، احمله، فحملني كما يحمل الصبي، وأنا يومئذ غلام مدرك، فضربني بدرة مثل درة المعلمين سبع عشرة درة، فوقفت أبكي، فقال لي: ما يبكيك؟ أوجعتك هذه الدرة؟ قلت: إن أبي باع منزله، ووجه بي أتشرف بك، وبالسماع منك، فضربتني؟ فقال: اكتب. فحدثني سبعة عشر حديثًا، وسألته عما كان معي من المسائل

(١) جريدة عكاظ العدد (١١٧٨٥).

فأجابني[١].

(١) «سير أعلام النبلاء» (ج ١١ / ص ٤٢٨).

الفصل السابع: قصص في المحافظة على الصلاة

٩٥- حرص النبي ح على الصلاة.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما ثقل رسول الله ﷺ فقال: أصلى الناس فقلنا لا هم ينتظرونك قال: ضعوا لي ماء في المخضب ففعلنا فأغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق فقال: أصلى الناس؛ فقلنا هم ينتظروك يا رسول الله، فقال ضعوا لي ماء في المخضب، قالت ففعلنا ثم لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق فقال: أصلى الناس؛ فقلنا لا هم ينتظرونك يا رسول الله والناس عكوف في المسجد ينتظرون رسول الله ﷺ لصلاة العشاء قالت: فأرسل رسول الله ﷺ إلى أبي بكر يصلي بالناس، فأتاه الرسول بذلك. فقال أبو بكر وكان رجلا رقيقا: يا عمر صلي بالناس، فقال عمر. أنت أحق بذلك مني قالت: فصلى بهم أبو بكر تلك الأيام، ثم أن رسول الله ﷺ وجد من نفسه خفة فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة الظهر وأبو بكر يصلي بالناس قالت: فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر فأومأ إليه النبي ﷺ أن لا يتأخر وقال: لهما أجلساني إلى جنبه فأجلساه إلى جنب أبي بكر فجعل أبو بكر يصلي وهو قائم بصلاة رسول الله والناس يصلون بصلاة أبي بكر، والنبي ﷺ قاعد، قال عبيد الله فعرضته على بن عباس فما أنكر منه حرفا[١].

٩٦- يا نافع أسحرنا

(١) أخرجه أحمد (ح ٢٦١٣٧)، والبخاري (٦٨٧)، ومسلم (٤١٨) (٩٠)، والنسائي في «الكبرى» (٧٠٨٤)

عن نافع أن ابن عمر كان إذا فاتته العشاء في جماعة أحي ليلته.

وعن نافع بن عمر أنه كان يحي الليل صلاة ثم يقول يا نافع أسحرنا؛ فأقول لا فيعاود الصلاة إلى أن أقول نعم فيقعد ويستغفر الله ويدعو حتى يصبح.

وقال طاووس: ما رأيت مصليا مثل ابن عمر أشد استقبالا للقبلة بوجهه وكفيه وقدميه(١).

٩٧- أتخرج وإنما بنيت بأهلك هذه الليلة

روي الأمام الطبراني عن عنبثه بن الأزهر قال: تزوج الحارث بن حسان وكان له صحبه فقيل له أتخرج وإنما بنيت بأهلك هذه الليلة؛ فقال: والله إن امرأة تمنعني من صلاة الغداة في جمع لامرأة سوء(٢).

فتأمل حال ذلك الصحابي الجليل الذي بادر إلى صلاة الفجر في أول ليلة من زواجه ولم يعتذر بالأعذار الشيطانية التي يعتذر بها كثير من المسلمين في هذه الأيام، بل أن بعضهم يجلس الأسبوع أو الشهر لا يخرج من بيته لأنه متزوج. فهل تزوج بشيطانه صدته عن الصلاة؛!! فلله العجب من صنع هؤلاء وتفريطهم في طاعة الله تعالى.

٩٨- أريد أن أموت وأنا في المسجد

عن عطاء بن السائب قال: دخلنا على أبي عبد الرحمن السلمي وهو يقضى أي ينزع في المسجد فقلنا لو تحولت إلى الفراش فإنه أوثر قال: حدثني فلان أن النبي ﷺ قال: لا يزال أحدكم في صلاة ما دام في مصلاه

(١) قال الهيثي في «مجمع الزوائد» (٤١/٢)، ورواه الطبراني في «الكبير» (ح ١٣٠٧٦) بإسناد حسن.

(٢) «تهذيب الكمال» (٥ / ٢٢٣)، والطبراني في «الكبير» (ح ٣٣٢٥).

ينتظر الصلاة[١].

وفي رواية بن سعد والملائكة تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه قال: أبو عبد الرحمن السلمي: فأريد أن أموت وأنا في المسجد[٢].

٩٩- كيف بشهود العتمة

لقد كان سعيد بن المسيب رضي الله عنه شديد الحرص على الصلاة وحضورها في جماعة فعن ابن شهاب: قلت لسعيد بن المسيب: لو تبديت وذكرت له البادية وعيشها والغنم فقال: كيف بشهود العتمة[٣].

١٠٠- انظروا إلى هذا المجنون

وعن أبي حازم قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: لقد رأيتني ليالي الحرة وما في المسجد أحد غيري، وان أهل الشام ليدخلون زمرا يقولون انظروا إلى هذا المجنون، وما يأتي وقت الصلاة إلا سمعت أذانا في القبر ثم تقدمت فأقمت وصليت وما في المسجد أحد غيري[٤].

١٠١- إني لآنس بصوت عصفور المسجد

عن الثوري عن ابن حيان عن أبيه قال: كان الربيع بن خثيم يقاد إلى الصلاة وبه الفالج، فقيل له: قد رخص لك، قال إني أسمع حي على الصلاة فإن استطعتم أن تأتوا ولو حبوا، وقيل أنه قال: يا يسرني أن هذا الذي بي بأعتى الديلم على الله[٥].

---

(١) «الزهد» لابن مبارك.
(٢) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (ج٦/١٧٤-١٧٥).
(٣) «السير» (ج٥/٢١٣)، و«الطبقات» لابن سعيد (٦٧/٣).
(٤) المصدر السابق (ج٥/٢١٣)، و«الطبقات» (٦٧/٣).
(٥) «السير» (ج٥ ص٢٣٧)، و«الزهد» لأحمد بن حنبل (١ / ٣٣٩)، و«بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب» (١ / ٢١٨).

وعن أبي حيان التيمي عن أبيه قال: أصاب الربيع الفالج فكان يحمل إلى الصلاة فقيل له: أنه قد رخص لك قال: قد علمت ولكن أسمع النداء بالفلاح[١].

١٠٢- هذه عبادته بالنهار منذ سبعين سنة

هناد السري رحمه الله.

قال أحمد بن سلمة النسابوري الحافظ: كان هناد رحمه الله كثير البكاء فرغ يوما من القراءة لنا فتوضأ، وجاء إلى المسجد فصلى إلى الزوال وأنا معه في المسجد ثم رجع إلى منزله فتوضأ وجاء فصلى بنا الظهر، ثم قام على رجليه يصلي إلى العصر، يرفع صوته بالقرآن ويبكي كثيرًا، ثم أنه صلى بنا العصر، وأخذ يقرأ في المصحف حتى صلى المغرب، قال فقلت لبعض جيرانه ما أصبراه على العبادة فقال: هذه عبادته بالنهار منذ سبعين سنة، فكيف لو رأيت عبادته بالليل، وما تزوج قط، ولا تسرى، وكان يقال: راهب الكوفة[٢].

١٠٣- أسمع داعي الله فلا أجيبه

حرص الأمام القدوة أبي الحارث عامر بن عبد الله بن الزبير..

قال عنه مصعب سمع عامر المؤذن وهو يجود بنفسه فقال: خذوا بيدي: فقيل: إنك عليل، قال: أسمع داعي الله فلا أجيبه!! فأخذوا بيده فدخل مع الأمام في المغرب فركع ركعة فمات[٣].

---

(١) «الحلية» (ج١٣٣/٢- ١١٤).

(٢) «السير» (ج ٩ ص ٦٥٠)، و«شعب الإيمان» (ح ٣٢٣٨)، و«تذكرة الحفاظ وذيوله» (٢/ ٧٠).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٥ / ٢٢٠)، و«صفة الصفوة» (٢ / ١٣٢)، و«تاريخ الإسلام» للإمام الذهبي (٨ / ١٤٣).

١٠٤- سألت ابن المهدي عن الرجل يبني بأهله أيترك الجماعة

حرص عبد الرحمن بن مهدي الأمام الحجة رحمه الله.

قال عبد الرحمن رسته: سألت ابن المهدي عن الرجل يبني بأهله أيترك الجماعة أياما؛ قال: لا ولا صلاة واحدة، وحضرته صبيحة بنى على ابنته فخرج فأذن ثم مشي إلى بابها، فقال للجارية قولي لهما: يخرجان إلى الصلاة فخرج النساء والجواري فقلن، سبحان الله؛ أي شيء هذا؛ فقال لا أبرح حتى يخرجان إلى الصلاة فخرجا بعدما صلى فبعث بهما إلى مسجد خارج الدرب. قال الذهبي: هكذا كان السلف في الحرص على الخير[١].

١٠٥- يعزى من أجل ترك الصلاة

قال رحمه الله فاتتني الصلاة في الجماعة فعزاني أبو إسحاق البخاري وحده، ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف لآن مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا[٢].

١٠٦- إذا سمعتم حي على الصلاة

ولم تروني في الصف فاطلبوني في المقبرة

حرص الأمام القدوة أبو عبيد الله محمد بن خفيف الشيرازي رحمه الله..

كان رحمه الله به وجع الخاصرة، فكان إذا أصابه أقعده عن الحركة فكان إذا نودي للصلاة يحمل على ظهر رجل، فقيل له: لو خففت على نفسك؛ قال: إذا سمعتم حي على الصلاة ولم تروني في الصف فاطلبوني في

---

(١) المصدر السابق.

(٢) «الأحياء» (ج١/١٧٧)، و«المستطرف» (١ / ٢١)، و«ربيع الأبرار» (١ / ١٥٧).

المقبرة[١].

١٠٧- حرص ضمام بن إسماعيل رحمه الله..

عن نعيم بن حماد: قال جاء ضمام بن إسماعيل إلى المسجد وقد صلي الناس وفاتته الصلاة فجعل على نفسه ألا يخرج من المسجد حتى يلقي الله قال: فجعله بيته حتى مات[٢].

١٠٨- الحفار حجة الله على من لم يحضر الجماعة

حرص الحفار الغرناطي رحمه الله..

هو محمد بن علي بن محمد الأنصاري الحفار الغرناطي

قال عنه ابن الخطيب. قد بقي الحفار نحوا عامين أو أزيد يخرج للصلوات الخمس يهادي بين الرجلين لشيء كان برجله حتى كان بعض أصحابه يقول الحفار حجة الله على من لم يحضر الجماعة[٣].

١٠٩- مات وهو يصلي صلاة التسابيح

الفقيه حاتم الحملاني العلامة الزاهد، كان أماما يقتدي به وهو أستاذ أهل زمانه في الفقه وألاصولين. قال عنه تلميذه الزاهد إبراهيم الكينعي: صلي حاتم زهاء رحمه الله أربعين سنة أماما ما ترك صلاة واحدة في جماعة ولا سجد لسهو في جميع هذه المدة إلا ست مرات، وكان لا يدع البكاء في الصلاة مطلقًا، وأنتهي، وقال في الطبقات روي الثقة أنه قبضت روحه

---

(١) «ترطيب الأفواه» (ج١ ص٣٤٠).

(٢) «ترطيب الأفواة» (ج١ ص٣٤٠)، و«بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب» (٧٩/٣).

(٣) «الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة» (٢ / ٤٣)، و«ترطيب الأفواة» (ج١ ص٣٤٠).

وهو يصلي صلاة التسبيح مستلقيًا من المرض[١].

١١٠- أحب أن أكون آخر الناس خروجا وأولهم دخولا

الشيخ يحيى بن أحمد الكازورني المدني الزبيري إمام الشافعية الطيبة، كان فاضلا ذا همة عالية ونفس مطمئنة وخشية لله تعالى، والتورع في كثير من أمور الدنيا والتقلل منها لزم صلاة الجماعة بالمسجد النبوي بحيث لا يفوته فرض إلا لعذر وكان لا يخرج من المسجد إلا آخر الناس خصوصا بعد صلاة العشاء ويقول أحب أن أكون آخر الناس خروجا وأولهم دخولا[٢].

١١١- وأي شيء أعظم من شأني

عن شيخ من أهل واسط يكني أبا سعيد، وكان جارا لمنصور بن زادان قال: رأيت منصور توضأ يوما فلما فرغ دمعت عيناه ثم جعل يبكي حتى أرتفع صوته، قلت رحمك الله؛ ما شأنك، فقال: وأي شيء أعظم من شأني أني أريد أن أقوم بين يدي من لا تأخذه سنة ولا نوم فلعله أن يعرض عني!! قال: فأبكاني والله بقوله. وقال عمر بن عون: سمعت هشيما يقول مكث منصور بن زادان يصلي الفجر بوضوء عشاء الآخر عشرين سنة.

قال هشيم: لو قيل لمنصور بن زادان أن ملك الموت على الباب ما كان عنده من زيادة في العمل

وذلك أنه كان يخرج فيصلي الغداة في جماعة ثم يجلس فيسبح حتى تطلع الشمس ثم يصلي إلى الزوال، ثم يصلي الظهر، ثم يصلي العصر، ثم

---

(١) «ملحق البدر الطالع» (٢ / ٦٧).

(٢) «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» (١ / ٧٩)، و«ترطيب الأفواه» (ج١ ص ٣٤١).

يجلس فيسبح إلى المغرب، ثم يصلي المغرب، ثم يصلي العشاء ثم ينصرف إلى بيته فيكتب عنه ذلك الوقت[١].

١١٢- إني أسافر عنكم غدا إن شاء الله

۞ الشيخ جمال الدين التبريزي ﷺ.

قال ابن بطوطة: أخبرني بعض أصحابه أنه استدعاهم استدعى أهل الجبال قبل موته بيوم واحد وأوصاهم بتقوى الله وقال لهم إني أسافر عنكم غدا إن شاء الله وخليفتي عليكم الله الذي لا إله إلا هو، فلما صلي الظهر من الغد قبضه الله في آخر سجدة منه ووجدا في جانب الغار الذي كان يسكنه قبرا محفورا عليه الكفن والحنوط وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه به[٢].

(١) «صفة الصفوة» (ج٢ ص٥٠١- ٥٠٢)، و«شعب الإيمان» (٣ / ١٦٥)، و«الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب البغدادي (٣ / ٣٥٣) (ح ١١٨٠)، و«بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب» (١٦٥/٣).

(٢) «سكب العبرات» (ج١ص ٣٧١).

الفصل الثامن حرص ولاة الأمر على أقامه الصلاة في جماعة.

١١٣- هم النبي بتحريق البيوت على من تخلف عن الصلاة

۞ حرص النبي ﷺ.

لقد كان النبي ﷺ شديد الحرص على إقامة الصلاة في جماعة وعدم التخلف عنها بغير عذر وقد وردت أحاديث كثيرة تدل على حرصه ﷺ منها همه ﷺ على إنزال عقوبة الحرق على من تخلف عنها

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال الرسول ﷺ والذي نفسي بيده لقد هممت أن أمر بحطب فيحطب ثم آمر رجل فيؤم الناس ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم والذي نفسي بيده لو يعلم أحدهم أنه يجد عرقا سمينا أو مرمتين حسنتين لشهدا العشاء[١] ومنها الأحاديث التي مرت في الفصل الأول التي ترغب في صلاة الجماعة فلقد رصد ﷺ فيها الجوائز القيمة على العمل اليسير الذي لا يكلف العبد مشقة ولا عناء.

١١٤- لأن أشهد صلاة الصبح في الجماعة أحب إلي من أن أقوم ليلة

۞ حرص عمر بن الخطاب على اجتماع الناس على صلاة الجماعة.

فقد أخرج الأمام مالك في الموطأ عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة أن عمر بن الخطاب فقد سليمان بن أبي حثمة في صلاة الصبح وأن عمر بن الخطاب غدا إلى السوق، ومسكن سليمان بين السوق والمسجد النبوي فمر على الشفاء أم سليمان فقال لها: لم أر سليمان في الصبح؛

(١) أخرجه مالك (١٢٩/١، رقم ٢٩٠)، والبخاري (٢٣١/١، رقم ٦١٨)، والنسائي (١٠٧/٢، رقم ٨٤٨).

فقالت بات يصلي فغلبته عيناه فقال عمر لأن أشهد صلاة الصبح في الجماعة أحب إلي من أن أقوم ليلة[١].

وعن هشيم عن أبيه قال: فقد عمر رضي الله عنه رجلا في صلاة الصبح فأرسل إليه فجاء فقال: أين كنت؛ فقال: كنت مريضا ولولا أن رسولك أتاني لما خرجت فقال: عمر فإن كنت خارجا إلى أحد فاخرج للصلاة[٢].

١١٥- من شهد العشاء فكأنما قام نصف ليله

❁ **حرص عثمان بن عفان رضي الله عنه.**

عن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري: أنه قال: جاء عثمان بن عفان إلى صلاة العشاء فرأي أهل المسجد قليلا فأضجع في مؤخر المسجد ينتظر الناس أن يكثروا فأتاه ابن عمرة فجلس إليه فسأله من هو؛ فأخبره فقال: ما معك من القرآن؛ فأخبره فقال له عثمان: من شهد العشاء فكأنما قام نصف ليله ومن شهد الصبح فكأنما قام ليله[٣].

١١٦- أيها الناس الصلاة الصلاة

❁ **حرص علي بن أبي طالب رضي الله عنه.**

عن الحسن رضي الله عنه. يحدث عن خروج علي اليوم الذي طعن فيه من بيته حيث يقول فلما خرج من الباب نادي: أيها الناس الصلاة الصلاة،

---

(١) رواه مالك في «الموطأ» (١٢٩/١)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٥٢٦/١، ٥٢٧)، وصححه الألباني في «سنن أبي داود» (ح ٨٤٨).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٣/١)، ورجال إسناده ما بين ثقة وصدوق، ولكنه منقطع من رواية عروة بن الزبير عن عمر رضي الله عنه. فالأثر ضعيف.

(٣) أخرجه أحمد (٦٨/١، رقم ٤٩١)، ومسلم (٤٥٤/١، رقم ٦٥٦)، وابن حبان (٤٠٨/٥، رقم ٢٠٥٩).

كذلك كان يفعل كل يوم ومعه درته يوقظ الناس[١].

(١) «كنز العمال» (٢٥٢/٨)، و«البداية والنهاية» (٣٣٩/٧).

الفصل التاسع: رهبان الليل

١١٧- أفلا أكون عبدا شكورا

عن المغيرة بن شعبه ﷺ قال: صلي رسول الله ﷺ حتى انتفخت قدماه فقيل له أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؛ قال أفلا أكون عبدًا شكورًا(١).

وعن الأسود بن يزيد قال: سألت عائشة ﷺ عن صلاة رسول الله ﷺ بالليل؛ فقالت كان ينام أول الليل ثم يقوم فإذا كان من السحر أوتر ثم أتي فراشه فإذا كان له حاجة ألم بأهله فإذا سمع الأذان وبث فإن كان جنبًا أفاض عليه الماء وإلا توضأ وخرج إلى الصلاة(٢).

١١٨- ليلة مع النبي ﷺ

وعن ابن عباس ﷺ أنه بات عند ميمونة وهي خالته وقال: فاضطجعت في عرض الوسادة واضطجع رسول الله ﷺ في طولها فنام رسول الله ﷺ حتى أنتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل فاستيقظ رسول الله ﷺ فجعل يمسح النوم عن وجهه وقرأ العشر الآيات الخواتيم من سورة آل عمران ثم قام إلى شن(٣) معلق فتوضأ منها فأحسن الوضوء

---

(١) أخرجه أحمد (ح ١٨١٩٨)، والحميدي (٧٥٩)، والبخاري (٤٨٣٦)، ومسلم (٢٨١٩) (٨٠)، وابن ماجه (١٤١٩)، والنسائي في «المجتبى» (٢١٩/٣)، وفي «الكبرى» (١٣٢٥)، وابن خزيمة (١١٨٣)، وابن حبان (٣١١).

(٢) أخرجه أحمد (ح ٢٤٧٠٥)، والبخاري (رقم ٥٩٧)، ومسلم (رقم ١٢٩).

(٣) الشن: القربة البالية.

ثم قام يصلي قال عبد الله بن عباس فقمت إلى جنبه فوضع رسول الله ﷺ يده اليمني على رأسي ثم أخذ بأذني ففتلها فصلي ركعتين ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، قال معن: ست مرات ثم أوتر ثم أضجع(١).

١١٩- لأرمقن صلاة النبي ﷺ

وعن خالد زيد بن خالد الجهني: أنه قال: لأرمقن صلاة النبي ﷺ فتوسدت عتبته أو فسطاطه فصلى طويلتين ثم ركعتين خفيفتين ثم صلى ركعتين طويلتين طويلتين طويلتين ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما، ثم أوتر فذلك ثلاث عشرة ركعة(٢).

١٢٠- الله أكبر ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: أنه صلى مع النبي ﷺ من الليل قال: فلما دخل في الصلاة قال: الله أكبر ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة، ثم قرأ البقرة، ثم ركع فكان ركوعه نحوا قيامه وكان يقول سبحان ربي العظيم سبحان ربي العظيم، ثم رفع رأسه فكان قيامه نحوا ركوعه وكان يقول لربي الحمد لربي الحمد ثم سجد فكان سجوده نحوا قيامه وكان يقول سبحان ربي الأعلى سبحان ربي الأعلى ثم رفع رأسه فكان بين السجدتين نحوا من السجود وكان يقول رب أغفر لي رب اغفر لي حتى قرأ البقرة آل عمران والنساء والمائدة أو الأنعام شعبه الذي شك

---

(١) «مسند أحمد» (٤ / ٥٩) (ح ٢١٦٤)، والبخاري (١٨٣) و(٩٩٢) و(١١٩٨)، ومسلم (٧٦٣) (١٨٢).

(٢) «مسند أحمد» (٤١ / ٢٩٢) (ح ٢٤٧٧٦)، وأخرجه مسلم (٧٤٦) (١٤٠)، والترمذي في «جامعه» (٤٤٥).

في المائدة والأنعام[١].

١٢١- وأمر أهلك بالصلاة

أخرج مالك والبيهقي عن أسلم قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يصلي من الليل ما شاء الله أن يصلي حتى إذا كان نصف الليل أيقظ أهلة للصلاة ثم يقول لهم: الصلاة ويتلو هذه الآية ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ﴾ إلى قوله: ﴿وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه:١٣٢][٢].

١٢٢- كيف كانت صلاة عمر بالليل؟

عن الحسن أن عثمان بن أبي العاص[٣] (تزوج امرأة من نساء عمر بن الخطاب. فقال: والله ما نكحتها حين نكحتها رغبة في مال ولا ولد، ولكن أحببت أن تخبرني عن ليل عمر فسألها: كيف كانت صلاة عمر بالليل؟فقالت: كان يصلي العتمة ثم يأمرنا أن نضع عند رآسة تورًا[٤] من ماء نغطيه ويتعار من الليل فيضع يده في الماء فيمسح وجهه ويديه، ثم يذكر الله ما شاء أن يذكر ثم يتعار مرارًا حتى تأتى الساعة التي يقوم فيها لصلاته.

وقال الحافظ ابن كثير: كان عمر «يصلي بالناس العشاء ثم يدخل بيته فلا يزال يصلي إلى الفجر».

١٢٣- لو علمت لزينت كتاب الله بصوتي

۞ أبو موسى الأشعري.

---

(١) «مسند أحمد» (٣٨ / ٣٩٣) (ح ٢٣٣٧٦)، وأخرجه الترمذي في «الشمائل» (٢٧٠).
(٢) «الموطأ» رواية يحيى الليثي (ح ٢٥٩)، و«شعب الإيمان» (ح ٣٠٨٦).
(٣) وأخرج الطبراني ورجالة ثقات كما قال الهيثمي (ج ٩ ص ٧٣).
(٤) الإناء من صفر أو حجر.

قال ثابت عن أنس: «قدمنا مع أبي موسى فقام من الليل يتهجد فلما أصبح، قيل له: أصلح الله الأمير لو رأيت إلى نسوتك وقرابتك وهم يستمعون لقراءتك!، فقال: لو علمت لزينت كتاب الله بصوتي ولحبرته تحبيرًا»[١].

١٢٤- لقد أعطي مزمار من مزامير آل داود

وعن بريده ﷺ قال: خرجت ليلة من المسجد فإذا النبي ﷺ عند باب المسجد قائم، وإذا رجل يصلي فقال لي: يا بريده أتراه يرائي، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: **«بل هو مؤمن منيب لقد أعطي مزمار من مزامير آل داود»** فأتيته فإذا هو أبو موسى فأخبرته[٢].

١٢٥- أول من أحدث المصافحة

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ يقدم عليكم غدا قوم هم أرق قلوبا للإسلام منكم فقدم الإشعريون فلما دنوا جعلوا يرتجزون.

غـــــدا نلـــــقي الأحبـــــة محمـــــــــد وحزبـــــــــه

فلما قدموا تصافحوا فكانوا أول من أحدث المصافحة[٣].

١٢٦- إن عبد الله رجل صالح

وتأمل تلك الرؤيا التي تشهد بصلاحه وتقواه عن ابن عمر ﷺ قال: كان الرجل في حياة النبيﷺ إذا رأى رؤيا قصها على النبي ﷺ، فتمنيت

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (ج ٤ ص ٤٣)، و«الكامل في ضعفاء الرجال» لابن عدي (٣ / ٣٦٦).

(٢) أخرجه مسلم (رقم ١٦٦)، أخرجه أبو يعلى (١٣٣/٧، رقم ٤٠٩٦)، وابن عساكر (٤٩/٣٢).

(٣) أخرجه أحمد (ح ١٢٥٨٣)، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

أن أري رؤيا أقصها على النبي ﷺ وكنت غلاما أعزب وكنت أنام في المسجد على عهد النبي ﷺ فرأيت في المنام كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا لها قرنان كقرني البئر وإذا فيها ناس قد عرفتهم فجعلت أقول أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار فلقيهما ملك آخر فقال لي لن تراع لا تخف فقصصتها على حفصة فقصتها حفصة على النبي ﷺ فقال نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل قال سالم فكان عبد الله لا ينام من الليل إلا قليلا، وفي رواية إن عبد الله رجل صالح(١).

١٢٧- اللهم قد نامت العيون وغارت النجوم وأنت حي قيوم.

۞ **معاذ بن جبل رضي الله عنه.**

عن ثور بن يزيد قال: كان معاذ بن جبل إذا تهجد من الليل قال: اللهم قد نامت العيون وغارت النجوم وأنت حي قيوم.

اللهم طلبي الجنة بطئ وهربي من النار ضعيف اللهم اجعل لي عندك هدي ترده إلى يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد(٢).

١٢٨- ليلة في بيت أبي هريرة

۞ **أبو هريرة رضي الله عنه.**

عن أبي عثمان النهدي قال: تضيفت أبا هريرة سبعا فكان هو وامراته وخادمه يتعقبون الليل أثلاثا يصلي هو ثم يوقظ هذا ثم يوقظ هذا.

وعن عكرمة قال: أن أبا هريرة كان يسبح كل يوم اثنتي عشر ألف

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٣٨)، ومسلم (٢٤٧٩).

(٢) رواه أبو داود (١٥٢٢)، والنسائي (٥٣/٣)، والحاكم (٢٧٣/٣)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (ح ١٥٢٢).

تسبيحه ويقول: أسبح بقدر ديتي[١].

١٢٩- حبر الامة

۞ **عبد الله بن عباس** رضي الله عنه.

عن ابن أبي مليكه قال: صحبت ابن عباس من مكة إلى المدينة فكان يصلي ركعتين فإذا نزل، قام شطر الليل ويرتل القرآن حرفا حرفا ويكثر في ذلك من النشيج والنحيب[٢].

١٣٠- لأغلبن الليلة على المقام

۞ **عثمان بن عفان** رضي الله عنه.

قال عبد الرحمن بن عثمان التيمي رحمه الله قلت: لأغلبن الليلة على المقام فسبقت إليه فبينا أنا قائم أصلي إذا وضع رجل يده على ظهري فنظرت فإذا هو عثمان بن عفان رحمه الله وهو خليفة فتنحيت عنه فقام فما برح قائما حتى فرغ من القرآن في ركعة لم يزد عليها فلما انصرفت قلت: يا أمير المؤمنين إنما صليت ركعة قال أجل وهي وتري أي ركعة الوتر[٣].

وعن ابن سيرين قال: قالت امرأة عثمان حين قتل لقد قتلتموه وأنه ليحي الليل كله بالقرآن في ركعة[٤].

١٣١- يا أهل المقابر كنا وكنتم

---

(١) «الإصابة في تمييز الصحابة» (٧ / ٤٤٢)، و«خلاصة تذهيب تهذيب الكمال» (١ / ٤٦٢).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (ج٤ ص٤٢٣)، و«بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب» (١ / ١٨٥).

(٣) أخرجه المبارك في «الزهد» (١٢٧٦)، وعبد الرازق في «مصنفه» (٢٤/٣) وابن سعد في «طبقاته» (٧٥/٣).

(٤) «الزهد» للإمام أحمد (ص ١٢٧)، و«الزهد» لابن المبارك (ح ١٢٧٧).

۞ الربيع بن خثيم ﷺ.

يقول عنه عبد الله بن مسعود ﷺ: مرحبا أبا يزيد لو أراك رسول الله ﷺ لأحبك، ولأوسع لك إلى جنبه ثم يقول وبشر المخبتين(١).

وهاهو ليل الربيع بن خثيم: عن عيسي بن فروخ قال: كان الربيع إذا كان الليل ووجد غفلة الناس خرج إلى المقابر، فيقول: يا أهل المقابر كنا وكنتم، فإذا أصبح فكأنه نشر من قبر(٢).

١٣٢- أم حسب الذين اجترحوا السيئات

وعن نسير قال: بت عند الربيع ليلة فقام يصلي فمر بهذه الآية: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الجاثية:٢١] الآية فمكث ليلته حتى أصبح ما يجوز هذه الآية إلى غيرها ببكاء شديد(٣).

١٣٣- يا بني يا ربيع ألا تنام

وعن سفيان قال: بلغنا أن أم الربيع كانت تنادي فتقول، يا بني يا ربيع ألا تنام؟؛ فيقول: يا أماه من جن عليه الليل وهو يخاف البيات حق له أن ينام، قال: فلما بلغ ورأت ما يلقى من البكاء والسهر نادته فقالت: يا بني لعلك قتلت قتيلا؛ فقال نعم يا والدة قتلت قتيلا، فقالت ومن هذا القتيل يا بني نتحمل على أهله فيعفوك والله لو علموا ما تلقى من البكاء والسهر لقد رحموك، فيقول: يا والدتي هي نفسي(٤).

---

(١) «صفة الصفوة» (ج٢ ص٥٢٦).

(٢) «مختصر صفة الصفوة» (١ / ١٩٨)، و«المورد العذب المعين من آثار أعلام التابعين» (١/ ٢٦٦).

(٣) «الزهد» لأحمد بن حنبل (١ / ٣٢٩)، و«حلية الأولياء» (٢ / ١١٢)، و«بغية الطلب في تاريخ حلب» (٣ / ٤٦٦).

(٤) «الزهد» لأحمد بن حنبل (١ / ٣٤٠)، و«حلية الأولياء» (٢ / ١١٤)، و«بغية الطلب

وعن مالك بن دينار قال: قالت ابنة الربيع بن خثيم: يا أبتاه مالي أرى الناس ينامون ولا تنام؛ قال: يا بنيه إن أباك يخاف البيات[١].

١٣٤- لو أنك قصرت عن بعض ما تصنع أي من العبادة.

مسروق بن الأجداع الهمداني رحمه الله.. عن إسماعيل بن أمية قال: قيل لمسروق: لو أنك قصرت عن بعض ما تصنع أي من العبادة.

فقال: والله لو آتاني آت فأخبرني أن الله لا يعذبني لاجتهدت في العبادة قيل كيف ذلك؛ قال: حتى تعذرني نفسي إن دخلت جهنم لا لألومها، وأما بلغك في قوله عز وجل: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ [القيامة:٢]. إنما لاموا أنفسهم حين صاروا إلى جهنم واعتقبهم الزبانية وحيل بينهم وبين ما يشتهون، وانقطعت عنهم الأماني ورفعت عنهم الرحمة وأقبل كل أمري منهم يوم نفسه[٢].

١٣٥- تبكي زوجته لشدة طاعته

وعن أنس وابن سيرين:أن امرأة مسروق قالت: كان يصلي حتى تورمت قدماه فربما جلست خلفه أبكي مما أراه يصنع بنفسه[٣].

١٣٦- أربعين سنة لا يضع جنبه إلى الأرض

المستسلم بن سعيد الثقفي الواسطي رحمه الله.. قال: يزيد بن هارون مكث المستسلم بن سعيد أربعين سنة لا يضع جنبه إلى الأرض، قال: وسمعته

في تاريخ حلب» (٣ / ٤٦٥).

(١) «الورع» لابن حنبل (١ / ٧٤)، و«التهجد وقيام الليل» (١ / ١٦٥).

(٢) «الزهد» لابن المبارك (١٥٠٦)، و«السلوك في طبقات العلماء والملوك» (١/ ٨٧)، و«محاسبة النفس» (١ / ١١٦)

(٣) «صفة الصفوة» (ج٢ ص٥٠٨)، و«السير» (ج٥/ ٩٦)، و«الطبقات الكبرى» (٦ / ٨١).

يقول لم أشرب الماء منذ خمسة وأربعين سنة. وفي رواية أخري: قال يزيد بن هارون بت عند المستسلم بن سعيد وكان لا يكاد ينام، وإنما هو قائم وقاعد، وذكر أن لم يضع جنبه منذ أربعين سنة، فظننت أنه يعنى بالليل، فقيل ولا بالنهار[١].

١٣٧- اذا ذكرت به الصدر الأول

أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي رحمه الله.

قال عنه المغيرة: كنت إذا رأيت أبا إسحاق ذكرت به الصدر الأول وقال أبو بكر بن عياش، سمعت أبا إسحاق السبيعي يقول: يقول ذهبت الصلاة مني وضعفت ورق عظمي إني اليوم أقوم في الصلاة فما أقر إلا بالبقرة وآل عمران. وقال العلا بن وسام العبدي: قال ضعف أبو إسحاق عن القيام فكان لا يقدر أن يقوم إلى الصلاة حتى يقام، فإذا أقاموه فاستقام قائما قرأ ألف آية وهو قائم.

وقال سفيان: كان أبو إسحاق يقوم ليل الصيف كله، وأما الشتاء فأوله وأخره وبين ذلك هجعة قال سفيان: قال أبو إسحاق: أما أنا فإذا استيقظت لم أقلها[٢].

١٣٨- ما علمت بمكانه

قال وزار ابن سلم محمد بن جحادة ذات ليلة فأتاه وهو في المسجد بعد صلاة العشاء، قال: ومحمد قائم يصلي، فقام قيس بن مسلم من الناحية الأخرى يصلي فلم يزال على ذلك حتى طلع الفجر وكان قيس بن مسلم أمام مسجد، قال: فرجع إلى الحي فأمهم ولم يلتفتا، ولم يعلم محمد مكانه،

(١) «صفة الصفوة» (ج٢ ص٥٠٣).
(٢) «صفة الصفوة» (ج٢ ص٥٦٠- ٥٦١).

قال: فقال له بعض أهل المسجد زارك أخوك قيس بن مسلم فلم تنتقل إليه قال، ما علمت بمكانه، قال: فغدا عليه فلما رآه قيس بن مسلم مقبلا قام إليه فاعتنقه ثم خلوا جميعا يبيكان[١].

١٣٩- شغلني ذكر النار عن النوم والشهوات

سفيان بن سعيد الثوري رحمه الله.. قال عبد الرحمن بن مهدي: ما عاشرت في الناس رجلا أرق من سفيان وكنت أرمقه الليلة بعد الليلة فما كان ينام إلا أول الليل ثم ينتفض فزعا مرعوبا ينادي: النار النار، شغلني ذكر النار عن النوم والشهوات ثم يتوضأ ويقول على أثر وضوئه: اللهم إنك عالم بحاجتي غير معلم، وما أطلب إلا فكاك رقبتي من النار، إلهي أن الجزع قد أرقني وذلك من نعمك السابغة علي، إلهي لو كان لي عذر في التخلي ما أقمت مع الناس طرفة عين ثم يقبل على صلاته وكان البكاء يمنعه من القراءة حتى إن كنت لا أستطيع سماع قراءته من كثرة بكائه وما كنت أقدر أن أنظر إليه استحياء وهيبة له[٢].

١٤٠- ما أشد كرب الموت

عن عبد الرحمن بن المهدي قال: ليلة مات سفيان توضأ تلك الليلة للصلاة ستين مرة فلما كان وجه السحر قال لي: يا أبا أيوب ضع خدي على الأرض فإني ميت؟، يا بن مهدي ما أشد الموت، ما أشد كرب الموت، قال: فخرجت لأعلم حماد بن زيد وأصحابه فإذا هم قد أستقبلوني، فقالوا آجرك الله فقلت من أين علمت؛ فقالوا: أنه ما منا أحد إلا أتي البارحة في منامه فقيل له: ألا إن سفيان الثوري قد مات رحمه الله[٣].

---

(١) «صفة الصفوة» (٣ / ١٢٨).
(٢) المصدر السابق (ج٢ ص٩٧٠).
(٣) المصدر السابق (ج٢ ص٥٧١).

١٤١- بيت يختم فيها القران كل ليلة

علي والحسن ابنا صالح بن حي رحمهما الله، قال وكيع بن الجراح: كان علي والحسن - ابنا صالح بن حي - وأمهم قد جزؤوا الليل ثلاثة أجزاء فكان علي يقوم الثلث ثم ينام، ويقوم الحسن الثلث ثم ينام وتقوم أمهما الثلث فماتت أمهما فجزأ الليل فكانا يقومان به حتى الصباح، ثم مات علي فقام به الحسن كله. وقد روي لنا عن محمد بن صالح العجلي عن أبيه. قال: كان يختم القرآن في بيتهم كل ليلة، أمهم ثلث وعلي ثلث، وحسن ثلث، فماتت أمهما فكانا يختمانه، ثم مات علي، فكان حسن يختم كل ليله[١].

١٤٢- يا نفس بهذا أمرت ولهذا خلقت

عامر بن عبد الله رحمه الله قال: المعلي بن زياد يقول: كان عامر بن عبد الله قد فرض على نفسه في كل يوم ألف ركعة، وكان إذا صلي العصر جلس وقد انتفخت ساقاه من طول القيام فيقول: يا نفس بهذا أمرت ولهذا خلقت، يوشك أن يذهب العناء، وكان يقول لنفسه: قومي يا مأوي كل سوء فوعزة ربك لأزحفن بك زحف البعير والئن استطعت أن لا يمس الأرض من زهمك لأفعلن، ثم يتلوى كما تتلوى الحية على المقلى، ثم يقول فينادي اللهم أن النار قد منعتني من النوم فاغفر لي.

وقال بن وهب: وهبط واديا يقال له وادي السباع وفي الوادي عابد حبشي يقال له حممه، فانفرد عامر من ناحية وحممه في ناحية يصليان، لا هذا ينصرف إلى هذا ولا هذا ينصرف إلى هذا، أربعين ليلة إذا جاء وقت

(١) «الثقات» للعجلي (١/ ٢٩٥)، و«صفة الصفوة» (٣/ ١٥٣)، و«معرفة الثقات» (١/ ٢٩٥).

الفريضة صليا ثم أقبلا يتطوعان ثم أنصرف عامر بعد أربعين يوما إلى حممه فقال: من أنت يرحمك الله فقال: دعني وهمي قال أقسمت عليك قال: أنا حممه، قال عامر: لئن كنت أنت حممه الذي ذكر لي لأنت أعبد من في الأرض، فأخبرني عن أفضل خصلة، قال: إني لمقصر ولولا مواقيت الصلاة تقطع علي القيام والسجود لأحببت أن أجعل عمري راكعا ووجهي مفترشا حتى ألقاه، ولكن الفرائض لا تدعني أفعل ذلك فمن أنت رحمك الله؛ قال: أنا عامر بن عبد قيس، قال: أن كنت عامرا الذي ذكر لي فأنت أعبد الناس، فأخبرني بأفضل خصلة، قال: إني لمقصر ولكن واحدة عظمت هيبة الله صدري حتى ما أهاب شيئًا غيره، واكتفته السباع فأتاه سبع منها فوثب عليه من خلفه فوضع يديه على منكبه وعامر يتلو هذه الآية: ﴿ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [هود:١٠٣] فلما رأي السبع أنه لا يكترث له ذهب فقال حممه وبالله يا عامر ما هالك ما رأيت، قال إني لا أستحي من الله ﷻ أن أهاب شيئًا غيره، قال حممه لولا أن الله تعالى ابتلانا بالبطن فإذا أكلنا لابد لنا من الحدث ما رآني إلا راكعًا أو ساجدًا.

١٤٤- أذهب حر النار النوم فما ينام حتى يمسي

وكان عامر بن عبد قيس يقول: ما رأيت مثل الجنة نام طالبها، وما رأيت مثل النار نام هاربها، وكان إذا جاء النهار، قال أذهب حر النار النوم فما ينام حتى يمسي، وإذا جاء الليل قال: من خاف أدلج وعند الصباح يحمد القوم السري وقال سعيد بن ميمون قيل لامرأة عامر بن عبد قيس يعني خادمته كيف كانت عبادة عامر؛ قالت: ما صنعت له طعاما قط بالنهار، فأكله إلا بالليل، ولا فرشت له فراشا بالليل فاضطجع عليه إلا

بالنهار[١].

١٤٥- يصلي في قبره

ثابت البناني رحمه الله قال فيه أنس بن مالك رضي الله عنه إن للخير أهلًا وأن ثابتًا هذا من مفاتيح الخير.

وعن عفان بن حماد بن سلمه قال: كان ثابت يقول: اللهم أن كنت أعطيت أحدًا الصلاة في قبره فأعطني الصلاة في قبري فيقال أن هذا الدعوة استحبت له، وأنه رئي بعد موته يصلي في قبره فيما قيل[٢].

وعن شعبه قال: كان ثابت البناني يقرأ القرآن في كل يوم وليلة ويصوم الدهر

١٤٦- فما خيرهما إذا لم يبكيا

قال: حماد بن زيد: رأيت ثابتا يبكي حتى تخلف أضلاعه وقال جعفر بن سليمان: بكى ثابت حتى كادت عينه تذهب فنهاه الكحال عن البكاء فقال: فما خيرهما إذا لم يبكيا وأبي أن يعالج وقال حماد بن سلمة قرأ ثابت: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾ [الكهف:٣٧]. وهو يصلي صلاة الليل ينتحب ويرددها[٣].

١٤٧- مضي العابدون وقطع بي والهفاه

وعن سهل بن أسلم قال: كان ثابت يصلي كل ليلة ثلاث مائة ركعة فإذا أصبح ضمرت يديه قدماه فيأخذ بيده فيعصرهما ثم يقول مضي العابدون وقطع بي والهفاه.

---

(١) «صفة الصفوة» (ج٢ ص ٥٩٦- ٥٩٧).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (ج٦ ص٥٧).
(٣) المصدر السابق (ج ٥٨/٦)، و«حلية الأولياء» (٢ / ٣٢٢).

عن جعفر بن سليمان قال: حدثنا ثابت البناني قال: كان رجل من العباد يقول إذا أنا نمت ثم استيقظت ثم أردت أن أعود ألي النوم فلا أنام الله عيناه، قال جعفر كنا نراه يعني نفسه.

١٤٨- يسمع القران من قبره

وعن شيبان بن جسر عن أبيه قال: أنا والله الذي لا إله إلا هو أدخلت ثابتا البناني لحده ومعي حميد الطويل أو رجل غيره شك محمد، قال فلما سوينا عليه اللبن سقطت لبنه فإذا أنا به يصلي في قبره، فقلت للذي معي ألا ترى؛ قال اسكت فلما سوينا عليه وفرغنا أتينا ابنته فقلنا ما كان عمل ثابت؛ قالت؛ ما رأيتم؛ فأخبرناها، قالت كان يقوم الليل خمسين سنة فإذا كان السحر، قال في دعائه اللهم إن كنت أعطيت أحد من خلقك الصلاة في قبره فأعطينها فما كان الله ﷻ ليرد ذلك الدعاء.

وقال إبراهيم بن الصمة المهلبي قال حدثني الذين كانوا يمرون بالجص بالأسحار قالوا كنا إذا مررنا بجنبات قبر ثابت سمعنا قراءة القرآن[١].

١٤٩- لا يحسن أن يعصي الله ﷻ

سليمان بن طرخان التيمي ﷺ - يقول بن الجوزي: كان هو وأبنه المعتمر يدوران بالليل في المساجد فيصليان مرة في هذا المسجد ومرة في هذا المسجد حتى يصبحا.

وقال الهيثم أبو علي المفلوج: صلي سليمان التيمي الغداة بوضوء العتمة أربعين سنة ولقد عمر سليمان أوقاته بالطاعات والمبادرة إلى العمل الصالح فهو يعلم أن الحياة دقائق وثوان وأن نفس العبد أن لم يشغلها

(١) «صفة الصفوة» (ج٢ ص٦٢٧- ٦٢٨).

بالطاعات شغلته بالمعصية فعن حماد بن سلمه قال:ما أتينا سليمان التيمي في ساعة يطاع الله ﷻ فيها إلا وجدناه مطيعا فإن كان في ساعة صلاة وجدناه مصلينا، فإن لم تكن ساعة صلاة وجدناه متوضأ أو عائدًا أو مشيعًا لجنازة أو قاعدا يسبح في المسجد، قال: فكنا نرى أنه لا يحسن أن يعصي الله ﷻ.

١٥٠- فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا

وقال أبو علي البصر عن معمر مؤذن التيمي صلى إلى جانبي سليمان التيمى العشاء الآخرة وسمعته يقرأ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك:١] قال فلما أتى على هذه الآية: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الملك:٢٧] جعل يرددها حتى خف أهل المسجد وانصرفوا، قال فخرجت وتركته قال: وعدت لأذن الفجر فإذا هو مقامه قال: فسمعت فإذا هو لم يخبرها وهو يقول: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[الملك:٢٧][(١)].

١٥١- شديد الشوق إلى الله شديد المحبة

عبد الواحد بن يزيد ﷺ كان ﷺ رقيق القلب كثير الحزن غريز الدمع شديد الخوف من الله قال: لحارث بن عبيد: كان عبد الواحد بن زيد يجلس إلى جنبي عند مالك بن دينار فكنت لا أفهم كثيرًا من مواعظ مالك لكثرة بكاء عبد الواحد وكان ﷺ شديد الشوق إلى الله شديد المحبة.

١٥٢- أفلا تبكون خوفا من النار

قال بكر بن مصاد سمعت عبد الواحد بن زيد يقول: أخوتاه ألا تبكون شوقا إلى الله ﷻ؛ ألا إنه من بكي شوقًا إلى سيده لم يحرمه النظر إليه، أفلا

(١) «صفة الصفوة» (ج٢ ص٦٤٨).

تبكون خوفا من النار؛ ألا إنه من بكي خوفا من النار أعاذه الله منها، يا أخوتاه ألا تبكون؛ بلي فابكوا على الماء البارد أيام الدنيا لعله يسقموه في حظائر العرش مع الندماء الأصحاب من النبيين والصدقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، ثم جعل يبكي حتى غشا عليه.

١٥٣- قم شفاك الله إلى صلاتك غير مضرور

وعن حبان الأسود قال: حدثني عبد الواحد بن زيد قال: أصابتني علة في ساقي فكنت أتحامل عليها للصلاة، قال: فقمت عليها من الليل فأجتهدت وجعا فجلست ثم لففت إزاري في محرابي ووضعت رأسي عليه فنمت فبينما أنا كذلك إذا بجارية تفوق الدمي حسنا تخطر بين جوار مزينات حتى وقفت علي وهن خلفها فقالت لبعضهن: ارفعنه ولا تهجنه فأقبلن نحوي فاحتملنني عن الأرض، وأنا أنظر أليهن في منامي ثم قالت لغيرهن من الجواري اللائي معها: افرشنه ومهدنه ووطئن له وسدنه، قال ففرشن سبع حشايا لم أر لهن في الدنيا مثيلا ووضعن تحت رأسي مرفق خضرا حسانا ثم قالت للائى حملتني اجعلنه على الفراش رويدا لا تهجنه قال فجعلت على تلك الفرش وأنا أنظر إليها وما تأمر به من شأني ثم قالت احففنه بالريحان، قال: فأتى بياسمين فحففت به الفرش ثم قامت إلي فوضعت يدها على علتي التي كنت أجد بها في ساقي فمسحت ذلك المكان بيدها ثم قالت: قم شفاك الله إلى صلاتك غير مضرور قال: فاستيقظت والله كأني قد نشطت من عقال فما اشتكيت تلك العلة ليلتي، تلك ولا ذهبت حلاوة منطقها من قلبي قم شفاك الله إلى صلاتك غير مضرور.

١٥٤- يا بن زيد جد في طلبي فإني في طلبك

قال أبو سليمان الدارني: ذكر لي عن عبد الواحد بن زيد قال: نمت

عن وردي ليلة فإذا أنا بجارية لم أر أحسن وجها منها عليها ثياب حرير أخضر وفي رجليها نعلان والنعلان يسبحان والزمامان يقدسان وهي تقول: يا بن زيد جد في طلبي فإني في طلبك ثم جعلت تقول:

من يشتريني ومن يكن سكني ... يأمن في ربحه من الغبن

فقلت يا جارية ما ثمنك فأنشأت تقول:

تودد الله مع محبته ... وطول فكر يشاب بالحزن

فقلت لمن أنت يا جارية: فقالت.

لمالك لا يرد لي ثمنا ... من خاطب قد أتاه بالثمن

فانتبه، وآلي على نفسه أن لا ينام الليل[١].

١٥٥- يبل الارض من دموعه

۞ **عبد الرحمن بن عمر الأوزاعي** رحمه الله.

يقول رحمه الله: من أطال قيام الليل هون الله عليه وقوف يوم القيامة يقول: ضمرة بن ربيعه حججنا مع الأوزاعي سنة خمسين ومائة فما رأيته مضجعا في المحمل في ليل ولا نهار قط كان يصلي فإذا غلبه النوم استند إلى القتب.

ويقول عنه أبو مسهر: ما رئي الأوزاعي باكيا قط ولا ضاحكا حتى تبدو نواجذه، وإنما كان يبتسم أحيانا، كما روي في الحديث وكان يحي الليل صلاة وقرانا وبكاء، وأخبرني بعض أخواني من أهل بيروت أن أمه كانت تدخل منزل الأوزاعي وتتفقد موضع مصلاه فتجده رطبا من دموعه

(١) «صفة الصفوة» (ج٢ ص٦٦١- ٦٦٣)، و«حلية الأولياء» (٦/ ١٥٨- ١٥٩)، و«تاريخ دمشق» (٣٧ / ٢٣٣).

في الليل[١].

١٥٦- أيها الحيارى

۞ صلة بن أشيم العدوى رحمه الله.

قال ثابت البناني: كان صلة بن الشيم يخرج إلى الجبان فيتعبد فيها فكان تمر عليها شباب يلهون ويلعبون فيقول لهم أخبروني عن قوم أرادوا سفرا فحادوا بالنهار عن الطريق وباتوا بالليل متى يقطعون سفرهم؛ قال: فكان كذلك يمر بهم فمر بهم ذات يوم فقال لهم هذه المقالة، فقال شاب منهم إنه والله ما يعني بهم غيرنا نحن بالنهار نلهو وبالليل ننام، ثم أتبع صلة فكان يختلف معه إلى الجبان ويتعبد معه حتى مات

١٥٧- أيها السبع أطلب الرزق من مكان أخر

قال حماد بن جعفر بن يزيد: أن أباه أخبره قال: خرجنا في غزاه إلى كابل وفي الجيش صله بن أشيم فنزل الناس عند العتمة فقلت لأرمقن عمله فأنظر ما يذكر الناس من عبادته، فصلي العتمه ثم أضطجع فالتمس غفلة الناس حتى قلت هدأت العيون، وثبت فدخل غيضة قريبا منه ودخلت في أثره فتوضأ ثم قام يصلي قال: وجاء أسد حتى دنا منه قال فصعدت على شجرة، قال فتراه التفت؛ أوعده جرذا حتى سجد فقلت الآن يفترسه فجلس ثم سلم، فقال أيها السبع أطلب الرزق من مكان آخر فولي وإن له لزئير تصدع الجبال منه فما زال كذلك، فلما كان عند الصبح فحمدا الله ﷻ بمحامد لم أسمع بمثلها إلى ما شاء الله ثم قال اللهم أني أسألك أن تخبرني من النار أو مثلي يجتري أن أسألك الجنة؛ ثم رجع فأصبح كأنه بات على

(١) «سير أعلام النبلاء» (ج٧ ص٨٧).

الحشايا وأصبحت وبي من الفترة شيء به عليم[١].

١٥٨- لو أقسم على الله لأبره

۞ **أويس القرني خير التابعين ﷺ.**

عن أسير بن جبير قال: كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه إمداد أهل اليمن سألهم: أفيكم أويس بن عامر؛ حتى أتى عليه أويس فقال أنت أويس بن عامر؛ قال: نعم. قال: من مراد ثم من قرن؛ قال: نعم قال: ألك والدة؛ قال: نعم، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول يأتي عليكم أويس بن عامر مع مداد اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم له والده هو بهابر لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فأفعل[٢].

١٥٩- اللهم من مات جوعا فلا تؤاخذني به

كان ﷺ شديد العبادة والطاعة لربه ﷻ. فعن إصبع بن يزيد قال: كان أويس إذا أمسى يقول: هذه ليلة الركوع فيركع حتى يصبح وكان إذا أمسى يقول هذا ليلة السجود فيسجد حتى يصبح، وكان إذا أمسي تصدق بما في بيته من الفضل من الطعام والشراب ثم يقول: اللهم من مات جوعا فلا تؤاخذني به ومن مات عريا فلا تؤاخذني به[٣].

١٦٠- عجبت من الجنة كيف نام طالبها!

۞ **هرم بن حيان العبدى ﷺ.**

عن المعلي بن زياد قال: كان هرم يخرج في بعض الليل ينادي بأعلى

---

(١) «صفة الصفوة» (ج٢ ص٦٠٢- ٦٠٣)، و«السير» (ج٥ ص٢٠).
(٢) أخرجه مسلم (رقم ٢٥٤٢)، والحاكم (٤٥٦/٣، رقم ٥٧١٩).
(٣) «السير» (ج٧٠/٥).

صوته: عجبت من الجنة كيف نام طالبها؟!! وعجبت من النار كيف نام هاربها؛ ثم يقول: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأعراف:٩٧-٩٨][1].

١٦١- يا ابن رسول الله النار

۞ علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب زين العابدين ﷺ.

عن أبي نوح الأنصاري قال: وقع حريق في بيت فيه علي بن الحسين وهو ساجد فجعلوا يقولون: يا ابن رسول الله النار، فما رفع رأسه حتى طفئت فقيل له من ذلك، فقال ألهتني عنها النار الأخرى ويروي عن جابر عن أبي جعفر كان أبي يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة، فلما احتضر بكي، فقلت يا أبت ما يبكيك؛ قال بني انه إذا كان يوم القيامة لم يبق ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا كان لله فيه المشيئة أن شاء عذبه وأن غفر له[2].

١٦٢- أكتم ما رأيت

۞ وهب بن منبه ﷺ.

عن كثير أنه سار مع وهب فباتوا عند رجل، فخرجت بنت الرجل فرأت مصباحا، فاطلع صاحب المنزل فنظر إليه صافا قدميه في ضياء كأنه بياض الشمس، فقال الرجل، رايتك الليلة في هيئة وأخبره فقال: أكتم ما رأيت.

وعن مسلم الزنجي قال: لبث وهب بن منبه أربعين سنة لا يرقد على

---

(١) «السير» (ج ٥ ص٨٢).

(٢) المصدر السابق (ج٣٢٧/٥)، وقال الذهبي: إسنادها تالف. قلت: فيه جابر الجعفي وهو ضعيف.

فراش وعشرين سنة لم يجعل بين العتمة والصبح وضوءًا[١].

١٦٣- عمرو بن دينار جزاء الليل ثلاثة أجزاء

❁ **عمرو بن دينار ﷺ.**

روي عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه عن سفيان قال: كان عمرو بن دينار جزاء الليل ثلاثة أجزاء، ثلثا ينام، ثلثا يدرس حديثه، وثلثا يصلي[٢].

١٦٤- أنا أعلم بما صنعت بنفسي

❁ **منصور بن المعتمر ﷺ.**

قال خلف بن تميم حدثنا زائدة أن منصور صام أربعين سنة وقام ليلها، وكان يبكي فتقول له أمه يا بني: قلت قتيلا؛ فيقول أنا أعلم بما صنعت بنفسي، فإذا كان الصبح كحل عينه ودهن رأسه وبرق شفتيه وخرج إلى الناس[٣].

١٦٥- اللهم استعملنا وأوزعنا بهدية

❁ **أيوب السختياني ﷺ.**

روي ضمرة عن بن شوذب قال: كان أيوب يؤم أهل المسجد في شهر رمضان ويصلي بهم في الركعة قدر ثلاثين آية ويصلي لنفسه فيما بين الترويحيتين بقدر ثلاثين آية وكان يقول هو بنفسه للناس الصلاة ويوتر بهم ويدعو بدعاء القرآن ويومن من خلفة وأخر ذلك يصلي على النبي ﷺ ويقول اللهم استعملنا وأوزعنا بهدية واجعلنا للمتقين أماما ثم يسجد وإذا

(١) المصدر السابق (ج٥ ص٤٣٤- ٤٣٥)، و«الطبقات الكبرى» (٥ / ٥٤٣).
(٢) «السير» (ج٦ /١٢٣).
(٣) «السير» (ج٦/٢١١).

فرغ من الصلاة دعا بدعوات(١).

١٦٦- خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل

❁ موسى الكاظم ﷺ.

قال: عمار بن أبان قال: حبس موسى بن جعفر عند السندى بن شاهك فسألته أخته أن تولي حبسه وكانت تدين ففعل فكانت على خدمته فحكي لنا أنها قالت: كان إذا صلي العتمة حمد الله ومجده ودعاه، فلم يزال كذلك حتى يزوال الليل، فإذا زال قام يصلي حتى يصلي الصبح، ثم يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم يقعد على ارتفاع الضحى، ثم يتهيأ ويستأك ويأكل، ثم يرقد إلى قبل الزوال، ثم يتوضأ ويصلي العصر ثم يذكر في القبلة حتى يصلي المغرب ثم يصلي ما بين المغرب والعتمة، فكانت تقول: خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل، وكان عبدًا صالحًا(٢).

١٦٧- هذا أبو حنيفة لا ينام الليل

❁ أبو حنيفة النعمان ﷺ.

قال أبو يوسف: بينما أنا أمشي مع أبي حنيفة إذا سمعت رجلا يقول للأخر: هذا أبو حنيفة لا ينام الليل، فقال أبو حنيفة والله لا يتحدث عني بما لم أفعل، فكان يحي الليل صلاة وتضرعا ودعاء وعن القاسم بن معن أن أبا حنيفة قام ليلة يردد قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ [القمر:٤٦]. ويبكي ويتضرع إلى الفجر(٣).

---

(١) «السير» (ج٦/٢٨٨)، و«تهذيب الكمال» (٢٩ / ٥٠).

(٢) «السير»(ج٦ ص٤٧٨)، و«تاريخ بغداد» (١٣ / ٣١)، و«تهذيب الكمال» (٢٩ / ٥٠).

(٣) «السير» (ج٦ ص٥٧٠- ٥٧١)، و«ترجمة الأئمة الأربعة» (١ / ١٦).

١٦٨- ما رأيت أحدًا الخوف أظهر على وجهه من الحسن بن صالح

الحسن بن صالح بن صالح ﷺ.

عن أبي سليمان الداراني قال: ما رأيت أحدًا الخوف أظهر على وجهه من الحسن بن صالح قام ليلة «عم يتسألون» فغشي عليها فلم يختمها إلى الفجر(١).

١٦٩- الحمد لله

۞ أحمد الحواري ﷺ.

قال محمد بن عوف الحمصي رأيت أحمد بن أبي الحواري عندنا بأنطرسوس فلما صلي العتمة قام يصلي فاستفتح بـ«الحمد لله» إلى «إياك نعبد وإياك نستعين» فطفت الحائط كلها ثم رجعت فإذا هو لا يجاوزها ثم نمت ومررت في السحر إياك نعبد فلم يزل يرددها إلى الصبح(٢).

١٧٠- أراك تحمل على نفسك

۞ محمد بن إسماعيل البخاري ﷺ.

عن مسبح بن سعيد قال: كان محمد بن إسماعيل يختم القرآن في رمضان في النهار كل يوم يختمه ويقوم بعد الترويح كل ثلاث ليال بختمه. وكان يصلي في وقت السحر ثلاث عشر ركعة، وكان لا يوقظني في كل ما يقوم، فقلت أراك تحمل على نفسك، ولم توقظني قال أنت شاب ولا حب أن أفسد عليك نومك(٣).

---

(١) «السير» (ج٧ ص٢٦٦)، و«المجالسة وجواهر العلم» (٥ / ٤٠٣)، و«المجالسة وجواهر العلم» (١ / ٤٩٠).

(٢) «السير» (ج١٠ص٧٩).

(٣) «السير» (ج١٠ ص٣٠٢-٣٠٣)، و«تاريخ دمشق» (٥٢ / ٧١)، و«طبقات الشافعية

١٧١- إلهي غارت النجوم ونامت العيون

۞ حبيبة العدوية - رحمها الله -.

عن عبد الله المكي أبي محمد قال: كانت حبيبه العدوية إذا صلت العتمة قامت على سطح فشدت عليها درعها وخمارها فقالت إلهي غارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك أبوابها وبابك مفتوح وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامي بين يديك فإذا كان السحر قالت: اللهم هذا أدبر وهذا النهار قد أسفر، فليت شعري هل قبلت مني ليلتي فأهني أم رددت على فأعزي؛ فوعزتك لهذا دأبي ودأبك ما أبقيتني وعزتك لو انتهزتني ما برحت على بابك ولا وقع في قلبي غير جودك وكرمك[١].

١٨١- ذكر الموت لا يدعني أنام

۞ عجردة العمية -رحمها الله-.

عن رجاء بن مسلم العبدي كنا نكون عند عجردة العمية في الدار قال: فكانت تحي الليل الصلاة وربما قال تقوم من أول الليل إلى السحر، فإن كان السحر نادت بصوت لها محزون إليك قطع العابدون دجي الليل بتبكير الدلج إلى ظلم الأسحار يستبقون إلى رحمتك وفضل مغفرتك، فبك إلهي لا بغيرك أسألك أن تجعلني في أول زمرة السابقين إليك وأن ترفعني إليك في درجة المقربين وأن تلحقني بعبادك الصالحين، فأنت أكرم الكرماء وأرحم الرحماء وأعظم العظماء، يا كريم ثم تخر ساجدة فلا تزال تبكي وتدعو في سجودها حتى يطلع الفجر فكان ذلك دأبها ثلاثين سنة. وقال بعض أهل الدار لو نمت من الليل شيئًا فبكت وقال ذكر الموت لا يدعني أنام[٢].

الكبرى» (٢ / ٢٢٠).

(١) «صفة الصفوة» (ج٢ ص٣١٧).

(٢) المصدر السابق (ج٢ ص٧١٢- ٧١٣)، «مختصر قيام الليل» لمحمد بن نصر

١٨٢- أما تستحي من الله

۞ الهيثمي بن الجماز ﷺ.

قال الهيثمي بن الجماز عن زوجته كان لي امرأة تقوم الليل وكنت لا أصبر معها على السهر، فكنت إذا نعست ترش علي الماء في أثقل ما أكون من النوم وتنبهني وتقول: أما اتستحي من الله؛ إلى كم هذا الغطيط فوالله إن كنت لا تستحي مما تصنع).

فلـــو كان النســـاء كمـــا ذكـــرن لفضـــلت النســـاء على الرجـــال

رحم الله رجل قم من الليل فصلي وأيقظ امرأته فإن أبت نضح في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل وصلت وأيقظت زوجها فإن أبي نضحت في وجهه الماء[١].

١٨٣- أراني في شيء وأراك في شيء.

۞ عفيرة العابدة رحمها الله.

قال روح بن سلمه الوراق لعفيرة: بلغني أنك لا تنامين بالليل، فبكت ثم قالت: ربما اشتهيت أن أنام فلا أقدر عليه وكيف يقدر وينام أو كيف يقدر على النوم من لا ينام عنه حافظاه ليلا ولا نهارا؛ قال: فأبكتني والله وقلت في نفسي: أراني في شيء وأراك في شيء[٢].

١٨٤- قم يا رجل فقد ذهب الليل وجاء النهار

۞ عمرة امرأة حبيب العجمي ﷺ.

المروزي (١ / ١١١).

(١) الحديث رواه أبو داود والنسائي والحاكم وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (رقم ٣٤٩٤).

(٢) «صفة الصفوة» (ج٢ ص٤١٧).

قال الحسين بن عبد الرحمن حدثني بعض أصحابنا قال: قالت امرأة حبيب أبي محمد، وانتبهت ليلة وهو نائم فأنبهته وقالت له: قم يا رجل فقد ذهب الليل وجاء النهار وبين يديك طريق بعيد وزاد قليل وقوافل الصالحين قد سارت قدمنا ونحن قد بقينا[١].

١٨٥- ليت شعري من غرني بك يا رياح

۞ امرأة رياح القيسي رحمها الله.

قال أبو يوسف البزار تزوج رياح القيسي امرأة فبني بها فلما أصبح قامت إلى عجينها فقال: لو نظرت إلى امرأة تكفيك هذا، فقالت: إنما تزوجت رياحا القيسي ولم أرني تزوجت جبارا عنيدا، فلما كان الليل نام ليختبرها فقامت ربع الليل ثم نادته: قم يا رياحا فقال: أقوم. فقامت الربع الأخير ثم نادته فقالت: قم يا رياح فقال أقوم.

فقالت: مضى الليل وعسكر المحسنون، وأنت نائم ليت شعري من غرني بك يا رياح، قال: وقامت الربع الباقي

عن سيار قال: حدثني رياح قال: ذكرت لي امرأة فتزوجتها فكانت إذا صليت العشاء الآخر تطيبت وتدخنت ولبست ثيابها ثم تأتني فتقول: ألك حاجة؛ فإن قلت: نعم كانت معي وان قلت: لا قامت فنزعت ثيابها ثم صفت بين قدميها حتى تصبح[٢].

١٨٦- اللهم قمت إليك أبتغي ما عندك من الخيرات

خليفة العبدي رحمه الله.

قال هلال بن درام: كان خليفة العبدي جارا لنا بالبحرين فكان يقوم إذا

(١) «صفة الصفوة» (ج٢ ص٧١٥).
(٢) «صفة الصفوة» (ج٢ ص٧٢١).

هدأت العيون فيقول: اللهم قمت إليك أبتغي ما عندك من الخيرات، ثم يعمد إلى محرابه فلا يزال يصلي حتى يطلع الفجر قال: وحدثني عجوز كانت تكون معه في الدار قالت كنت أسمعه يدعو في السجود يقول: هب لي أنابة وإخبات منيب وزيني في خلقك بطاعتك وحببني لديك بحسن خدمتك وأكرمني إذا قدم إليك المتقون فأنت خير مسئول وخير معبود وخير مشكور وخير محمود قالت وكنت أسمعه إذا دعاء في السحر يقول: قام البطالون وقمت معهم قمنا إليك ونحن معترضون لجودك فكم من ذي جرم عظيم قد صفحت له عن جرمه وكم من ذي كرب عظيم قد خرجت له عن كربه، وكم من ذي ضر كثير قد كشفت له عن ضره فبعزتك ما دعانا إلى مسألتك بعدما انطوينا عليه من معصيتك إلا الذي عرفتنا من جودك وكرمك، فأنت المؤمل لكل خير والمرجو عند كل نائبه[١].

١٨٧- يا نفس جاء سرور المؤمن

منفية بنت أبي طارق رضي الله عنها.

عن مسمع بن عاصم السمعي: قال: كانت بالبحرين امرأة عابدة يقال لها منفية فكانت إذا هجم الليل عليها قالت: بخ بخ يا نفس جاء سرور المؤمن فتتحزم وتلبس وتقوم إلى محرابها فكأنها الجذع القائم حتى تصبح، فإذا أصبحت، وأمكنت الصلاة فإنما في صلاة حتى ينادي بالعصر، فإذا صليت العصر هجعت إلى غروب الشمس هذا دأبها، فقيل لها لو جعلت هذه النومة في الليل كان أهدأ لبدنك فقالت: لا والله لا أنام في ظلمة الليل ما دمت في الدنيا قال أبو سفيان فحدثني رجل من أهلها قال: فمكثت كذلك أربعين سنة ماتت[٢].

---

(١) «صفة الصفوة» (ج٢ ص٧٣٨).

(٢) المصدر السابق (ج٢ ص٧٣٩).

١٨٨- إنه لينقضي الليل ولم أفرغ من حاجتي

محمد بن كعب القرظي رحمه الله:

قالت أم محمد بن كعب القرظي لمحمد يا بني لولا أني أعرفك صغيرا طيبا وكبيرا طيبا لظننت أنك قد عملت ذنبا موبقا لما أراك تصنع بنفسك بالليل والنهار قال يا أمتاه وما يؤمني أن يكون الله قد اطلع علي وأنا في بعض ذنوبي فمقتني فقال اذهب فلا أغفر لك مع أن عجائب القرآن ترد بي على أمور حتى إنه لينقضي الليل ولم أفرغ من حاجتي[١].

١٩٠- طير ذكر جهنم نوم العابدين

طاوس رحمه الله.

عن أحمد بن أبي الحواري سمعت أبا سليمان قال كان طاوس يفرش فراشه ثم يضطجع فيتقلى كما تتقلى الحبة على المقلى ثم يثب فيدرجه ويستقبل القبلة حتى الصباح ويقول طير ذكر جهنم نوم العابدين[٢].

١٩١- بأبي الليل ما أطيبه

۞ أم هارون.

قال عبد العزيز عمير: قالت أم هارون وكانت من الخائفين العابدين قد أنزلت الدنيا منزلتها وكانت تأكل الخبز وحده، قالت: بأبي الليل ما أطيبه إني لاغتم بالنهار حتى يجئ الليل، فإذا جاء الليل قمت أوله، فإذا جاء السحر دخل الروح قلبي[٣].

١٩٢- اللهم إن هذه اليهودية قد بكت رحمة لي ودينها مخالف لديني

(١) التهجد وقيام الليل» (ج١ ص ١٨٨).
(٢) التهجد وقيام الليل» (ج١ ص ١٨٩).
(٣) «صفة الصفوة» (ج٢ ص٨٧٢).

أبو صخر يزيد بن أبي سميه الأيلي رحمه الله.

قال محمد بن عمر: كان أبو صخر من العباد، وكان يصلي ليلة أجمع ويبكي وكانت معه في الدار امرأة يهودية ساكنة تبكي رحمة له، فقال ليلة في دعائه اللهم إن هذه اليهودية قد بكت رحمة لي ودينها مخالف لديني، فأنت أولي برحمتي[١].

١٩٣- هذا يومي الذي أموت فيه

معاذه بنت عبد الله العدوية - رحمها الله - وتكني أم الصهباء.

قال محمد بن فضيل: حدثنا أبي قال: كانت معاذه العدوية إذا جاء النهار قالت: هذا يومي الذي أموت فيه فما تنام حتى تمسي، وإذا جاء الليل قالت: هذه ليلتي التي أموت فيها، فيها فلا تنام حتى تصبح وإذا جاء البرد لبست الثياب الرقاق حتى يمنعها البرد من النوم وقال الحكم بن سنان الباهلي: حدثتني امرأة كانت تخدم معاذه العدوية قالت: كانت تحي الليل صلاة فإذا غلبها النوم قامت فجالت في الدار وهي تقول يا نفس النوم أمامك لو قدمت لطالت رقدتك في القبر على حسرة أو سرور، قالت: فهي كذلك حتى تصبح وقالت آسية بنت عمرو العدوية قالت كانت: معاذه العدوية تصلي في كل يوم وليلة ستمائة ركعة وتقرأ جزءوها من الليل وتقوم به وكانت تقول: عجبت لعين تنام وقد عرفت طول الرقاد في ظلم القبور[٢].

١٩٤- الانوار الربانية

حفصة بنت سيرين - رحمها الله.

---

(١) المصدر السابق (ج٢ ص٨٩٠).

(٢) «صفة الصفوة» (ج٢ ص٧٠٧).

عن عبد الكريم بن معاوية قال: ذكر لي عن حفصة أنها كانت تقرأ نصف القرآن كل ليلة وكانت تصوم الدهر وتفطر العيدين وأيام التشريق وعن هشام بن حسان قال: كانت حفصة بنت سيرين تسرج سراجها من الليل ثم تقوم في مصلاها فربما طفئ السراج فيضي لها البيت حتى تصبح[١].

١٩٥- أما دعاك الشوق إلى مناجاة الملك

عابدة قانتة - رحمها الله.

دخل السر السقطي سوق الناسخين قال: فرأيت جارية ينادى عليها بالبراءة من العيوب فاشتراها بعشرة دنانير، فلما انصرفت بها إلى المنزل عرضت عليها الطعام فقالت لي: والله يا سيدي ما رأيت أحدًا في دارنا أكل نهارا قط. قال: فخرجت فلما كان العشاء أتيتها بطعام فأكلت منه قليلا، ثم قالت: يا مولاي بقيت لك خدمه؛ قلت: لا، قالت دعني لخدمة مولاي الأكبر قلت أي وكرامة: فانصرفت إلى بيت تصلي فيه، وصليت العشاء الآخر ورقدت؛ فلما مضى من الليل الثلث ضربت علي الباب فقلت لها: ماذا تريدين؛ قالت: يا مولاي أما لك حظ من الليل؛ قلت: لا فمضت، فلما مضي النصف منه ضربت علي الباب وقالت يا مولاي قام المتهجدون إلى وردهم، قلت يا جارية: أنا بالليل خشبة بالنهار جلبة، فلما بقي من الليل الثلث الأخير ضربت علي الباب ضربا عنيفا وقالت: أما دعاك الشوق إلى مناجاة الملك، قم لنفسك وخذ مكانا فقد سبقك الخدام، فهاج من كلامها خاطرا، قمت فأسبغت الوضوء وركعت ركعات ثم تحست إليها فوجدتها ساجدة وهي تقول بحبك لي إلا غفرت لي، فقلت لها: يا جارية ومن أين

(١) المصدر السابق (ج٢ ص٧٧٠).

علمت أنه يحبك؛ قالت: لولا محبته ما أنامك وأقامني، فقلت: اذهبي فأنت حرة لوجه الله العظيم، فدعت ثم خرجت وهي تقول: هذا العتق الأصغر بقي العتق الأكبر[١].

وتلك علامة من علامات محبة الله تعالى للعبد ومحبة العبد لربه ﷻ.

قال أبو جعفر المحبولي: ولي الله المحب لا يخلوا قلبه من ذكر الله ولا يسأم من خدمته، فإذا أعرض عنه، وإذا أقبل إلى الله أقبل عليه برأفته.

١٩٦- وكن لربك ذا بر لتخدمه

وعن سعيد بن عمران ابن زرارة قال: سمعت كلاب بن جري يقول الرجل من الطغاوة وهو يوصيه بطرائق البر فقال له:

وكـــن لربـــك ذا بـــر لتخدمـــه إن المحبـــين للأحبـــاب خـــدام

قال: فصاح الطغاوة صحية فخر مغشيا عليه.

١٩٧- علامات المحبين لرب العالمين

وقال محمد بن نعيم الموصلي: إن القلب الذي يحب الله يحب التعب والنصب لله أنه لن ينال حب الله بالراحة.

واجتمع أحمد بن أبي الحواري وقاسم الجوعي وجماعة من الصالحين بعد صلاة العتمة، وقد خرجوا من المسجد إلى بيت رجل قد دعاهم إلى طعام صنعه لهم فأنشدهم رجل قبل دخول الباب.

علامة صدق المستخصين بالحـــب بلوغهـــم المجهـــود في طاعـــة الرب

وتحصيل طيب القوت مـن مجتنائـه وإن كان ذاك القوت في مرتقى صعب

فلم يزل يرددها وهم قيام حتى أذن مؤذن الفجر ورجعوا إلى المسجد

---

(١) «صفقات رابحة» (ص٩٣- ٩٤).

وقد رويت بيتان آخران مع هذين البيتين وهما.

وأمساك سوء اللفظ عن وله جنسهم وأن ظلموا فالعفو مـن ذاك بالخطـب

أولئك بالرحمـــن قـــرت عيونهـــم وحلو من الإخلاص بـالمنزل الرحـب

وقال نصر: اجتمعنا ليلة على الساحل ومعنا مسلم أبو عبيد الله فقال رجل من الأزد.

مـــا للمحـــب ســـوى إدارة حبـــة إن المحـــب بكـــل بـــر يضرـــع[١]

قال: فبكى مسلم حتى خشيت والله أن يموت[٢].

١٩٨- اللهم همك عطل علي الهموم

داود الطائي ﷺ..

قال إسحاق السلولي: حدثتني أم سعيد بن علقمه وكانت طائية كان بيننا وبين داود الطائي جدار قصير فكنت أسمع حنينه عامة الليل لا يهدأ ولربما سمعته يقول في جوف الليل: «اللهم همك عطل علي الهموم، وخالف بيني وبين السهاد، وشوقي إلى النظر إليك وضع مني اللذات والشهوات، فأنا في سجنك أيها الكريم مطلوب».

قالت وربّما ترنّم بالسَّحر بالقرآن، فأرى أنّ جميع نعيم الدنيا خرج في ترنَّمه تلك الساعة، قالت: وكان يكون في الدار وحده وكان لا يصبح أي لا يسرج[٣].

(١) «استنشاق نسيم الأنس» (ص ٨٩- ٩٠).

(٢) «الرقة والبكاء» (رقم ١٢٠).

(٣) «تاريخ الإسلام» للإمام الذهبي (١٠ / ١٨١).

الفصل العاشر: قصص المنفقين والمنفقات

١٩٩- لولا التشهد كانت لاؤه نعم

أنس بن مالك رضي الله عنه.

قال: «ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئًا إلا أعطاه، ولقد جاءه رجل فأعطاه غَنما بين جبَلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلِمُوا، فإن محمدًا يعطي عطاءَ من لا يخشى الفقر، وإن كان الرجلُ لَيُسْلِمُ ما يُرِيد إلا الدنيا، فما يلبثُ إلا يسيرا حتى يكون الإسلام أحبَّ إليه من الدنيا وما عليها»[١].

وأعطى غير واحد مائة من الإبل «وأعطى صفوان مائة ثم مائة»[٢] فهذا كان حال الحبيب ﷺ.

مـــا قـــال لا إلا تشـــهده لـــولا التشـــهد كانـــت لاؤه نعـــم

٢٠٠- إني لأراه قد فجعلكم بما له مع نفسه

أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن أسماء رضي الله عنها قالت: «لما خرج رسول الله ﷺ وخرج أبو بكر رضي الله عنه معه احتمل أبو بكر ماله كله معه خمسة آلاف درهم أو وستة آلاف درهم فانطلق رضي الله عنه معه قالت: فدخل علينا أبو قحافة رضي الله عنه وقد ذهب بصره فقال: والله! إني لأراه قد فجعلكم بما له مع نفسه، قالت: كلا يا أبت! انه قد ترك خيرًا كثيرًا، قالت: وأخذت أحجارًا فوضعتها

(١) أخرجه مسلم (ح ٣١٢).
(٢) أخرجه مسلم (ح ٢٣١٣).

في كوة في البيت الذي كان يضع ماله فيها ثم وضعت عليها ثوبا ثم اخذ بيده فقلت: يا أبت ضع يدك على هذا المال، قالت، فوضع يده فقال: لا باس إذا كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا بلاغ لكن، ولا والله ما ترك لنا شيئًا ولكن أردت أن اسكن الشيخ بذلك»[(١)].

٢٠١- اسكن حراء

۞ **عثمان بن عفان** ﷺ.

وهيا لنرى ذي النورين فارس الميدان وسيد من سادات المنفقين: رجل تستحي منه ملائكة الرحمن ناصر الدين ومجهز المجاهدين عثمان بن عفان ﷺ عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: اشرف عثمان من القصر وهو محصور فقال: انشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم حراء إذ اهتز الجبل فوكزه برجله ثم قال: «**اسكن حراء ليس عليك إلا نبي أو صديق او شهيد**» وأنا معه؟

۞ فانشد له رجال، فقال انشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم بيعة الرضوان إذ بعثنى إلى المشركين أهل مكة قال: هذه يدي وهذه يد عثمان فبايع لي؟فانتشد له رجال، ثم قال: انتشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم قال: «من يوسع لنا بهذا البيت في المسجد ببيت له في الجنة؟ فابتعته من مالي فوسعت به المسجد؟ فانتشدت له رجال قال: وانشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم جيش العسرة قال من ينفق اليوم نفقة متقبلة؟ فجهزت نصف الجيش من مالي؟

قال: فانتشد له رجال، قال وانشد بالله من شهد بئر رومة يباع ماؤها

(١) أخرجه أحمد (ح ٢٧٠٠٢) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

لابن السبيل فابتعتها من مالي وأبحتها ابن السبيل؟فانتشد له رجال»[١].

٢٠٢- هذا خير من قرصك

۞ إنفاق عائشة رضي الله عنها .

اخرج مالك في الموطأ انه بلغه عن عائشة زوج النبي ﷺ أن مسكينا سألها وهى صائمة وليس في بيتها إلا رغيف، فقالت لمولاة لها: أعطيها إياه: قالت ففعلت فلما أمسينا اهدي لنا أهل بيت أو إنسان ما كان يهدى لنا شاه وكتفها، فدعتني عائشة رضي الله عنها فقالت: كلى من هذا،هذا خير من قرصك

٢٠٣- ويحك انج بنا

۞ إنفاق حكيم بن حزام رضي الله عنه.

اخرج الطبراني عن أبي حازم قال:ما كان بالمدينة احد سمعنا به،كان أكثر حملا في سبيل الله من حكيم بن حزام رضي الله عنه، قال لقد قدم إعرابيان المدينة يسألان من يحمل في سبيل الله؟

فدلا على حكيم بن حزام، فأتياه في أهله فسألهما ما يريدان؟

فاخبراه ما يريدان، فقال لهما:لا تعجلان حتى اخرج إليكما، وكان حكيم بن حزام يلبس ثيابا يؤتى بها من مصر كأنها الشباك[٢] ثمنها أربعة دراهم، ويأخذ عصاه في يده،ويخرج معه غلامان له وكلما مر بكناسة أو قمامة فرأى فيها خرقة تصلح في جهاز الإبل التي يحمل عليها في سبيل الله أخذها بطرق عصاه فنفضها ثم قال لغلاميه، امسكا بسلعتكما في جهازكما فقال الأعربيان أحدهما لصاحبه وهو يصنع ذلك ويحك انج بنا

---

(١) أخرجه الترمذي (ح ٣٦٩٩)، والنسائي (ح ٣٦٠٨)، وأحمد (ح ٤٢٢)، وصححه الألباني في «صحيح النسائي» (ح ٣٦٠٩).

(٢) أي: رقيقة.

فوالله ما عند هذا إلا القط القشع[١]، فقال له صاحبه ويحك لا تجعل حتى تنظر فخرج بهما إلى السوق فنظر إلى ناقتين جليلتين سمينتين خلفيتن[٢] فابتاعهما وابتاع جهازهما ثم قال لغلاميه، رما[٣] بهذه الخرق ما ينبغي المرمة من جهازكما، ثم أوقرهما[٤] طعامًا وبرًا وودكا وأعطاهما نفقة، ثم أعطاهما الناقتين، قال: يقول أحدهما لصاحبه: والله ما رأيت من لاقط قشع خيرًا من اليوم[٥].

٢٠٤- إنفاق سعيد بن عامر الجمحي رضي الله عنه

،عن حسان بن عطية قال: لما عزل عمر ابن الخطاب معاوية عن الشام بعث عيد بن عامر الجمحي رضي الله عنه قال مخرج معه بجارية من قريش نضيرة الوجه فما لبث إلا يسير حتى إصابته حاجة شديدة، قال: فبلغ عمر رضي الله عنه فبعث إليه بألف دينار، قال: فدخل بها على امرأته، فقال: إن عمر بعث إلينا بما ترين، فقالت: لو انك اشتريت لنا إدمًا وطعامًا وادخرت سائرها، فقال لها: أولا أدلك على أفضل من ذلك؟

نعطى هذا المال من يتجر لنا فيه فنأكل من ربحها وضمنانها عليه، قالت: فنعم إذا، فاشترى إدما وطعاما واشترى بعيرين وغلامين يمتاران عليهما حوائجهم وفرقها في المسالكين وأهل الحاجة، قال: فما لبث إلا يسيرا حتى قالت له امرأته، إنه قد نفذ كذا وكذا، فلو أتيت ذلك الرجل فأخذت لنا من الربح فاشتريت لنا مكانه، قال: فسكت عنها، قال: ثم عاوته،

---

(١) القشع: أي: الجلود اليابسة.
(٢) خلفتين: حاملتين.
(٣) أصلحا.
(٤) أوقرهما: حمل لهما الناقتين.
(٥) «مجمع الزوائد» (٩/ ٦٤٢).

قال: فسكت عنها حتى آذته، ولم يكن يدخل بيته من الليل إلى الليل، قال: وكان رجل من أهل بيته ممن يدخل بدخوله فقال لها: ما تصنعين؟

إنك قد آذيته، وإنه قد تصدق بذلك المال، قال: فبكت أسفا على ذلك لمال ثم انه دخل عليها يوما فقال على رسلك إنه كان لي أصحاب فارقوني منذ قريب ما أحب أني صدت عنهم، وأن لي الدنيا وما فيها ولو أن خيرة من الخيرات الحسان اطلعت من السماء لأضاءت أهل الأرض ولقهر ضوء وجهها الشمس والقمر ولنصيف[١] تكسى خير من الدنيا وما فيها، فلانت احرى في نفيى ان ادعك لهن من ان ادعهن لك، قال: فسمحت ورضيت»[٢].

٢٠٥- مرحبا بمن يحمل زادي إلى الآخرة

۞ **علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب.**

وهذا علم من أعلام المنفقين سليل بيت النبوة علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين كان إذا أتاه سائلا رحب به وقال مرحبا بمن يحمل زادي إلى الآخرة.

وعن محمد بن إسحاق قال: كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به الليل.

وعن أبي حمزة الشمالي: قال: كان علي بن الحسين يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل فيتصدق به ويقول إن صدقة السر تطفئ غضب الرب عز وجل.

---

(١) النصيف: الخمار.

(٢) أخرج أبو نعيم في «الحلية» (ج ١ص ٢٤٤).

وعن عمرو بن ثابت قال: لما مات علي بن الحسين فغسلوه جعلوا ينظرون إلى آثار سود في ظهره، فقالوا: ما هذا؟ فقالوا: كان يحمل الدقيق ليلًا على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة(١).

٢٠٦- صام أربعين سنة وما يعلم به أحد

أبو الحسين النوري ﷺ كان من الصائمين القانتين الذين سعوا في مرضات ربهم وساروا على درب نبيهم، يقول ابن الجوزي ﷺ: قال عبد الكريم: ثم حدثني أبو جعفر الفرعاني قال: «مكث أبو الحسين النوري عشرين سنة يأخذ من بيته رغيفين ويخرج ليمضي إلى السوق فيتصدق بالرغيفين ويدخل المسجد فلا يزال يركع حتى يجئ وقت السوق فإذا جاء الوقت مضى إلى السوق فيظن أنه قد تغدى في بيته، ومن في بيته عندهم أنه قد أخذ معه غذاءه، وهو صائم»(٢).

٢٠٧- لولا المساكين ما تجرت

حسان بن أبي سنان: كان يقول ﷺ لولا المساكين ما تجرت وانظر إلى سخائه وكرمه وجوده وكيف أنه كان يحب الإنفاق ويعطيهم ولا يخاف الفقر والفاقة.

فعن الوليد بشار قال: جاءت امرأة فسألت حسان بن أبي سنان، فقال لشريكه هكذا، وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى فذهب شريكه يزن لها درهمين فوزن لها مائتين، فقالوا: يا أبا عبد الله، كنت ترضى بهذا كذا وكذا من سائل، فقال: إني ذهبت في شيء لم تذهبوا فيه إني رأيت بها بقية من الشباب وخشيت أن تحملها الحاجة على بعض ما أكره.

---

(١) «صفة الصفوة» (ج ١ ص ٢٩٨).
(٢) المصدر السابق (ج ١ ص ٢٩٨).

٢٠٨- لولاك وأصحابك ما اتجرت

❁ عبد الله بن المبارك ﷺ .

يقول ابن الجوزي: عن محمد بن علي بن الحسن بن شفيق قال سمعت أبي يقول كان ابن المبارك إذا كان وقت الحج اجتمع إليه إخوانه من أهل مر

فيقولون: نصحبك يا أبا عبد الرحمن، فيقول لهم: هاتوا نفقاتكم فيجعلها في صندوق ويقفل عليها ثم يكترى لهم ويخرجهم من مروا إلى بغداد فلا يزال ينفق عليهم ويطعمهم أطيب الطعام وأطيب الحلواء ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زي وأكمل مروؤة، حتى وصلوا إلى المدينة - فإذا صاروا إلى المدينة قال لكل رجل منهم ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من المدينة، من طرفها؟

فيقول كذا ثم يخرجهم إلى مكة، فإذا وصلوا مكة فقضوا حوائجهم قال: لكل رجل منهم ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من متاع مكة؟

فيقول كذا وكذا، فيشتري لهم ويخرجهم من مكة فلا يزال ينفق عليهم حتى يصيروا إلى مرو، فإذا وصلوا إلى مرو جصص أبوابهم ودورهم، فإذا كان بعد ثلاثة أيام صنع لهم وليمة وكساهم، فإذا أكلوا وشربوا دعا بالصندوق ففتحه ودفع إلى كل رجل منهم صرته بعد أن كتب عليها أسمه[١].

وقال ابن الجوزي أيضًا: «بلغنا أنه قال: للفضيل لولاك وأصحابك ما اتجرت، وقال: وكان ينفق على الفقراء في كل سنة مائة ألف درهم».

٢٠٩- أي شئي قضيتك؟

(١) «صفوة الصفوة» (ج ٢ ص٧٨١).

قال سعيد بن المسيب بن واضح: كنت عند عبد الله بن المبارك جالسًا إذ كلموه في رجل يقضى عنه سبعمائة درهم دينا.

فكتب إلى وكيله، إذا جاءك كتابي هذا وقرأته فادفع إلى صاحب الكتاب سبعة آلاف درهم، فلما ورد الكتاب على الوكيل وقرأه، التفت إلى الرجل فقال: أي شئي قضيتك؟

فقال: كلموه أن يقضى عني سبعمائة درهم دينا، فقال: قد أصبت في الكتاب غلطا، ولكن أقعد موضعك حتى أجرى عليك من مالي وأبعث إلى صاحبي فأوامره فيك.

فكتب إلى عبد الله بن المبارك أتاني كتابك وقرأته وفهمت ما ذكرت فيه، وسألت صاحب الكتاب فذكر أنه كلمك في سبعمائة درهم، وها هنا سبعة آلاف درهم، فإن يكن منك غلط فاكتب إلي حتى أعمل على حسب ذلك.

فكتب إليه: إذا أتاك كتابي هذا وقرأته وفهمت ما ذكرت فيها فادفع إلى صاحب الكتاب، أربعة عشر ألفًا، فكتب إليه: إن كان هذا الفعل تفعل فما أسرع ما تبيع الضيعة، فكتب إليه عبد الله ابن المبارك: إن كنت وكيلي فأنفذ ما آمرك به، وإن كنت أنا وكيك فتعال إلى موضعي حتى أصير إلى موضعك فأنفذ ما تأمرني به[١].

٢١٠-أنت المتكلم في المسجد؟

۞ **الليث بن سعد:**

قال ابن الجوزى: عن محمد ابن موسى الصائغ قال سمعت منصور بن عمار يقول: تكلمت في جامع مصر يوما فإذا رجلان قد وقفا على

(١) «صفة الصفوة» (ج٢ ص ٧٨٢).

الحلقة فقالا: أجب الليث، فدخلت عليه، فقال أنت المتكلم في المسجد؟

قلت:نعم، قال رد على الكلام الذي تكلمت به، فأخذت في ذلك المجلس بعينه، فرق وبكى حتى رحمته ثم قال: ما اسمك؟

قلت منصور، قال ابن من؟

قلت:ابن عمار، قال أنت أبو السري؟

قلت نعم، قال الحمد لله الذي لم يمتني حتى رأيتك، ثم قال: يا جارية فجاءت فوقفت بين يديه فقال لها: جيئني بكيس كذا وكذا، فجاءت بكيس فيه ألف دينار، فقالت يا أبي السري خذ هذا إليك وصن هذا الكلام أن تقف به على أبواب السلاطين، ولا تمدحن أحدًا من المخلوقين بعد مدحتك لرب العالمين، ولك في كل سنة مثلها فقلت: رحمك الله إن الله قد أحسن اليّ وأنعم، قال: لا ترد على شئيا أصلك به، فقبضتها وخرجت، قال لا تبطئ علي، فلما كان في الجمعة الثانية أتيته فقال لي: اذكر شيئًا فتكلمت فبكى وكثر بكاؤه فلما أردت أن أقوم، قال: انظر ما في ثني هذه الوسادة وإذا خمسمائة دينار، فقلت: عهدي بصلتك بالأمس، قال: لا تردن علي شيئًا أصلك به، متى رأيتك؟ قلت: الجمعة الداخلة،قال: كأنك فتت عضو من أعضائي، فلما كانت الجمعة الداخلة أتيته مودعا فقال لي: خذ في شيئ أذكرك به، فتكلمت فبكى وكثر بكاؤه، ثم قال لي يا منصور انظر ما في ثنى الوسادة فإذا ثلثمائة دينار قد أعدها للحج، ثم قال: يا جارية هاتى ثياب إحرام منصور فجاءت بإزار فيه أربعون ثوبا، قلت: رحمك الله اكتفى بثوبين، فقال لي: أنت رجل كريم ويصحبك قوم فأعطهم وقال للجارية التي تحمل الثياب معه وهذه الجارية لك»[١].

(١) «صفة الصفوة» (ج ٢ص ٨٧٦).

٢١١- لقمة بلقمة

وفي تاريخ ابن النجار عن وهب بن منبه قال: بينما امرأة من بني إسرائيل، على ساحل البحر تغسل ثيابها، وصبي لها يدب بين يديها، إذ جاء سائل فأعطته لقمة من رغيف كان معها، فما كان بأسرع من أن جاء ذئب فالتقم الصبي، فجعلت تعدو خلفه وتقول: يا ذئب ابني يا ذئب ابني، فبعث الله ملكا فنزع الصبي من فم الذئب ورمى به إليها.

وقال: لقمة بلقمة. وهو في الحلية عن مالك بن دينار وقال: أخذ السبع صبيا لامرأة فتصدقت بلقمة فرماه السبع فنوديت لقمة بلقمة.

٢١٢- فهل أشد من الريح؟

في مسند أحمد من حديث أنس بإسناد حسن مرفوعا: «إن الملائكة قالت: يا رب هل من خلقك شيء أشد من الجبال؟

قال: نعم الحديد. قالت: فهل أشد من الحديد؟

قال: نعم النار. قالت: فهل أشد من النار؟

قال: نعم الماء. قالت: فهل أشد من الماء؟

قال: نعم الريح. قالت: فهل أشد من الريح؟

قال. نعم ابن آدم يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله» ثم إن المقصود منه المبالغة في إخفاء الصدقة بحيث إن شماله مع قربها من يمينه وتلازمهما لو تصور أنها تعلم لما علمت ما فعلت اليمين لشدة إخفائها، فهو على هذا من مجاز التشبيه[١].

(١) «الأحاديث المختارة» للضياء المقدسي (٢/ ٤٥٩)، وأخرجه أحمد في «المسند» (١٢٤/٣).

٢١٣-داوو مرضكم بالصدقة

عن الإمام المحدث البيهقي - رحمه الله تعالى - أنه قال: (في هذا المعنى حكاية شيخنا الحاكم أبي عبد الله رحمه الله، فإنه قرح وجهه وعالجه بأنواع المعالجة فلم يذهب، وبقي فيه قريبًا مِن سنة، فسأل الأستاذ الإمام «أبا عثمان الصابوني» أن يدعو له في مجلسه يوم الجمعة، فدعا له وأكثَرَ الناس التأمين، فلما كان يوم الجمعة الأخرى ألقت امرأة في المجلس رقعة بأنها عادت إلى بيتها واجتهدت في الدعاء للحاكم أبي عبد الله تلك الليلة، فرأت في منامها رسول الله كأنه يقول لها: «قولي لأبي عبد الله يوسع الماء على المسلمين»، فجئت بالرقعة إلى الحاكم فأمر بسقاية بُنيت على باب داره وحين فرغوا من بنائها أمر بصب الماء فيها وطرح الجمد في الماء وأخذ الناس في الشرب، فما مر عليه أسبوع حتى ظهر الشفاء وزالت تلك القروح وعاد وجهه إلى أحسن ما كان وعاش بعد ذلك سنين[١].

٢١٤- حَفر بئرًا للناس فشفاه الله من مرض شديد

سأل رجل عبد الله بن المبارك - رحمه الله تعالى - عن قرحة خرجت في ركبته منذ سبع سنين وقد عالجها بأنواع العلاج وسأل الأطباء فلم ينتفع، فقال له ابن المبارك: (اذهب واحفر بئرًا في مكان يحتاج الناس فيه إلى الماء فإني أرجو أن تنبع هناك عين ويمسك عنك الدم) ففعل الرجل ذلك فشفاه الله تعالى[٢].

٢١٥-تصدق على أم أيتام فشفاه الله من مرض السرطان

يُذكر أن رجلًا أصيب بالسرطان، فطاف الدنيا بحثًا عن العلاج، فلم

---

(١) «الترغيب والترهيب» (٢/ ٤٢).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٨ / ٤٠٧).

يجده، فتصدق على أمِّ أيتام، فشفاه الله تعالى[١].

٢١٦- شفاها الله من مرض السرطان لسعيها على أيتام

وشبيه بالقصة السابقة تقول إحدى الأخوات الجزائريات الفاضلات - وهي مقيمة في السعودية -: (أُصبت بمرض السرطان منذ عدة سنوات وتيقنت بقرب الموت، وكنت أنفق ما أكسبه من مهنة الطرازة على يتامى، وكل ما أنفقته عليهم رده الله لي مضاعفًا، وسخَّر لي المحسنين في الجزائر كي يعالجونني، ثم سخَّر لي هنا في السعودية مَن يهتم بي ويرعاني ومع أني لا أعرف أحدًا في المملكة إلا أني وجدت أخوات صالحات، وقد واصلت علاجي إلى أن شُفيت تمامًا بحمد الله تعالى؛ ومع أني لا أعرف أي أحد في هذا البلد إلا أن الله تعالى سخَّر لي كل شيء ويسَّره لي بسبب إنفاقي على هؤلاء الأيتام)[٢].

٢١٧- عقيمة تصدقت فرزقها الله بتوأمين:

ابتليت امرأة بالعقم وقد أيسها الأطباء من إمكانية الحمل وأنه لا علاج لها!، فوفقها الله تعالى إلى أن تتصدق على امرأة فقيرة، وبعدما تصدقت عليها طلبت منها أن تدعو لها بالولد الصالح، وما مضت ثلاثة أشهر إلا وهي حامل بتوأم ولدين![٣].

٢١٨- أنقذه الله من الموت بصدقته:

كانت إحدى الداعيات المشهورات تروي قصة في أثر الصدقة وتبدي عجبها فقالت لها إحدى الحاضرات: (لا تعجبي!، والدنا جاءه محتاج في

(١) «داووا مرضاكم بالصدقة» (ص: ٨).
(٢) «داووا مرضاكم بالصدقة» (ص: ٩).
(٣) «داووا مرضاكم بالصدقة» (ص: ٩).

خيمته فأعطاه حليب «في غضارة» وسقاه حتى شبع، وبينما كان يتنقل تعطلت به السيارة وجلس تحت ظل شجرة وقد شارف على الموت وإذا برجل يأتيه وقد أعطاه حليب وشربه، وإذا بهذا الرجل هو نفسه الذي سقاه والدي) اهـ، ولعله ملَك كريم تمثل في صورة الشخص الذي تصدق والدها عليه، والله على كل شيء قدير.. ولا يضيع أجر مَن أحسن عملًا[١].

٢١٩-رجع بصَرها كما كان بسبب صدقة والدتها عنها

كان صبي صغير يلعب مع أخته حاملًا بيده سكينًا، وفجأة ضرَبها في عينها، فَنُقِلت على الفور إلى المستشفى، ولخطورة الإصابة حُوِّلت منه إلى (الرياض) حيث الأطباء الاستشاريين، وبعد الفحوصات والأشعة قرَّر الأطباء أن إعادة (قرنية) عينها أمرٌ ضعيف والأمل برجوع بصرها ضئيل، وفي يوم تذَكَّرت الأم المرافقة مع ابنتها فضلَ الصدقة، فطلبت من زوجها أن يُحضِر لها تلك القطعة من الذهب التي لا تملك غيرَها وتصدقت بها على الرغم من ضَعف حالتها المادية ودَعت ربها الكريم الرحيم قائلةً: (ربي إنك تعلم أني لا أملك غيرها فاجعل صَدَقتي بها سببًا في شفاء ابنتي).

وفي الغَدِ جاءَ الطبيب فَعُرِضَت عليه حالةُ البنتِ فكان قوله كسابقيه وأنه لا أمل في الشفاء، وبعد أيامٍ جاء طبيب آخر فعُرِضت عليه ففكَّر وتأمَّل وكانت المفاجأة أن أجريت العملية ونجحت بفضلٍ من الله تعالى، ثم عادت الطفلة سليمة دون أي أثَرٍ على وجهها وقد رجع بصرها - بحمد الله تعالى - كما كان[٢].

---

(١) «داووا مرضاكم بالصدقة» (ص: ٩).

(٢) «داووا مرضاكم بالصدقة» (ص: ١٠).

٢٢٠- شفى الله بنته بسبب الصدقة:

يقول الشيخ / سليمان المفرج - وفقه الله -: هذه قصة يرويها صاحبها لي حيث يقول: (لي بنت صغيرة أصابها مرض في حلقها، فذهبت بها للمستشفيات وعرضتها على كثير من الأطباء، ولكن دون فائدة، فمَرَضها أصبح مستعصيًا، وأكاد أن أكون أنا المريض بسبب مرضها الذي أرَّق كل العائلة، وأصبحنا نعطيها إبرًا للتخفيف فقط من آلامها حتى يئسنا من كل شيء إلا من رحمة الله تعالى.

إلى أن جاء الأمل وفتح باب الفرج، فقد اتصل بي أحد الصالحين وذكر لي حديث رسول الله: (داووا مرضاكم بالصدقة) فقلت له: «قد تصدقت كثيرًا».

فقال: «تصدق هذه المرة بنية شفاء ابنتك»، وفِعلًا تصدقت بصدقة متواضعة لأحد الفقراء ولم يتغير شيء، فأخبرته فقال: «أنت ممن لديهم نعمة ومال كثير، فلتكن صدقتك بحجم مالك»، فذهبت للمرة الثانية وملأت سيارتي من الأرز والدجاج والخيرات بمبلغ كبير ووزعتها على كثير من المحتاجين، ففرحوا بصدقتي ووالله لم أكن أتوقع أبدًا أن آخر إبرة أخذتها ابنتي هي التي كانت قبل صدقتي، فشُفِيت تمامًا بحمد الله.

فأيقنت بأن الصدقة من أكبر أسباب الشفاء، والآن ابنتي بفضل الله لها ثلاث سنوات ليس بها أيّ مرض على الإطلاق، ومن تلك اللحظة أصبحت أُكثر من الصدقة خصوصًا على الأوقاف الخيرية، وأنا كل يوم أشعر بالنعمة والبركة والعافية في مالي وعائلتي، وأنصح كل مريض بأن يتصدق من أعز ما يملك، ويكرر ذلك فسيشفيه الله تعالى، وأدين الله بصحة ما ذكرت، والله لا يضيع أجر المحسنين[١].

---

(١) «داووا مرضاكم بالصدقة» (ص: ١١).

٢٢١- تصدقت بكل ذهبها فشُفِي ابنها:

دخل أحد الشباب المستشفى إثْرَ مرضٍ شديد أَلَمَّ به - نسأل الله السلامة والعافية لنا ولجميع المسلمين -، وبعد الفحوصات قرر الأطباء أنه لا أمل في شفائه حيث قال الطبيب لأمه المرافقة: (خُذي أغراضه فلا أمل في شفائه والعلم عند الله)؛ فتأثرت الأمُّ وتذكرت فلَذَة كبدها ومفارقته لها فقامت وباعت كلَّ ما تملك من ذهَبٍ وتصدقت بثمنه، ولم تمضِ سوى عِدَّة أيام حتى أبدى الطبيب لأمه أن هناك أملًا في شفائه، حتى تحسَّنت حالته شيئًا فشيئًا حتى خرجت بعد أيامٍ سليمًا مُعافى، فحَمِد الجميعُ ربَّهم - تبارك وتعالى - على شفائه ولُطفه[١].

٢٢٢- أصيبت طفلته بالحمى فشفاها الله بصدَقته:

ويقول الشيخ أيضًا: هذه قصة أخرى حدثني بها صاحبها فقال: (لقد اشتكت طفلتي من الحمى والحرارة ولم تعد تأكل الطعام وذهبت بها لعدة مستوصفات فلم تنزل حرارتها وحالتها تسوء، فدخلت المنزل مهمومًا لا أدري ما أصنع!؛ فقالت لي زوجتي: «لنتصدق عنها»، فاتصلت بشخص له علاقة بالمساكين وقلت له: «أرجو أن تصلي العصر في المسجد وتأخذ مني ٢٠ كيس أرز و٢٠ كرتون دجاج وتوزعها على المحتاجين»، وأحلف بالله ولا أبالغ أنني بعد أن أقفلت سماعة الهاتف بخمس دقائق وإذا بطفلتي تركض وتلعب وتقفز على الكنبات وأكلَت حتى شبعت وشفيت تمامًا بفضل الله تعالى ثم الصدقة، وأوصي الناس بالاهتمام بها عند كل مرض)[٢].

---

(١) «داووا مرضاكم بالصدقة» (ص: ١١).

(٢)

٢٢٣- امرأة مصابة بمرض نفسي أنجاها الله بالصَّدقة:

وهذه امرأة مُصابة بمرض نفسي قاهر، فقام أحد أقاربها - جزاه الله خيرًا - وتصدَّق بنية شفائها على رجل صالحٍ فقير يعول عائلتين وسأله الدعاء لها، فما هي إلا أيام يسيرة حتى يسَّر الله لها مَن ينتشلها مما هي فيه من البلاء ويكون سببًا في شفائها حيث يقول الأخ المتصدق: (واللهِ لم يعلم أحدٌ من عائلتها بصَدَقتي وإنما جعلتها خالصة لوجه الله تعالى، ولكن الله تعالى أحدث في عائلتها وبعض العارفين بأمرها من أهل الخير استنفارًا كاملًا لرعايتها ولإنقاذها من مرضها - ولله الحمد والمنة -) انتهى[١].

(١) «داووا مرضاكم بالصدقة» (ص: ١٣).

الفصل الحادي عشر: قصص عن الصائمين

٢٢٤- فإنها صوامة قوامة

عن قيس بن زيد أن النبي ﷺ طلق حفصة بنت عمر، فدخل عليها خالاها قدامة وعثمان ابنا مظعون، فبكت، وقالت: والله ما طلقني عن شبع، وجاء النبي ﷺ فقال: قال لي جبريل عليه السلام: «راجع حفصة، فإنها صوامة قوامة، وإنها زوجتك في الجنة»(١).

٢٢٥- إن أخاك لا حاجة له في الدنيا

قال عون بن أبي جحيفة، عن أبيه: أن رسول الله آخى بين سلمان وأبي الدرداء ؛ فجاءه سلمان يزوره، فإذا أم الدرداء متبذلة، فقال: ما شأنك؟

قالت: إن أخاك لا حاجة له في الدنيا، يقوم الليل، ويصوم النهار، فجاء أبو الدرداء، فرحب به، وقرب إليه طعامًا، فقال له سلمان: كل، قال: إني صائم، قال: أقسمت عليك لتفطرن، فأكل معه، ثم بات عنده، فلما كان من الليل، أراد أبو الدرداء أن يقوم، فمنعه سلمان وقال: إن لجسدك عليك حقا.

ولربك عليك حقا، ولاهلك عليك حقا؛ صم، وأفطر، وصل، وائت أهلك، وأعط كل ذي حق حقه، فلما كان وجه الصبح قال: قم الآن إن شئت ؛ فقاما، فتوضأ، ثم ركعا، ثم خرجا إلى الصلاة، فدنا أبو الدرداء ليخبر رسول الله بالذي أمره سلمان.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٢٩).

فقال له: «يا أبا الدرداء، إن لجسدك عليك حقا، مثل ما قال لك سلمان»[١].

٢٢٦- صُمْ يومًا وأفطر يومًا

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: زوجني أبي امرأة من قريش، فلما دخلت عليَّ جعلت لا أنحاش لها مما بي من القوة على العبادة من الصوم والصلاة، فجاء عمرو بن العاص إلى كَنّته حتى دخل عليها فقال لها: كيف وجدت بعلك؟ قالت: خير الرجال - أو كخير البعولة - من رجل لم يفتش لنا كنفًا، ولم يقرب لنا فراشًا، فأقبل عليَّ فعذمني، وعضني بلسانه فقال: أنكحتك امرأة من قريش ذات حسب، فعضلتها وفعلت ثم انطلق إلى النبي ﷺ فشكاني، فأرسل إليَّ النبي ﷺ فأتيته، فقال لي: «أتصوم النهار»؟ قلت: نعم، قال: «فتقوم الليل»؟

قلت: نعم، قال: «ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وأمسُّ النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» ثم قال: «اقرأ القرآن في كل شهر» قلت: إني أجدني أقوى من ذلك، قال: «فاقرأه في كل عشرة أيام» قلت: إنِّي أجدني أقوى من ذلك، قال: «فاقرأه في كل ثلاث» ثم قال: «صُمْ في كل شهر ثلاثة أيام» قلت: إني أقوى من ذلك، فلم يزل يرفعني حتى قال: «صُمْ يومًا وأفطر يومًا؛ فإنه أفضل الصيام وهو صيام أخي داود عليه السلام»، قال حُصَين في حديثه: ثم قال النبي ﷺ: «إن لكل عابد شِرَّة، وإن لكل شِرَّة فَتْرة، فإمَّا إلى سُنَّة وإمَّا إلى بدعة، فمن كانت فترته إلى سنة فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك». قال مجاهد: وكان عبد الله بن عمرو حين ضعف وكبر يصوم الأيام كذلك، يصل بعضها إلى

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤ / ١٨٢، ١٨٤).

بعض ليتقوى بذلك، ثم يفطر بعد ذلك الأيام، قال: وكان يقرأ من أحزابه كذلك يزيد أحيانًا وينقص أحيانًا، غير أنه يوفي به العدّة، إما في سبع وإما في ثلاث، ثم كان يقول بعد ذلك: لأن أكون قبلت رخصة رسول الله ﷺ أحب إليَّ مما عدل به - أو عدل -، لكنِّي فارقته على أمر أكره أن أخالفه إلى غيره[١].

٢٢٧- ما حملك على الصيام وأنت مسافر؟

عن عطية بن قيس، قال: دخل ناس من أهل دمشق على أبي مسلم وهو غاز في أرض الروم، وقد احتفر جورة في فسطاطه[٢]، وجعل فيها نطعا وأفرغ فيه الماء وهو يتصلق فيه[٣]، فقالوا: ما حملك على الصيام وأنت مسافر؟ قال: لو حضر قتال لأفطرت، ولتهيأت له وتقويت، إن الخيل لا تجري الغايات[٤] وهن بدن، إنما تجري وهن ضمر، ألا وإن أيامنا باقية جائية لها نعمل[٥].

٢٢٨- راحة هذا الجسد أريد

عن علقمة بن مرثد قال انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين منهم الأسود بن يزيد كان مجتهدا في العبادة يصوم حتى يخضر جسده ويصفر وكان علقمة بن قيس يقول له لم تعذب هذا الجسد قال راحة هذا الجسد أريد فلما احتضر بكى فقيل له ما هذا الجزع قال مالي لا أجزع ومن أحق

---

(١) أخرجه البخاري (٤ / ١٨٩، ١٩١).
(٢) الفسطاط: البيت من الشعر.
(٣) تصلق: تقلب وتلوى على جنبيه.
(٤) الغايات: النهايات، وفي الحديث: أنه ﷺ سبق بين الخيل وفضل القرح في الغاية.
(٥) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ١٠)، و«الحلية» (٢ / ١٢٧)، و«تاريخ ابن عساكر» (٩/ ١٧)، و«تاريخ الاسلام» (٣ / ١٠٤).

بذلك مني والله لو أتيت بالمغفرة من الله ﷻ لهمني الحياء منه مما قد صنعته إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه فلا يزال مستحيا منه ولقد حج الأسود ثمانين حجة(١).

٢٢٩- يا بنية إنما طلبت الرفق لنفسي

عن الشعبي، قال: غشي على مسروق في يوم صائف، وكانت عائشة قد تبنته، فسمى بنته عائشة وكان لا يعصي ابنته شيئًا.

قال: فنزلت إليه فقالت: يا أبتاه أفطر واشرب.

قال: ما أردت بي يا بنية؟ قالت: الرفق، قال: يا بنية إنما طلبت الرفق لنفسي في يوم

كان مقداره خمسين ألف سنة(٢).

٢٣٠- إنما أنا عبدٌ مملوكٌ

❁ **العلاء بن زياد.**

وقال هشام بن حسان: كان قوت العلاء بن زياد رغيفًا كل يوم، قال: وكان يصوم حتى يخضر، ويصلي حتى يسقط، فدخل عليه أنس والحسن فقالا: إن الله لم يأمرك بهذا كله، فقال: إنما أنا عبدٌ مملوكٌ لا أدع من الاستكانة شيئًا إلا جئته(٣).

❁ **معروف الكرخي.**

سأله رجل: يا أبا محفوظ كيف تصوم فبقي يغالطه ويقول: صوم نبينا ﷺ كان كذا، وصوم داوود كان كذا. فألح عليه فقال: أصبح دهري

(١) «حلية الأولياء» (٢/ ١٠٣).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٦٨).
(٣) «تاريخ الإسلام» للإمام الذهبي (٦/ ٤٤٧).

صائمًا، فمن دعاني) أكلت، ولم أقل إني صائم[١].

٢٣١- اللهم إذ حبستني عن ثلاث فلا تدعني في الدنيا ساعة.

قال مبارك بن فضالة قال: دخلت على ثابت في مرضه وهو في علو وكان لا يزال يذكر أصحابه فقال: يا إخوتاه لم أقدر أن أصلي البارحة كما كنت أصلي ولم أقدر أن أصوم كما كنت أصوم ولم أقدر أن أنزل إلى أصحابي فأذكر الله كما كنت أذكره معهم ثم قال: اللهم إذ حبستني عن ثلاث فلا تدعني في الدنيا ساعة. وعنه قال: كابدت الصلاة عشرين سنة وتنعمت بها عشرين سنة[٢].

٢٣٢- ولأصومن له أيام حياتي

زجلة العابدة مولاة معاوية.

عن أحمد بن سهل الأزدي قال دخل على زجلة العابدة نفر من القراء فكلموها في الرفق بنفسها فقالت مالي وللرفق بها فإنما هي أيام مبادرة فمن فاته اليوم شيء لم يدركه غدا والله يا إخوتاه لأصلين ما أقلتني جوارحي ولأصومن له أيام حياتي ولأبكين له ما حملت الماء عيناي ثم قالت أيكم يأمر عبده بأمر فيحب أن يقصر فيه

عباد بن عباد أبو عتبة الخواص قال دخلنا على زجلة العابدة وكانت قد صامت حتى اسودت وبكت حتى عمشت وصلت حتى أقعدت وكانت صلاتها قاعدة فسلمنا عليها ثم ذكرناها شيئًا من العفو أردنا ان نهون عليها الأمر هناك فشهقت ثم قالت علمي بنفسي قرح فؤادي وكلم قلبي والله لوددت أن الله لم يخلقني ولم أك شيئًا مذكورا ثم أقبلت على صلاتها

(١) «تاريخ الإسلام» للإمام الذهبي (١٣/ ٤٠٢).
(٢) «تاريخ الإسلام» للإمام الذهبي (٨/ ٥٦).

وتركناها فخرجنا من عندها[۱].

الفصل الثاني عشر: في رحاب الحج

۲۳۳- يطوف بالبيت سباحة

عن مجاهد: ما كان باب من العبادة يعجز عنه الناس إلا تكلفه ابن الزبير، ولقد جاء سيل طبق البيت، فطاف سباحة[۲].

۲۳٤- ما تعجبون من هذا

عن معاوية بن قرة، قال: كان مسلم بن يسار يحج كل سنة ويحجج معه رجالا من إخوانه، تعودوا ذلك، فأبطأ عاما حتى فاتت أيام الحج، فقال لاصحابه: اخرجوا، فقالوا: كيف؟ قال: لابد أن تخرجوا، ففعلوا استحياء منه، فأصابهم حين جن عليهم الليل إعصار شديد حتى كاد لا يرى بعضهم، بعضا، فأصبحوا وهم ينظرون إلى جبال تهامة، فحمدوا الله،

(۱) «صفة الصفوة» (٤/ ٤٠).
(۲) «تهذيب ابن عساكر» (٧ / ٤٠١).

فقال: ما تعجبون من هذا في قدرة الله تعالى[١].

٢٣٥- حجة الأزواعي

عن الوليد بن مسلم قال: ما رأيت أكثر اجتهادا في العبادة من الأوزاعي محمد بن سماعة الرملي: سمعت ضمرة بن ربيعة يقول: حججنا مع الاوزاعي سنة خمسين ومئة، فما رأيته مضطجعا في المحمل في ليل ولا نهار قط، كان يصلي، فإذا غلبة النوم، استند إلى القتب[٢].

٢٣٦- اللهم لا تجعله آخر العهد من هذا المكان

عن الحسن بن عمران بن عيينة إبن أخي سفيان بن عيينة قال حججت مع عمي سفيان آخر حجة حجها سنة سبع وتسعين ومائة فلما كنا بجمع وصلى استلقى على فراشه ثم قال قد وافيت هذا الموضع سبعين عاما أقول في كل سنة اللهم لا تجعله آخر العهد من هذا المكان وإني قد استحييت من الله من كثرة ما أسأله ذلك فرجع فتوفي في السنة الداخلة يوم السبت أول يوم من رجب سنة ثمان وتسعين ومائة ودفن بالحجون وهو إبن إحدى وتسعين سنة[٣].

عبد الله أحمد بن الجلاء يقول: كنت بذي الحليفة، وأنا أريد الحج، والناس يحرمون، فرأيت شابًا قد صب عليه الماء يريد الإحرام، وأنا أنظر إليه، فقال: يا رب، أريد أن أقول: لبيك اللهم، فأخشى أن تجيبني: لا لبيك ولا سعديك! وبقي يردد هذا القول مرارًا كثيرة، وأنا أتسمع عليه. فلما أكثر، قلت له: ليس لك بد من الإحرام. فقال: يا شيخ أخشى إن قلت: لبيك

(١) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥١٢)، و«تهذيب ابن عساكر» (١٦ / ٢٤٧).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ١١٩).
(٣) «صفة الصفوة» (٢/ ٢٣٧) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤٦٥).

أجابني بلا لبيك ولا سعديك، فقلت له: أحسن ظنك، وقل معي: لبيك اللهم لبيك، فقال: لبيك اللهم، وطولها، وخرجت نفسه مع قوله اللهم، وسقط ميتًا[١].

٢٣٧- اللهم إن كنت كتبتني في السعادة فأثبتني فيها

عن أبي عثمان النهدي قال: سمعت عمر بن الخطاب -وهو يطوف بالبيت- يقول: اللهم إن كنت كتبتني في السعادة فأثبتني فيها، وإن كنت كتبتني على الشقوة فامحني منها وأثبتني في السعادة فإنك تمحو ما تشاء وتثبت، وعندك أم الكتاب[٢].

٢٣٤- تمن على ذي العرش ما شئت

عن عمار بن عثمان قال سمعت هدابا يقول رأيت رجلا يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول في بطائه:

تمن على ذي العرش ما شئت إنه غني كريم لا يخيب سائلا

قال ثم شهق شهقة حتى ظننت أن نفسه ستخرج قال فقلت له ما شأنك رحمك الله قال أعظم الشأن شأني إني ندبت إلى أمر فقصرت عنه قال ثم غشي عليه[٣].

٢٣٩- يا خير من وفد الأنام إليه

عن محمد بن صالح قال بينا أنا في الطواف إذ نظرت إلى أعرابي بدوي متعلق بأستار الكعبة وقد شخص بصره نحو السماء وهو يقول يا

---

(١) «تاريخ بغداد» (٥/ ٢٦٦).

(٢) «أصول الاعتقاد» (١٢٠٧/٧٣٥/٤)، و«الإبانة» (١٥٦٥/١٣٢-١٣١/٩/٢)، و«مجموع الفتاوى» (٥٤٠/٨).

(٣) «صفة الصفوة» (٤/ ٤١٢).

خير من وفد الأنام إليه ذهبت أيامي وضعفت قوتي وقد وردت إلى بيتك المعظم المكرم بذنوب كثيرة لا تسعها الأرض ولا تغسلها البحار مستجيرا بعفوك منها وحططت رحلي بفنائك وأنفقت مالي في رضاك فماذا الذي يكون من جزائك يا مولاي ثم أقبل على الناس بوجهه فقال: يا معشر الناس ادعو لمن وكزته الخطايا وغمرته البلايا ارحموا أسير ضر وغريب فاقه سألتكم بالذي عمتكم الرغبة إليه إلا سألتم الله تعالى أن يهب لي جرمي ويغفر لي ذنوبي ثم عاود فتعلق بأستار الكعبة، وقال إلهي وسيد عظيم الذنب مكروب وعن صالح الأعمال مردود وقد أصبحت ذا فاقه إلى رحمتك يا مولاي قال محمد بن صالح ثم رأيته بعرفات وقد وضع يساره على أم رأسه يصرخ ويبكى ويشهق ويقول إليهي وسيدي ومولاي أضحكت الأرض بالزهر وأمطرت السماء بالرحمة والذي أعطيت الموحدين إن نفسي لواثقة لي ولهم منك بالرضا وكيف لا يكون كذلك وأنت حبيب من تحبب إليك وقرة عين من لاذ بك وانقطع إليك يا مولاي حقًا حقًا أقول لقد امرت بمكارم الأخلاق فاجعل وفودي إليك عتق رقبتي من النار[١].

٢٤٠- ما رأيت أعز منه وهو ينظر وأذل منى وأنا أجمعها

ابراهيم الخواص قال رأيت شابا في الطواف متزرا بعباءة متشحا بأخرى كثير الطواف والصلاة فوقع في قلبي محبته ففتح علي بأربعمائة درهم فجئت بها إليه وهو جالس خلف المقام فوضعتها على طرف عبائه وقلت له يا أخي اصرف هذه القطيعات في بعض حوائجك فقام وبددها في الحصا وقال يا أبراهيم اشتريت هذه الجلسة من الله تعالى بسبعين ألف دينار عين تريد أن تخدعني عن الله ﷻ بهذا الوسخ قال إبراهيم فما رأيت

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٤١٢).

أعز منه وهو ينظر وأذل منى وأنا أجمعها من بين الحصى ثم قام وذهب[١].

(١) «صفة الصفوة» (٤/ ٤١٣).

الفصل الثالث عشر قصص في رحاب القران

٢٤١-إني أشتهي أن أسمعه من غيري

قد كان النبي ﷺ حريصًا على قراءة القران والاستماع إليه من غيره وإليك طرفا من ذلك، فقد أمر عبد الله أن يقرأ عليه القرآن، فعن عبد الله بن مسعود قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ علي القرآن». قلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل، قال: «إني أشتهي أن أسمعه من غيري»، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء:٤١] فغمزني برجله فإذا عيناه تذرفان(١).

وفي رواية البخاري: «إني أحب أن أسمعه من غيري».

قال ابن بطال: يحتمل أن يكون أحب أن يسمعه من غيره ليكون عرض القرآن سنة ويحتمل أن يكون لكي يتدبره ويتفهمه، وذلك أن المستمع أقوي على التدبر ونفسه أخلي وأنشط لذلك من القارئ لاشتغالها بالقراءة وأحكامها(٢).

٢٤٣- كيف وجدت بعلك؟

۞ **حرص عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.**

عن عبد الله بن عمرو قال: زوجني أبي امرأة من قريش، فلما دخلت

---

(١) أخرجه أحمد (٣٨٠/١، رقم ٣٦٠٦)، ومسلم (٥٥١/١، رقم ٨٠٠)، والبخاري (١٩٢/٤).

(٢) «فتح البارئ» (ج ٨ ص١٢).

علي جعلت لا أنحاش لها، مما بي من القوة على العبادة، من الصوم والصلاة، فجاء عمرو بن العاص إلى كنته، حتى دخل عليها، فقال لها: كيف وجدت بعلك؟ قالت: خير الرجال أو كخير البعولة، من رجل لم يفتش لنا كنفا، ولم يعرف لنا فراشا، فأقبل علي، فعذمني، وعضني بلسانه، فقال: أنكحتك امرأة من قريش ذات حسب، فعضلتها، وفعلت، وفعلت ثم انطلق إلى النبي ﷺ فشكاني، فأرسل إلي النبي ﷺ فأتيته، فقال لي: " أتصوم النهار؟ " قلت: نعم، قال: " وتقوم الليل؟ " قلت: نعم، قال: " لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وأمس النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني "

قال: " اقرأ القرآن في كل شهر "، قلت: إني أجدني أقوى من ذلك، قال: " فاقرأه في كل عشرة أيام "، قلت: إني أجدني أقوى من ذلك، - قال أحدهما، إما حصين وإما مغيرة - قال: " فاقرأه في كل ثلاث "، قال: ثم قال: " صم في كل شهر ثلاثة أيام "، قلت: إني أقوى من ذلك، قال: فلم يزل يرفعني حتى قال: " صم يوما وأفطر يوما، فإنه أفضل الصيام، وهو صيام أخي داود " ﷺ "[1].

٢٤٤-تلك الملائكة دنت لصوتك

عن أسيد بن حضير قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده إذا جالت الفرس، فسكت فسكنت، فقرأ فجالت الفرس، فسكت وسكت الفرس ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف وكان ابنه يحيى قريبا منها فأشفق أن تصيبه، فلما اجتراه رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها، فلما أصبح حدث النبي ﷺ فقال له: اقر أبن حضير اقرأ يا بن حضير، قال فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى، وكان قربيا فانصرفت

(١) سبق تخريجه.

إليه فرفعت رأسي إلى السماء، فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح، فخرجت حتى لا أراها: قال وتدري ما ذاك، قال: لا قال تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم(١).

فتأمل حال هؤلاء الصالحين من الصحابة رضي الله عنهم وهم يقرءون القرآن بالليل، كانت بيوتهم تدوي مثل خليه النحل من قراءة القران وذكر الرحمن... فمكن الله تعالى لهم في الأرض وأبقي ذكرهم في الآخرين وأيدهم بملائكته المقربين.

٢٤٥-سل تعطى

وها هو يحي الليل بالقرآن ويسمع النبي ﷺ فيدعو له عن عبد الله أن رسول الله ﷺ مر بين أبي بكر وعمر وعبد الله قائم يصلي فافتتح سورة النساء يسجلها - يقرأها قراءة مفصله - فقال " من أحب أن يقرأ القرآن غضن كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد (فأخذ) عبد الله في الدعاء، فجعل رسول الله ﷺ يقول " سل تعطى (فكان) في ما سأل اللهم إني أسألك إيمانا لا يرتد، ونعيما لا ينفد ومرافقة نبيك محمد ﷺ في أعلى جنان الخلد فقال عمر: لأغدون على عبد الله ولأبشرنه بتأمين رسول الله ﷺ على دعاءه، فأتى عمر " عبد الله " فوجد أبا بكر خارجا قد سبقه فقال: إنك لسباق بالخير(٢).

٢٤٦- الله سماني لك؟

فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ " أرحم أمتي بأمتي أبو

---

(١) أخرجه أحمد (ح ١١٧٦٦)، والبخاري (ج ٥٠١٨)، وأخرجه مسلم (٧٩٦)، والنسائي في «الكبرى» (٨٢٤٤).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٤٤٥، ٤٥٤)، وأخرجه الحاكم بنحوه (٣ / ٣١٧)، وأبو يعلى (ح ٥٠٥٨)، وقال الألباني: صحيح. انظر حديث (رقم ٥٩٦١) في «صحيح الجامع».

بكر.... وأقرهم لكتاب الله أُبي بن كعب " واسمع إلى منزلة حامل لواء القرآن وكيف أن الله ذكره لنبيه ﷺ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال النبي ﷺ لأُبي بن كعب إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن وفي لفظ " أمرني أن أقرئك القرآن قال الله سماني لك؟ قال نعم، قال: وذكرت عند رب العالمين؟ قال نعم " فزرفت عيناه "[(١)].

٢٤٧- إن الليل إذا دخل علي هالني

عن سالم بن أبي بسطام قال: كان عمر بن المنكدر لا ينام الليل يكثر البكاء على نفسه فشق ذلك على أمه فقالت لأخيه محمد بن المنكدر إن الذي يصنع عمر يشق على فلو كلمته في ذلك، فاستعان عليه بأبي حازم فقالا له: إن الذي تصنع يشق على أمك، قال: فكيف أصنع؛ إن الليل إذا دخل علي هالني فاستفتح القرآن وما تنقضي نهمتي فيه، قال؛ فالبكاء؛ قال آية من كتاب الله قال وما هي؛ قال قوله: ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الزمر:٤٧][(٢)].

٢٤٨- قد ختم أخوك في هذه الزاوية ثمانية عشر ألف ختمه

عن أحمد بن مسروق قال سمعت الحماني لما حضرت أبا بكر بن عياش الوفاة بكت أخته، فقال لها: ما يبكيك؟ انظري إلى تلك الزاوية التي في البيت قد ختم أخوك في هذه الزاوية ثمانية عشر ألف ختمه[(٣)].

٢٤٩- إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين

---

(١) أخرجه مسلم (ح ٧٩٩)، وأخرجه الطيالسي (ص ٧٣، رقم ٥٣٩)، وأحمد (١٣٢/٥، رقم ٢١٢٤١).

(٢) «صفة الصفوة» (ج١ ص٣٢٠- ٣٢١).

(٣) «تاريخ بغداد» (١٤ / ٣٨٣)، و«صفة الصفوة» (ج٢ ص ٥٧٧-٥٧٨).

يقول عنه الأمام أحمد بن حنبل: حدثني يحي القطان وما رأت عيناي مثله. وعن سفيان قال: قال علي: كان يحيى يختم القرآن في يوم وليله ما بين المغرب والعشاء. وقال عنه يحيى بن معين: أقام يحي بن سعيد عشرين سنة يختم القرآن في كل ليلة ولم يفته الزوال في المسجد أربعين سنة وما رئي يطلب الجماعة قط. وكان ﵀ شديد الخوف من الله تعالى: إذا سمع القرآن اقشعر جلده ويلين قلبه من خشية الله تعالى.

عن علي بن عبد الله قال: كنا عند يحيي بن سعيد فقال لرجل اقرأ (حم) الدخان فلما أخذ في القراءة نظرت إلى يحيي ابن سعيد يتغير فلما بلغ: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الدخان:٤٠] صعق يحيى وغشي عليه وارتفع صدره من الأرض وتقوص وانقلب فأصاب الباب فقار ظهره وسال الدم صرخ النساء، فخرجنا فوقفنا بالباب حتى أفاق بعد كذا وكذا، ثم دخلنا فإذا هو نائم على فراشه وهو يقول إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين قال علي: فما زالت به تلك القرحة حتى مات ﵀[(١)].

٢٥٠- يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال

۞ سالم أحد القراء الأربعة الذين أمر النبي ﷺ بأخذ القرآن عنهم عاش بالقرآن ومع القرآن للقرآن ومات وهو يردد آياته فمن عاش على شيء مات عليه. ويبعث يوم القيامة عليه وهو يردد آيات الرحمن ففي معركة اليمامة التي كانت بين المسلمين وبين مسيلمة الكذاب قام أبو حذيفة وسالم ﵄ يضربان المثل في الشجاعة والأقدام والبحث عن الشهادة في سبيل الله، وكانت راية المهاجرين مع سالم وراية الأنصار مع ثابت بن قيس، ودارت رحي معركة ضروس وأظهر بنوا حنيفة ثابت منقطع

(١) «صفة الصفوة» (ج٢ ص٦٨٧)، و«سير أعلام النبلاء» (ج ١١٢/٨).

النظير... وعندها أخذ الصحابة يوصي بعضهم بعض وينادي بعضهم بعضا يا أصحاب سورة البقرة بطل السحر اليوم، وحفر ثابت بن قيس لقدميه في الأرض إلى أنصاف ساقية وهو حامل لواء الأنصار بعد ما تحنط وتكفن فلم يزل ثابتا حتى قتل هناك، وقال المهاجرين لسالم مولى أبي حذيفه أخشى أن نؤتى من قبلك؛ فقال بئس حامل القرآن أنا إذا، قال زيد بن خطاب: أيها الناس عضوا على أضراسكم واضربوا في عدوكم وامضوا قدما، قال والله لا أتكلم حتى يهزمهم، يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال وحمل فيهم حتى أبعدهم وأصيب ﷺ أما حامل لواء القرآن: فقد قام في وسط المعركة يشرق نور القرآن من وجهه ويردد آيات الرحمن حتى يثبت الأقدام. وقف سالم ﷺ وهو حامل اللواء بيمينه فقطعت ثم تناولها بشماله فقطعت ثم اعتنق اللواء وجعل يقرأ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران:١٤٤] إلى أن قتل(١).

٢٥١- يختم القران في قبره قبل أن يموت

عن عبد الله بن مسلم العبدي قال: قال مطرف لما حضره الموت اللهم خر لي في الذي قضيته على من أمر الدنيا والآخرة. قال وأمرهم أن يحملوه إلى قبره فختم فيه القرآن قبل أن يموت(٢) فرحمه الله ونور الله بالقرآن قبره حتى في حال السياق هو حريص على ختم القرآن في مكان لم يختم فيه أحد القرآن.

---

(١) «البداية والنهاية» (ج٦/ ٣٢٩)، و«أبو بكر الصديق ﷺ» (١ / ٦٠)، و«عمر بن عبد العزيز» (١ / ٦٧)، و«الكامل في التاريخ» (١ / ٣٧٤)، و«تاريخ الرسل والملوك» (٢ / ١٥٩).

(٢) «تاريخ دمشق» (٥٨ / ٣٣٤)، و«كتاب المختصرين» (١٢٦).

٢٥٢- أنوار سورة السجدة

وعن ثابت البناني ورجل آخر أنهما دخلا على مطرف وهو مغمي عليه قال: فسطعت معه ثلاثة أنوار من رأسه ونور من وسطه، ونور من رجليه، فها لنا ذلك فأفاق فقلنا كيف أنت يا أبا عبد الله قال: صالح، فقيل: لقد رأينا شيئًا هالنا قال: وما هو؛ قلنا أنوار ستطعت منك، قال: وقد رأيتم ذلك؛ قالوا نعم، قال: تلك تنزيل السجدة، تسع وعشرون آية، سطع أولها من رأسي ووسطها من وسطي وآخرها من قدمي وقد صورت تشفع لي، فهذه ثوابيه تحرسني. ا. هـ(١).

٢٥٣- قد شربت الساعة

قال عبد الله بن موسى سمعت الحسن بن صالح يقول لما احتضر أخي رفع بصره ثم قال: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء:٦٩].

وقال الحسن بن صالح: قال لي أخي وكنت أصلي يا أخي اسقيني قال فلما قضيت صلاتي أتتيه بماء فقال: قد شربت الساعة قلت من سقاك وليس في الغرفة غيرك وغيري؛ قال أتاني الساعة جبريل بماء فسقاني، وقال: أنت وأخوك وأمك مع الذين أنعم الله عليهم وخرجت نفسه(٢).

٢٥٤-﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾

أبو جهير مسعود الضرير رحمه الله..

عن إسماعيل بن نصر العبدي قال: نادي مناد في مجلس صالح

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (ج٥ ص١٨٧)، و«الطبقات الكبرى» (٧ / ١٤٥)، وهو في «الحلية» (٢/ ٢٠٦).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٧ / ٣٧١)، و«تاريخ الإسلام» للإمام الذهبي (١٠ / ١٣٥).

المري ليقيم الباكون والمشتاقون إلى الجنة، فقام أبو جهير فقال أقرا يا صالح: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾ [الفرقان:٢٣] فقال أبو جهير رددها يا صالح فما فرغ من الآية حتى مات أبو جهير(١).

٢٥٥- قتيل القرآن

علي بن الفضيل بن عياض رحمه الله.

قتيل القرآن كثير البكاء غزير الدمع شجي القلب قال الفضيل: أشرفت ليلة على علي وهو في صحن الدار وهو يقول النار ومتى الخلاص منها؟؟!! وقال لي: يا أبه سل الذي وهبني لك في الدنيا أن يهبني لك في الآخرة ثم قال: لم يزل منكسر القلب حزينا ثم بكي الفضيل ثم قال: كان يساعدني على الحزن والبكاء، يا ثمرة قلبي شكر الله لك ما قد علمه فيك

وقال إبراهيم بن بشار الآية التي مات فيها علي بن الفضيل في الأنعام: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾. مع هذا الموضع مات وكنت فيمن يصلي عليه(٢).

٢٥٦- عابد يموت عند سماع آية.

عن منصور بن عمار قال: حججت حجة فنزلت سكة من سكك الكوفة فخرجت في ليلة مظلمة، فإذا بصارخ يصرخ في جوف الليل وهو يقول: إلهي وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك، وقد عصيتك إذا

(١) «مصارع العشاق» (ص ٦٥).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٨ / ٤٤٦)، و«طبقات الصوفية» (٢٧١)، و«تاريخ بغداد» (٤ / ٢٧٦) «تهذيب الكمال» (٢١ / ١٠٥).

عصيتك، وما أنا بنكالك جاهل، ولكن خطيئة عرضت لي، أعانني عليها شقائي وغرني سترك المرخي علي وقد عصيتك بجهدي وخالفتك بجهلي، ولك الحجة علي فالآن من عذابك من يستنقذني؛ وبحبل من أتصل إذا قطعت حبلك مني واشباباه! واشباباه! قال: فلما فرغ من قوله تلوت آية من كتاب الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم:٦] الآية فسمعت حركة شديدة ثم لم أسمع بعدها حسا فمضيت فلما كان الغد رجعت من مدرجتي فإذا بجنازة قد وضعت، وإذا بعجوز كبيرة فسألتها عن أمر الميت ولم تكن عرفتني فقالت: هذا رجل لا جزاه الله وإلا جزاءه مر بابني البارحة وهو قائم يصلي فتلا آية من كتاب الله فلما سمعها ابني تفطرت مرارته فوقع ميتًا[(١)].

٢٥٧- قتيل القرآن وقتيل المواعظ والأحزان

قال رجاء بن ميسور بن المجاشعي. كنا في مجلس صالح المري وهو يتكلم فقال لفتى بين يديه اقرأ يا فتى فقرأ الفتى قول الله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ١٨﴾ [غافر:١٨] فقطع صالح عليه القراءة وقال كيف يكون لظالم حميم أو شفيع، والمطالب له رب العالمين؛ انك والله لو رأيت الظالمين وأهل المعاصي يساقون في السلاسل والأنكال إلى النار حفاة عراة مسودة وجوههم مزرقة عيونهم، ذائبة أجسادهم ينادون يا ويلنا يا ثبور ما نزل بنا؛ ماذا حل بنا؛ أين يذهب بنا؛ ماذا يريد منا؛ الملائكة تسوقهم بمقامع النيران فمرة يجرون على وجوههم ويسحبون عليها منكبين، ومرة يقادون إليها مقرنين من بين باك دما بعد انقطاع الدموع، ومن صارخ طائر القلب مبهوت أنك والله لو

(١) «المستدرك» للحاكم (ح ٣٨٢٩)، و«التوابين» (ص ٢٩٠).

رأيتهم على ذلك لرأيت منظرا لا يقوم له بصرك ولا يثبت له قلبك ولا تستقر لفظاعة هوله على قرار قدمك ثم نحب وصاح يا سوء منقلبا وبكى وبكى الناس.

فقام فتى من الأزد فقال: أكل هذا في القيامة يا أبا بشر؛ قال: نعم والله يا ابن أخي وما هو أكثر لقد بلغني أنهم يصرخون في النار حتى تنقطع أصواتهم، فما يبقي منها إلا كهيئة الأنين من المدنف فصاح الفتى، إنا لله وا غفلتاه عن نفسي أيام الحياة وا أسفاه على تفريطي في طاعتك يا سيداه وا أسفاه على تضيعي عمري في الدار الدنيا، ثم بكى واستقبل القبلة وقال: اللهم أني أستقبلك في يومي هذا بتوبة لا يخالصها رياء لغيرك اللهم فاقبلني على ما كان في، واعف عما تقدم من فعلي، وأقل عثرتي وارحمني ومن حضرني وتفضل علينا بجودك وكرمك يا أرحم الراحمين لك ألقيت معاقد الآثام من عنقي وإليك أنبت بجميع جوارحي صادقا لذلك قلبي، فالويل لي إن لم تقلبني ثم غلب فسقط مغشيا عليه فحمل بين القوم صريعا فمكث. صالح وأخوته يعودونه أياما ثم مات والحمد لله فحضره خلق كثير يبكون ويدعون له. فكان صالح كثيرًا ما يذكره في مجلسه فيقول، بأبي قتيل القرآن وبأبي قتيل المواعظ والأحزان[١].

٢٥٨- يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون

الشيخ أبي جعفر أحمد بن معتب بن أبي الأزهر ﷺ .

نقل القاضي عياض عن أبي العز أن أبا جعفر بن أحمد بن معتب بن أبي الأزهر الأزدي، كان عالما بالحديث والرجال، حسن التفسير، نقل القاضي يونس عن أبي العرب أن ابن معتب كانت له صلاة طويلة بالليل

(١) «حلية الأولياء» (٦ / ١٦٦)، و«مشاهد الناس عند الموت» (ص ٩٩)، و«سكب العبرات» (ج١ ص٤٠٦ – ٤٠٧).

بكاء، حتى يسمع جيرانه بكاءه وصراخه.

قال أبو بكر بن اللباد: حضرت مشهد الذكر يوم السبت لسبع خلون من ذي القعدة سنة سبع وستين ومائتين وأحمد بن معتب حاضر وكان له بكاء ونوح، وكان القراء إذا علموا به تحركوا فقرأوء وغيرها وأخذوا في التغير.

دع الدنيا لمن جهل الصوابا فقد خسر المحب لها وخاب

فلما وصلوا.

يظل نهاره يبكي ببث ويطوي الليل بالأحزان دابا

تحرك وبكي ثم قرأ قارئ: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [الزخرف:٦٨-٦٩].

فصاح بن معتب صيحة شديدة، ثم سقط على وجهه فأقام ساعة وأسند إنسان إلى صدره وكلم فلم يتكلم، وقد أغلق عينه ثم قاء شيئًا أخضر، فلما أنقضي المجلس، وختم بالدعاء أردنا أن نحمله على دابة فلم نستطع، إذا كان لا يثبت، فجئنا بمحمل على جمل واخرج من المسجد وكل من في المسجد يبكي كأنه مأتم حمل في شق الجمل وزامله ابن عم له، ثم أتي به إلى داره فقاء شيئًا أخضر ولم يتكلم. وتركناه لشأنه فلما كان بعد العشاء الآخرة توفي رحمه الله وما تكلم وما فتح عينه[1].

فرحمه الله من سيد سمع القرآن بقلب شاهد وسمع حاضر فمات من خشية الله تعالى.

٢٥٩- شاب يموت خوفا من الله عندما يسمع آية.

(١) «ترتيب المدارك وتقريب المسالك» (١/ ٣٢٩)، و«سكب العبرات» (ج١ ص٤٠٨-٤٠٩).

قال أبو الحسن علي بن محمد الأنصاري عن أبيه أنه قال: حضرت مسجد السبت القديم وكان مبنيا بالطوب، فقال القوالون أشعارا في الزهد، فبكى الناس بكاء عظيما حتى امتلأ المسجد بالبكاء وارتفعت بالبكاء أصواتهم فقال رجل جالس بجواري: لقد طاب المسجد اليوم فقال له رجل كبير السن شيخ: يا هذا حال المسجد عما كنا عاهدناه قبل هذا الوقت يعني تحول عم كان ثم قال أعرف أني حضرته يوما فقام بن السامة فقرأ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٤٠﴾ [فصلت:٤٠].

فقام شاب من الركن يبكي ويصح الأمان بالله.... فرجع القارئ إلى الآية من أولها فقال الشاب: الأمان بالله.. فرجع القارئ مرة ثلاثة فصاح الشاب الآمان بالله وخر ميتا -رحمه الله تعالى[١].

٢٦٠- يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَان

أبو حفص عمرو بن عبد الله بابن الأمام الصدفي رحمه الله .

لما أحتضر أبو حفص دعا بشراب فأتي به، ثم أومأ بيده إلى السلام فقلنا رأيت الملائكة؛ قال: رأيت، وجعل يومي بيده حتى فاضت نفسه، وقال بعضهم لما حضرت أبا حفص الوفاة، قال بشرت. قلت: بماذا.

قال: أما تقرأ: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ٢١﴾ [التوبة:٢١][٢].

٢٦١- من عاش على شيء مات عليه

(١) «سكب العبرات» (ج ١ ص ٤١١)، و«رياض النفوس» (ج ١ ص ٤٩٦).
(٢) «ترتيب المدارك وتقريب المسالك» (١ / ٣٨٧)، و«سكب العبرات» (ج١ ص ٤٢٣).

الشيخ عامر السيد عثمان شيخ القراء ﷺ .

كما ذكرت قبل ذلك أن من عاش على شيء مات عليه وتلك من سنة الله تعالى قال رسول الله ﷺ: (من مات على شيء بعث عليه)[١] يقول الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري في مقاله تباريح بالمجلة العربية حدثني أخي الشيخ محفوظ الشنقيطي مدير العلاقات بمجمع الملك فهد للمصحف الشريف عن شيخ القراء الشيخ عامر السيد عثمان - ﷺ تعالى أنه فقد حباله الصوتية في السنوات السبع الأخيرة من حياته وكان يدرس تلاميذه القراءة فلا يفصح لهم إلا بشهيق وإيماء ثم مرض مرض الوفاة وكان طريح السرير الأبيض بالمستشفي ففوجئ أهل المستشفي بالرجل المريض فاقد الحبال الصوتية يقعد ويدندن بكلام الله بصوت جهوري جذاب مدة ثلاثة أيام ختم فيهن القراءة من سورة الفاتحة إلى سورة الناس ثم أسلم الروح إلى بارئها[٢].

فهكذا حال العباد الزهاد من السلف ممن حرص على كتاب الله قراءة وتجويدا وعملا فعاش في رياض القرآن وختم حياته بكلام الرحمن فطوبى لقلب وعي عن الله تعالى كلامه وجعله هادية وقائدة إلى جنات تجري من تحتها الأنهار...

---

(١) أخرجه أحمد (٣١٤/٣، رقم ١٤٤١٣)، وأبو يعلى (١٨٤/٤، رقم ٢٢٦٩)، والحاكم (٣٤٨/٤، رقم ٧٨٧٢) وقال: صحيح الإسناد على شرط مسلم. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (رقم ٦٤١٩).

(٢) «سكب العبرات» (ج١ ص٤٥١- ٤٥٢)، والمجلة العربية (ع١٧١ ص٧٠- ٧١).

الفصل الرابع عشر: قصص المجاهدين في سبيل الله

٢٦٢- ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم

۞ عثمان بن عفان رضي الله عنه.

أما عثمان بن عفان فقد كان من المجاهدين في دين الله حق جهاده شارك في جميع ميادين الجهاد ومن أعظم ما قدم عثمان للإسلام جهاده بالنفس والمال في غزوة تبوك إذ هو رضي الله عنه مجهز جيش العسرة فقد أخرج الترمذي عن عبد الرحمن بن خباب قال شهدت النبي ﷺ وهو يحث على جيش العسرة فقال: عثمان بن عفان: يا رسول الله عليّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ثم حض على الجيش فقال عثمان بن عفان يا رسول الله عليّ ثلثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله فنزل رسول الله ﷺ وهو يقول: ما على عثمان ما عمل بعد هذه شيء[١] وأخرج الترمذي عن أنس والحاكم وصححه عن عبد الرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان إلي النبي عليه الصلاة والسلام بألف دينار حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجرة، فجعل رسول الله ﷺ يقلبها ويقول: ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم مرتين[٢].

٢٦٣- هذان خصمان اختصموا في ربهم

(١) أخرجه أحمد (ح ١٦٧٤٢)، وأخرجه الطيالسي وقال الألباني: (ضعيف - المشكاة ٦٠٦٣).

(٢) أخرجه الحاكم (ح ٤٥٥٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» وقال الألباني: إسناده حسن. انظر: «المشكاة» (ح ٦٠٦٤).

علي بن أبي طالب ﷺ

فإنه البطل الذي ما فر في ميدان النزال ولا عرف الخوف له سبيل لأنه نذر حياته للدفاع عن الإسلام وعن رسوله ﷺ وهاهي صور مشرقة من شجاعته وحرصه الشديد علي الجهاد في سبيل الله فعنه ﷺ قال: ما تقدم يعني عتبة بن ربيعه وتبعه ابنه وأخوه فنادي: من يبارز؛ فانتدب له شباب الأنصار فقال: من أنتم فأخبره فقال: لا حاجة لنا فيكم إنما أردنا بني عمنا فقال رسول الله ﷺ قم يا حمزة، قم يا علي، قم يا عبيد بن الحارث، فأقبل حمزة إلى عتبة وأقبلت إلى شيبة، واختلف بين عبيده، والوليد ضربتان فأثخن كل واحد منهما صاحبة ثم ملنا علي الوليد فقتلناه واحتملنا عبيده(١).

وعن قيس بن عباد عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة، وقال قيس بن عباد: وفيهم أنزلت) هذان خصمان اختصموا في ربهم (قال: هم الذين تبارزوا يوم بدر حمزة وعلي وعبيده، وأبو عبيده بن الحارث وشيبه بن ربيعه وعتبة بن ربيعه والوليد بن عتبة(٢).

٢٦٤- لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله أو يحبه الله ورسوله،

إن كان علي ﷺ قتل عمرو بن ود كبش الكتيبة وفارس العرب فها هو في معركة خيبر يضرب لنا مثلا أخر من الحرص الشديد على إعلاء كلمة الله، ففي حديث سلمة بن الأكوع عند مسلم قال: ثم أرسلني رسول الله ﷺ إلى علي وهو أرمد فقال: لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله أو

---

(١) رواه أبو داود (٢٦٦٥)، وأحمد (١/ ١١٧)، والبزار (ح ٧١٩)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (ح ٣٢٢١).

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٣٩٦٥)، و أخرجه ابن أبي شيبة (٣٦٢/٧، رقم ٣٦٧١٠).

يحبه الله ورسوله، قال: فأتيت عليا فجئت به أقوده وهو أرمد حتى أتيت به رسول الله ﷺ فبصق في عينيه فبرأ وأعطاه الراية وخرج، مرحب فقال:-

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح وبطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلهب

إذا الحروب أقبلت تلهب

فقال علي:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة كليث غابات كريه المنظره
أو فيهم بالصاع كيل السندره

قال: فضرب رأس: مرحب فقتله وكان الفتح على يديه(١).

يقول عنه ابن الجوزي: كان يشبه القمر الزاهر، والبحر الزاخر والأسد الحادر والربيع الباكر أشبه من القمر ضوءه وبهاءه، ومن الغراب حذره، ومن الديك سخاءه، ومن الأسد شجاعته ومضاءه، ومن الربيع خصبة وماءه، بادر الفضائل فكان في الأوائل وخاض بحر الشجاعة فلم يرض بساحل، وحاز العلوم فحار لجوابه السائل، ولازم السهر ليسمع، هل من سائل وزهد في الدنيا لأنها أيام قلائل(٢).

٢٦٥- شهيد يمشي على وجه الأرض

عن عائشة قالت: كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد قال: كان ذلك اليوم كله لطلحة، قال: قال كنت أول من فاء فرأيت رجلا يقاتل عن رسول الله ﷺ قال: فقلت كن طلحة قلت: حيث فاتني يكون رجل من قومي بيني

(١) أخرجه مسلم (رقم ١٨٠٧)، والطبراني في «الكبير» (ح ٦٢٥٨)، و«مسند أبي عوانة» (٤ / ٣١٢).

(٢) «التبصرة» (ج١ ص٣٦١ - ٣٦٢).

وبينه رجل من المشركين فإذا هو أبو عبيده فانتهيا إلى رسول الله ﷺ فقال: دونكما صاحبكما، يريد طلحة فإذا هو قد قطعت إصبعه فلما أصلحنا من شأنه وعن جابر رضي الله عنه قال: لما كان يوم أحد وولى الناس كان رسول الله ﷺ في ناحية في اثني عشر رجلا منهم طلحة فأدركه المشركون فقال النبي ﷺ: من للقوم؛ قال طلحة: أنا، قال كما أنت، فقال رجل أنا، قال: أنت فقاتل حتى قتل، ثم التفت فإذا المشركون فقال: من لهم، قال طلحة أنا، قال: كما أنت فقال رجل من الأنصار: أنا، قال: أنت فقاتل حتى قتل فلم يزل كذلك حتى بقي مع نبي الله " طلحة " فقال: من القوم؛ قال طلحة: أنا فقاتل قتال الأحد عشر حتى قطعت أصابعه فقال "حس" فقال رسول الله ﷺ: لو قلت بسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون، ثم رد الله المشركين[١]. فنال الشرف والتكريم من الله ورسوله ﷺ وأعطاه النبي ﷺ هذا الوسام فقال: من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله[٢].

٢٦٦- البطل الكرار

۞ الزبير يوم اليرموك.

يقول ابن كثير رحمه الله: وقد كان فيمن شهد اليرموك الزبير بن العوام وهو أفضل من هناك من الصحابة وكان من فرسان الناس وشجعانهم فاجتمع إليه جماعة من الأبطال يومئذ فقالوا:ألا تحمل فنحمل معك، فقال: أنكم لا تثبتوا فقالوا: بلي فحمل وحملوا: فلما واجهوا صفوف الروم أحجموا وأقدم هو فاخترق صفوف الروم حتى خرج من الجانب الأخر

---

(١) وأخرجه أحمد (ح ١٤٠١)، و عبد بن حميد (١٠٤).

(٢) أخرجه الحاكم (٤٢٤/٣، رقم ٥٦١٢)، وابن ماجه (٤٦/١، رقم ١٢٥)، وابن عساكر (٨٦/٢٥).

وعاد إلى أصحابه، ثم جاء وإليه مرة ثانية ففعل كما فعل في الأولى وجرح يومئذ جرحين بين كتفيه وفي رواية جرح، وقد روي البخاري معني ما ذكرناه في صحيحة[١].

إنهم رهبان بالليل فرسان بالنهار، تلك شهادة الأعداء والفضل ما شهدت به الأعداء.

٢٦٧- رهبان بالليل فرسان بالنهار

قال يحيى بن يحيى الغساني يحدث عن رجلين من قومه قال: لما نزل المسلمون بناحية الأردن، تحدثنا بيننا أن دمشق ستحاصر فذهبنا نتسوق منها قبل ذلك، فبينا نحن فيها إذا أرسل إلينا بطريقها فجئناه، فقال: أنتما من العرب؛ قلنا نعم؛ قال: وعلى النصرانية؛ قلنا: نعم فقال: ليذهب أحدكما فليتجسس لنا عن هؤلاء القوم ورايهم، وليثبت الأخر على متاع صاحبة، ففعل ذلك أحدنا فلبث مليا ثم جاء فقال: جئتك من عند رجال دقاق يركبون خيولا عتاقا، أما الليل فرهبان، وأما النهار ففرسان يرشون النبل ويبرونها، ويثقفون القنا، لو حدثت جليسك حديثًا ما فهمه عنك لما علا من أصواتهن بالقرآن والذكر، قال فالتفت إلى أصحابه وقال أتاكم منهم ما لا طاقة لكم به. ا.هـ.

٢٦٨- ويلكم أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم

عن أبي إسحاق قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يثبت لهم العدو فواق ناقة عند اللقاء، فقال هرقل وهو على إنطاكية لما قدمت منهزمة، ويلكم أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم؛ أليسوا بشرا مثلكم، قالوا بلى قال: فأنتم أكثر أم هم؛ قالوا: بلى نحن أكثر منهم أضعافا في كل

(١) «البداية والنهاية» (ج٤ ص١٦).

موطن، قال فما بالكم تنهزمون؛ قال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار ويوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويتناصفون بينهم، من أجل أنا نشرب الخمر ونزني ونرتكب الحرام وننقض العهد ونغضب ونظلم ونأمر بالسخط وننهى عما يرضي الله ونفسد في الأرض فقال: أنت صدقتني[١].

٢٦٩- يا أصحاب سورة البقرة بطل السحر اليوم

۞ **سالم مولي أبي حذيفة.**

كانت راية الهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة وراية الأنصار مع ثابت بن قيس واصطدم المسلمون والكفار؛ وقاتلت بنو حنيفة حلفاء مسيلمة الكذاب قتالا لم يعهد مثله وجعلت الصحابة يتواصون بينهم ويقولون: يا أصحاب سورة البقرة بطل السحر اليوم، وحفر ثابت بن قيس لقدميه في الأرض إلى أنصاف ساقيه، وهو حامل لواء الأنصار بعدما تحنط وتكفن فلم يزل ثابتا حتى قتل هناك، وقال المهاجرون لسالم مولي أبي حذيفة نخشى أن نؤتي من قبلك؛ فقال: بئس حامل القرآن أنا إذا؛ وقال زيد بن الخطاب أيها الناس عضوا على أضراسكم واضربوا في عدوكم وأمضوا قدما وقال: والله لا أتكلم حتى يهزمهم الله أو ألقى الله فأكلمه بحجتي فقتل شهيدا رضي الله عنه وقال أبو حذيفة يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال وحمل فيهم حتى أبعدهم وأصيب رضي الله عنه[٢].

٢٧٠- والله إني لأرجو أن استشهد

(١) «البداية والنهاية» (ج٤ ص٢٢)، و«تاريخ دمشق» (٢ / ٩٧)، و«عيون الأخبار» (١ / ٥٤).

(٢) «البداية والنهاية» (ج٦/ ٣٢٩)، و«عمر بن عبد العزيز» (١ / ٦٧).

كان ﷺ أعرج شديد العرج وكان له أربعة أبناء شباب يغزون مع رسول الله ﷺ فلما توجه إلى أحد أراد أن يخرج معه فقال له بنوه: أن الله جعل لك رخصة فلو قعدت ونحن نكفيك وقد وضع الله عنك الجهاد، فأتي عمرو رسول الله ﷺ فقال: إن بني هؤلاء يمنعونني أن أجاهد معك ووالله إني لأرجو أن استشهد، فأطا بعرجتي في الجنة فقال له: رسول الله: أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد، وقال لبنيه: وما عليكم أن تدعوه لعل الله ﷻ أن يرزقه الشهادة، فخرج مع سول الله ﷺ فقتل يوم أحد شهيدًا(١).

وعن أبي ضحي: أن عمرو بن الجموح قال لبنيه: أنتم منعتموني الجنة يوم بدر، والله لئن بقيت، لأدخلن الجنة، فلما كان يوم أحد قال عمر: لم يكن لي هم غيره، فطلبته فإذا هو في الرعيل الأول(٢).

٢٧١- هكذا يكون طلب الشهادة

❁ **حرص عبد الله بن جحش ﷺ.**

عن سعيد بن المسيب قال: قال عبد الله بن جحش: اللهم إني أقسم عليك أن ألقي العدو غدا فيقتلوني ويجدعوا أنفي وأذني ثم تسألني بما ذاك فأقول فيك، قال: سعيد بن المسيب إني لأرجو أن يبر أخر قسمه كما برا أوله(٣).

٢٧٢- لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع

❁ **حرص أنس بن النضر ﷺ.**

---

(١) رواه ابن هشام (١٣٩/٨) عن ابن إسحاق وبعضه في «المسند» (٢٩٩/٥)، وصحح الألباني إسناده في «تحقيق السيرة» (هامش ٢٨١).

(٢) «السير» (ج٣ ص١٥١).

(٣) «الخصائص الكبرى» (١ / ٣٦٦)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٣ / ٢٧٣)، و«تاريخ الإسلام» للإمام الذهبي.

عن أنس بن مالك قال: غاب عمي أنس بن النضر، عن قتال بدر فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين: لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد أنكشف المسلمون، قال:اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد، قال: سعد فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا بضعا وثمانين ضربه بالسيف أو طعنه بالرمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل، ومثل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه(١).

٢٧٣- سقيناهموا كأسا سقونا بمثلها ولكننا كنا على الموت اصبرا.

مع بطل لا كالأبطال، ومع سيرة لا كالسير.

يقول عنه الأمام الذهبي: البطل الكرار صاحب رسول الله ﷺ وأخو خادم النبي ﷺ شهدا أحد وبايع تحت الشجرة. وقيل: كتب عمر بن الخطاب إلى أمراء الجيش لا تستعملوا البراء علي جيش فإنه مهلكة من المهالك يقدم بهم. لسان حال البراء:

رضينا بك اللّٰهُمَّ ربا وخالقا ... وبالمصطفي المختار نورا وهاديا

فأما حياة نظم الوحي سيرها ... وإلا فموت لا يسر ألا عاديا

وهيا لنقرأ تلك الصفحات التي تشهد له بالشجاعة والحرص على إعلاء كلمة الحق والموت في سبيل الله

۞ **البراء وحديقة الموت.**

(١) أخرجه البخاري (ج٧/٣٥٤- ٣٥٥) ومسلم، وأخرجه الطيالسي (ص ٢٧٢، رقم ٢٠٤٤)، والترمذي (٣٤٨/٥).

يقول الذهبي رحمه الله: بلغنا أن البراء يوم حرب مسيلمة الكذاب أمر أصحابه أن يحملوه على ترس على أسنة رماحهم، ويلقوه في الحديقة فاقتحم إليهم وشد عليهم وقاتلهم حتى فتح باب الحديقة فخرج يومئذ بضعة وثمانين جرحا، ولذلك أقام خالد بن الوليد عليه شهرا يداوي جراحه حاله.

سقيناهموا كأسا سقونا بمثلها ولكننا كنا علي الموت اصبرا

٢٧٤- أتخشى علي أن أموت على فراشي

عن ابن سيرين، قال: قال الأشعري - يعني في حصار تستر - للبراء بن مالك: إن قد دللنا على سرب يخرج إلى وسط المدينة، فانظر نفرا يدخلون معك فيه.

فقال البراء لمجزأة بن ثور: انظر رجلًا من قومك طريفًا جلدًا.

فسمه لي.

قال: ولم؟ قال: لحاجة.

قال: فإني أنا ذلك الرجل..

قال: دللنا على سرب، وأردنا أن ندخله.

قال: فأنا معك.

فدخل مجزأة أول من دخل، فلما خرج من السرب، شدخوه بصخرة، ثم خرج الناس من السرب، فخرج البراء، فقاتلهم في جوف المدينة، وقتل رضي الله عنه، وفتح الله عليهم[١].

وعن أنس أنه دخل علي أخيه البراء وهو يتغني فقال: تغني؛ قال:

(١) «سير أعلام النبلاء» (١ / ١٩٧).

أتخشى علي أن أموت على فراشي وقد قتلت تسعة وتسعين نفسا من المشركين مبارزة سوي ما شاركت فيه المسلمين؛ وفي رواية يا أخي تتغنى بالشعر وقد أبدلك الله بالقرآن(١).

٢٧٥- يا للأنصار كرة كيوم حنين

❁ أبي عقيل الأنيقي رضي الله عنه.

عن جعفر بن عبد الله بن أسلم الهمداني رضي الله عنه قال: لما كان يوم اليمامة كان أول الناس جرح أبو عقيل الأنيقي رضي الله عنه رمي بسهم فوقع بين منكبيه وفؤاده فشطب في غير مقتل فأخرج السهم ووهن له شقة الأيسر لما كان فيه وهذا أول النهار وجر إلى الرحل فلما حمي القتال وانهزم المسلمون وجاوزا رحالهم وأبو عقيل واهن من جرحه سمع معن بن عدي رضي الله عنه يصيح بالأنصار: الله أكبر والكرة على عدوكم وأعتق معن يقدم القوم وذلك حين صاحت الأنصار أخلصونا أخلصونا فأخلصوا رجلا، رجلا يميزون، قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه فنهض أبو عقيل يريد قومه فقلت ما تريد يا أبا عقل ما فيك قتال؛ قال: نوه المنادي باسمي، قال ابن عمر فقلت: إنما يقول يا للأنصار، لا يعني الجرحى، قال أبو عقيل: أنا رجل من الأنصار، وأنا أجيبه ولو حبوا، قال عمر: فتحزم أبو عقيل وأخذ السيف بيده اليمني مجردا، ثم جعل ينادي: يا للأنصار كرة كيوم حنين فاجتمعوا رحمهم الله جميعا يقدمون المسلمين دربة دون عدوهم حتى اقتحموا عدوهم الحديقة فاختلطوا واختلفت السيوف بينهم قال ابن عمر: فنظرت إلي أبي عقيل وقد قطعت يده المجروحة من المنكب فوقعت الأرض وبه من الجراح أربعة عشر جرحا كلها قد خلصت إلى مقتل،

(١) «سير أعلام النبلاء» (١ / ١٩٨).

وقتل عدو الله مسيلمة قال ابن عمر: فوقعت على أبي عقيل وهو صريع بآخر رمق فقلت: يا أبا عقيل: فقال لبيك بلسان ملتاث[١] لمن الدبرة؛ قال قلت: أبشر ورفعت صوتي، قد قتل عدو الله فرفع إصبعه إلى السماء يحمد الله ومات، قال ابن عمر فأخبرت عمر رضي الله عنه بعد أن قدمت خبرة كله، فقال رضي الله عنه ما زال يسأل الشهادة ويطلبها وإن كان ما علمت من خيار أصحاب نبينا ﷺ وقديم إسلام[٢].

٢٧٦- خل عني يا خالد فإنه قد كان لك مع رسول الله سابقة

أخرج يعقوب بن أبي سفيان، وابن عساكر عن ثابت البناني رضي الله عنه أن عكرمة ابن أبي جهل رضي الله عنه ترجل يوم كذا وكذا فقال له خالد بن الوليد رضي الله عنه لا تفعل فأن قتلك على المسلمين شديد فقال خل عني يا خالد فإنه قد كان لك مع رسول الله سابقة وإني وأبي كنا من أشد الناس على رسول الله ﷺ فمشي حتى قتل[٣].

٢٧٧- من يبايع على الموت؟

وعن سيف بن عمر عن أبي عثمان عن أبيه رضي الله عنه قال: قال عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه يوم اليرموك، قاتلت رسول الله ﷺ في مواطن وأفر منكم اليوم، ثم نادي: من يبايع علي الموت؛ فبايعه عمه الحارث بن هشام وضرار بن الأزور رضي الله عنهما في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم قدام فسطاط خالد رضي الله عنه حتى أثبتوا جميعا جراحا وقتل منهم خلق منهم ضرار

---

(١) لسان ملتاث: لا يستطيع النطق ولا يحسنه.

(٢) «الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء» (٣ / ٦٣)، و«الطبقات الكبرى» (٣ / ٤٧٤).

(٣) أخرجه ابن عساكر (٦٩/٤١)، «التاريخ الصغير» (١ / ٧٣)، و«تاريخ دمشق» (٤١ / ٦٩).

ابن الأزور ﷺ قال الذهبي: قال أبو إسحاق السبيعي: نزل عكرمة يوم اليرموك فقاتل قتالا شديدا، ثم استشهد فوجـــدوا به بضعـــا وسبعين من طعنة ورمية وضربة[١].

٢٧٨- أنا أسد الله

حمزة ﷺ يوم بدر. عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمير قال: خرجت أنا وعبيد الله بن عدي بن الخيار في زمن معاوية غازيين فمررنا بحمص، وكان وحشي بها، فقال ابن عدي: هل لك أن تسأل وحشا كيف قتل حمزة؛ فخرجنا نريده... فسألنا عنه فقيل لنا: إنكما ستجدانه بفناء دار علي طنفسة له، وهو رجل قد غلب عليه الخمر، فان تجداه صاحيًا تجدا رجلًا عربيًا فأتيناه، فإذا نحن بشيخ كبير أسود مثل البغاث[٢] على طنفسة له، وهو صاح فسلمنا عليه، فرفع رأسه إلى عبيد الله بن عدي فقال: ابن عدي والله ابن الخيار أنت؛ قال: نعم فقال: والله ما رأيتك منذ ناولتك أمك السعدية التي أرضعتك بذي طوي وهي علي بعيرها فلمعت لي قدماك، قلنا: أنا أتينا لتحدثنا كيف قتلت حمزة؛ قال سأحدثكم بما حدثت به رسول الله ﷺ كنت عبد جبر بن مطعم وكان عمه طعيمة بن عدي قتل يوم بدر فقال لي: أن قتلت حمزة، فأنت حر، وكنت صاحب حربة أرمي، قلما أخطي بها، فخرجت مع الناس فلما التقوا أخذت حربتي وخرجت أنظر حمزة، حتى رأيته في عرض الناس مثل الجمل الأورق، يهد الناس بسيفه هدا، ما يليق به شيئًا فوالله إني لأتهيأ له إذا تقدمني إليه سباع بن عبد العزي الخزاعي فلما رآه حمزة قال: هلم إلي يا ابن مقطعة البظور ثم

---

(١) «السير» للذهبي (ح ٣ ص١٩٣)، و«الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء» (٣ / ٢٨٥).

(٢) البغاث: طائر أصغر من لرخم.

ضربة حمزة فوالله لكأن ما أخطا رأسه ما رأيت شيئًا قط كان أسرع من سقوط رأسه فهززت، حربتي حتى إذا رضيت عنها دفعتها عليه، فوقعت ثنته[١] حتى خرجت من بين رجليه، فوقع فذهب لينوء، فغلب فتركته إياها، حتى إذا مات قمت إليه فأخذت حربتي ثم رجعت إلي العسكر، فقعدت فيه ولم يكن لي حاجة بغيرة[٢].

وعن سعد بن أبي وقاص قال: كان حمزة يقاتل يوم أحد بين يدي رسول الله ﷺ بسيفين ويقول: أنا أسد الله[٣].

٢٧٩- والله ما ولدت النساء مثله

۞ بسر بن أرطأة رضي الله عنه.

عن العلاء بن سفيان الحضرمي قال: غزا بسر بن أرطأة الروم فجعلت ساقته لا تزال تصاب فيكمن لهم الكمين، فيصاب الكمين، فلما رأي ذلك تخلف في مائة من جيشه، فانفرد يوما في بعض أودية الروم فإذا براذين[٤] مربوطة نحو ثلاثين والكنيسة إلى جانبهم فيها فرسان البراذين الذين كانوا يعقبونه في ساقته، فنزل عن فرسه فربطه، ثم دخل الكنيسة فأغلق عليه وعليهم بابها، فجعلت الروم تتعجب من إغلاقه، فما استقلوا إلى رماحهم حتى صرع منهم ثلاثة وفقده أصحابه فطلبوه فأتوا فعرفوا فرسه، وسمعوا الجلبة في الكنيسة، فأتوهم فإذا بابها مغلق فقلعوا بعض

---

(١) الثنة: ما بين السرة والعانة.

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٤٠٧٢)، و«أسد الغابة» (١/ ١١٠٤)، و«تاريخ دمشق» (٦٢ / ٤٠٨).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١/ ١٧٧)، وأخرجه ابن سعد (٣/ ١/ ٦)، والحاكم (٣/ ١٩٤). وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه بن سعد في «الطبقات» (ج٢ ص٩)، و«السيرة الحلبية» (٢/ ٥٠٢)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٣ / ٢٦٠).

(٤) البراذين: جمع برذون ويطلق علي غير العربي من الخيل والبغال عظيم الخلقة.

السقف ونزلوا عليهم وبسر ممسك طائفة من أمعائه بيده اليمني فلما تمكن أصحابه من الكنيسة سقط بسر مغشيا عليه، فأقبلوا على أولئك فأسروا وقتلوا فأقبلت عليهم الأسارى فقالوا: ننشدكم الله من هذا؛ فقالوا والله ما ولدت النساء مثله فعمدوا إلى أمعائه فردوه في جوفه ولم ينخرق منه شيء، ثم عصبوه بعمائمهم ثم خاطوه فسلم وعوفي(١).

٢٨٠- حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة

❁ عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه.

عن أبي رافع، قال: وجه عمر بن الخطاب رضي الله عنه جيشًا إلى الروم، وفيهم رجل يقال له عبد الله بن حذافة من أصحاب النبي ﷺ، فأسره الروم فذهبوا به إلى ملكهم، فقالوا: إن هذا من أصحاب محمد، فقال له الطاغية: هل لك أن تتنصر وأشركك في ملكي وسلطاني؟ فقال له عبد الله: " لو أعطيتني جميع ما تملك، وجميع ما ملكته العرب - وفي رواية القطان: وجميع مملكة العرب - على أن أرجع عن دين محمد ﷺ طرفة عين، ما فعلت "، قال: إذا أقتلك، قال: " أنت وذاك "، قال: فأمر به فصلب، وقال للرماة: ارموه قريبا من يديه قريبا من رجليه وهو يعرض عليه، وهو يأبى، ثم أمر به فأنزل، ثم دعا بقدر وصب فيها ماء حتى احترقت، ثم دعا بأسيرين من المسلمين، فأمر بأحدهما فألقي فيها وهو يعرض عليه النصرانية وهو يأبى، ثم أمر به أن يلقى فيها، فلما ذهب به بكى، فقيل له: إنه بكى فظن أنه رجع، فقال: ردوه فعرض عليه النصرانية فأبى، قال: فما أبكاك؟ قال: " أبكاني أني قلت هي نفس واحدة تلقى هذه الساعة في هذا القدر فتذهب، فكنت أشتهي أن يكون بعدد كل شعرة في جسدي نفس تلقى

(١) «تهذيب الكمال» (٤ / ٦٣)، و«مختصر تاريخ دمشق» (٢ / ١٧٦).

هذا في الله ﷻ "، قال له الطاغية: هل لك أن تقبل رأسي وأخلي عنك؟ قال عبد الله: " وعن جميع أسارى المسلمين؟ " قال: وعن جميع أسارى المسلمين، قال عبد الله: " فقلت في نفسي عدو من أعداء الله أقبل رأسه ويخلي عني وعن أسارى المسلمين لا أبالي قال فدنا منه وقبل رأسه "، فدفع إليه الأسارى، فقدم بهم على عمر فأخبر عمر بخبره، فقال: حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة، وأنا أبدًا فقام عمر فقبل رأسه[١].

٢٨١- قوموا إلى الجنة عرضها السماوات والأرض

❁ **عمير بن الحمام** رضي الله عنه.

عن أنس رضي الله عنه قال انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر ن وجاء المشركون، فقال رسول الله ﷺ لا يقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه " فدنا المشركون فقال: رسول الله ﷺ قوموا إلى الجنة عرضها السماوات والأرض قال عمير بن الحمام: يا رسول الله جنة عرضها السماوات والأرض!! قال نعم قال: بخ بخ. فقال رسول الله ﷺ " ما يحملك على قولك بخ بخ؛ قال " لا والله إلا رجاء أن أكون من أهلها قال " فأنك من أهلها فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال أن أنا حييت حتى أكل تمرات هذه أنها لحياة طويلة فرمي بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل[٢].

٢٨٢- من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا

❁ **مالك بن سنان.**

---

(١) «السير» (ج٣ ص٣٥٠)، و«أسد الغابة» (٣ / ٢١٢).

(٢) أخرجه أحمد (ح ١٢٣٩٨)، وأخرجه عبد بن حميد (١٢٧٢)، ومسلم (١٩٠١)، وأبو داود (٢٦١٨).

في يوم أحد امتص مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري الدم من وجنته ﷺ حتى أنقاه، فقال مجه، فقال والله لا أمجه أبدًا ثم أدبر يقاتل، فقال النبي ﷺ من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا فقتل شهيدًا رضي الله عنه (١).

٢٨٣- غسيل الملائكة

❁ حنظلة بن عامر غسيل الملائكة.

تزوج " حنظله " جميلة بنت عبد الله بن أبي سلول فأدخله في الليلة التي صبيحتها كان قتال أحد وكان، قد استأذن الرسول ﷺ أن يبيت عندها فأذن له، فلما صلي غدا يريد رسول الله ﷺ بأحد ثم مال إلى جميلة فأجنب منها جامعها، وكانت أرسلت إلى أربعة من قومها فأشهدتهم أنه دخل بها فقيل لها في ذلك فقالت: رأيت كأن السماء قد فرجت له فدخل فيها ثم أطبقت فقلت هذه الشهادة، وعلقت بعبد الله بن حنظلة لأبي سفيان بن حرب فضرب عرقوب فرسه فوقع أبو سفيان فحمل رجل منهم علي حنظلة فأنفذه بالرمح فقال رسول الله ﷺ أني رأيت الملائكة تغسل حنظلة بن عامر بين السماء والأرض بماء المزن في صحاف الفضة. قال أبو سيد الساعدي: فذهبنا فنظرنا إليه فإذا رأسه يقطر ماء فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته أنه خرج وهو جنب، فولده يقال لهم: " بنو غسيل الملائكة " وفي رواية " فسألوا صاحبته عنه زوجته فقالت: انه خرج لما سمع الهائعة وهو جنب(٢).

٢٨٤-حرص أم عمارة رضي الله عنها

(١) «تاريخ الإسلام» (ج ١ ص ٢١١).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٢٠٤)، و«الطبقات الكبرى» (٥ / ٦٦)، و«تاريخ دمشق» (٢٧ / ٤٢٢).

ذكر بن هشام عن سعيد بن أبي زيد الأنصاري ﷺ قال: أن أم سعد بنت سعد الربيعي ﷺ كانت تقول: دخلت على أم عمارة ﷺ فقلت يا خالة: أخبريني خبرك.

فقالت: خرجت أول النهار أنظر ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء فانتهيا إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ فقمت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمي عن القوس حتى خلصت الجراح إليّ، قالت: فرأيت على عاتقها جرحا أجوف له غور، فقلت لها: من أصابك هذا؛ قالت: ابن قمئة أقمأة الله[١] لما ولى الناس عن رسول الله أقبل يقول: دلوني على محمد ﷺ لانجوت إن نجا، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير ﷺ وأناس ممن ثبت مع رسول الله ﷺ فضربني هذه الضربة، ولقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدو الله كان عليه درعان[٢].

٢٨٥- ما التفت يمينا ولا شمالا إلا وأنا أراها تقاتل دوني

وأخرج ابن سعد من طريق الواقدي: عن ضمرة بن سعيد ﷺ قال: أتى عمر بن الخطاب ﷺ بمروط وكان فيه مرط جيد واسع، فقال بعضهم إن هذا المرط لثمن كذا وكذا فلو أرسلت به إلى زوجة عبد الله بن عمر: صفية بنت أبي عبيد ﷺ وذلك حدثان[٣]ما دخلت علي ابن عمر ﷺ، فقال: أبعث به إلى من هو أحق به منها: أم عمارة نسيبه بنت كعب ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما التفت يمينا ولا شمالا إلا وأنا أراها

---

(١) أقماة الله: أذله الله.

(٢) «السيرة النبوية» لابن كثير (٣ / ٦٧)، وسيرة ابن هشام (٢ / ٨١).

(٣) حدثان: أي أول زواجها.

تقاتل دوني[١].

٢٨٦- صفية بنت عبد المطلب ﵂ عمة رسول الله ﷺ

وأخرج ابن سعد عن هشام عن أبيه أن صفية ﵂ جاءت يوم أحد وقد أنهزم الناس وبيدها رمح تضرب به في وجههم فقال النبي ﷺ يا زبير ﵁ المرأة -أي حافظ عليها وهي أم الزبير-.

صفية ﵂ يوم الخندق[٢].

٢٨٧- مالي بسلبه يا ابنة عبد المطلب

وأخرج ابن إسحاق عن عباد قال: كانت صفية بنت عبد المطلب ﵂ في فارع حصن حسان بن ثابت ﵁ قالت: وكان حسان ﵁ معنا فيه مع النساء والصبيان، فمر بنا رجل من يهود فجعل يطوف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ وليس بيننا وبينهم أحدًا يدفع عنا ورسول الله ﷺ والمسلمون في نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا، وإذا أتانا آت فقلت يا حسان: إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن واني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود وقد شغل رسول الله ﷺ وأصحابه فانزل إليه فاقتله، قال: يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا قالت: فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيئًا احتجزت[٣] ثم أخذت عمودا ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته، فلما فرغت منه رجعت إلى

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٨ / ٣٠٣)، وذكره المتقي الهندي في «الكنز» (٣٧٥٨٩).

(٢) «الإصابة في تمييز الصحابة» (٧ / ٧٤٤)، و«الطبقات الكبرى» (٨ / ٤١)، و«نساء حول الرسول» (١ / ١١٤).

(٣) احتجزت أي: شددت وسطي.

الحصن فقلت: يا حسان انزل فاسلبه فإنه يمنعني من سلبه إلا انه رجل قال: مالي بسلبه يا ابنة عبد المطلب[١].

٢٨٨- إن دني مني مشرك بقرت بطنه

❁ أم سليم الغميصاء رضي الله عنها.

عن أنس رضي الله عنه أن أم سليم أعدت خنجرًا يوم حنين فقال أبو طلحة يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجرا!!! فقالت يا رسول الله إن دني مني مشرك بقرت بطنه[٢].

٢٨٩- هذا ابني يقاتل عنك

❁ امرأة من الأنصار تقدم صبيها ليجاهد في سبيل الله.

أخرج ابن أبي شيبه عن الشعبي أن امرأة دفعت إلى ابنها يوم أحد السيف فلم يطق حمله، فشتدته على ساعده بنسعة ثم أتت به النبي ﷺ قالت: يا رسول الله ﷺ هذا ابني يقاتل عنك فقال النبي ﷺ: أي بني أحمل هاهنا أي بني أحمل هاهنا فأصابته جراحه فصرع فأتى به النبي ﷺ فقال ﷺ أي بني لعلك جزعت قال: لا يا رسول الله[٣].

٢٩٠- كلاكما قتله

تعال أخي لنعيش مع هذا المشهد الرائع لغلامين من أبناء الأنصار وهم في أرض المعركة يوم بدر عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: إني لواقف يوم بدر في الصف فنظرت عن يميني وشمالي فإذا أنا بين

---

(١) «أسد الغابة» (١ / ٢٥٦) إسناده قوي، أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (٢/ ١٣٧).

(٢) أخرج مسلم (رقم ١٨٠٩)، وأحمد (٣/ ١٠٩- ٢٧٩) وغيرهما، و«سير أعلام النبلاء» (٢ / ٣٠٤).

(٣) «حياة الصحابة» للكاندهلوي (٢ / ١٣٣).

غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما، فتمنيت أن أكون بين أظلع منهما فعزني أحدهما فقال: يا عم أتعرف أبا جهل؛ فقلت: نعم وما حاجتك إليه؛ قال؛ أخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر فقال: لي أيضًا مثله، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل وهو يجول في الناس فقلت: آلا تريان؛ هذا صاحبكم الذي تسألان عنه فابتدراه بسيفهما فضرباه حتى قتلاه ثم انصرفا إلى النبي ﷺ فأخبراه فقال: آيكما قتله؛ قال كل منهما أنا قتلته، قال هل مستحما سيفكما؛ قال فنظر النبي ﷺ في السيفين فقال كلاهما قتله، وقضي بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح والآخر ومعوذ بن عفراء[١].

٢٩١- إني أخاف أن يراني رسول الله ﷺ

❁ **الأطفال الأبطال يسارعون للانضمام إلى صفوف المقاتلة في سبيل الله.** أخرج بن عساكر عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: رد رسول الله ﷺ عمير بن أبي وقاص رضي الله عنه عن مخرجه إلى بدر واستصغره فبكى عمير بن أبي وقاص رضي الله عنه فأجازه، قال سعد: فقعدت عليه حمالة بسيفه ولقد شهدت بدرا وما في وجهي ألا شعره واحدة أمسحها بيدي[٢].

وأخرج ابن سعد، عن سعد بن أبي وقاص: رضي الله عنه قال: رأيت أخي عمير بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله ﷺ يوم بدر يتواري فقلت مالك يا أخي؛ قال إني أخاف أن يراني رسول الله ﷺ فيستصغرني

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٤١)، ومسلم (١٧٥٢)، وأبو يعلى (٨٦٦)، والطحاوي (٢٢٧/٣-٢٢٨)، وابن حبان (٤٨٤٠).

(٢) «السيرة النبوي» لأبي فارس (ص٣١٧) نقل عن «صفة الصفوة» (٢٩٤/١)، و«المستدرك» (١٨٨/٣)، و«الإصابة» (٣٥/٣).

فيردني، وأنا أحب الخروج لعل الله أن يرزقني الشهادة قال: فعرضني على رسول الله ﷺ فرده فبكي، فأجازه، فكان سعد رضي الله عنه يقول فكنت أعقد حمائل سيفه من صغره فقتل وهو ابن ست عشر سنه(١).

٢٩٢- غزوة أحد واستعراض النبي ﷺ جيشه.

عندما وصل النبي ﷺ إلى مقام يقال له " الشيخان " استعرض جيشه فرد من استضغره ولم يره مطيقا للقتال، وكان منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب، وأسامة بن زيد، وأسيد بن ظهير، وزيد بن ثابت، وزيد بن أرقم، وعرابة بن أوس، ويذكر في هؤلاء البراء بن عازب ولكن حديثه في البخاري يدل على شهوده القتال في ذلك اليوم وأجاز رافع بن خديج وسمرة بن جندب علي صغر سنهما، وذلك أن رافع بن خديج كان ماهرا في رماية النبل فأجازه فقال سمرة: أنا أقوي من رافع أنا أصرعه فلما أخبر رسول الله ﷺ بذلك أمرهما أن يتصارعا أمامه فتصارعا فصرع سمرة رافعا فأجازه أيضًا(٢).

٢٩٣- الجيش المكفن

❁ ألب أرسلان.

في عام ٤٣٦٩هـ سار ملك الروم " أرمانوس " إلى بلاد المسلمين بمائتي ألف مقاتل على أقل تقدير للمؤرخين ويضم هذا الجيش الكثيف أخلاطا من الروم والفرنجة والروس والصرب، والأرمن، والبوشناق، واتخذ طريقة إلى العراق، وقد أقطع بطارقته الأرض حتى بغداد وعين له

(١) «الإصابة في تمييز الصحابة» (٤ / ٧٢٥).
(٢) «مغازي الواقدي» رقمية (١ / ٢١٦)، و«السيرة الحلبية» (٢ / ٤٩٣)، و«تاريخ الرسل والملوك» (١ / ٤٧٠).

نائب على بغداد قبل أن يسير أستوصى نائبه بالخليفة خيرًا فقال له: أرفق بهذا الشيخ فانه صاحبنا. وقد عزم " أرمانوس " أن يبيد الإسلام وأهله وإذا انتهي من العراق وخراسان مال على الشام وأهله ميلة واحدة فأباد المسلمين فيها، وخرج " أرمانوس " من القسطنطينية متجها نحو الشرق فوصل إلى (ملاذكرد) في شرق تركيا اليوم على مقربة من بحيرة (وان) وأتى الخبر إلى (ألب أرسلان) السلطان السلجوقي وهو في " أذربيجان " وقد عاد من (حلب) فلم يتمكن من جمعه لجند لبعده عن مقر حكمه ولقرب العدو منه، فسار بمن معه وهم خمسة عشر ألفا، لقاء العدو متوكلا على الله وقال، إنني أقاتل محتسبًا صابرًا فان سلمت فنعمة من الله وان كانت الشهادة فإن ابني ملكشاه ولي عهدي. وجد في السر وأرسل مقدمته أمامه فالتقت عند مدينة " خلاط " بمقدمة الروس وكان عدوهم عشر ألاف فهزم الروس بإذن الله وأسر قائدهم، واقترب الجمعان بعضها من بعض وأرسل السلطان إلى ملك الروم يطلب منه الهدنة فقد خافه لكثرة من معه، إذ يعادل جند ملك الروم خمسة عشر مثلا من المسلمين، غير أن ملك الروم قد أخذته العزة بالآثم فقال، لا هدنة إلا في الري - طهران اليوم - ولم يدر أنه يقدم قومه إلى الهاوية فتأثر السلطان من هذا الرد المتغطرس فاستشار أمام جنده أبا نصر محمد بن عبد الملك البخاري، فأجابه انك تقاتل عن دين وعد الله بنصره وإظهاره على سائر الأديان وأرجو أن يكون الله تعالى قد كتب باسمك الفتح فالقهم يوم الجمعة بعد الزوال في الساعة التي تكون الخطباء على المنابر، فإنهم يدعون للمجاهدين بالنصر، والدعاء مقرون بالإجابة، وكان يومها يوم الأربعاء لخمس بقين من ذي القعدة وجاء يوم الجمعة وكان وقت الزوال فصلي " أبو نصر محمد بن عبد الملك البخاري " بالناس فبكى السلطان وبكى الناس لبكائه، ودعا ودعوا معه بعد الصلاة

وقال لهم: من أراد الانصراف فلينصرف فما هاهنا سلطان يأمر وينهي وإنما جهاد ورغبة في لقاء الله وألقى القوس والنشاب وأخذ السيف ولبس البياض وتحنط وقال " إن قتلت فهذا كفني، وزحف إلى الروم، وزحفوا إليه فلما اقترب منهم ترجل ومرغ وجهه في التراب وبكى وأكثر الدعاء، وطلب النصر من الله ثم ركب وحمل على الروم وحمل المسلمون حتى واصلوا إلى وسط الروم وحجز الغبار بينهم، وما هي إلا جولة حتى أنزل الله نصره وهزم الروم ومنحوا المسلمين أكتافهم، فقتلوا منهم خلقا كثيرًا حتى امتلأت الأرض بالجثث، وقدر عدد القتلى بمائة وخمسين ألفا، أي أن كل مسلم قد قتل عشرة من الروم، ووقع ملك الروم " أرمانوس " وبطارقته جميعا أسرى بأيدي المسلمين وحمل " أرمانوس " إلى السلطان " ألب أرسلان " فلما وقف بين يديه ضربه بيده ثلاث مقارع وقال: لو كنت أنا الأسير بين يديك ما كنت تفعل؛ قال: كل قبيح، قال فما ظنك بي؛ قال: اما أن تقتل بعد أن تشهر بي في بلادك، وإما أن تعفو وتأخذ الفداء وتعيدني قال: ما عزمت على غير العفو والفداء، فافتدي نفسه بمليون ونصف من الدنانير، فقام بين يدي السلطان وسقاه شربة ماء وقبل الأرض بين يديه، وقد ترك له السلطان عشر ألاف دينار ليتجهز بها وأطلق معه جماعة من البطارقة الأسرى[١].

٢٩٤- لعل الله يرى ذلك فيغفر لي

❁ **حرص عابدة على الجهاد وحرص ابنها على الشهادة.**

فقد أخرج ابن الجوزي وابن النحاس تلك القصة التي يقصها علينا أبو

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٨ / ٣١٦)، و«تاريخ الإسلام» للذهبي، و«حوادث ووفيات» (٤٦١، ٤٧٠)، (ص٢)، و«الكامل» في التاريخ (٤ / ٢٩٨)، و«دولة السلاجقة» (١ / ١٢٣).

قدامه الشامي يقول ﷺ: كنت أميرا على الجيش في بعض الغزوات قد خلت بعض البلدان فدعوت الناس إلى الجهاد ورغبتهم في الثواب وذكرت فضل الشهادة ثم تفرق الناس، وسرت إلى منزلي فإذا بامرأة من أحسن الناس تنادي، يا أبا قدامه فقلت هذه مكيدة من الشيطان فلم أجبها فعادت تنادي فلم أجبها فقالت: ما هكذا يفعل أرباب الصلاح بأهل الإرادة، فوقفت لها: فجاءت ودفعت إلي رقعة وحزمة مشدودة ثم انصرفت وهي تبكي قال: فنظرت إلى الورقة وإذا مكتوب فيها: دعوت الناس إلى الجهاد وحرضتهم على الثواب وأنا امرأة ولا قدره لى على الجهاد وقد، قطعت أحسن ما في وهما ضفيرتاي وقد، أتيت بهما لتجعلهما قيدا لفرسك، لعل الله يرى ذلك فيغفر لي فلما كانت ليلة القتال أخرجت الضفرتين فقيدت بهما فرسي فلما طلع الفجر ووقع القتال فإذا أنا بغلام حسن الوجه صبور على الشدائد فتقدمت إليه: يا بني أنت راجل ولا أمن عليك أن تجول الخيل فتطؤك بأرجلها فارجع إلى موضعك، قال: فالتفت إلي وقال: كيف أرجع وقد قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ ﴾ [الأنفال:١٥] قال: فأعطيته قوسا كان معي، فقال: يا أبا قدامه أقرضني ثلاثة أسهم فقلت ما هذا القرض؛ فقال: بالله عليك أقرضني قال: فأعطيته سهما فوضعه في قوسه فقتل روميا، فقلت: أنا شريك في هذا الثواب، قال فقال: نعم: فأعطيته سهما أخر فقتل به روميا آخر، ثم ناولته سهما،فجاءه سهم بين عينيه فخر صريعا، فوقفت عليه، وقلت يا ولدي لا تنسني فأنك عاهدتني فقال: نعم، ثم قال: يا أبا قدامه لي حاجة إذا دخلت المدينة، فائت والدتي وسلم عليها عني وناولها هذا الخرج، فقلت: ومن والدتك؛ قال: التي قطعت شعرها وقالت اجعله قيدا لفرسك، قال فاشتغلت بالبكاء فقضى نحبه ﷺ، فدفنته فلما أنقضي القتال وعدت إلى قبره رأيته

على وجه الأرض قد قذفته فحفرت له حفرة أخري فدفنته ثانيا، فقال: أصحابنا دعه فهو غلام لعله خرج من غير أذن والدته، قال: فوقعت في حيرة، فأذن مؤذن العشاء فقمت فصليت وجعلت أتضرع إلى الله وأبكي وأقول يا رب ما ادري ما أصنع به، قال: فسمعت صوتا ينادي: يا أبا قدامه دع ولي الله وذهب، فتركته فنزلت طيور فأكلته وأنت السباع فابتلعت العظام، فلما أتيت المدينة ذهبت إلى بيت والدته فطرقت الباب فخرجت طفلة صغيرة، فلما رأت الخرج رجعت ونادت يا أماه: جاء أبو قدامه بخرج أخي أصبنا في العام الأول بأبي وفي الثاني بأخي: وفي هذا بأخي الأخر، قال: فكدت أتلف من البكاء فخرجت تلك المرأة وهي تقول: أمهنيا جئت أما معزيا؛ إن كان ولدي قد استشهد فهنني، فقلت: لا والله بل استشهد، فقالت وما علامة ذلك؛ قلت: قتل قالت: قبلته الأرض أم لا؛ قلت لا والله، قالت الحمد لله ثم فتحت صندوق وأخرجت مسحا أسود، وغلا من حديد، وقالت انه كان إذا جنه الليل يلبس هذا المسح ويغل يده بهذا الغل، ويقول: إلهي: احشرني من حواصل الطير وبطون السباع فمالي عين تراك، وقد استجاب الله منه ذلك.

۲۹۵- أم إبراهيم الهاشمية وولدها إبراهيم.

وها هي عابدة من عأبدًات البصرة أم إبراهيم الهاشمية أغار العدو على ثغر من ثغور المسلمين فانتدب الناس للجهاد، فقام عبد الواحد بن زيد البصري في الناس خطيبا فحضهم على الجهاد وكانت أم إبراهيم حاضرة في مجلسه، وتمادى عبد الواحد في الكلام ثم بدأ يصف الحور العين، وذكر ما قيل فيهن:

غـــــادة ذات دلال ومـــــرح يجـد الناعـت فيهـا مـا اقتـرح

خلقت مـن كل شيء حسـن طيـب مـــا الليـــث فيهـــا مقـــترح

زانهـــــا الله بوجـــــه جمعـــــت فيـــــــه أوصـــــــاف الملـــــــح

فبدأ يصف أكثر وأكثر فماج الناس بعضهم في بعض فوثبت أم إبراهيم من وسط الناس، وقالت يا أبا عبيد ألست تعرف ولدي إبراهيم عظماء أهل البصرة يخطبونه على بناتهم وأنا أضن به عليهم فقد والله أعجبتني هذه الجارية وأرضاها عرسا لولدي، فكرر ما ذكرت من حسنها وجمالها فأخذ عبد الواحد في الوصف فقال:

تـولد نـور النـور مـن نـور وجههـا فمازج طيب الطيب من خالص العطر

فأخذ يصف أكثر فأكثر فاضطرب الناس، فوثبت أم إبراهيم فقالت: لعبد الواحد: يا أبا عبيد والله لقد أعجبتني هذه الجارية فأنا أرضاها عرسا لولدي إبراهيم فهل لك أن تزوجه منها وتأخذ مهرها، عشر آلاف دينار ويخرج معك ولدي في هذه الغزوة فلعل الله أن يرزقه الشهادة فيكون شفيعا لي ولأبيه في القيامة.

قال عبد الواحد: لئن فعلت لتفوزن أنت وولدك وأبو ولدك فوزا عظيما فنادت فقالت: يا إبراهيم فوثب من وسط الناس فقال لبيك يا أماه فقالت: أي بني أرضيت بهذه الجارية زوجة لك ببذل مهجتك في سبيل الله وترك العود في الذنوب فقال الفتي: أي والله يا أماه رضيت أي رضي فقالت اللهم إني أشهدك أني زوجت ولدي هذا من هذه الجارية ببذل مهجته في سبيلك وترك العود في الذنوب فتقبله مني يا الله ثم انصرفت وجاءت بعشرة آلاف دينار، وقالت: يا أبا عبيد هذا مهر الجارية، فجهز به الغزاة في سبيل الله وانصرفت فاشترت لولدها فرسا جيد واستجادة له سلاحا فلما خرج عبد الله الواحد، خرج إبراهيم يعدو وحوله القراء يقرون قول الله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [التوبة:١١١] فلما أرادت أم إبراهيم فراق ولدها، دفعت إليه كفنا

وحنوطا وقالت له: أي بني إذا أردت لقاء العدو فتكفن بهذا الكفن وتحنط بهذا الحنوط وإياك أن يراك الله مقصرا في سبيله ثم ضمته إلى صدرها وقبلت بين عينيه وقالت: يا بني ما جمع الله بيني وبينك إلا بين يديه في عرسات يوم القيامة، قال عبد الواحد فلما بلغنا بلاد العدو وبرز الناس للقتال بزر إبراهيم في المقدمة فقتل من العدو خلقًا كثيرًا ثم اجتمعوا عليه فقتلوه، فلما أردنا الرجوع إلى البصرة قلت لأصحابي لا تخبروا أم إبراهيم بخبر ولدها حتى ألقاها بحسن العزاء لئلا تجزع فيذهب أجرها، قال: فلما وصلنا البصرة خرج الناس يتلقوننا وخرجت أم إبراهيم فيمن خرج فلما، أبصرتني قالت: يا أبا عبيد: هل قبلت مني هديتي، فأهنا أم ردت علي فأعزي، فقلت لها: قد قبلت والله هديتك وان إبراهيم حي مع الشهداء إن شاء الله فخرت ساجدة لله شكرا وقالت، الحمد لله الذي لم يخيب ظني وتقبل نسكي مني[١].

(١) «إتحاف الأزواج بفوائد الزواج» للمؤلف.

الفصل الخامس عشر قصص في الشجاعة والاقدام

٢٩٦- لم تراعوا لم تراعوا:

عن أنس قال: كان النبي أحسن الناس، وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ليلةً فخرجوا نحو الصوت فاستقبلهم النبي وقد استبرأ الخبر، وهو على فرس لأبي طلحة عُرْيٍ، وفي عنقه السيف وهو يقول: "لَمْ تُرَاعُوا لَمْ تُرَاعُوا"، ثم قال: "وَجَدْنَاهُ بَحْرًا"[١]. أو قال: "إِنَّهُ لَبَحْرٌ"[٢].

٢٩٧- الأقرب إلى العدو عند الحرب:

عن علي قال: "لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأسًا"[٣].

٢٩٨- تسترضيه قريش خوفا منه:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قلت له: ما أكثر ما رأيت قريشًا أصابت من رسول الله فيما كانت تُظهِر من عداوته! قال: حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يومًا في الحجر فذكروا رسول الله، فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط، سفَّه أحلامنا، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرَّق جماعتنا، وسبّ آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمر عظيم، أو كما قالوا.

قال: فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم رسول الله، فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفًا بالبيت، فلما أن مر بهم غمزوه ببعض ما يقول.

---

(١) أي: واسع الجري.

(٢) البخاري (ح ٥٠٩٨)، ومسلم (ح ٢٣٠٧).

(٣) أحمد (٦١٩)، وابن أبي شيبة (٣٢٦١٤).

قال: فعرفت ذلك في وجهه ثم مضى، فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها، فعرفت ذلك في وجهه ثم مضى، ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها فقال: "تَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ".

فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع حتى إنَّ أشدهم فيه وصاةً قَبْل ذلك لَيَرْفَئُوه بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول: انصرفْ يا أبا القاسم، انصرف راشدًا، فوالله ما كنت جهولًا. قال: فانصرف رسول الله(١).

٢٩٩- أنا النبي لا كذب. أنا ابن عبد المطلب

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما أنه قال لرجل قال له: أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمارة؟

فقال: أشهد على نبي الله ﷺ ما ولى ولكنه انطلق أخفاء من الناس، وحسر إلى هذا الحي من هوازن، وهم قوم رماة. فرموهم برشق من نبل. كأنها رجل من جراد. فانكشفوا. فأقبل القوم إلى رسول الله ﷺ، وأبو سفيان بن الحارث يقود به بغلته. فنزل ودعا واستنصر، وهو يقول: «أنا النبي لا كذب. أنا ابن عبد المطلب. اللهم نزل نصرك». قال البراء: كنا والله إذا احمر البأس نتقي به. وإن الشجاع منا للذي يحاذي به- يعني النبي ﷺ(٢).

٣٠٠- اللهم سهمك فارم به عدوك

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: لما جال الناس عن رسول الله ﷺ

(١) أحمد (٦٧٣٩)، وقال شعيب الأرناءوط: إسناده حسن.
(٢) البخاري- (الفتح ٧) (٤٣١٧)، ومسلم (١٧٧٦) واللفظ له.

تلك الجولة يوم أحد، تنحيت فقلت: أذود عن نفسي، فإما أن أستشهد، وإما أن أنجو حتى ألقى رسول الله ﷺ.

فبينا أنا كذلك إذا برجل مخمر وجهه ما أدري من هو، فأقبل المشركون حتى قلت: قد ركبوه، ملأ يده من الحصى، ثم رمى به في وجوههم، فنكبوا على أعقابهم القهقرى حتى يأتوا الجبل، ففعل ذلك مرارا، ولا أدري من هو، وبيني وبينه المقداد بن الأسود، فبينا أنا أريد أن أسأل المقداد عنه، إذ قال المقداد: يا سعد هذا رسول الله ﷺ يدعوك، فقلت: وأين هو؟ فأشار لي المقداد إليه، فقمت ولكأنه لم يصبني شيء من الأذى، فقال رسول الله ﷺ: «أين كنت اليوم يا سعد؟». فقلت: حيث رأيت يا رسول الله! فأجلسني أمامه فجعلت أرمي، وأقول: اللهم سهمك فارم به عدوك، ورسول الله ﷺ يقول: «اللهم استجب لسعد، اللهم سدد لسعد رميته، إيها «سعد». فداك أبي وأمي، فما من سهم أرمي به إلا قال رسول الله ﷺ: «اللهم سدد رميته وأجب دعوته، إيها سعد» حتى إذا فرغت من كنانتي نثر رسول الله ﷺ ما في كنانته فنبلني سهما نضيا(١).

قال الزهري: إن السهام التي رمى بها سعد يومئذ كانت ألف سهم(٢).

٣٠١- ولست أبالي حين أقتل مسلما

(عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ عشرة منهم خبيب الأنصاري، فأخبرني عبيد الله بن عياض أن ابنة الحارث أخبرته أنهم حين اجتمعوا استعار منها موسى يستحد بها، فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه قال خبيب الأنصاري:

---

(١) السهم النضي: هو الذي قد ركب عليه الريش وكان أشد من غيره.

(٢) الحاكم (٣/ ٢٦) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

ولســت أبــالي حــين أقتــل مســلما على أي شـــــق كان لله مصرـــــعي
وذلـــــك في ذات الإله وإن يشـــــأ يبـــارك على أوصـــال شـــلو ممـــزع

فقتله ابن الحارث، فأخبر النبي ﷺ أصحابه خبرهم يوم أصيبوا)[١].

٣٠٢- هذه والله الشجاعة

قال معاذ بن عمرو رضي الله عنه: جعلت أبا جهل يوم بدر من شأني. فلما أمكنني حملت عليه، فضربته، فقطعت قدمه بنصف ساقه، وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي، وبقيت معلقة بجلدة بجنبي، وأجهضني عنها القتال، فقاتلت عامة يومي وإني لأسحبها خلفي. فلما آذتني، وضعت قدمي عليها ثم تمطأت عليها حتى طرحتها» قال الذهبي بعد هذه القصة: «هذه والله الشجاعة لا كآخر من خدش بسهم ينقطع قلبه وتخور قواه[٢].

٣٠٣-فامنعوني إن كنتم صادقين

عن رجل من أسلم أنه قال: «إن أبا جهل اعترض لرسول الله ﷺ عند الصفا فآذاه وشتمه، وقال فيه ما يكره من العيب لدينه والتضعيف له، فلم يكلمه رسول الله ﷺ، ومولاة لعبد الله بن جدعان[٣] التيمي في مسكن لها فوق الصفا تسمع ذلك، ثم انصرف عنه، فعمد إلى نادي قريش عند الكعبة فجلس معهم، ولم يلبث حمزة بن عبد المطلب أن أقبل متوشحًا قوسه راجعًا عن قنص له، وكان إذا فعل ذلك لم يمر على نادي قريش وأشدها شكيمة، وكان يومئذ مشركا على دين قومه، فجاءته المولاة، وقد قام

(١) البخاري- (الفتح ١٣) (٧٤٠٢).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٢٥٠- ٢٥١).
(٣) عبد الله بن جدعان التيمي القرشي أحد الأجواد المشهورين في الجاهلية أدرك النبي ﷺ قبل النبوة. «الأعلام» (٤/ ٧٦).

رسول الله ﷺ ليرجع إلى بيته، فقالت له: يا أبا عمارة! لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد من أبي الحكم آنفا، وجده هاهنا فآذاه وشتمه وبلغ ما يكره، ثم انصرف عنه، فعمد إلى نادي قريش عند الكعبة، فجلس معهم ولم يكلم محمدًا فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله من كرامته- فخرج سريعا لا يقف على أحد كما كان يصنع يريد الطواف بالبيت متعمدًا لأبي جهل أن يقع به، فلما دخل المسجد نظر إليه جالسا في القوم، فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه على رأسه ضربة مملوءة، وقامت رجال من قريش من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل، فقالوا: ما نراك يا حمزة إلا صبأت فقال حمزة: وما يمنعني وقد استبان لي ذلك منه. أنا أشهد أنه رسول الله وأن الذي يقول حق، فو الله لا أنزع. فامنعوني إن كنتم صادقين. فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة لقد سببت ابن أخيه سبًا قبيحًا، ومر حمزة على إسلامه وتابع يخفف رسول الله ﷺ فلما أسلم حمزة علمت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز وامتنع، وأن حمزة سيمنعه فكفوا عن بعض ما كانوا يتناولونه وينالون منه، فقال في ذلك سعد حين ضرب أبا جهل فذكر رجزا غير مستقر أوله: «ذق أبا جهل بما غشيت». قال:

ثم رجع حمزة إلى بيته فأتاه الشيطان، فقال: أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابأ وتركت دين آبائك، للموت خير لك مما صنعت، فأقبل على حمزة شبه، فقال: ما صنعت؟ اللهم إن كان رشدا فاجعل تصديقه في قلبي، وإلا فاجعل لي مما وقعت فيه مخرجا، فبات بليلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان، حتى أصبح فغدا على رسول الله ﷺ، فقال: ابن أخي إني وقعت في أمر لا أعرف المخرج منه، وإقامة مثلي على ما لا أدري ما هو، أرشد هو أم غي شديد؟ فحدثني حديثًا فقد استشهيت يا ابن أخي أن تحدثني، فأقبل رسول الله ﷺ فألقى الله في نفسه الإيمان، كما قال رسول

الله، فقال: «أشهد إنك لصادق شهادة المصدق والعارف، فأظهر يا ابن أخي دينك، فهو الله ما أحب أن لي ما ألمعت الشمس، وأني على ديني الأول. قال: فكان حمزة ممن أعز الله به الدين»[١].

٣٠٤- يا معشر المسلمين ألقوني عليهم

«زحف المسلمون إلى المشركين في اليمامة حتى ألجأوهم إلى الحديقة، وفيها عدو الله مسيلمة، فقال البراء: يا معشر المسلمين ألقوني عليهم، فاحتمل حتى إذا أشرف على الجدار اقتحم فقاتلهم حتى فتح على المسلمين، ودخل عليهم المسلمون ووقع به يومها بضع وثمانون جراحة من بين رمية بسهم وضربة فحمل إلى رحله يداوى»[٢].

٣٠٥- الساعة أكفي المسلمين شره

حكي أنه كان للعرب فارس يقال له ابن فتحون، وكان أشجع العرب والعجم في زمانه.

وكان المستعين يكرمه ويعظمه ويجري له في كل عطية خمسمائة دينار. وكانت جيوش الكفار تهابه وتعرف منه الشجاعة، وتخشى لقاءه. فيحكى أن الرومي كان إذا سقى فرسه ولم يشرب يقول له: ويلك لم لا تشرب هل رأيت ابن فتحون في الماء، فحسده نظراؤه على كثرة العطاء ومنزلته من السلطان. فوشوا به عند المستعين فأبعده ومنعه من عطائه، ثم إن المستعين أنشأ غزوة إلى بلاد الروم فتقابل المسلمون والمشركون صفوفا، ثم برز علج إلى وسط الميدان ونادى وقال: هل من مبارز؟

فبرز إليه فارس من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله الرومي، فصاح

---

(١) الحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٩٢- ١٩٣).

(٢) «الاستيعاب» (١/ ١٣٧- ١٣٩) على حاشية الإصابة.

المشركون سرورا، وانكسرت نفوس المسلمين، وجعل الكلب الرومي يجول بين الصفين وينادي: هل من اثنين لواحد؟ فخرج إليه فارس من المسلمين فقتله الرومي. فصاح الكفار سرورا، وانكسرت نفوس المسلمين، وجعل الكلب يجول بين الصفين وينادي ويقول: ثلاثة لواحد، فلم يجترئ

أحد من المسلمين أن يخرج إليه، وبقي الناس في حيرة، فقيل للسلطان: ما لها إلا أبو الوليد بن فتحون فدعاه وتلطف به، قال: الساعة أكفي المسلمين شره، فلبس قميص كتان واستوى على سرج فرسه بلا سلاح وأخذ بيده سوطا طويلا، وفي طرفه عقدة معقودة، ثم برز إليه فتعجب منه النصراني. ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه فلم تخطأ طعنة النصراني سرج ابن فتحون. وإذا ابن فتحون متعلق برقبة الفرس، ونزل إلى الأرض لا شيء منه في السرج، ثم انقلب في سرجه وحمل على العلج، وضربه بالسوط فالتوى على عنقه فجذبه بيده من السرج فاقتلعه، وجاء به يجره حتى ألقاه بين يدي المستعين. فعلم المستعين أنه كان قد أخطأ في صنعه مع أبي الوليد بن فتحون فاعتذر إليه، وأكرمه، وأحسن إليه، وبالغ في الإنعام عليه، ورده إلى أحسن أحواله، وكان من أعز الناس إليه»[(١)].

(١) «المستطرف» (١/ ٣١٣- ٣١٤).

الفصل السادس عشر: قصص في العفو عند المقدرة

٣٠٦- رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كأني أنظر إلى النبي ﷺ يحكي نبيا من الأنبياء- صلوات الله وسلامه عليهم- ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»(١).

٣٠٧- يا محمد! مر لي من مال الله الذي عندك،

عن أنس رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ، وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجبذه بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ، وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد،! مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه، فضحك، ثم أمر له بعطاء(٢).

٣٠٨- فما قولك في علي وعثمان؟

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلا سأله، قال: فما قولك في علي وعثمان؟ قال: «أما عثمان فكان الله عفا عنه، وأما أنتم فكرهتم أن يعفو عنه. وأما علي فابن عم رسول الله ﷺ وختنه(٣) وأشار بيده فقال: «هذا

---

(١) البخاري- (الفتح ١٢) (٦٩٢٩) واللفظ له، ومسلم (١٧٩٢).
(٢) البخاري- (الفتح ١٠) (٦٠٨٨) واللفظ له، ومسلم (١٠٥٧).
(٣) معنى ختنه: قال الأصمعي: الأختان من قبل المرأة والأحماء من قبل الزوج والصهر جمعهما. وقيل: اشتق الختن مما اشتق منه الختان، وهو التقاء الختانين.

بيته حيث ترون[١].

٣٠٩- هي يا ابن الخطاب، فو الله ما تعطينا الجزل

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة، فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولا كانوا أو شبانا. فقال عيينه لابن أخيه: يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه. قال: سأستأذن لك عليه. قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: هي يا ابن الخطاب، فو الله ما تعطينا الجزل[٢] ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى هم به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين! إن الله تعالى قال لنبيه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف:١٩٩]. وإن هذا من الجاهلين. والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافا عند كتاب الله[٣].

٣١٠- اللهم إن كان حمله على أخذها حاجة فبارك له فيها

جلس ابن مسعود في السوق يبتاع طعاما فابتاع، ثم طلب الدراهم وكانت في عمامته فوجدها قد حلت، فقال: لقد جلست وإنها لمعي، فجعلوا يدعون على من أخذها ويقولون: اللهم اقطع يد السارق الذي أخذها، اللهم افعل به كذا، فقال عبد الله: «اللهم إن كان حمله على أخذها حاجة فبارك له فيها، وإن كان حملته جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه»[٤].

عن ابن شهاب أنه سئل: أعلى من سحر من أهل العهد قتل؟. قال:

---

(١) البخاري- (الفتح ٨) (٤٥١٥).
(٢) الجزل: الكريم المعطاء، والعاقل الأصيل الرأي.
(٣) البخاري- (الفتح ٨) (٤٦٤٢).
(٤) «الإحياء» (٣/ ١٩٦).

«بلغنا أن رسول الله ﷺ قد صنع له ذلك فلم يقتل من صنعه، وكان من أهل الكتاب

٣١١- لا تثريب عليكم اليوم

وقال مالك بن دينار: «أتينا منزل الحكم بن أيوب ليلا وهو على البصرة أمير، وجاء الحسن، وهو خائف فدخلنا معه عليه، فما كنا مع الحسن إلا بمنزلة الفراريج، فذكر الحسن قصة يوسف عليه السلام وما صنع به إخوته، فقال: باعوا أخاهم وأحزنوا أباهم، وذكر ما لقي من كيد النساء ومن الحبس، ثم قال: أيها الأمير، ماذا صنع الله به؟

أداله منهم، ورفع ذكره، وأعلى كلمته، وجعله على خزائن الأرض، فماذا صنع يوسف حين أكمل الله له أمره وجمع له أهله؟

قال: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين [يوسف/ ٩٢]، يعرض للحكم بالعفو عن أصحابه، قال الحكم: فأنا أقول لا تثريب عليكم اليوم ولو لم أجد إلا ثوبي هذا لواريتكم تحته»[(١)].

٣١٢- كان إذا قدر عفا

وروي أن راهبا دخل على هشام بن عبد الملك، فقال للراهب: «أرأيت ذا القرنين أكان نبيا؟». فقال: «لا، ولكنه إنما أعطي ما أعطي بأربع خصال كن فيه: كان إذا قدر عفا، وإذا وعد وفى، وإذا حدث صدق، ولا يجمع شغل اليوم لغد»[(٢)].

٣١٣- خلوا سبيله، هذا رجل قد لقن حجته

وروي أن زيادا أخذ رجلا من الخوارج فأفلت منه، فأخذ أخا له فقال

---

(١) «الإحياء» (٣/ ١٨٤).

(٢) «الإحياء» (٣/ ١٨٤).

له: إن جئت بأخيك وإلا ضربت عنقك، فقال: أرأيت إن جئتك بكتاب من أمير المؤمنين تخلي سبيلي؟ قال: نعم. قال: فأنا آتيك بكتاب من العزيز الحكيم وأقيم عليه شاهدين إبراهيم وموسى، ثم تلا: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾ [النجم:٣٦-٣٨]. فقال زياد: «خلوا سبيله، هذا رجل قد لقن حجته»[(١)].

٣١٤- إنك إن تلقى الله ومظلمتك كما هي، خير لك

دخل رجل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فجعل يشكو إليه رجلا ظلمه ويقع فيه فقال له عمر: «إنك إن تلقى الله ومظلمتك كما هي، خير لك من أن تلقاه وقد اقتصصتها»[(٢)].

٣١٥- لا والله ما أنا بقائل لك إلا خير

روى الإمام الحاكم في مستدركه وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه عن ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه قوله: (وأعطاني رسول الله ﷺ أرضًا وأعطى أبا بكر أرضًا فاختلفنا في عذق نخلة قال وجاءت الدنيا فقال أبو بكر هذه في حدي فقلت لا بل هي في حدي قال: فقال لي أبو بكر كلمة كرهتها وندم عليها قال: فقال لي: يا ربيعة قل لي مثل ما قلت لك حتى تكون قصاصا قال فقلت لا والله ما أنا بقائل لك إلا خيرًا قال والله لتقولن لي كما قلت لك حتى تكون قصاصا وإلا استعديت عليك برسول الله ﷺ قال: فقلت: لا والله ما أنا بقائل لك إلا خير قال فرفض أبو بكر الأرض وأتى النبي ﷺ جعلت أتلوه فقال أناس من أسلم يرحم الله أبا بكر هو الذي قال ما قال ويستعدي عليك قال فقلت أتدرون من

---

(١) «الإحياء» (٣/ ١٨٤).
(٢) «الإحياء» (٣/ ١٨٣).

هذا؟

هذا أبو بكر هذا ثاني اثنين هذا ذو شيبة المسلمين إياكم لا يلتفت فيراكم تنصروني عليه فيغضب فيأتي رسول الله ﷺ فيغضب لغضبه فيغضب الله لغضبهما فيهلك ربيعة قال فرجعوا عني وانطلقت أتلوه حتى أتى النبي ﷺ فقص عليه الذي كان قال، فقال رسول الله ﷺ يا ربيعة ما لك والصديق قال فقلت مثل ما قال كان كذا وكذا فقال لي قل مثل ما قال لك فأبيت أن أقول له فقال رسول الله ﷺ أجل فلا تقل له مثل ما قال لك ولكن قل يغفر الله لك يا أبا بكر قال فولى أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهو يبكي)[1].

٣١٦- ضع قدمك على خدي

ووقع في يوم من الأيام بين أبي ذر رضي الله عنه وبلال رضي الله عنه خصومة، فيغضب أبو ذر وتفلت لسانه بكلمة يقول فيها لبلال: يا ابن السوداء فيتأثر بلال، يوم أكرمه الله بالإسلام، ثم يعير بالعصبيات والعنصريات والألوان، ويذهب إلى النبي ﷺ ويشكو أبا ذر، ويستدعي النبي ﷺ أبا ذر، فيقول - كما في الحديث المتفق على صحته - يقول النبي ﷺ-: " أعيرته بأمه؟

إنك امرؤ فيك جاهلية"، فيتأثر أبو ذر ويتحسَّر ويندم، ويقول: وددت - والله- لو ضرب عنقي بالسيف، وما سمعت ذلك من رسول الله ﷺ ويأخذ بلال رضي الله عنه كما روي ويضع خده على التراب ويقول: يا بلال؛ ضع قدمك على خدي، لا أرفعه حتى تضعه، فتذرف عينا بلال رضي الله عنه الدموع، ويقول: يغفر الله لك يا أبا ذر، يغفر الله لك يا أبا ذر، والله ما كنت لأضع قدمي على جبهة سجدت لله رب العالمين، ويعتنقان ويبكيان ذهب ما في

(١) أخرجه الطبراني (٥٨/٥، رقم ٤٥٧٧)، وأخرجه الحاكم في «النكاح» (١٧٣/٢-١٧٤)، وقال: «صحيح على شرط مسلم». «السلسلة الصحيحة» (١١/ ٣).

القلوب[١].

٣١٧- قد عفوت عنك

روي عن ميمون بن مهران أن جاريته جاءت ذات يوم بطبق فيها مرقه حارة، وعنده ضيوف فعثرت فصبت المرقه عليه، فأراد ميمون أن يضربها.

فقالت الجارية: يا مولاي، استعمل قوله تعالى: ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾.

قال لها: قد فعلت.

فقالت: اعمل بما بعده ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾.

فقال: قد عفوت عنك.

فقالت الجارية: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾.

قال ميمون: قد أحسنت إليك، فأنت حرة لوجه الله تعالى[٢].

٣١٨- أرى الموت بين السيف والنطع كامنًا

قال أحمد بن أبي داود: ما رأيت رجلًا نزل به الموت فما شغله ذلك ولا أذهله عما كان يجب أن يفعله إلا تميم ابن جميل، فإنه كان تغلب على شاطىء الفرات فظفر به، ووافى به الرسول باب المعتصم في يوم الموكب في حين جلوسه للعامة فأدخل عليه، فلما مثل بين يديه دعا بالنطع والسيف فأحضرا، وجعل تميم بن جميل يصعد النظر إلى ذلك ولا يقول شيئًا، وجعل المعتصم يصعد النظر فيه ويصوبه، وكان جسيمًا وسيمًا، فرأى أن

(١) «موسوعة البحوث الإسلامية» (٧)، وأصل القصة في البخاري- (الفتح ١) (٣٠)، ومسلم (١٦٦١).

(٢) و«العافين عن الناس» (ص: ١٦).

يستنطقه لينظر أين جنانه ولسانه من منظره، فقال: يا تميم، إن كان لك عذر فأت به أو حجةٌ فأدل بها، فقال: أما إذ قد أذنت لي يا أمير المؤمنين بالكلام فإني أقول: الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين، " ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين "، يا أمير المؤمنين جبر الله بك صدع الدين ولأم بك شعث الأمة وأخمد بك شهاب الباطل وأوضح بك سراج الحق يا أمير المؤمنين، إن الذنوب تخرس الألسنة، وتصدع الأفئدة، ولقد عظمت الجريرة وكبر الذنب وساء الظن، ولم يبق إلا عفوك أو انتقامك، وأرجو أن يكون أقربهما منك وأسرعهما إليك أولاهما بإمامتك وأشبههما بخلافتك، ثم أنشد:

أرى الموت بين السيف والنطع كامنًا ... يلاحظني من حيثما أتلفت
وأكبر ظني أنك اليوم قاتلي ... وأي امرئٍ مما قضى الله يفلت
ومن ذا الذي يدلي بعذرٍ وحجةٍ ... وسيف المنايا بين عينيه مصلت
يعز على أبناء تغلب موقفٌ ... يسلّ على السيف فيه وأسكت
وما جزعي من أن أموت وإنني ... لأعلم أن الموت شيء مؤقت
ولكن خلفي صبيةً قد تركتهم ... وأكبادهم من حسرةٍ تتفت
كأني أراهم حين أنعي إليهم ... وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا
فإن عشت عاشوا خافضين بغبطةٍ ... أذود الردى عنهم وإن مت موتوا
وكم قائلٍ: لا يبعد الله داره ... وآخر جذلانٍ يسر ويشمت

قال: فتبسم المعتصم وقال: كاد والله يا تميم أن يسبق السيف العذل اذهب فقد غفرت لك الهفوة وتركتك للصبية[1].

(١) «المستجاد من فعلات الأجواد» الدارقطني (ص: ٣٢)، و«الفرج بعد الشدة» للتنوخي (ص: ٢٨٣)، و«جمهرة خطب العرب» (٣/ ١٤٦).

٣١٩- فتبسم البازُ المُدِلُّ بنفسِه * * * كَرَمًا وأطلق ذلك العصفورُ

قال خالد بن عبد الله لسليمان بن عبد الملك حين وجد عليه: يا أمير المؤمنين، إن القدرة تذهب الحفيظة، وأنت تجلّ عن العقوبة، ونحن مقرون بالذنب، فإن تعف عني فأهل ذلك أنت، وإن تعاقبني فأهل ذلك أنا؛ فعفا عنه.

وظفر المأمون برجل كان يطلبه فلما دخل عليه قال: يا عدو الله أنت الذي تفسد في الأرض بغير الحق. يا غلام خذه إليك فاسقه كأس المنية. فقال: يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تستبقيني حتى أؤيدك بمال؟ قال: لا سبيل إلى ذلك، فقال: يا أمير المؤمنين فدعني أنشدك أبياتًا. قال: هات. فأنشده:

زَعَموا بأن البازَ علقَ مرةً ... عصفورَ برٍّ ساقَه المقدورَ
فتكلمَ العصفورُ تحتَ جناحِه ... والبازُ منقضٌّ عليه يطيرُ
ما بي لما يغني لمثلِكَ شبعةً ... ولئن أكلتُ فإنني لحقيرُ
فتبسم البازُ المُدِلُّ بنفسِه ... كَرَمًا وأطلق ذلك العصفورُ

فقال له المأمون: أحسنت. ما جرى ذلك على لسانك إلا لبقية بقيت من عمرك، فأطلقه وخلع عليه ووصله[١].

٣٢٠- ويل أمك يا عمر تضرب الناس ولا يضربونك

عن عطاء قال: مرَّ عمر رضي الله عنه برجل وهو يكلم امرأة فعلاه بالدرة. فقال: يا أمير المؤمنين إنها امرأتي. قال: ها فاقتص. قال: قد غفرت لك يا أمير المؤمنين. قال: ليس مغفرتها بيدك ولكن إن شئت أن تعفو فاعف.

(١) «المحاسن والأضداد» (ص: ٣٢)، و«مجمع الحكم والأمثال» (ص:).

قال: قد عفوت عنك يا أمير المؤمنين. قال: ثم مر من فوره إلى منزل عبد الرحمن وهو يقول: ويل أمك يا عمر تضرب الناس ولا يضربونك، وتشتم الناس ولا يشتمونك حتى دخل على عبد الرحمن فقص عليه القصة. فقال: ليس يا أمير المؤمنين. إنما أنت مؤدب. الحجة في بيان المحجة، لأبي القاسم الأصبهاني (٣٨١).

٣٢١- أحب أن يغفر الله لي

فهذا هو أبو بكر الصديق خير الناس بعد الأنبياء، كان من قرابته مسطح بن أثاثة وكان أبو بكر ينفق عليه ويحسن إليه فلما خاض مسطح فيمن خاض في حادثة الإفك، حلف أبو بكر ألا يحسن إليه كما كان يحسن في السابق فعاتبه ربه ﷻ وأنزل: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور:٢٢]، فقال: بلى، أحب أن يغفر الله لي، وعاد إلى ما كان عليه من الإحسان إليه وكفّر عن يمينه. تفسير الطبري (١٢٣/١٩).

الفصل السابع عشر قصص في نصح ولاة الامر

٣٢٢- محمد بن واسع وبلال بن بردة.

دخل محمد بن واسع ﷺ، على بلال بن بردة في يوم حار وبلال في حشمه وعنده الثلج، فقال بلال: يا أبا عبد الله كيف ترى بيتنا هذا؟

قال: إن بيتك لطيب والجنة أطيب منه وذكر النار يلهي عنه.

قال: ما تقول في القدر.

قال: جيرانك من أهل القبور ففكر فيهم فإن فيهم شغلا عن القدر،

قال: ادع لي.

قال: وما تصنع بدعائي وعلى بابك كذا وكذا وكل يقول؛ إنك ظلمتهم، يرتفع دعاؤهم قبل دعائي، لا تظلم ولا تحتاج إلى دعائي[١].

٣٢٣-ابن أبي شميلة ووعظه لعبد الملك بن مروان.

كان ابن أبي شميلة يوصف بالعقل والأدب فدخل على عبد الملك بن مروان، فقال عبد الملك تكلم؛ قال: بم أتكلم وقد علمت أن كل كلام يتكلم به المتكلم عليه وبال إلا ما كان لله.

فبكي عبد الملك ثم قال: يرحمك الله لم يزل الناس يتواعظون ويتواصون.

فقال: يا أمير المؤمنين: إن الناس في يوم القيامة لا ينجون من

---

(١) «إحياء علوم الدين» (ج٢ ص٥٤١)، و«مختصر منهاج القاصدين» للمقدسي (٢ / ٨٣).

غصصها ومرارتها ومعاينة الردى فيها إلا من أرض الله بسخط نفسه فبكى عبد الملك ثم قال: لا جرم لأجعلن هذه الكلمات مثالا نصب عيني ما عشت[١].

٣٢٤- بين حطيط الزيات والحجاج.

جيء بالعالم حطيط الزيات إلى الحجاج فلما دخل عليه قال: أنت حطيط؟.

فقال: نعم: سل عما بدالك فإني عاهدت الله عند المقام على ثلاث خصال: إن سئلت لأصدقن، وإن ابتليت الأصبرن، وإن عوفيت لأشكرن،

قال: الحجاج، فما تقول في؟

قال: أقول فيك إنك من أعداء الله في الأرض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة.

قال: فما تقول: في أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان؛

قال: أقول إنه أعظم منك جرما، وإنما أنت خطيئة من خطاياه فأمر الحجاج أن يضعوا عليه العذاب، فانتهي به إلى أن شقق له القصب، ثم جعلوه على لحمة وشدوده بالحبال ثم جعل يمدون - يستلون - قصبة قصبة، حتى انتحلوا لحمه، فما سمعوه يقول شيئًا، فقيل للحجاج إنه في آخر رمق.

فقال: أخرجوه فارموا به في السوق.

فقال جعفر وهو الراوي: فأتيته أنا وصاحب له فقلنا له حطيط!! ألك حاجة.

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٢ / ٣٤٦)، و«ذم الهوى» (١ / ٤٦)، و«محاسبة النفس» (١ / ١١٢).

قال شربة ماء، فأتوه بشربة ثم استشهد، وكان عمره ثماني عشرة سنة - رحمه الله - أ. هـ[١].

٣٢٥- أبو حازم ونصحه سليمان بن عبد الملك.

حين قدم سليمان بن عبد الملك المدينة وهو يريد مكة وأرسل إلى عالمها الجليل أبي حازم، فلما دخل عليه.

قال سليمان: يا أبا حازم ما لنا نكره الموت.

قال: لأنكم خربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب.

فقال سليمان: كيف القدوم على الله.

قال: يا أمير المؤمنين، أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه، فبكي سليمان

وقال: ليت شعري ما لي عند الله؛؛!!

قال أبو حازم: أعرض نفسك علي كتاب الله حيث قال: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار:١٣].

قال سليمان: فأين رحمة الله ؛؟

قال قريب من الحسنين

قال: يا أبا حازم أي عباد الله أكرم؛

فقال: أهل البر والتقوى.

قال: فأي الأعمال أفضل.

قال: أداء الفرائض مع اجتناب المحارم.

---

(١) «مختصر تاريخ دمشق» (٢ / ٣٤٥)، و«إحياء علوم الدين» (٢ / ٣٤٦).

قال: أي الكلام أسمع؛

فقال: قول الحق عند من تخاف وترجو.

قال: فأي المؤمنين أخسر.

فقال: رجل خطأ في هوى أخيه وهو ظالم، فباع أخرته بدنياه غيره.

قال سليمان: ما تقول فيما نحن فيه؛

فقال: أو تعفيني؛

قال: لابد، فإنها نصيحة تلقها إلي.

فقال: إن آباءك قهروا الناس بالسيف وأخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضا منهم، حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة، وقد ارتحلوا، فلو شعرت بما قالوا وما قيل لهم.

فقال: رجل من جلسائه بئسما قلت.

قال أبو حازم: إن الله قد أخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه.

فقال: سليمان، يا أبا حازم كيف لنا أن نصلح الناس.

قال: تدع الصلف وتستمسك بالعروة، وتقسم بالسوية.

قال: كيف المأخذ به.

قال: أن تأخذ المال في حلة، وتضعه في أهله.

قال: يا أبا حازم أرفع إلي حوائجك.

قال: تنجني من النار، وتدخلني الجنة.

قال: ليس ذلك إلي، قال فلا حاجة لي غيره، ثم قام فأرسل إليه بمائة

دينار فردها ولم يقبلها[١].

٣٢٦- بين عالم وسليمان بن عبد الملك.

هيا لنرى حرص ذلك العالم الذي لم يحفظ لنا التاريخ اسمه وإن بقية كلماته لها تأثير في النفوس المؤمنة التي ترجو ثواب الله وتخاف عقابه.

ذكر أبو حامد الغزالي في الأحياء فقال: دخل أحدهم على سليمان بن عبد الملك، فقال: يا أمير المؤمنين: إني مكلمك بكلام فاحتمله وإن كرهته، فإن وراءه ما تحب إن قبلته.

فقال: إنا نجود بسعة الاحتمال على ما نرجو نصحه، ولا نأمن غشه، فكيف بمن نأمن غشه ونرجو نصحه!

فقال: يا أمير المؤمنين إنه تكفنك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم وبتاعوا دينا هم بدنيهم، ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله تعالى ولم يخافوا الله فيك؛ حرب الآخرة سلم الدنيا، فلا تأمنهم على من ائتمنك الله عليه، فإنهم لم يألوا في الأمانة تضيعا وفي الأمة خسفا وعسفا، وأنت مسئول عما اجترحوا وليسوا بمسئولين عما اجترحت، فلا تصلح دنياهم بفساد أخرتك، فإن أعظم الناس غبنا من باع أخرته بدنيا غيره، فقال له سليمان: أما أنك قد سللت لسانك وهو أقطع من سيفك.

قال: أجل يا أمير المؤمنين ولكن لك لا عليك[٢].

٣٢٧- الحسن البصري وابن هبيرة.

---

(١) «المجالسة وجواهر العلم» (٨ / ١٥٢)، و«وفيات الأعيان» (ج٢ ص٤٢٣)، و«الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء» (١ / ١٨).

(٢) «المجالسة وجواهر العلم» (٣ / ١٨)، و«أحياء علوم الدين» (ج٥ ص١٢٢)، و«تاريخ دمشق» (٦٨ / ١٧٤).

روي ابن خلكان عن الحسن البصري مع والي العراق ابن هبيرة فقد قال: لما ولي عمر بن هبيرة الفزاري العراق وأضيفت إليه خراسان، وذلك أيام يزيد بن عبد الملك، ستدعى الحسن البصري ومحمد بن سيرين، والشعبي، وذلك سنة ثلاثة ومئة فقال لهم: إن يزيد خليفة الله، استخلفه الله على عباده وأخذ عليهم الميثاق بطاعته، وأخذ عهدنا بالسمع والطاعة وقد ولاني ما ترون، فيكتب إلي بالأمر من أمره فأقلده ما تقلد من ذلك الأمر فما ترون؛ فقال ابن سرين والشعبي قولا فيه تقيه.

قال ابن هبيرة ما تقول يا حسن.

فقال: يا ابن هبيرة: خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله؛ إن الله يمنعك من يزيد، وإن يزيد لا يمنعك من الله، وأوشك أن يبعث إليك ملكا فيزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك، ثم لا ينجيك إلا عملك، يا ابن هبيرة، إن تعصي الله فإنما جعل الله السلطان ناصرا لدين الله وعباده فلا تركبن دين الله وعباده لسلطان الله فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق[١].

٣٢٨- بين عمر بن عبد العزيز ﷺ وسليمان بن عبد الملك.

خرج سليمان بن عبد الملك وفي خلافته ومعه عمر بن عبد العزيز فلما أشرف على ثنية قديد رأى سواد عسكره، فأعجبه ذلك فقال: يا أبا حفص ما ترى هناك؟

هناك انتهزها عمر فرصة وأراد أن يرد عليه اعجابه وغروره، فقال عمر: نعم يا أمير المؤمنين أري دنيا يأكل بعضها بعضا وأنت المبتلى بها

(١) «العزلة» للخطابي (ص ١٢٣- ٦٢٤)، «شذرات الذهب» لابن العماد (١ / ١٣١)، و«وفيات الأعيان» (٢ / ٧١).

والمسئول عنها.

فبينما هو على ذلك، برقة برقت وسمع سليمان صوت الرعد فجزع ووضع صدره على مقدمة الرحل.

فقال له عمر: هذا صوت رحمته فكيف إذا سمعت صوت عذابه؛ ثم نظرا سليمان إلى الناس، فقال: ما أكثر الناس. فقال عمر: هم خصماؤك يا أمير المؤمنين(١).

٣٢٩-حرص أبي حازم على إرشاد عمر بن عبد العزيز تذكيره.

قال: عمر بن عبد العزيز لأبي حازم: عظني.

فقال أبو حازم: اضطجع ثم اجعل الموت عند رأسك ثم انظر إلى ما تحب أن يكون فيك تلك الساعة فخذ به الآن وما تكره أن يكون فيك تلك الساعة فدعه(٢).

يا ليت شعري: أين الرعاة والرعية من تدبر هذه الوصية، فهلا توهمت نفسك يا صاحب المنصب، ويا صاحب المسئولية وأنت على فراش الموت، قد فراقت الكرسي وفارقت الخدم والحشم والمال والأطيان... هلا تخيلت في ساعة من ساعات عمرك وملك الموت قد جاء بالقرار الرباني الذي لا يفرق بين كبير ولا صغير ولا ذكر ولا أنثي، ولا بين ملك ولا وزير في هذه الحالة قد زالت الدنيا وعندها تقول " يا من لا يزول ملكه أرحم من زال ملكة "(٣).

---

(١) «أحياء علوم الدين» (ج٢ ص٢٢٨)، و«المصباح المضيء» (ص ٣٦٤ - ٣٦٥).

(٢) «تاريخ دمشق» (٢٢ / ٤٥)، و«سيرة عمر بن عبد العزيز» (ص١٣٥)، و«الأحياء» (ج٢ ص٢٢٩).

(٣) «سراج الملوك» (١/ ٢١)، و«العاقبة في ذكر الموت» (١/ ١٣٠)، و«تاريخ بغداد» (١٤/ ١٩).

٣٣٠- محمد بن كعب ووصيته لعمر بن عبد العزيز رحمهما الله.

قال محمد بن كعب لعمر بن عبد العزيز: يا أمير المؤمنين، إنما الدنيا سوق من الأسواق منها خرج الناس بما يضرهم وما ينفعه، وكم من قوم غرهم منها مثل الذي أصبحنا فيه حتى أتاهم الموت فأستوعبهم، فخرجوا منها ملومين لم يأخذوا منها لما أحبوا من الآخرة عدة لما كرهوا منها جنة، وأقسم ما جمعوا من لم يحمدهم، وصاروا إلى من لا يعذرهم، فنحن محقوقون يا أمير المؤمنين أن ننظر إلى تلك الأعمال التي نغبطهم بها فنخلفهم فيها وإلى الأعمال التي نتخوف عليهم فيها فنكف عنها، فاتق الله، وافتح الأبواب، وسهل الحجاب، وانصر المظلوم ورد الظالم، ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان بالله ﷻ، إذا رضي لم يدخله رضاه في باطل، وإذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له[١].

٣٣١- رجل من أهل أذربيجان وعمر بن عبد العزيز.

جاء رجل من أهل أذربيجان إلى عمر بن عبد العزيز فقام بين يديه فقال: اذكر بمقامي هذا مقامًا لا يشغل الله عنك فيه كثرة من يخاصمك من الخلائق، يوم تلقاه بلا ثقة من عمل ولا براءة ذنب، قال: فبكى عمر بكاء شديدا، ثم قال: ويحك اردد علي كلامك هذا فجعل يردده عليه وعمر يبكي وينتحب. ثم قال: ما حاجتك؛ قال: إن عامل أذربيجان عدا عليّ فأخذ مني اثني عشرة ألف درهم فجعلها في بيت مال المسلمين، فقال عمر: اكتبوا له الساعة إلى عاملها حتى يرده إليه[٢].

---

(١) «المجالسة وجواهر العلم» (٣ / ٢٠)، و«المنهج المسلوك في سياسة الملوك» (١ / ٧١٣)، و«سراج الملوك» (١ / ٢٤).

(٢) «المجالسة وجواهر العلم» (٨ / ٣١٤)، و«سراج الملوك» (١ / ٢٤)، و«الرقة والبكاء» (١ / ١٣١)، و«البصائر والذخائر» (١ / ٣٩٠).

٣٣٢- بين طاووس والمنصور

❁ بين طاووس والمنصور.

ورد أن أبا جعفر المنصور استدعى طاووس أحد علماء عصره ومعه مالك بن أنس رحمهما الله تعالى فلما دخلا عليه، أطرق ساعة ثم التفت إلى طاووس فقال: له حدثني عن أبيك يا طاووس: ابن كيسان التابعي " فقال: حدثني أبي أن رسول الله ﷺ قال: أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل أشركه الله في حكمه فأدخل عليه الجور في عدله، فأمسك ساعة، قال، مالك فضممت ثيابي مخافة أن يملأني من دمه، ثم التفت إليه أبو جعفر فقال: عظني يا طاووس، قال: نعم يا أمير المؤمنين ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَـٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِي ٱلْبِلَـٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤﴾ [الفجر:٦].

قال مالك: فضممت ثيابي مخافة أن يملأني من دمه، فأمسك عنه، ثم قال: ناولني الدواة، فأمسك ساعة حتى اسود ما بيننا وبينه، ثم قال: يا طاووس ناولني هذه الدواه، فأمسك عنه فقال: ما يمنعك أن تناولنيها؛

فقال أخشى أن تكتب بها معصية لله، فأكون شريك فيها فلما سمع ذلك قال: قوما عني.

قال طاووس: ذلك ما كنا نبغ منذ اليوم.

قال مالك: فما زلت أعرف لطاووس فضله[١].

٣٣٣- ابن أبي ذؤيب وأبي جعفر المنصور.

(١) «وفيات الأعيان» (٢ / ٥١١)، و«تذكرة الحفاظ» (ج١ ص١٦٠)، و«مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان» (١ / ١٢٨).

عن الإمام الشافعي رحمه الله قال حدثني عمي محمد بن علي قال: إني لحاضر مجلس أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور وفيه ابن أبي ذؤيب وكان والي المدينة الحسن بن يزيد، قال: فأتى الغفاريون فشكوا إلى أبي جعفر شيئًا من أمر الحسن بن يزيد.

فقال الحسن: هذا أمير المؤمنين سل عنهم ابن أبي ذؤيب قال نسأله.

فقال: ما تقول فيهم يا ابن أبي ذؤيب.

فقال: أشهد أنهم تحطم في أعراض الناس، كثيرو الأذى لهم. فقال أبو جعفر: أفسمعتم.

فقال الغفاريون: يا أمير المؤمنين سله عن الحسن بن يزيد.

فقال: يا ابن أبي ذؤيب، ما تقول في الحسن بن يزيد.

فقال: أشهد أنه يحكم بغير الحق ويتبع هواه.

فقال: سمعت يا حسن ما قال فيك وهو الشيخ الصالح.

فقال: يا أمير المؤمنين سله عن نفسك؛ فقال: ما تقول فيّ؟

قال: تعفني يا أمير المؤمنين.

قال: أسألك بالله إلا أخبرتني.

قال: تسألني بالله كأنك لا تعرف نفسك؛!!!

قال: والله لتخبرني.

قال: أشهد أنك آخذ المال من غير حقه فجعلته في غير أهله وأشهد أنك الظلم ببابك فاش.

قال: فجاء أبو جعفر من موضعه حتى وضع يده في قفا ابن أبي ذؤيب فقبض عليه، ثم قال: أما والله لولا أني جالس هاهنا لأخذت فارس والروم والديلم والترك بهذا المكان منك

قال: فقال ابن أبي ذؤيب: يا أمير المؤمنين قد ولي أبي بكر وعمر وأخذا الحق وقسما بالسوية، وأخذا بأقفاء فارس والروم وأصغرا أنوفهم.

قال: فخلى أبو جعفر قفاه وخلى سبيله.

قال: والله لولا أني أعلم أنك صادق لقتلتك.

فقال: ابن أبي ذؤيب، والله يا أمير المؤمنين إني لأنصح لك من ابنك المهدي.

قال: فبلغنا أن ابن أبي ذؤيب لما أنصرف من مجلس المنصور لقيه سفيان الثوري.

فقال: يا أبا الحارث لقد سرني ما خاطبت به هذا الجبار، ولكن ساءني قولك له ابنك المهدي.

فقال: يغفر الله لك يا أبا عبد الله كلنا مهدي كلنا كان في المهد(١).

٣٣٤-بين أبي حنيفة والمنصور.

وتعال أخي المسلم لنرى حرص أبي حنيفة على بيان الحق ورد ولي الأمر إلى الصواب، فهو لا يخاف في لومة لائم انتقض أهل الموصل على أبي جعفر المنصور، وقد اشترط عليهم أنهم إن انتقضوا تحل دماؤهم له، فجمع المنصور الفقهاء وفيهم الإمام أبو حنيفة. قال أليس صحيحًا أنه عليه السلام قال: " المؤمنون عند شروطهم(٢).

وأهل الموصل قد شرطوا ألا يخرجوا علي وقد خرجوا على عاملي،

---

(١) «أحياء علوم الدين» (ج٧ ص٧٧)، و«جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس» (١ / ١٠٨).

(٢) أخرجه البخاري (ح ٢٢٧٤)، «المسلمون عند شروطهم» والدارقطني (٢٨/٣)، والحاكم (٥٧/٢)، (رقم ٢٣١٠)، والبيهقي (٢٤٩/٧).

وقد حلت دماؤهم، فقال رجل منهم: يدك مبسوطة عليهم، قولك مقبول فيهم فإن عفوت فأنت أهل العفو وإن عاقبة فيما يستحقون.

فقال لأبي حنيفة: ما تقول يا شيخ؛ ألسنا في خلافة نبوة وبيت أمان؟؟!!

فأجاب: إنهم شرطوا لك ما لا يملكون، وهو استحلال دمائهم، وشرطت عليهم ما ليس لك، لأن دم المسلم لا يحل إلا بأحد معان ثلاث: فأمرهم المنصور بالقيام فتفرقوا فدعاه وحده فقال:يا شيخ القول ما قلت انصرف إلى بلادك ولا تفت الناس بما هو شين إمامك فتبسط أيدي الخوارج[١].

٣٣٥- رجل من الرعية وأبي جعفر المنصور.

وأخرج عن الأصمعي وغيره أن المنصور صعد المنبر فقال: الحمد لله أحمده وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه وأشهد أن لا إله إلا الله وحدة لا شريك له، فقام رجل فقال: يا أمير المؤمنين اذكر من أنت في ذكره، فقال: مرحبًا مرحبًا، لقد ذكرت جليلا، وخوفت عظيما، وأعوذ بالله أن أكون ممن إذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالآثم، والموعظة منا بدت، ومن عندنا خرجت، وأنت يا قائلها فأحلف بالله ما الله أردت بها، وإنما أردت أن يقال، قام فقال فعوقب فصبر فأهون بها من قائلها، واهتبلها[٢] من الله ويلك!! إني قد عرفتها وإياكم معشر الناس وأمثالها وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله فعاد إلى خطبته فكأنما يقرؤها من قرطاس[٣].

٣٣٦-عبد الرحمن بن زياد بن أنعم والمنصور.

(١) «أخبار أبي حنيفة» (١ / ٦٩)، و«المناقب» لابن الجوزي (ج١٧/٢).
(٢) اهتبلها، أي: اغتنمها.
(٣) «تاريخ الخلفاء» (ص٣٠٦)، و«تاريخ الإسلام» (ج ١ ص ١١٣٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٧ / ٨٤-٨٥).

عن إسماعيل بن عياش قال: ظهر في إفريقية جور من السلطان فلما قام ولد العباس أي الخلافة العباسية قدم عبد الرحمن بن زياد بن أنعم على أبي جعفر فلما دخل عليه قال: أبو جعفر ما أقدمك؟

قال: عبد الرحمن: ظهر الجور ببلدنا فجئت لأعلمك فإذا الجور يخرج من دارك، فغضب أبو جعفر وهم به، ثم أمر بإخراجه .

وفي لفظ عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم قال: أرسل إلي أبو جعفر فقدمت عليه فدخلت والربيع قائم على رأسه فاستدناني ثم قال لي أبو جعفر، يا عبد الرحمن: كيف مررت به من أعمالنا إلى أن وصلت إلينا.

فقلت يا أمير المؤمنين: رأيت أعمالنا سيئة وظلما فاشيا ظننته لبعد البلاد منك فجعلت كما دنوت منك كان أعظم للأمر، قال فنكس المنصور رأسه طويلا ثم رفعه إلي فقال: كيف لي بالرجال. قلت: أفليس عمر بن عبد العزيز كان يقول: الوالي بمنزلة السوق يجلب إليها ما ينفق فيها، فإن كان برا أتوه ببرهم، وإن كان فاجرا أتوه بفجورهم، فأطرق المنصور طويلا فأومأ إلى الربيع أن اخرج فخرجت، وما عدت إليه[1].

٣٣٧- سفيان الثوري وأبي جعفر المنصور.

عن سفيان قال: أدخلت على المهدي بمني، فسلمت عليه بالإمرة، فقال: أيها الرجل! طلبناك، فأعجزتنا، فالحمد لله الذي جاء بك، فارفع إلينا حاجتك.

فقلت: قد ملأت الأرض ظلما وجورا، فاتق الله، وليكن منك في ذلك عبر.

---

(١) «تاريخ بغداد» (١٠ / ٢١٥)، و«تاريخ الإسلام» للإمام الذهبي (٩ / ٤٧٨)، و«المصباح المضيء» (١٨٥ - ١٨٦).

فطأطأ رأسه، ثم قال: أرأيت إن لم استطع دفعه؟

قال: تخليه وغيرك.

فطأطأ رأسه، ثم قال: ارفع إلينا حاجتك.

قلت: أبناء المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان بالباب، فاتق الله، وأوصل إليهم حقوقهم.

فطأطأ رأسه، فقال أبو عبيد الله: أيها الرجل! ارفع إلينا حاجتك.

قلت: وما أرفع؟

حدثني إسماعيل بن أبي خالد، قال: حج عمر، فقال لخازنه: كم أنفقت؟

قال: بضعة عشر درهما.

وإني أرى ها هنا أمورا لا تطيقها الجبال[1].

٣٣٨ - وصية شيبان إلى هارون الرشيد

۞ **وصية شيبان إلى هارون الرشيد.**

لما حج هارون الرشيد قيل له يا أمير المؤمنين قد حج شيبان قال: اطلبوه لي فأتوه به، فقال هارون: يا شيبان عظني، قال: يا أمير المؤمنين أنا رجل ألكن - لا يتكلم العربية - لا أفصح بالعربية فجئني بمن يفهم كلامي حتى أكلمه. فأتي برجل يفهم كلامه فقال له: بالنبطية، قل له: يا أمير المؤمنين، إن الذي يخوفك قبل أن تبلغ المأمن أنصح لك من الذي يؤمنك قبل أن تبلغ الخوف

(١) «سير أعلام النبلاء» (٧ / ٢٦٤-٢٦٥)، و«أحياء علوم الدين» (ج٢ / ٢٢٨)، و«حلية الأولياء» (ج٦ ٤٤ /٤٥).

فقال هارون الرشيد: أي شيء تفسير هذا؛

قال قل له: الذي يقول لك اتقي الله فإنك رجل مسئول عن هذه الأمة استرعاك الله عليها، وقلدك أمورها وأنت مسئول عنها فاعدل في الرعية وأقسم بالسوية وانفذ في السرية واتق الله في نفسك، هو الذي يخوفك، فإذا بلغت المأمن أمنت هذا أنصح لك ممن يقول: أنتم أهل مغفور لكم وأنتم قرابة نبيكم وفي شفاعته فلا يزال يؤمنك حتى إذا بلغت الخوف عطبت.

قال: فبكي هارون الرشيد حتى رحمه من حوله ثم قال زدني قال حسبك[١].

٣٣٩-وصية بهلول لهارون الرشيد.

عن الفضل بن الربيع قال حججت مع هارون الرشيد أمير المؤمنين فمررنا بالكوفة في طاق المحامل فإذا ببهلول المجنون قاعد يهذي فقلت له: اسكن فقد أقبل أمير المؤمنين فسكت فلما جاء الهودج قال: يا أمير المؤمنين حدثني أيمن بن نابل عن قدامة بن عبد الله العامري قال: رأيت النبي ﷺ بمني على جمل وتحته رحل رث فلم يكن ثم طرد ولا ضرب ولا إليك إليك فقلت يا أمير المؤمنين إنه بهلول المجنون قال قد عرفته وبلغني كلامه قل يا بهلول فقال: يا أمير المؤمنين:

هب أنك ملكت العباد طرا ... ودان لك العباد فكان ماذا

أليس مصيرك إلى قبر ... يحثو ترابك هذا وهذا

فقال: أجدت يا بهلول أفغيره.

قال: نعم يا أمير المؤمنين من رزقه الله جمالا ومالا فعف في جماله

(١) «مختصر منهاج القاصدين» للمقدسي (٢ / ٨١)، و«حلية الأولياء» (ج٧ /٣٢٢)، و«من أخلاق العلماء» (٩٥).

وواسى في ماله كتب في ديوان الأبرار قال فظن أنه يريد شيئًا قال فإنا قد أمرنا أن نقضي دينك قال لا تفعل يا أمير المؤمنين لا تقض دينا بدين اردد الحق إلى أهله واقض دين نفسك من نفسك فإن نفسك هذه نفس واحدة وإن هلكت والله ما انجبرت عليها قال فإنا قد أمرنا أن نجري عليك قال لا تفعل يا أمير المؤمنين لا يعطيك وينساني أجري على الذي أجرى عليك لا حاجة لي في إجرائك ومضى هكذا) قال: والصواب:

هب أنك قد ملكت الأرض طرا ... ودان لك العباد فكان ماذا

ألـيس تصير في قبر ويحوي ... تراثك بعد هذا ثم هذا[1]

٣٤٠-بين شعيب بن حرب وهارون الرشيد.

قال شعيب بن حرب: بينما أنا في طريق مكة إذا رأيت هارون الرشيد، فقلت في نفسي قد وجبت عليك الأمر والنهي فقالت: لي لا تفعل فإن هذا رجل جبار ومتي أمرته ضرب عنقك، فقلت في نفسي: لأبد من ذلك، فلما دنا مني صحت يا هارون، قد آذيت الأمة وأتعبت البهائم، فقال خذوه ثم أدخلت عليه، وهو على كرسي وبيده عمود يلعب به.

فقال: ممن الرجل؛

فقلت: من أفناء الناس.

فقال: ممن ثكلتك أمك؛!

قلت: من الأنبار،

قال: وما حملك أن تدعوني باسمي.

فقلت: أنا أدعو الله باسمه فأقول يا الله، يا رحمن، لا أدعوك باسمك،

(١) «تاريخ دمشق» (٥ / ٤٠٨)، و«تاريخ دمشق» (ج ٥ ص ٤٠٨)، و«إحياء علوم الدين» (ج٢ ص٥٥٣) دار الحديث.

وما ينكر من دعائي باسمك، وقد رأيت الله سمى في كتابه أحب الخلق إليه محمدًا، وكنى أبغض الخلق إليه أبا لهب.

فقال: أخرجوه[١].

٣٤١-صالح المري والمهدي أمير المؤمنين.

بعث المهدي إلى صالح المري، قال صالح فلما دخلت عليه قلت يا أمير المؤمنين: احمل لله ما أكلمك به اليوم، فإن أولى الناس بالله أحملهم لغلظة النصيحة فيه وجدير بمن له قرابة برسول الله ﷺ أن يرث أخلاقه ويأتم بهدية وقد ورثك الله من فهم العلم وإنارة الحجة ميراثا قطع به عذرك، فمهما ادعيت من حجة، وأركبت من شبهة لم يصح لك فيها برهان من الله، حل بك من سخط الله بقدر ما تجاهلته من العلم، أو أقدمت عليه من شبهة الباطل واعلم أن رسول الله ﷺ خصم من خالف في أمته يتبزها أحكامها ومن كان محمد ﷺ خصمه كان الله خصمه فأعد لمخاصمة الله ومخاصمة رسوله حججا تضمن لك النجاة، أو استسلم للهلكة، واعلم أن أبطأ الصرعى نهضة صريع الهوى، وأن أثبت الناس قدما يوم القيامة آخذها بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ فمثلك لا يكابر بتجديد المعصية ولكن تمثل له الإساءة إحسانا، ويشهد عليه خونة العلماء وبهذه الحبالة تصيدت الدنيا نظرائك، فأحسن الحمل، فقد أحسنت إليك الأداء، فبكي المهدي، ثم أمر له بشيء فلم يقبله، وحكي بعض كتاب أنه رأي هذا الكلام مكتوبا في دواوين المهدي[٢].

٣٤٢-منذر بن سعيد والخليفة الناصر.

(١) «وفيات الأعيان» (٢ / ٤٧٠)، و«تاريخ بغداد» (٩ / ٢٣٩/٢٤٠).

(٢) «تاريخ بغداد» (٩ / ٣٠٦)، و«وفيات الأعيان» (ج٢ ص٤٩٤)، و«تاريخ دمشق» (٥٣ / ٤٢٣).

قال القاضي أبو الحسن ومن أخبار منذر بن سعيد البلوطي المحفوظة له مع الخليفة الناصر في إنكاره عليه الإسراف في البناء أن الناصر كان اتخذ لسطح القبة التي كانت على الصرح الممرد المشهور شأنه بقصر الزهراء قراميد مغشاة ذهبا وفضة أنفق عليها مالا جسيما وقد مد سقفها به تستلب الأبصار بأشعة أنوارها وجلس فيها إثر تمامها يوما لأهل مملكته فقال لقرابته من الوزراء وأهل الخدمة مفتخرا بما صنعه من ذلك هل رأيتم أو سمعتم ملكا كان قبلي فعل مثل فعلي هذا وقدر عليه فقالوا لا يا أمير المؤمنين وإنك لأوحد في شأنك كله وما سبقك إلى مبتدعاتك هذه ملك رأيناه ولا انتهى إلينا خبره فأبهجه قولهم وسره وبينما هو كذلك إذ دخل عليه القاضي منذر بن سعيد واجما ناكس الرأس فلما أخذ مجلسه قال له كالذي قال لوزرائه من ذكر السقف المذهب واقتداره عليه وعلى أبدًاعه فأقبلت دموع القاضي تنحدر على لحيته وقال له والله يا أمير المؤمنين ما ظننت أن الشيطان -لعنه الله تعالى - يبلغ منك هذا المبلغ ولا أن تمكنه من قلبك هذا التمكين مع ما آتاك الله من فضله ونعمته وفضلك به على العالمين حتى ينزلك منازل الكافرين قال فانفعل عبد الرحمن لقوله وقال له انظر ما تقول وكيف أنزلني منزلتهم فقال له نعم أليس الله تعالى يقول: { ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون } فوجم الخليفة واطردت عيناه وأطرق مليا ودموعه تتساقط خشية وخشوعا لله تعالى ثم أقبل على منذر فقال له جزاك الله يا قاضي عنا وعن نفسك خيرًا وعن الدين والمسلمين أجمل جزائه وكثر في الناس أمثالك فالذي قلت هو الحق وقام من مجلسه ذلك وأمر بنقض سقف القبة وأعاد قرمدها ترابا على صفة غيرها[١] .

(١) «أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض» (١ / ١٩٩)، «تاريخ قضاة الأندلس» (١

٣٤٣- العز بن عبد السلام والسلطان أيوب.

قال الشيخ الباجي: طلع عز بن عبد السلام مرة إلى السلطان في يوم عيد إلى القلعة فشاهد العسكر مصطفين بين يديه ومجلس المملكة والسلطان فيه يوم العيد من الأبهة، وقد خرج على قومه في زينته على عادة سلاطين الديار المصرية وأخذت الأمراء تقبل الأرض بين يديه، فالتفت الشيخ إلى السلطان وناداه يا أيوب: ما حجتك عند الله إذا قال لك: ألم أبوئ لك ملك مصر ثم تبيح الخمور؟!

فقال السلطان، هل جرى ذلك؟!

فقال: نعم الحانة الفلانية يباع فيها الخمور وغيرها من المنكرات وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة، يناديه بأعلى صوته والعساكر واقفون، فقال السلطان أيوب: يا سيدي هذا من زمان أبي، فقال الشيخ: أنت من الذين يقولون، إنا وجدنا آباءنا على أمة، فرسم السلطان بإبطال تلك الحانة قال الشيخ الباجي: سألت الشيخ لما جاء من عند السلطان وقد شاع هذا الخبر: يا سيدي كيف الحال؛

فقال: رأيته في تلك العظمة فأردت أن أهينه لئلا تكبر عليه نفسه فتؤذيه.

فقلت: يا سيدي أما خفته؛

فقال: والله يا بني استحضرت هيبة الله تعالى فصار السلطان قدامي كالقط[1].

/ ٧٢)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٣ / ٤).

(١) «طبقات الشافعية الكبرى» (٨ / ٢١١)، و«من أخلاق العلماء» (١٧٤ – ١٧٥)، و«علماء في مواجهة الحكام» (ص٩٧).

٣٤٤- الإمام النووي والظاهر بيبرس.

لما خرج الظاهر بيبرس إلى قتال التتار بالشام أخذ فتاوى العلماء بجواز أخذ مال من الرعية يستنصر به علي قتالهم، فكتب له فقهاء الشام بذلك فأجازوه،

فقال: هل بقي من أحد؛

فقيل له: نعم بقي الشيخ محي الدين النووي فطلبه فحضر.

فقال له: اكتب خطك مع الفقهاء فامتنع.

فقال: ما سبب امتناعك؛

فقال: أنا أعرف أنك كنت في الرق للأمير " بندقار " وليس لك مال ثم من الله عليك وجعلك ملكا وسمعت أن عند ألف مملوك، وكل مملوك له حياصة من ذهب وعندك مائتا جارية لكل جارية حق من الحلي، فإذا أنفقت ذلك كله وبقيت مماليكك بالبنود والصرف من دون الحوائص وبقيت الجواري بثيابهن دون الحلي، أفتيتك بأخذ المال من الرعية فغضب الظاهر من كلامه، وقال: أخرج من بلدي يعني دمشق فقال: السمع والطاعة وخرج إلى نوى. فقال الفقهاء: إن هذا من كبار علمائنا وصلحائنا وممن يقتدي به فأعده إلى دمشق، فرسم برجوعه، فامتنع الشيخ، وقال لا أدخلها والظاهر فيها، فمات بعد شهر[١].

٣٤٥- السيد نفسيه وبذلها النصيحة لأحمد بن طولون

لما ظلم أحمد بن طولون استغاث الناس من ظلمة وتوجهوا إلى السيدة نفيسة يشكونه إليها، فقالت لهم متى يركب قالوا غدا، فكتبت رقعة ووقفت بها في طريقه، وقالت: يا أحمد بن طولون، فلما رآها عرفها فترجل عن

(١) الإمام النووي (١ / ١٣)، و«حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة» (٢ / ١٠٥).

فرسه وأخذ منها الرقعة فقرأها فإذا فيها " ملكتم فأسرتم، وقدتم فقهرتم، وخولتم فعسفتم، وردت إليكم الأرزاق فقطعتم، هذا وقد علمتم أن سهام الأسحار نافذة غير مخطئة لا سيما من قلوب أو جعتموها، وأكباد جوعتموها، وأجساد أعريتموها، فمحال أن يموت المظلوم ويبقي الظالم، واعملوا ما شئتم فإنا صابرون وجوروا فإنا إلى الله مستجيرون، واظلموا فإنا بالله متظلمو ﴿ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ٢٢٧﴾ [الشعراء:٢٢٧] فعدل ابن طولون لوقته[1].

٣٤٦ السلطان سوق نافق لو نفق عليك الصالحون لجلبوا إليك

عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي، قال: كنت أطلب العلم مع أبي جعفر أمير المؤمنين قبل الخلافة، فأدخلني يوما إلى منزله قدم طعاما ومريقة من حبوب ليس فيها لحم، ثم قدم إلي زبيبا ثم قال: يا جارية عندك حلواء؟ قالت: لا، قال: ولا التمر؟ قالت: ولا التمر، فاستلقى ثم تلى هذه الآية: " عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون ". فما ولي الخلافة دخلت عليه، فقال: يا عبد الرحمن، بلغني أنك كنت تفد لبني أمية، قال: قلت: أجل كنت أفد لهم وأفد إليهم. قال: فكيف رأيت سلطاني من سلطانهم؟

قال: قلت: يا أمير المؤمنين، والله ما رأيت من سلطانهم من الجور والظلم إلا رأيته في سلطانك، تحفظ يوم أدخلتني منزلك فقدمت إلي طعاما ومريقة من حبوب لم يكن فيها لحم، ثم قدمت إلي زبيبا ثم قلت: يا جارية عندك حلواء؟ قالت: لا، قلت: ولا التمر، قالت: ولا التمر. فاستلقيت ثم تلوت هذه الآية: عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف

(١) «الكشكول» (١ / ٣١١)، و«المستطرف» (ج١ ص١٦٦).

تعملون " فقد والله أهلك الله عدوك، واستخلفك في الأرض، فانظر ما ذا تعمل، قال: يا عبد الرحمن، إنا لا نجد الأعوان، قلت: يا أمير المؤمنين، السلطان سوق نافق لو نفق عليك الصالحون لجلبوا إليك. قال: فكأني ألقمته حجرا، فلم يرد علي شيئًا(١).

(١) «المنتظم» (ج ٢ / ص ٤٥٢).

الفصل الثامن عشر: مع المقسطين أهل العدل

٣٤٧- رسول الله ﷺ يقيم العدل على نفسه

وتأمل ذلك المشهد الرائع في إقامة العدل على نفسه ﷺ بينما رسول الله ﷺ يعدل صفوف المقاتلين في غزوة بدر إذ وقع أمر عجيب، فقد كان في يده قدح يعدل به وكان سواد بن غزية مستنصلا من الصف، فطعن في بطنه بالقدح وقال: استوى يا سواد، فقال سواد: يا رسول الله أوجعتني فأقدني، فكشف عن بطنه وقال: استقد، فاعتنقه سواد وقبل بطنه، فقال: ما حملك على هذا يا سواد؛ قال: يا رسول الله قد حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمسي جلدي جلدك، فدعا له رسول الله ﷺ بخير(١).

٣٤٨- لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها

ومن عدله ﷺ ما قرره عندما سرقت المرأة المخزومية عن عائشة رضي الله عنها أن قريشا أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ، ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله ﷺ؛ فكلم رسول الله ﷺ فقال: أتشفع في حد من حدود الله؛ ثم قام فخطب الناس، فقال: يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن

(١) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (٢ / ٢٦٦ - سيرة ابن هشام)، ومن طريقه أبونعيم في «معرفة الصحابة» (ق ٣٠٣ / ١).

فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها[١].

٣٤٩- اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم

من عدله ﷺ أنه أمر بالعدل بين الأبناء وقال: إني لا أشهد على جور.

فعن عامر قال: سمعت النعمان بن بشير رضي الله عنه وهو على المنبر يقول: أعطاني أبي عطية، فقالت: عمرة بنت رواحه: لا أرضى حتى يشهد رسول الله ﷺ فأتي رسول الله ﷺ فقال: إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله، قال: أعطيت سائر والدك مثل هذا: قال: لا، قال: فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم، قال: فرجع فرد عطيته[٢].

٣٥٠- فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر

عن عروة بن الزبير أن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما حدثه: أن رجلا من الأنصار خاصم الزبير عند رسول الله ﷺ، في شراج الحرة[٣] التي يسقون بها النخل، فقال الأنصاري: سرح الماء يمر. فأبى عليهم. فاختصموا عند رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ للزبير: «اسق يا زبير. ثم أرسل الماء إلى جارك» فغضب الأنصاري. فقال:

يا رسول الله، أن كان ابن عمتك، فتلون وجه نبي الله ﷺ ثم قال: «يا زبير، اسق ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر[٤] فقال الزبير: والله إني

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٨٢/٣، رقم ٣٢٨٨)، ومسلم (١٣١٥/٣، رقم ١٦٨٨)، وأبو داود (١٣٢/٤، رقم ٤٣٧٣).

(٢) أخرجه البخاري (٩١٤/٢، رقم ٢٤٤٧)، ومسلم (١٢٤٢/٣، رقم ١٦٢٣).

(٣) شراج الحرة: هي مسايل الماء وواحدها شرجة والحرة هي الأرض الملسة التي بها حجارة سوداء.

(٤) الجدر بفتح الجيم وكسرها: وهي الجدار وجمعه جدر والمراد بالجدر أصل الحائط.

لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك: فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما»[١].

٣٥١-والله لا يستقيد، ولا تجعلها سنة

❁ عدل أبي بكر الصديق ﷺ مع رعيته.

أخرج البيهقي عن عبد الله بن عمر بن العاص أنا أبا بكر الصديق ﷺ قام يوم الجمعة فقال: إذا كان بالغداة فأحضروا صدقات الإبل نقسم ولا يدخل علينا أحد إلا بإذن، فقالت امرأة لزوجها: خذ هذا الخطام، لعل الله يرزقنا جملا، فأتي الرجل فوجد أبا بكر وعمر ﷺ قد دخلا إلى الإبل فدخل معهما، فالتفت أبو بكر فقال: ما أدخلك علينا، ثم أخذ منه الخطام فضربه، فلما فرغ أبو بكر من قسم الإبل دعا بالرجل فأعطاه الخطام، قال استقد، فقال: عمر، والله لا يستقيد، ولا تجعلها سنة، قال أبو بكر: فمن لي من الله يوم القيامة، فقال: عمر أرضه، فأمر أبو بكر: غلامه أن يأتيه براحلة ورحلها وقطيفة وخمسة دنانير فأرضاه بهما[٢].

٣٥٢- من بين هؤلاء أجمعين؟؟

ولقد كان ﷺ يعدل بين الناس في العطاء ولا يحابي في ذلك أحدًا عن عائشة ﷺ قالت: قسم أبي أول عام الفيء فأعطى الحر عشرة، وأعطى المملوك عشرة، والمرأة عشرة، وأمتها عشرة، ثم قسم العام الثاني: فأعطاهم عشرين عشرين[٣].

---

(١) البخاري- (الفتح ٨) (٤٥٨٥)، ومسلم (٢٣٥٧) واللفظ له.

(٢) «جامع الأحاديث» (٢٤ / ٣٦١)، أخرجه البيهقي (٤٩/٨، رقم ١٥٨٠٤).

(٣) «الأموال» لابن زنجويه (٢ / ٢٢٥) (رقم ٦٧٢)، وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (ج١٩٣/٣).

وها هو ﷺ ينكر على من خصه بالسلام دون أصحابه، أخرج أحمد في الزهد عن ميمون بن مهران قال: جاء رجل إلى أبي بكر فقال: السلام عليك يا خليفة رسول الله، قال: من بين هؤلاء أجمعين؟؟[١].

٣٥٣- السباق الى الخيرات

من أروع المشاهد الدالة على عدله وحرصه الشديد على راحة رعيته ما أخرجه ابن عساكر عن أبي صالح الغفاري: أن عمر بن الخطاب كان يتعهد عجوزا كبيرة عمياء في بعض حواشي المدينة من الليل فيسقي لها، ويقوم بأمرها، فكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها، فرصده، عمر فإذا هو بأبي بكر الذي يأتيها، وهو يومئذ خليفة، فقال عمر: أنت لعمري[٢].

٣٥٤- عدل أبي بكر بين أبنائه

وأخرج مالك عن عائشة ﷺ أن أبا بكر نحلها جداد عشرين وسقا من ماله بالغابة، فلما حضرته الوفاة، قال يا بنيه والله ما من الناس أحدًا أحب إلي غني منك، ولا أعز علي فقرا بعدي منك وإني نحلتك جداد عشرين وسقا، فلو كنت جددته واحتززته كان لك، وإنما هو اليوم مال وراث، وإنما هو أخواك وأختاك فاقسموا على كتاب الله، فقالت: يا أبت والله لو كان كذا وكذا لتركته إنما هي أسماء فمن الأخرى: قال في آخره ذات بطن ابنه خارجه قد ألقي في روعي أنها جارية فاستوصي بها خيرًا، فولدت أم كلثوم[٣].

---

(١) «جامع الأحاديث» (٢٥ / ٧).
أخرجه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (١٧٢/١، رقم ٢٥٥)، وخيثمة (١٣٣/١). وأخرجه أيضًا: ابن أبي شيبة (٢٤٤/٥، ٦).

(٢) «تاريخ الخلفاء» (١ / ٧٤)، و«كنز العمال» (ح ٣٥٦٠٧).

(٣) أخرجه عبد الرزاق (١٠١/٩، رقم ١٦٥٠٧)، وابن سعد (١٩٥/٣)، والبيهقي

٣٥٥- إني لم أبعث عمالي عليكم ليصيبوا من أبشاركم

۞ عدل الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وها هو الفاروق يرسي للأمة منهجه في الحكم فيما بينهم عدل لا جور فيه،

فعن عطاء قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمر عماله أن يوافوه بالموسم فإذا اجتمعوا قال: أيها الناس، إني لم أبعث عمالي عليكم ليصيبوا من أبشاركم ولا من أموالكم، وإنما بعثتهم ليحجزوا بينكم، وليقسموا فيئكم بينكم، فمن فعل ذلك فليقم.

فما قام أحد إلا رجل، قام فقال: يا أمير المؤمنين إنا عاملك فلان ضربني مائة سوط قال: فيم ضربته، قم فاقتص منه فقام عمرو بن العاص رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين إنك إن فعلت هذا يكثر عليك وتكون سنة يأخذ بها من بعدك، فقال: أنا لا أقيد وقد رأيت رسول الله ﷺ قيد من نفسه؛ قال: فدعنا لنرضيه، قال: دونكم فأرضوه، فافتدي منه بمائتي دينار، كل سوط بدينارين[1].

واستمع إلى تلك الكلمات النابعة من قلب قد حشي بالرغبة والرهبة بالعدل والرحمة، عن عبد الرحمن بن غنيم قال سمعت عمر بن الخطاب يقول: ويل لديان الأرض من ديان السماء يوم يلقونه، إلا من أمر بالعدل فقضي بالحق، ولم يقض على هوى ولا على قرابة، ولا على رغبة ولا رهبة وجعل كتاب الله مرآة بين عينه.

(١٦٩/٦، رقم ١١٧٢٨).

(١) «تاريخ المدينة» (٣ / ٨٠٧)، وانظر: «الكامل» لابن الاثير (٣/ ٥٦)، و«تاريخ الطبري» (ق ١ ج ٥/ ٢٧٤٢)، و«منتخب كنز العمال» (٦/ ٣٠٧).

٣٥٦- عمر ﷺ يقيم الحد على ابنه.

أخرج عبد الرازق والبيهقي عن ابن عمر ﷺ قال: شرب أخي عبد الرحمن وشرب أبو سروعة عتبة بن الحارث وهما بمصر في خلافة عمر ﷺ فسكرا، فلما أصبحا انطلقا إلى عمرو بن العاص ﷺ وهو أمير مصر فقالا طهرنا، فإنا قد سكرنا من شراب شربناه، قال عبد الله فذكر لي أخي أنه، سكر فقلت أدخل الدار أطهرك ولم أشعر أنهما أتيا عمر، فأخبرني أخي أنه قد أخبر الأمير بذلك، فقلت لا تحلق اليوم على رؤوس الناس أدخل الدار أحلقلك وكانوا إذ ذاك يحلقون مع الحد، فدخلا الدار، قال عبد الله فحلقت أخي بيدي ثم جلدهم عمرو فسمع بذلك عمر، فكتب إلى عمرو ﷺ أن أبعث إلى بعبد الرحمن على قتب[١] ففعل ذلك فلما قدم على عمر ﷺ جلده وعاقبه لمكانه منه ثم أرسله، فلبث شهرًا صحيحًا ثم أصابه قدره فمات[٢].

٣٥٧- أليس إذا هلك المال كنا ضامنين له

۞ ومن عدل عمر مع أبنائه أيضًا.

كان ولده عبد الله، وعبيد الله بالشام فأراد العودة إلى المدينة وكان في الجيش، وكان أبو موسى عاملا بالشام فأراد أن ينفع ولدي عمر ويضمن مال المسلمين، فقال لهما: عندي مال بيت المسلمين أقرضكماه فتشتريان به تجارة من الشام وتبيعانها بالمدينة فتربحان وتؤديا رأس المال لعمر، ففعلا وربحا، فلما قدما على عمر برأس المال: قال لهما: أكل الجيش فعل معهم هكذا؛ قال: لا فقال: ابنا أمير المؤمنين وخصكما بذلك، أديا الربح ورأس

---

(١) القتب: هو ما يوضع علي ظهور الإبل كالسراج للفرس.

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٢٣٢/٩، رقم ١٧٠٤٧)، والبيهقي (٣١٢/٨، رقم ١٧٢٧٥)، وإسناده صحيح، و«مصنف ابن أبي شيبة» (ح ١٧٠٤٧).

المال، فسكت عبد الله، وتكلم عبيد الله فقال: أليس إذا هلك المال كنا ضامنين له؟

قال: بلى، فقال: إذا يكون ربحه لنا، فلم يقبل منه عمر بذلك، وقال: إنما ربحتما بمال المسلمين، فقال أحد الحاضرين، يا أمير المؤمنين: اعتبراه مضاربة واقتسم الربح معهما لبيت مال المسلمين فرضي بذلك[١].

٣٥٨- جرت من أول أمرك

۞ **عدله مع نفسه رضي الله عنه.**

اختصم معه أبي بن كعب رضي الله عنه في نخل ادعاه على عمر، ونفاه عمر، وقال: اختر من شئت نحتكم إليه فقال: أبي: نحتكم إلى زيد بن ثابت، فذهب معه عمر إلى بيت زيد وقالا له: أتيناك محتكمين إليك، فقال زيد وعلى البداهة: مرحبا هاهنا يا أمير المؤمنين، وأشار إلى صدر المجلس فصاح به عمر: جرت من أول أمرك، فقال له زيد: وفيم جرت؟

قال له: تناديني بأمير المؤمنين ونحن جئنا إليك في محاكمة، وتشير إلى صدر المجلس يجب أن أجلس حيث يجلس خصمي، فأجلسهما معا؛ وسأل أُبيا عن بينه فلم يجد عنده بينه، وقال أطلب تحليف عمر على اليمين، فقال زيد: أو تعفي أمير المؤمنين من اليمين؛ فصاح عمر مرة ثانية جرت يا زيد،

فقال: وفيم جرت؟.

فقال: أكل الخصوم تشفع لهم في ترك اليمين؟

فقال له: أتحلف؟

فقال عمر: مالي لا أحلف ما دمت صادقا، فأحلفه اليمين، فقضى لعمر

(١) «ترطيب الأفواه» (ج١ ص١٣٧).

لعجز أُبي عن البنية، وحلف عمر، فلما خرجا من مجلس المحاكمة قال عمر لأُبي: النخل مني هدية لك، فقيل لعمر: ولماذا لم يكن قبل حلف اليمين؟

قال لكراهيتي أن يتخذها الناس سنه[١].

٣٥٩- إنا قوم أعزنا الله بالإسلام

۞ عدله رضي الله عنه مع الخدم.

وها هو عمر رضي الله عنه يذهب ليستلم بيت المقدس: أقتسم الطريق مع خادمه في الركوب على راحلته، فكان عمر يمشي مرحلة ويركب الخادم، ثم يركب عمر والخادم يمشي، حتى اقتربا من الشام والقوم في استقباله، فكانت النوبة في الركوب للخادم، فعرض على عمر أن يركب ليقدم على القوم راكبا فأبى إلا أن يوفيه حقه فيقدمان على القوم والخادم راكب وعمر يمشي، قال طارق بن شهاب رحمه الله لما قدم عمر الشام أتته الجنود وعليه إزارا وخفان وعمامة وهو آخذ برأس بعيره يخوض الماء، فقالوا له: يا أمير المؤمنين تلقاك الجنود وبطارقة الشام، وأنت على هذه الحالة؟؟

فقال عمر: إنا قوم أعزنا الله بالإسلام فلن نلتمس العز بغيره[٢].

٣٦٠- العدل إن رؤى لينا فهو أقوي وأطفأ للجو

وها هو عمر ينصب ميزان العدل ويقرر أنه لا رخصة فيه لقريب ولا بعيد فهو ميزان لا يعرف المجاملة ولا المحاباة، كتب عمر بن الخطاب

---

(١) «أخبار القضاة» (١ / ١٠٩)، وكيع أخبار القضاة (١: ١٠٨- ١٠٩)، والبيهقي في «السنن» (١٠: ١٣٦، ١٤٤، ١٤٥).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٨ / ١٤٦)، بسند صحيح، و«الزهد» لهناد (٢ / ٢٧٣، رقم ٤١٨)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (ح ٥١).

لسعد بن أبي وقاص، بعد انتصار القادسية بتلك الكلمات التي يجب على رعاة المسلمين أن يتعلموها ويعلموها للرعية، بل تكتب بماء الذهب وتوضع في الميادين العامة حتى ينشأ عليها الصغير والكبير الذكر والأنثى.

كتب يقول: أما العدل، فلا رخصة فيه في قريب أو بعيد ولا شدة ولا رخاء، والعدل إن رؤى لينا فهو أقوى وأطفأ للجور وأقمع للباطل من الجور، وإن رؤى شديدا فهو أنكش للكفر(١).

ولقد كان عمر رضي الله عنه حريصًا كل الحرص على تنفيذ ذلك الدستور على القريب والبعيد لا مجاملة ولا محاباة ولا محسوبية.

٣٦١- عائذ بك من الظلم

۞ **إنصاف عمر رضي الله عنه الرعية من عماله.**

أخرج بن عبد الحكيم عن أنس رضي الله عنه أن رجلا من أهل مصر أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين، عائذ بك من الظلم، قال: عذت معاذًا(٢).

قال سابقت ابن عمرو بن العاص، فسبقته فجعل يضربني بالسوط ويقول: أنا ابن الأكرمين، فكتب عمر إلى عمرو رضي الله عنهما يأمره بالقدوم ويقدم بابنه معه فقدم فقال عمر: أين المصري؛ خذ السوط فاضرب، فجعل يضربه بالسوط ويقول عمر: أضرب ابن الأكرمين، قال أنس: فضرب والله ونحن نحب ضربه فما أقلع عنه حتى تمنينا أن يرفع عنه ثم قال

---

(١) «الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء» (٤ / ٢٢٤)، وذكره الطبري (ج٣/٥٨٤).

(٢) عذت معاذًا: لجأت إلي ملجأ يحميك.

للمصري؛ ضع على صلعة عمرو فقال: يا أمير المؤمنين؛ إنما ابنه الذي ضربني، وقد استقد منه، فقال عمر لعمرو: مذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؛ قال: يا أمير المؤمنين لم أعلم ولم يأتني[١].

٣٦٢- قد عفوت عنه لله

❁ عمر وأبو موسى الأشعري.

أخرج البيهقي عن جريرا أن رجلا كان مع أبي موسى ﷺ فغنموا مغنما فأعطاه أبو موسى نصيبه ولم يوفه، فأبى أن يأخذه إلا جميعه، فضربه أبو موسى عشرين سوطا وحلق رأسه فجمع شعره، وذهب به إلى عمر ﷺ فأخرج شعرا من جيبه فضرب به صدر عمر، قال، مالك؛ فذكر قصته، فكتب عمر إلى أبي موسى ﷺ: " سلام عليك أما بعد، فإن فلان ابن فلان أخبرني بكذا وكذا، وإني أقسم عليك إن كنت فعلت ما فعلت في ملأ من الناس!! جلست له في ملأ من الناس فأقتص منك، وإن وكنت فعلت ما فعلت في خلا، فاقعد له في خلاء فليقتص منك: فلما دفع إليه الكتاب قعد للقصاص، فقال الرجل: قد عفوت عنه لله[٢].

٣٦٣- عمر ﷺ واليهودي

أخرج مالك عن سعيد بن المسيب أن مسلمًا ويهوديًا اختصما إلى عمر ﷺ فرأي الحق لليهودي فقضي له به، فقال له اليهودي: والله لقد قضيت بالحق، فضربه عمر بالدرة، وقال وما يدريك؛ فقال: والله إنا نجد في التوارة ليس قاض يقضي بالحق إلا كان عن يمينه ملك، وعن شماله ملك

---

(١) «جامع الأحاديث» (٢٥ / ٤٧٢)، و«كنز العمال» (٣٦٠١٠)، و«الإسلام وخرافة السيف» (١ / ٩٤)، و«تاريخ المدينة» (٣ / ٨٠٩).

(٢) «جامع الأحاديث» (٢٥ / ٤٦٧)، و«كنز العمال» (٤٠١٨٠)، وأخرجه البيهقي (٨ /٥٠)، (ح ١٥٨٠٦).

يسددانه ويوفقانه ما دام مع الحق فإذا ترك الحق عرجا وتركاه[١].

٣٦٤- إني كنت عركت أذنك فاقتص مني

۞ **عدل عثمان** رضي الله عنه **وحرصه على إقامته.**

أخرج السمان في الموافقة عن أبي الفرات قال: كان لعثمان رضي الله عنه عبد فقال له: إني كنت عركت أذنك فاقتص مني، فأخذ بأذنه ثم قال عثمان رضي الله عنه اشدد يا حبذا الله قصاص في الدنيا لا قصاص في الآخرة[٢].

٣٦٥- ولي حارها من تولى قارها

وها هو رضي الله عنه لا يحابي أحدًا في حد من حدود الله، فهو لا يفرق بين بعيد ولا قريب، فهذا الوليد بن عقبة من أقرب الناس إليه إنه أخوه لأمه، ومع ذلك لم تمنعه القرابة من إقامة الحد عليه، فعن حنين بن المنذر شهدت عثمان بن عفان وأتى بالوليد قد صلى الصبح ركعتين ثم قال: أزيدكم؟؟! فشهد عليه رجلان؛ أحدهما: حمران أنه شرب الخمر وشهد أخر أنه رآه يتقيا فقال عثمان: إنه لم يتقيا حتى شربها، فقال: قم يا علي فاجلده، فقال علي: قم يا حسن وأجلده، فقال الحسن: ولي حارها من تولى قارها، فكأنه وجد عليه، فقال: يا عبد الله بن جعفر، قم فاجلده وعلي يعد حتى بلغ أربعين فقال: أمسك، ثم قال: جلد النبي ﷺ - أربعين وجلد أبو بكر أربعين، وعمر ثمانين، وهذا أحب إلي[٣].

---

(١) أخرجه مالك (٧١٩/٢، رقم ١٤٠٠)، وصححه الالباني في «صحيح الترغيب» (ح ٢١٩٧)، و«أخبار القضاة» (١ / ٤٥).

(٢) «حياة الصحابة» (ص٣٠٧)، «عثمان بن عفان» تأليف محمد رضا (ص ٣٧)، و«ربيع الأبرار» (١ / ٢٨١).

(٣) أخرجه أحمد (٨٢/١، رقم ٦٢٤)، ومسلم (١٣٣١/٣، رقم ١٧٠٧)، وأبو داود (١٦٣/٤، رقم٤٤٨٠).

٣٦٦- لا فضل لولد اسماعيل على ولد اسحاق

۞ ومن حرصه ﷺ على العدل في حكمه.

عن عيسي بن عبد الله الهاشمي عن أبيه عن جده قال: أتت عليا امرأتان تسألانه عربية ومولاة لها فأمر لكل واحدة منها بِكُرٍّ من طعام وأربعين درهما، أربعين درهما، فأخذت المولاة الذي أعطيت وذهبت، وقالت العربية يا أمير المؤمنين: تعطيني مثل الذي أعطيت هذه وأنا عربية وهي مولاة؟!! قال لها علي ﷺ: إني نظرت في كتاب الله ﷻ فلم أر فيه فضلا لولد إسماعيل على ولد إسحاق ﷺ(١).

٣٦٧- بهذا قامت السماء والأرض

۞ حرص عبد الله بن رواحة ﷺ.

وذكر الذهبي عن سليمان بن يسار أن النبي ﷺ كان يبعث ابن رواحه إلى خبير فيخرص بينه وبين يهود، فجمعوا حليا من نسائهم فقالوا: هذا لك، وخفف عنا، قال: يا معشر يهود!! والله إنكم لمن أبغض خلق الله إلي، وما ذاك بحاملي على أن أحيف عليكم والرشوة سحت، فقالوا بهذا قامت السماء والأرض(٢).

٣٦٨- إنا نجده في ائمة العدل بموضع رجب من الأشهر الحرم

وقال محمد بن فضالة: مر عبد الله بن عمر بن عبد العزيز براهب في الجزيرة فنزل إليه الراهب ولم ينزل لأحد قلبه وقال أتدري لم نزلت إليك؟

---

(١) «جامع الأحاديث » (٢٩ / ٢٤٧)، «كنز العمال» (١٧٠٥٩)، أخرجه البيهقي (٣٤٩/٦، رقم ٩).

(٢) رواه أحمد (ج٣ ص ٢٩٦)، والطحاوي (ج١ ص ٣١٧)، وحسن إسناده الألباني في «إرواء الغليل» (ج٣ ص ٢٨١).

قال: لا قال: لحق أبيك، إنا نجده في أئمة العدل بموضع رجب من الأشهر الحرم.

ففسره أيوب بن سويد: بثلاثة متوالية: ذي القعدة، ذي الحجة، والمحرم، أبي بكر وعمر وعثمان، ورجب منفرد منها عمر بن عبد العزيز(١).

وقال سفيان الثوري: أئمة العدل خمسة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز.

وقال: أيضًا، لا أوافق رأي أحد أحب إلي من عمر بن عبد العزيز لأنه كان إمام هدي(٢).

٣٦٩- من صحبني منكم فليصحبني بخمس خصال

قال عمر بن عبد العزيز لجلسائه: من صحبني منكم فليصحبني بخمس خصال، يدلني من العدل ما لا أهتدي له، ويكون لي على الخير عونا ويبلغني حاجة من لا يستطيع إبلاغها، ولا يغتاب عندي أحدًا، ويؤدي الأمانة التي حملها مني ومن الناس فإذا كان كذلك فحي هلا به، وإلا فهو خرج من صحبتي والدخول علي(٣).

٣٧٠- عمر ﷺ يرسي معالم العدل ورفع الظلم من الرعية:

قال سفيان بن عيينة: لما رجع عمر بن عبد العزيز من دفن سليمان كان أول شيء راعهم منه، حين قدموا إليه مركبه، فقال: أخروه، فقربوا إليه بغلته فركبها، فلما رجع إلى منزله دخل، فقال له مولاه: يا أمير

---

(١) «تاريخ مدينة دمشق» (٤٥ / ١٩٣)، و«تاريخ الخلفاء» (ص٢٦٥ - ٢٦٦).

(٢) «سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز» لابن الجوزي (ص٧٤)، و«تاريخ مدينة دمشق» (٤٥ / ١٩١).

(٣) «حلية الأولياء» (٥ / ٣٣٦).

المؤمنين: كأنك مهتم فقال: لمثل الأمر الذي نزل بي اهتممت إنه ليس من أمة محمد في مشرق ولا مغرب، أحد إلا له قبلي حق يحق علي أدواءه إليه، غير كاتب إليّ فيه ولا طالبة مني[١].

لما أستخلف ﷺ جاءه الناس من كل مكان، فجلس على المنبر، وحمد الله وأثني عليه ثم قال: أما بعد أيها الناس!! فالحقوا ببلادكم، فإني أنساكم هاهنا وأذكر كم في بلادكم، وإني قد استعملت عليكم عمالا، ولا أقول هم خياركم، فمن ظلمة عامل بمظلمة، فلا إذن له عليّ ليأتني، وأيم الله لئن كنت منعت نفسي وأهلي هذا المال، ثم ضننت به عليكم إني إذا لضنين والله لو لا أن أنعش سنة وأسير بحق ما أحببت أن أعيش فواقا[٢].

٣٧١- لو وكلني إلى نفسي كنت كغيري

كتب عمر بن عبد العزيز ﷺ إلى أهل الموسم: أما بعد، فإني أشهد الله وأبرا إليه في الشهر الحرام، والبلد الحرام، ويوم الحج الأكبر، أني أبرئ من ظلم من ظلمكم، وعدوان من اعتدي عليكم، أن أكون أمرت بذلك، أو رضيت، أو تعمدته؟،

إلا أن يكون وهما مني، وأمرا خفي علي لم أتعمده، وأرجو أن يكون ذلك موضوعا عني، مغفورا لي، إذا علم مني الحرص والاجتهاد ألا وإنه لا أذن على مظلوم دوني، وأنا معول كل مظلوم، ألا وأي عامل من عمالي رغب عن الحق، ولم يعمل بالكتاب والسنة فلا طاعة له عليكم، وقد صيرت أمره إليكم حتى يراجع الحق وهو ذميم، ألا وإنه لا دولة ببر أغنياكم، ولا أثره على فقرائكم في شيء من فيئكم، ألا وأيما وارد ورد في أمر يصلح الله به، خاصة وعامة فله ما بين مائة دينار إلى ثلاثمائة دينار

(١) «أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز» (١ / ٥٥).
(٢) «المعرفة والتاريخ» (١ / ٣١٩)، و«مختصر تاريخ دمشق» (٤ / ٢٥١).

على قدر ما نوى من الحسبة، وتجشم من المشقة، فرحم الله امرءا لم يتعاظم سفر يحي الله به حقا لمن وراءه، ولو لا أن أشغلكم عن مناسككم لرسمت لكم أمورا من الحق أحياها الله لكم، وأمورا من الباطل أماتها الله عنكم، فلا تحمدوا غيره، ولو وكلني إلى نفسي كنت كغيري والسلام(١).

٣٧٢- خذ الناس بالبينة وما جرت عليه السنة

قال يحيى الغساني: لما ولاني عمر بن عبد العزيز الموصل قدمتها فوجدتها من أكثر البلاد سرقة ونقبا فكتبت إليه أعلمه حال البلاد وأسأله: آخذ الناس بالظنة وأضربهم على التهمة أو آخذهم بالبينة وما جرت عليه السنة؛ فكتب إلي أن آخذ الناس بالبينة وما جرت عليه السنة، فإن لم يصلحها الحق فلا أصلحهم الله، قال يحي: فعلت ذلك فما خرجت من الموصل حتى كانت من أصلح البلاد وأقلها سرقة ونقبا(٢).

وعن السائب بن محمد قال: كتب الجرح بن عبد الله إلى عمرو بن عبد العزيز: إن أهل خراسان قوم ساءت رعيتهم، وإنه لا يصلحهم إلا السيف والسوط فإن رأي أمير المؤمنين أن يأذن لي في ذلك، فكتب إليه عمر: أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر أن أهل خراسان قد ساءت رعيتهم، وأنه لا يصلحهم إلا السيف والسوط، فقد كذبت، بل يصلحهم العدل والحق، فابسط ذلك فيهم والسلام(٣).

---

(١) «حلية الأولياء» (٥ / ٢٩٣)، و«عمر بن عبد العزيز» (٤ / ١٩٠).

(٢) «أخبار وحكايات» (١ / ٣١)، و«تاريخ الخلفاء» (ص٢٠٧)، و«حلية الاولياء» (ج ٥ ص٢٧١)، و«الشفا» (ج ٢ ص١٢).

(٣) «المتفق والمفترق» للخطيب البغدادي (٣ / ١٨١، رقم ١٢٦٦)، و«مختصر تاريخ دمشق» (٢ / ٢٦٠).

٣٧٢- تذكر وقوفك يوم القيامة

وعن عبيده بن حسن السنجاري: أن رجلا من أهل أذربيجان أتى عمر بن عبد العزيز، فقام بين يديه فقال: يا أمير المؤمنين اذكر بمقامي هذا مقاما لا يشغل الله عنك فيه كثرة من يخاصم من الخلائق يوم تلقاه بلا ثقة من العمل ولا براءة من الذنب، قال فبكى بكاء شديدًا ثم قال: ويحك اردد علي كلامك هذا، فجعل يردده عليه وعمر يبكي وينتحب ثم قال: ما حاجتك؟

قال: إن عامل أذربيجان عدا علي فأخذ مني اثنا عشر ألف درهم فجعلها في بيت مال المسلمين فقال عمر: اكتبوا له الساعة إلى عاملها حتى يرده إليه أو عليه(١).

٣٧٣- لا تجلس على الوسائد وخصماؤك بين يدي

۞ **مساواته مسلمه بن عبد الملك بغيره من المتقاضين.**

وكان عمر رحمه الله لا يحابي في الحق لقرابته ولا عظيما لجاهه بل يحق الحق ويتمسك به ويسوي معاملته بين الجميع.. وقد خاصم مسلمه بن عبد الملك: عنده أهل دير إسحاق فقال له: عمر لا تجلس على الوسائد وخصماؤك بين يدي ولكن وكل بخصومتك من شئت وإلا فجاث القوم بين يدي، فوكل مولي له بخصومته فقضى وحكم عليه، مع أنه صهره، وابن عمه، وهكذا تكون العدالة في الإسلام(٢).

---

(١) «سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز» (ص٩٢- ٩٣)، و«سراج الملوك» (١ / ٢٤)، و«البصائر والذخائر» (١ / ٣٩٠).

(٢) «سيرة عمر بن عبد العزيز» (ص٩١) لابن الجوزي، و«الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيار» (٣ / ٣٦٦)، و«بغية الطلب في تاريخ حلب» (٣ / ١٤٤).

٣٧٤- كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد بن عبد الملك

وقد قيل أنه جاءه رجل ذمي من أهل حمص فقال: يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله.

قال: وما ذاك؛

قال الذمي: العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني أرضي وكان العباس جالسا، فقال له عمر: يا عباس ما تقول

قال عباس: أقطعنيها أمير المؤمنين عبد الملك وكتب لي بها سجلا

فقال عمر: ما تقول يا ذمي.

قال الذمي: يا أمير المؤمنين أسألك بما أمر به كتاب الله ﷻ.

فقال عمر: نعم كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد بن عبد الملك، يا عباس اردد عليه ضيعته فردها عليه[١].

بهذا نرى أن عمر بن عبد العزيز أنصف رجلا ذميا ضعيفا ليس بمسلم، وأخذ له أرضه من أحد الأمراء الأقوياء وردها إليه، أي أخذ للضعيف حقه ممن ظلمه، وهذا هو روح الإسلام.

إن الذي بعـــث النـــبي محمـــدًا جعـــل الخلافـــة في الإمـــام العـــادل
قـد نـال عـدلك مـن أقـام بأرضـنا فإليـك حاجـة كل وافـد راحـــل[٢]

٣٧٥- عدل لا يفرق بين مؤمن وكافر

انظر إلى عدله الرائع الباهر وموقفه الجميل من قضية " كنيسة يوحنا

---

(١) «تاريخ دمشق» (٤٥/ ٣٥٩)، و«عمر بن عبد العزيز في سيرة عمر» لابن الجوزي (ص ١٣٣)، «البداية والنهاية» (٩ / ٢٣٩).

(٢) «تاريخ بغداد» (١٤ / ١٧)، و«وفيات الأعيان» (١ / ٤٣٣)، و«البداية والنهاية» (٩ / ٢٩٢).

" بدمشق فقد كان، الوليد بن عبد الملك، قد هدم جزء كبيرًا من كنيسة يوحنا ليقيم عليه امتداد المسجد الأموي وصار هذا الجزء مسجدًا، وإن أقصى ما يستطيعه حاكم عادل في مثل هذا الموقف أن يعطي تعويضًا سخيًا، أو أرضًا بديلة لكن (ابن عبد العزيز) يتعامل مع العدل بالحق بأسلوب مختلف عن أساليبنا إنه أسلوب قديس جليل!! وهكذا أصدر أمره العجيب بهدم ذلك الجزء الكبير من المسجد وإعادة الأرض التي أقيم عليها إلى الكنيسة، ودارت الأرض بعلماء دمشق وفقهائها، فأرسلوا وفدهم لإقناع أمير المؤمنين بالعدول عن قراره، ولكن أمير المؤمنين أصدر أمرا جديدا حدد فيه اليوم بل الساعة التي يجب أن تتم فيها عملية الهدم والتسليم!! ولم يجد العلماء لإنقاذ المسجد سوي أن يفاوضوا زعماء الكنيسة في دمشق ويعقدوا معهم اتفاقا يرضونه، ويتنازلون بموجبه عن الجزء المأخوذ من كنيستهم، ثم ذهب وفد الفريقين لإبلاغ الخليفة نبأ الاتفاق فيحمد الله عليه ثم يقرره ويرضاه[1].

٣٧٦- وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ

۞ المهتدي أبي عبد الله محمد بن المنصور ﷺ.

روى الخطيب أن رجلا استعان المهتدي على خصمه فحكم بينهما بالعدل فأنشأ الرجل يقول:-

حكمتمـــوه فقضـــي بينكـــم أبلـــج مثـــل القمـــر الزاهـــر
لا يقبـــل الرشـــوة في حكمـــه ولا يبـــالي غـــبن الخاســـر

فقال له المهتدي: أما أنت أيها الرجل فأحسن الله مقالتك ولست أغتر

(١) «ترطيب الأفواه» (ج١ ص١٦٤ – ١٦٥) نقلًا عن خلفاء الرسول لخالد محمد خالد (ص٥٨٠ – ٥٨١).

بما قلت، وأما أنا: ما جلست مجلسي هذا، حتى قرأت قول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء:٤٧] فبكى الناس حوله، فما رئي أكثر باكيا من ذلك اليوم(١).

٣٧٧- سمعت لما قال وأطعت ثم عاد

وقد كان ﷺ شديد الإتباع لسنة رسول الله ﷺ.

أسند عن إبراهيم بن نافع أن قوما من أهل البصرة تنازعوا في نهر من أنهار البصرة فقال: إن الأرض لله في أيدينا للمسلمين، فما لم يقع له ابتياع منها يعود ثمنه على كافتهم في مصلحتهم فلا سبيل لأحد عليه، قال: القوم هذا النهر لنا بحكم رسول الله ﷺ لأنه قال: من أحيا أرضا ميته فهي له(٢). وهذا موات، فوثب المهدي عند ذكر النبي ﷺ حتى ألصق خده بالتراب، وقال سمعت لما قال وأطعت ثم عاد وقال: بقي أن تكون هذه الأرض مواتا حتى لا أعرض فيها، وكيف تكون مواتا والماء محيط بها من جوانبها؛ فإن أقاموا البنية على هذا سلمت(٣).

٣٧٨- إني آليت على نفسي

نور الدين محمود زنكي :قال عنه الحافظ ابن كثير: يمين الدولة وأمين الملة، وصاحب بلاد غزنة وما والاها، وجيشه يقال لهم السامانية، سار فيهم وفي سائر رعاياه ميسرة عادلة وقام في نصر الإسلام قيامًا تامًا...

---

(١) «البداية والنهاية» (١١ / ٢٩).

(٢) أخرجه مالك (٧٤٤/٢، رقم ١٤٢٥)، والطحاوي (٢٧٠/٣)، وصححه الألباني في «الإرواء» (ح ١٥٥١).

(٣) «تاريخ الخلفاء» (١ / ٢٣٩)، و«تاريخ الخلفاء» (ص٣٢٠).

وقال عنه السبكي رحمه الله: أحد أئمة العدل ومن دانت له البلاد والعباد وظهرت محاسن أثاره، وكان إماما عادلا شجاعا.. وهو أحد أربعة لا خامس لهم في العدل بعد عمر بن عبد العزيز، نور الدين محمود زنكي، وصلاح الدين ونظام الملك(١).

وتعالى أخي المسلم لنرى ذلك المشهد الرائع الذي يكشف لنا عن مدي حرص صاحبة على إقامة العدل ورفع الظلم عن الرعية

- يقول ابن كثير رحمه الله: وكان عادلا جيدا اشتكي إليه رجل أن ابن أخت الملك يهجم عليه في داره وعلى أهله في كل وقت، فيخرجه من البيت ويختلي بامرأته، وقد حار في أمره، وكلما اشتكاه لأحد من أولي الأمر لا يجسرا أحد عليه خوفا وهيبة للملك، فلما سمع الملك ذلك غضب غضبا شديدا وقال الرجل، ويحك، متى جاءك فأتني فأعلمني ولا تسمعن من أحد منعك من الوصول إلي، ولو جاءك في الليل فأتني فأعلمني، ثم إن الملك تقدم إلى الحجبة وقال لهم: إن هذا الرجل متى جاءني لا يمنعه أحد من الوصول إلي من ليل أو نهار فذهب الرجل مسرورا داعيا، فما كان إلا ليلة أو ليلتان حتى هجم عليه ذلك الشاب فأخرجه من البيت واختلى بأهله، فذهب باكيا إلى دار الملك، فقيل له:: إن الملك نائم، فقال: قد تقدم إليكم أن لا أمنع منه ليلا ولا نهارا، فنهبوا الملك فخرج معه بنفسه وليس معه أحد، حتى جاء إلى منزل الرجل فنظر إلى الغلام وهو مع المرأة في فراش واحد، وعندهما شمعة تقد، فتقدم الملك فأطفأ الضوء ثم جاء فاحتز رأس الغلام، وقال الرجل ويحك ألحقني بشربة ماء، فأتاه بها فشرب ثم انطلق الملك ليذهب، فقال له الرجل، بالله لم أطفأت الشمعة، قال ويحك: إنه ابن أختي إني كرهت أن أشاهده حالة الذبح، فقال: ولم طلبت الماء سريعا؛

(١) «طبقات الشافعية» (ج٥ ص٣٢٣).

فقال الملك: إني آليت على نفسي منذ أخبرتني أن لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أنصرك، وأقوم بحقك فكنت عطشانا هذه الأيام كلها حتى كان ما كان مما رأيت، فدعا له الرجل وانصرف الملك راجعا إلى منزله، ولم يشعر بذلك أحدًا(١).

٣٧٩- قصة فتح سمرقند

في عهد عمربن عبدالعزيز فتح الجيش الإسلامي مدينة سمرقند ولم يمهل قائد الجيش قتيبة بن مسلم أهل المدينة ثلاثة أيام ولم يخيرهم بين الإسلام والجزية والقتال وكان أهل سمرقند يعرفون ذلك عن المسلمين فقام أهل سمرقند بإرسال شكواهم إلى خليفة المسلمين عمربن عبدالعزيز يقول رسول أهل سمرقند:ذهبت أقطع الطرق والبلاد حتى وصلت إلى دمشق عاصمة الخلافة ودخلت أعظم بناء في المدينة فوجدت أناسا يركعون ويسجدون فسألت أحدهم أهذه دار الوالي فقال لا هذا المسجد أما صليت فقلت له ماصليت قط إنني على دين أهل سمرقند وأخذ يحدثني عن الإسلام حتى اعتنقته ثم قال لي أسلك هذا الطريق نهايته بيت الوالي فذهبت فأذا بي أجد رجلا قد ارتقى سلما بأعلى الدار ووجدت إمرأة على الأرض تناوله الطين ليسد فتحة في الدار فرجعت إلى الذي دلني وقلت له أسألك عن دار الوالي فتدلني على رجل طيان فقال لي تلك دار الوالي فأخبره الراهب بماحدث في الفتح فأمرعمر بن عبد العزيز بتعيين قاضي للتحقيق في الأمر فسأل القاضي قتيبة عن ما حدث فقال الحرب خدعة وهذا بلد عظيم أنعم الله به علينا وأنقذه بنا من الكفر فقال القاضي هل دعوتم أهله إلى الإسلام والجزية والقتال فقال لا ولكننا دخلناه مباغتة فقال القاضي حكمت بأن يخرج جميع المسلمين كافة من سمرقند كما دخلوها فلم يصدق أهل

(١) «البداية والنهاية» (ج٦ ص٤٩١)، و«طبقات الشافعية الكبرى» (٥ / ٣٢١).

سمرقند هذا وأخذوا ينظرون للجيش وهم يخرجون ولم يصدق ذلك حتى خرج الجيش كله فقال الكهنة والله إن دينهم لهوالحق فأسلم الكهنة ثم اسلم جميع أهل المدينة(١).

٣٨٠- نحن معاشر الحكام أعلانا وأدنانا شجنكية لرسول الله ﷺ

يقول ابن كثير رحمه الله يقول ابن الأثير: أن الملك نور الدين بينما هو ذات يوم يلعب بالكرة إذ رأى رجلا يحدث أخر ويومي إلى نور الدين، فبعث الحاجب ليسأله ما شأنه، فإذا هو رجل معه رسول من جهة الحاكم يزعم أن له على نور الدين حقا يريد أن يحاكمه عند القاضي، فلما رجع الحاجب إلى نور الدين وأعلمه ألقى الجولكان من يده، وأقبل مع خصمه ماشيا، إلى القاضي الشهر زوري، وأرسل نور الدين إلى القاضي أن لا تعاملني إلا معاملة الخصوم، فحين وصلا وقف نور الدين مع خصمه بين يدي القاضي، حتى انفصلت الخصومة والحكومة، ولم يثبت للرجل على نور الدين حق، بل ثبت الحق للسلطان على الرجل، فلما تبين ذلك قال السلطان: إنما جئت معه لئلا يتخلف أحد عن الحضور إلى الشرع إذا دعي إليه، فإنما نحن معاشر الحكام أعلانا وأدنانا شجنكية لرسول الله ﷺ ولشرعه، فنحن قائمون بين يديه طوع مراسيمه، فما أمر به امتثلناه، وما نهانا عنه اجتنبناه، وأنا أعلم أنه لا حق للرجل عندي، ومع هذا أشهدكم أني قد ملكته ذلك الذي أدعي به ووهبته له(٢).

٣٨١- شريح القاضي وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما

اشتري أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فرسا من أعرابي وأعطاه

(١) «تاريخ الطبري» (٤٧٢/٧).
(٢) «البداية والنهاية» (١٢ / ٣٤٥).

ثمنه ثم ركب الفرس ومضي به، لكنه ما كاد يبتعد بالفرس حتى ظهر فيه عطب أعاقه عن مواصلة الجري، فعاد به ثانية إلى الأعرابي قال له: خذ فرسك فإنه معطوب.

قال الأعرابي: لا أخذه يا أمير المؤمنين فقد بعته لك سليما صحيحًا.

فقال عمر: أجعل بيني وبينك حكما..

فقال الأعرابي: يحكم بيننا شريح القاضي.

فقال عمر: رضيت.

فذهبنا إلى شريح فلما سمع مقالة الأعرابي التفت إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال له: هل أخذت الفرس سليما يا أمير المؤمنين، فقال عمر نعم، فقال شريح: احتفظ بما اشتريت يا أمير المؤمنين أورده كما أخذت.

فنظرت عمر إلى شريح معجبا وقال: وهل القضاء إلا هكذا، قول فصل وحكم عدل سر إلى الكوفة فقد وليتك قضاءها[١].

٣٨٢- شريح وابنه..

من روائع شريح أيضًا أن ابنه قال له: يا أبت إن بيني وبين قوم خصومة، فانظر فيها فان كان الحق لي قاضيتهم وإن كان لهم صالحتهم، ثم قص عليه قصته.

فقال: انطلق فقاضهم فمضي إلى خصومة ودعاهم إلى المقاضاة فاستجابوا له، ومثلوا بين يدي شريح قضي لهم على ولده، فلما رجع شريح وابنه إلى البيت، قال: الولد لأبيه فضحتني يا أبت، والله لو لم أستشرك من

(١) أخرجه عبد الرزاق (٢٢٤/٨، رقم ١٤٩٧٩)، وابن سعد (١٣٢/٦)، ووكيع: أخبار القضاة (٢: ١٨٩).

قبل لما لمتك، فقال شريح: يا بني والله لأنت أحب إلي من ملء الأرض من أمثالهم، ولكن الله ﷻ أعز علي منك لقد خشيت أن أخبرك بأن الحق لهم فتصالحهم صلحا يفوت عليهم بعض حقهم، فقلت لك ما قلت. أ. هـ[١]

٣٨٣- جزاك الله يا ابن ظريف خيرًا

۞ القاضي نصر بن ظريف الحيصبي ﷺ.

حكي أبو عمر بن عبد البر: أن حبيبا القريشي دخل على الأمير عبد الرحمن بن معاوية فشكا إليه القاضي نصر الدين بن ظريف الحيصبي وذكر أنه يريد أن يسجل عليه في ضيعة يقيم فيها، وادعي عليه الاغتصاب لها، ولاذ بالأمير من إسراع القاضي إلى الحكم عليه من غير تثبيت، فأرسل الأمير إليه وكلمه في حبيب ونهاه عن العجلة عليه، فخرج ابن ظريف من يومه وعمل بغير ما أراد الأمير، وانفذ الحكم، وبلغ الخبر حبيبا فدخل إلى الأمير متغيرا غيظا، فذكر له ما عمله القاضي، ووصفه بالاستخفاف بأمره والنقض له، وأغراه، فغضب الأمير، على القاضي واستحضره فقال له: من أمرك أن تنفذ حكما، وقد أمرتك بتأخيره والأناة فيه؛ فقال له: قدمني عليه رسول الله ﷺ فإنما بعثه بالحق ليقضي به على القريب والبعيد والشريف والدنيء وأنت الأمير، ما الذي حملك على أن تتحامل لبعض رعيتك على بعض وأنت تجد مندوحة بأن ترضي من مالك من تعني به وتمد الحق لأجله؛ فقال له: جزاك الله يا ابن ظريف خيرًا وخرج القاضي، فدعا بالقوم الذين صارت الضيعة لهم بالاستحقاق، وكلهم فوجدهم راضيين ببيعها إن أجزل لهم الثمن فعقد فيها البيع معهم، وصارت إلى حبيب، فكان بعد ذلك يقول: جزي الله ابن ظريف عنا خيرًا كانت بيدي

(١) المصدر السابق (ص٤٤ - ٤٥).

ضيعة حرام فجعلها حلالا[١].

٣٨٤- ملأتها والله عدلا وصار قضاتي تردني إلى الحق

۞ سوار بن عبد الله القاضي وأبي جعفر المنصور.

أخرج عبد الله بن صالح: قال: كتب المنصور إلى سوار بن عبد الله قاضي البصرة؛ أنظر الأرض التي تخاصم فيها فلان القائد وفلان التاجر فادفعها إلى القاضي، فكتب إليه سوار: إن البينة قد قامت عندي أنها للتاجر، فلست أخرجها من يده إلا ببينه، فكتب إليه المنصور، والله الذي لا إله إلا هو لا تدفعنها إلى القائد فكتب إليها سور والله الذي لا إله إلا هو لا أخرجتها من يد التاجر إلا بحق، فلما جاءه الكتاب قال: ملأتها والله عدلا وصار قضاتي تردني إلى الحق[٢].

٣٨٥- جزاك الله عن دينك أحسن الجزاء

وأخرج ابن نمير المدني: قال: قدم المنصور المدينة ومحمد بن عون الطلحي على قضائه، وأنا كاتبه، فاستعدى الجمالون على المنصور في شيء فأمرني أن أكتب إليه بالحضور وأنصافهم، فاستعفيت فلم يعفني فكتبت الكتاب ثم ختمته وقال: والله لا يمضي به غيرك فمضيت به إلى الربيع فدخل عليه ثم خرج فقال للناس: إن أمير المؤمنين يقول لكم: إني دعيت إلى مجلس الحكم فلا يقومن معي أحد، ثم جاء هو والربيع، فلم يقم له القاضي، بل حل رداءه واحبتي به، ثم دعا بالخصوم فادعوا فقضي لهم على الخليفة فلما فرغ قال له المنصور: جزاك الله عن دينك أحسن

---

(١) «تاريخ قضاة الاندلس» (١ / ٤٤).

(٢) «تاريخ دمشق» (٣٢ / ٣٢٦)، «الجليس الصالح الكافي» للمعافي بن زكريا (٢ / ٢٨- ٢٩)، ونقلها الجهشياري في «الوزراء والكتاب» (ص ١٣٧)، و«محاضرات الأبرار» (١ / ٢٨٩).

الجزاء، قد أمرت لك بعشر آلاف دينار[١].

٣٨٦- القاضي أبو عبد الله محمد بن يحيى بن البراء ويوسف بن تاشفين.

كتب إليه سلطان المرابطين يوسف بن تاشفين فيمن كتب إليهم بفرض معونة على الأهالي لأجل الجهاد، فامتنع القاضي عن فرضها، وكتب إلى أمير المسلمين بأنه لا يجوز له ذلك، فأجابه أمير المؤمنين قائلا له إن القضاة عندي والفقهاء أباحوا فرضها، وإن عمر بن الخطاب فرضها في زمانه فراجعه القاضي بكتاب يقول فيه " الحمد لله الذي إليه مآبنا وعليه حسابنا وبعد فقد بلغني ما ذكره أمير المسلمين بأنه من اقتضاء المعونة وتأخري عن ذلك، وأن أبا الوليد الباجي وجميع القضاة والفقهاء بالعدوة والأندلس أفتوه أن عمر بن الخطاب ﷺ اقتضاها فالقضاة والفقهاء إلى النار دون زبانية، فإن كان عمر ﷺ فقد كان صاحب رسول الله ﷺ ووزيره، وضجيعه في قبرة، ولا يشك في عدله، وليس أمير المسلمين بصاحب رسول الله ولا بوزيره، ولا يضجعه في قبرة، ولا ممن لا يشك في عدله، فإن كان القضاة والفقهاء أنزلوه منزلته في العدل فالله تعالى سائلهم وحسيبهم عن تقلدهم فيك وما اقتضاها عمر ﷺ حتى دخل مسجد رسول الله ﷺ وحضر من كان معه من الصحابة - ﷺ أجمعين - وحلف أن ليس عنده في بيت مال المسلمين درهم ينفقه عليهم، وحينئذ تجب معونته... ألخ فلما بلغه هذا الكتاب وعظه الله بقوله ولم يعد، عليه في ذلك قولًا[٢].

---

(١) «تاريخ دمشق» (٣٢ / ٣٢٦)، و«تاريخ الخلفاء» (١ / ٢٢٩).

(٢) «الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى» (٢ / ٥٩).

٣٨٧- قاضي قضاة الأندلس محمد بن بشير.

كانت لدية دعوى لعم الحكم، عى واحد من العامة وكان يظن المدعي أن له من علو مكانته، وثيق صلته بالملك ما يمكن له عند القاضي وإذا بالقاضي يقول له قف بحذاء خصمك ولا يتكلم حتى أكون أنا الذي أسألك، فلما أدلى بدعواه قال للمدعي ما تقول؛ قال ليس علي شيء أصلح الله القاضي.

قال القاضي للمدعي: هات بينتك: قال ألا يكفيك قولي؟

قال لو كفاني ما سألتك البينة، بينتك، قال: أمهلني وذهب العم إلى الحكم صاحب الأندلس الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل فقال: ألست تعرف أن لي على فلان كذا، قال بلى، قال: أتشهد لي؛ قال: أنت تعرف القاضي وأخاف أن لا يقبل شهادتي: قال كيف وأنت الذي وليته القضاء؛ قال: هو ما أقول لك. قال: فمن يشهد لي؛ فدعا الملك بفقيهين وكتب شهادته أمامها وأشهدهما عليه، وقال: امضي به إليه وأنا أخاف ألا يقبلها، فلما كان يوم المحاكمة، قال له القاضي: بينتك أبرز له شهادة الملك، فقال القاضي: أنا لا أقبل شهادته فاستشاط العم غضبا وجن جنونه، وذهب إلى ابن أخيه وقال: أنت ملك البلاد، والقاضي رد شهادتك!! ماذا بقي لك من الكرامة والسلطان؛ وضحك الحكم وقال ألم أقل لك يا عم؛ عن القاضي رجل صالح لا تأخذه في الله لومة لائم، عما ما يجب عليه فأحسن الله جزائه قال: فاعزله، قال: أعوذ بالله، أنا أخون المسلمين في عزل مثله؛ أنا أعلمتك ما علي وشهدت لك، وللقاضي أن يقبل الشهادة أو يردها،

ولما سئل القاضي بعد ذلك: لما رددت شهادته؟

قال السائل: والله ما رددتها نقصا في عدالته، ولكن لابد من سؤال المدعي عليه عما يقوله في الشاهد، فمن كان يجرؤ على الطعن في شهادته

لو قبلتها[١].

(١) «ترطيب الأفواه» (ج١ ص٢٤١- ٢٤٢).

الفصل التاسع عشر قصص في بر الوالدين

٣٨٨- طلقها طاعة لأبيه

۞ حرص عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

أخرج أبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كانت تحتي امرأة وكنت أحبها، وكان عمر يكرهها فقال لي: طلقها، فأبيت فأتى عمر النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال النبي ﷺ "طلقها "(١) فما كان منه رضي الله عنه إلا طلقها طاعة لأبيه.

٣٨٩-إن أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه

وهذا عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما يضرب لنا المثل الصالح في الولد الصالح، ويروي لنا عبد الله بن دينار ذلك فيقول " إن عبد الله بن عمر لقيه رجل بطريق مكة فسلم عليه عبد الله وحمله على حمار كان يركبه، وأعطاه عمامة كانت على رأسه قال ابن دينار: فقلنا له: أصلحك الله إنهم الأعراب، وإنهم يرضون بالسير، فقال: عبد الله: إن أبا هذا كان ودا لعمر بن الخطاب، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه "(٢).

وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: احفظ ود

---

(١) أخرجه أبو داود (ح ٥١٣٨)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (رقم ٥١٣٨).

(٢) سبق تخريجه

أبيك ولا تقطعه فيطفئ الله نورك[١].

٣٩٠- رحمك الله كما ربيتني صغيرا

۞ **حرص أبي هريرة رضي الله عنه على بر أمه رضي الله عنها.**

عن أبي مرة مولي أم هانئ بنت أبي طالب: أنه ركب مع أبي هريرة إلى أرضه بـ " العقيق " فإذا دخل أرضه صاح بأعلى صوته: عليك السلام ورحمة الله وبركاته يا أماه، تقول: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته.

يقول: رحمك الله كما ربيتني صغيرا.

فتقول: يا بني! وأنت فجزاك الله خيرًا ورضي عنك كما بررتني كبيرا[٢].

عن محمد بن سيرين قال: كنا عند أبي هريرة رضي الله عنه فقال اللهم اغفر لأبي هريرة، ولأمه والمن استغفر لهما. قال محمد: فنحن نستغفر لهما حتى ندخل في دعوة أبي هريرة[٣].

٣٩١- يلتمس فراش أمه بيده

۞ **حرص حجر بن عدي بن لأدبر رضي الله عنه.**

كان حجر بن عدي بن الأدبر يلتمس فراش أمه بيده فيتهم غلظ يده فيتقلب عليه على ظهره فإذا أمن أن يكون عليه شيء أضجعها[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب» (٢٩/١، رقم ٤٠)، والطبراني في «الأوسط»، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (رقم ٢١٠).

(٢) «الأدب المفرد» (رقم ١٤)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الأدب المفرد» (رقم ١١).

(٣) «الأدب المفرد» (رقم ٣٧)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الأدب المفرد» (رقم ٢٨).

(٤) «التبصيرة» (ج١ص١٥٩).

٣٩٢- صلي أمك

❁ أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما.

عن أسماء بنت رضي الله عنهما قالت: قدمت أُمي وهي مشركة في عهد قريش مدتهم، إذا عاهدوا النبي ﷺ أي بعد صلح الحديبة مع أبيها، فاستفتيت النبي ﷺ فقلت: إن أمي قدمت وهي راغبة " أي طامعة فيما عندي " تسألني الإحسان إليها فهل أصلها؟

قال: نعم " صلي أمك " قال ابن عيينة: فأنزل الله تعالى قوله: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾[الممتحنة:٨](١).

٣٩٣- إن أمي اشتهته علي

❁ حرص أسامة بن زيد رضي الله عنه.

يروى محمد بن سيرين رحمه الله فيقول:- كانت النخلة تبلغ بالمدينة ألفا فعمد أُسامة بن زيد إلى نخلة فقطعها من أجل جمارها(٢) فقيل له في ذلك؛ فقال: إن أمي اشتهته علي وليس شيء من الدنيا تطلبه أمي أقدر عليه إلا فعلته(٣).

٣٩٤- يحمل أمه على ظهره لتقضي حاجتها

❁ حرص أحد التابعين.

قال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه إن لي أُما بلغ منها الكبر أنها لا تقضي حاجتها إلا وظهري مطية لها فهل أديت حقها؟

قال: لا؛ لأنها كانت تصنع بك ذلك، وهي تتمنى بقاءك، وأنت تصنعه

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٥٩٧٩).
(٢) الجمار: شحم النخل وهو في قمة رأس النخلة ويؤكل مع العسل.
(٣) «مكارم الأخلاق» (ص٢٢٥).

وتتمنى فراقها[١].

٣٩٥-إنك من أبر الناس بأمك ولا نراك تؤاكل أمك

۞ حرص زين العابدين أبو الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

كان ﷺ من سادات التابعين كان كثير البر بأُمه حتى قيل له إنك من أبر الناس بأمك ولا نراك تؤاكل أُمك، فقال أخاف أن تسير يدي إلى ما قد سبقت عينها إليه، فأكون قد عققتها[٢].

٣٩٦- ضعي قدمك على خدي

۞ محمد بن المنكدر ﷺ.

روي الذهبي عن جعفر بن سليمان عن محمد بن المنكدر أنه كان يضع خده على الأرض، ثم يقول لأُمه قومي ضعي قدمك على خدي[٣].

٣٩٧- وما أحب أن ليلتي بليله

وعن سعيد بن عامر قال: قال ابن المنكدر: بات أخي عمر يصلي وبت أغمز قدمي أُمي وما أحب أن ليلتي بليلِته[٤].

٣٩٨-علا صوته على أمه فاعتق رقبتين

۞ بن عون المزني ﷺ.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (ص ١٦٤، ١٦٥)، وابن الجوزي في «البر والصلة» (ص ٣٥، ٣٦).

(٢) «عيون الأخبار» (٩٧/٣).

(٣) «السير» (ج٦ ص١٧١)، و«الطبقات الكبرى» (القسم المتمم) (١ / ١٩١)، و«تاريخ دمشق» (٥٦ / ٥٧)، و«حلية الأولياء» (٣ / ١٥٠).

(٤) «السير» (ج٦ ص١٧٢)، و«تاريخ دمشق» (٥٦ / ٥٦).

لقد كان ابن عون ﷺ شديد الحرص على بر أُمه وألا يصدر منه شيء يغضبها وفي يوم من الأيام نادته فأجابها فعلا صوته صوتها فأعتق رقبتين. ([١])

٣٩٩- كيف كان بر ابنك بك

۞ **عمر بن ذر ﷺ.**

قيل لعمر بن ذر: كيف كان بر ابنك بك؛

قال: ما مشيت نهارا قط إلا مشي خلفي، ولا ليلا إلا مشي أمامي، ولا رقي سحطا وأنا تحته[٢].

٤٠٠- أفتيك ومعك فقيه الكوفة؛!!

۞ **حرص أبي حنيفة ﷺ.**

وفي أخبار أبي حنيفة ذكر المؤلف: أن أُم أبي حنيفة حلفت يمينا فحنثت، فاستفتت أبا حنيفة فأفتاها فلم ترضى، قالت لا أرضى إلا بما يقول زرعة القاص!! فجاء بها أبو حنيفة إلى زرعة فقال: أفتيك ومعك فقيه الكوفة؛!!

فقال أبو حنيفة أفتها بكذا وكذا فأفتاها فرضيت،

وقال أبو يوسف: رأيت أبا حنيفة ﷺ يحمل أُمه على حمار إلى مجلس عمرو بن ذر كراهية أن يرد على أمه أمرها[٣].

٤٠١- كان لي بابان مفتوحان إلى الجنة وغلق أحدهما

---

(١) «السير» (ج٦ ص٣٦٦)، «تاريخ دمشق» (٣١ / ٣٤٥)، و«صفة الصفوة» (٣ / ٣١٠).

(٢) المصدر السابق (ص٢٣٣)، و«عيون الأخبار» (١ / ٣١٣).

(٣) المصدر السابق (ص٢٣٣).

❁ إياس بن معاوية ﷺ.

إن إياس بن معاوية بكى لما ماتت فقيل ما يبكيك؛ قال: كان لي بابان مفتوحان إلى الجنة وغلق أحدهما[١].

٤٠٢- هذا جزاء من تعرض لبني هاشم

❁ صالح العباسي ﷺ.

حضر صالح العباسي مجلس المنصور، وكان يحدثه، ويكثر من قوله " أبي ﷺ " فقال له الربيع " لا تكثر الترحم على أبيك بحضرة أمير المؤمنين، فقال له: لا ألومك فإنك لم تذوق حلاوة الآباء، فتبسم المنصور وقال هذا جزاء من تعرض لبني هاشم[٢].

٤٠٣- لا يمشى فوق بيت والدته تحته

❁ طلق بن حبيب ﷺ.

كان طلق بن حبيب من العباد والعلماء وكان يقبل رأس أمه وكان لا يمشي فوق ظهر بيت وهي تحته إجلالا لها[٣].

٤٠٤- له والدة هو بها بر

❁ أويس القرني ﷺ.

عن أسير بن جابر قال: كان عمر بن الخطاب، إذا أتي عليه مداد أهل اليمن سألهم: أفيكم أويس بن عامر؛ حتى أتي على أويس فقال: أنت أويس

---

(١) «تاريخ دمشق» (١٠/ ٣٣)، و«تهذيب الكمال» (٣ / ٤٣٦)، و«البداية والنهاية» (٩ / ٣٦٩).

(٢) «محاضرات الأدباء» (١ / ١٤٦)، و«تهذيب الكمال» (٢٤ / ٥١٤)، و«تسهيل الوصول» (١ / ٦١).

(٣) «بر الوالدين» للحافظ الطرطوشي (ص٧٨).

بن عامر؟ قال: نعم، قال: من مراد ثم من قرن؛ قال نعم؛ ألك والدة؟ قال: نعم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يأتي عليكم أويس بن عامر مع مداد اليمن من مراد ثم قرن، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فأفعل[١].

وعن أصبغ بن زيد قال: إنما منع أويسا أن يقدم على النبي ﷺ بره بأمه[٢].

٤٠٥- ظوهرت بشحمة وبطنت بلحمة

❁ بر أعرابي بأمه.

نحر أعرابي جزورًا وقال لامرأته: أطعمي أمي منه فقالت: أيها أطعمها؛ فقال: قطعي الورك[٣].

قالت: ظوهرت بشحمة وبطنت بلحمة، لا لعمر الله، قال: فقطعي لها الكتف، قالت الحاملة الشحم من كل مكان؛ لا لعمر الله قال: فما تقطعين لها؛ قالت اللحى[٤] ظوهرت بجلدة وبطنت بعظم، قال: فتزويدها إلى أهلك وخلى سبيلها[٥].

٤٠٦- لم أر أحد أبر من الفضل بن يحيى بأبيه

❁ الفضل بن يحي البرمكي.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٤٢ / ٢٢٥)، وأحمد في «الزهد» (ص٤١٦).

(٢) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص٤١٤، ٤١٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٥٧٧)، والذهبي في «السير» (ج٥ ص٦٩).

(٣) الورك: فوق الفخذ.

(٤) اللحى: بفتح اللام وسكون الحاء منبت اللحية.

(٥) «تاريخ الإسلام» للإمام الذهبي (١٩ / ٢٧٦)، و«تاريخ بغداد» (٢ / ١٠٢)، و«سير أعلام النبلاء» (١٢ / ١٤٥).

قال المأمون - رحمه الله تعالى - لم أر أحد أبر من الفضل بن يحيى بأبيه، بلغ من بره أن يحيى كان لا يتوضأ إلا بماء مسخن، وهما في السجن، فمنعها السجان من إدخال الحطب في ليلة باردة، فقام الفضل، حين أخذ يحيى مضجعه إلى قمقم كان يسخن فيه الماء، فملأه، ثم أدناه من نار المصباح فلم يزل قائما وهو في يده حتى أصبح[١].

٤٠٦- إما أن تمرضوه وليس لكم من ميراثه شيء

❁ بر رجل بأبيه.

عن طاووس عن أبيه قال: كان رجل له أربعة بنين فمرض، فقال أحدهم: إما أن تمرضوه وليس لكم من ميراثه شيء، وإما أن مرضه وليس لي من ميراثه شيء قالوا: بل تمرضه وليس لك من ميراثه شيء فمرضه حتى مات، ولم يأخذ من ميراثه شيئًا قال: فأتي في المنام فقيل له: ائت مكان كذا وكذا فخذ منه مئة دينار، فقال: أفيها بركة؟

قالوا: لا، فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته، فقالت: خذها فإن من بركتها أن نكتسي منها ونعيش، فلما أمسي أتي في النوم فقيل له: ائت مكان كذا وكذا فخذ منه عشرة دنانير فقال أفيها بركة؟

قالوا: لا، فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته فقالت: له مثل ذلك، فأبى أن يأخذها فأتي في الليلة الثالثة فقيل له: ائت مكان كذا وكذا وخذ منه دينار قال: أفيه بركة؟

قالوا نعم؛ قال: فذهب فأخذ الدينار ثم خرج به إلى السوق، فإذا هو برجل يحمل حوتين فقال: بكم هما؟

---

(١) «عيون الأخبار» (ج٣ ص٩٧)، «المجالسة وجواهر العلم» (٣ / ٤٨٦)، و«بر الوالدين» (١ / ٦).

قال: بدينار؛ فأخذهما منه، وانطلق بهما إلى بيته، فلما شقهما وجد في بطن كل واحد منهما درة لم ير الناس مثلها فبعث الملك يطلب درة يشتريها فلم توجد إلا عنده، فباعها بثلاثين وقر " حملا " ذهبا، فلما رآها الملك قال: ما تصلح هذه إلا بأخت، فاطلبوا أختها ولو أضعفتم الثمن فجاءوه فقالوا: أعندك أختها ونعطيك ضعف ما أعطيناك قال: نعم، فأعطاهم الثانية بضعف ما باع به الأولي[١].

٤٠٧- كنت أتمرغ في رياض الجنة

۞ بر رجل من المتعبدين.

كان رجل من المتعبدين يقبل كل يوم قدم أمه فأبطأ يوما على أصحابه، فسألوه فقال: كنت أتمرغ في رياض الجنة فقد بلغنا أن الجنة تحت أقداما الأمهات[٢].

٤٠٨- لولا أمي لما فارقت المسجد

۞ مسعر بن كدام بن ظهير رحمه الله.

قال الفيض بن الفضل العجلي قال: كان مسعر يقول لولا أمي لما فارقت المسجد إلا لما لابد منه، وكان إن دخل بكى، وإن خرج بكى، وإن صلى بكى وإن جلس بكى[٣].

٤٠٩- ظل قائما طوال الليل

---

(١) «المحاسن والمساوئ» (٥٤٨)، و«مصنف عبد الرزاق» (١١ / ٤٦٧، رقم ٢١٠٢٧)، و«بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب» (٢ / ٢٣)، و«المدخل» للعبدري (٣ / ٢٤٠)، و«حياة الحيوان الكبرى» (١ / ٤٥٧).

(٢) «المستطرف» (٢ / ٢٠)، و«موارد الظمآت لدروس الزمان» (ج٣ ص٤٤٢).

(٣) «صفة الصفوة» (ج٢ ص٥٦١).

يروي الأشجعي أن أم مسعر استسقت منه ماء في الليل فقام فجاءها به، وقد نامت، وكره أن يذهب فتطلبه ولا تجده، وكره أن يوقظها، فلم يزل قائما والإناء معه حتى أصبح(١).

٤١٠- أدخلي تبردي في هذا

❁ ظبيان بن علي الثوري ﷺ.

كان من أبر الناس، فيقول: لقد باتت أمه وفي صدرها عليه شيء فقام على رجليه قائما، يكره أن يوقظها، ويكره أن يقعد حتى إذا ضعفت، جاء غلامان من غلمانه فما زال معتمدا عليهما حتى استيقظت من قبل نفسها، وإن كان ليبتاع لها البقل، فينقيها لها طاقة طاقة حتى يضعها بين يديها، وكان يسافر بها إلى مكة فإذا كان يوم حار حفر بئرا ثم جاء بنطع فصب فيه الماء، ثم قال لها: أدخلي تبردي في هذا(٢).

٤١١- يترك الرحلة في طلب العلم برا بوالده

❁ حرص الإمام الذهبي ﷺ.

وأما الإمام الذهبي - ﷺ تعالى - فقد ذكر عن نفسه أنه قرأ على شيخه الفاضل ثم قال الذهبي: ولما مات شيخنا الفاضلي قبل إكمال القراءات، بقيت أتلهف، فذكر لي أبو محمد المكين الأسمر، وأنه باق في الإسكندرية وأنه أعلى رواية من الفاضلي: قال الذهبي أيضًا في ترجمة " عبد الرحمن بن عبد اللطيف البغدادي " وكنت أتحسر عليه وما أتجسر خوفا من الوالد، فإنه كان يمنعني(٣).

---

(١) «مكارم الأخلاق» (ص٢٣١)، و«عقوق الوالدين» لمجدي فتحي السيد (ص٥٥).
(٢) «مكارم الأخلاق» لابن أبي الدنيا (ص٢٢٣)، و«عقوق الوالدين» (ص٥٤).
(٣) «معرفة القراء الكبار» (ج٢ ص٥٥٦).

ورحل الذهبي إلى أحد الأئمة ومكث عنده مدة وقال: وكنت قد وعدت أبي وحلفت له أني لا أقيم في الرحلة أكثر من أربعة أشهر، فخفت أعقه[١].

٤١٢- أعق الناس وأبرهم.

يروي لنا العلامة الإخباري الأصمعي رحمه الله فيقول حدثني رجل من الأعراب فقال: خرجت من الحي أطلب أعق الناس وأبر الناس، فكنت أطوف بالأحياء حتى انتهيت إلى شيخ في عنقه حبل، يستقي بدلو، لا تطيقه الإبل في الهاجرة والحر شديد، وخلفه شاب في يده رشاء من قدّ ملوي يضربه به قد شق ظهره الحبل.

فقلت: أما تتقي الله في هذا الشيخ الضعيف؛

أما يكفيه ما هو فيه من مد هذا الحبل حتى تضربه؛؛

فقال إنه مع هذا أبي؛؛

قلت: فلا جزاك الله خيرًا؛ فقال: اسكت فهكذا كان يصنع هو بأبيه وكذا كان يصنع أبوه بجده، فقلت هذا، أعق الناس.. ثم جُلت أيضًا حتى انتهيت. إلى شاب في عنقه صندوق فيه شيخ، كأنه فرخ، فيضعه بين يديه في كل ساعة فيزقه كما يزق الفرخ[٢]. فقلت ما هذا؛ فقال: أبي وقد خزف فأنا أكفله فقلت: فهذا أبر العرب فرجعت وقد رأيت أعقهم وأبرهم[٣].

٤١٣- أشهدك أنها طالق

۞ حرص رجل من التابعين.

---

(١) «معالم في طريق طلب العلم» (ص٢٣٤ - ٢٣٥)، و«معرفة القراء الكبار» (ج٢ ص٥٥٨).

(٢) أي: بطعمه.

(٣) و«المحاسن والمساوئ» (ص٥٥٢) للبيهقي، و«عقوق الوالدين» (ص٦٣- ٦٤).

فعن أبي عبد الرحمن السلمي قال: كان رجل منا برا بوالديه فأمراه، أو أمره أحدهما أن يتزوج فتزوج، فوقع بين أمه، وبين امرأته شر، ووافقه أهله، فقالت له أمه طلقها، قال: فاشتد عليه أن يطلق امرأته، واشتد عليه أن يعق أمه، قال: فرحل إلى أبي الدرداء، فقص عليه قصته فقال أبو الدرداء رضي الله عنه: ما كنت آمرك أن تطلق امرأتك ولا أن تعق أمك، ولكن إن شئت حدثتك حديثًا سمعته من النبي ﷺ سمعته يقول: الوالد أوسط أبواب الجنة فحافظ إن شئت أو ضيع[١]. قال: فأنا أشهدك أنها طالق فرجع وقد طلق امرأته.

٤١٤- لا ولا بزفرة واحدة

۞ **حرص رجل من التابعين رحمهم الله.**

عن سعيد بن أبي بردة قال: سمعت أبي يحدث أنه شهد رجلا يمانيا يطوف بالبيت وقد حمل أمه وراء ظهره ويقول أنا لها بعيرها المذلل، إن أذعرت ركابها لم أذعر. ثم قال: يا ابن عمر أتراني جزيتها؛ قال: لا ولا بزفرة واحدة.[٢]

قصص عن العقوق

٤١٥- فإني كنت أضرب أبي في هذا الموضع

عن ثابت البناني رحمه الله قال: رأيت رجلا يضرب أباه في موضع فقيل له ما هذا؛ فقال الأب: خلو عنه، فإني كنت أضرب أبي في هذا الموضع،

---

(١) «جامع الأحاديث» (٢٢ / ٤٩٨)، وأخرجه أحمد (٤٥١/٦، رقم ٢٧٥٩٢)، والترمذي (٣١١/٤، رقم ١٩٠٠) وقال: صحيح.

(٢) «البر والصلة» (١ / ١٩)، «صحيح الأدب المفرد» (١ / ٦)، «الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل» (٥ / ٦٣).

فابتليت بابني يضربني في هذا الموضع[١].

٤١٦- ما هذا النهيق

روى ابن أبي الدنيا قال:- عن أبي قزعة رجل من أهل البصرة قال: مررنا ببعض المياه التي بيننا وبين البصرة، فسمعنا نهيق حمار، فقلنا لهم: ما هذا النهيق ؟

قالوا هذا: رجل عندنا، فكانت أمه تكلمه بالشيء فيقول انهقي نهيقك، فكانت أمه تقول، جعلك الله حمارا، فلما مات، نسمع هذا النهيق عند قبره كل ليلة[٢].

٤١٧- جزت رحم بيني وبين منازل

وعن أبي عبد الرحمن الطائي قال:- كان رجل من بني نهد قد كبر وضعف يكني أبا منازل، وله ابن يقال له: منازل، وكان له ولد صغار، فكان إذا أصاب الشيخ شيئًا أعطاهم إياه، وكان يقبض عطاء أبيه، وكان شيخ كبيرا، فولد للشيخ بنون صغار فكان منازل يستأثر عليهم فلما خرج العطاء، خرج منازل يقود أباه، حتى أجلسه ليقبض عطائه، فلما نودي باسمه، قام منازل، فقال: أعطوني عطاءه فقام الشيخ فقال: أعطوني عطائي في يدي، ففعلوا، فحمل عطاءه، ثم قام يتوكأ على منازل، فقال منازل: هلم أحمله عنك، قال: دعه، فلما خلا له الطريق، فك يد أبيه ثم أخذ العطاء، فذهب به، فانصرف الشيخ وليس معه في يده شيء فقال له أهله وولده: ما صنعت، قال أخذ منازل عطائي ثم انشأ يقول:-

---

(١) «غذاء الألباب» (٣٧٣/١) للسفاريني، و«عقوق الوالدين» (ص٦٩).

(٢) «مجابوا الدعوة» لابن أبي الدنيا (ص٨٤)، و«البر والصلة» (١ / ٥٥، رقم ١٠٧)، و«من عاش بعد الموت» (١ / ٢٨).

جـزت رحـم بيـني وبـين منـازل جـزاء كمـا يسـتنجز الديـن طالبـه
وربتـه حـتى إذا مـا هـو اسـتوي كبـيرا وسـاوي عامـل الـرمح غاربـة
تظلمـني مـالي كـذا ولـوي يـدي لـوي يـده الله الذي هـو غالبـه

فأصبح منازل ملويا يده[1].

٤١٨- أريد أن أذبحك

وذكر العلماء أن رجلا كان عنده والد كبير، فتأفف من خدمته ومن القيام بأمره فأخذه وخرج إلى الصحراء ليذبحه، فلما وصل إلى صخرة أنزله هناك فقال: يا بني، ماذا تريد أن تفعل بي؟

قال: أريد أن أذبحك، قال: إن أبيت إلا ذبحي فاذبحني عند الصخرة التالية، أنا كنت قبلك عاقا لوالدي وذبحته عند تلك الصخرة، ولك يا بني مثلها

٤١٩- النضير بنت الساطرون

النضير بنت الساطرون صاحب الحضر:- الساطرون هو القيزن بن معاوية صاحب الحضر، وهو حصن على حافة الفرات، وبداخله مدينة عظيمة، أغار عليه سابور وحصره سنتين، فأشرفت النضيرة بنت الساطرون فنظرت إلى سابور وعليه ثياب ديباج وعلى رأسه تاج من ذهب مكلل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ وكان جميلا، فدست إليه أتتزوجني إن فتحت لك باب الحضر، فقال: نعم، فلما أمسي ساطرون شرب حتى سكر وكان لا يبيت إلا سكران فأخذت مفاتيح باب الحضر من تحت رأسه، وبعث بها مولى لها ففتح الباب، ويقال: بل دلتهم على نهر يدخل منه الماء متسع فولجوا منه إلى الحضرة، فدخل سابور فقتل ساطرون واستباح

(١) «مجابوا الدعوة» (ص ١٠٤- ١٠٥)، و«عيون الأخبار» (١ / ٣٠٩).

الحضر وخربه، وسار بها معه فتزوجها فبينا هي نائمة على فراشها ليلا إذا جعلت تململ لا تنام، فدعا لها بالشمع ففتش فراشها فوجد عليه ورقة آس، فقال لها سابور: أهذا الذي أسهرك!

قالت: نعم، قال: فما كان أبوك يصنع بك؟

قالت: كان يفرش لي الديباج ويلبسني الحرير ويطعمني المخ، ويسقني الخمر، قال: أفكان هذا جزاء أبيك ما صنعت به؟!؛

أنت إلي بذلك أسرع، فربطت قرون رأسها بذنب فرس ثم ركض الفرس حتى قتلها، كما كانت سببا في مقتل أبيها.. والجزاء من جنس العمل..[١].

٤٢٠- الكاذب بيني وبينك فاعل بأمه

الشاعر جرير بن عطية:- كان جرير بن عطية الشاعر أعق الناس بأبيه، وكان بلال أبنه كذلك، فراجع بلالا في الكلام، فقال له بلال: الكاذب بيني وبينك فاعل بأُمه، فأقبلت أُمه عليه، وقالت: يا عدو الله تقول هذا لأبيك! فقال جرير: دعيه فكأنه سمعها مني وأنا أقولها لأبي[٢].

٤٢١- أستغفر الله صدق الله

وذكر بعضهم أن رجلا كان من المياسير بالبصرة يتمني أن يرزق والدا وينذر عليه حتى ولد له فسر غاية السرور وأحسن تربية حتى ارتفع عن مبلغ الأطفال إلى حد الرجل، ولم يهمه شيء من أمر الدنيا سوى هذا الولد ولم يؤخر ممكنا من الإحسان عنه، فلم يشعر الأب ذات يوم إلا بخنجر خالط جوفه من وراء ظهره، فاستغاث بابنه مرتين فلم يجبه،

---

(١) «الجزاء من جنس العمل» (ج٢ ص١٩٠- ١٩١)، و«البداية والنهاية» (ج٢ ص١٦٨-١٧٠).

(٢) «الجزاء من جنس العمل» (ج٢ ص١٩٢).

فالتفت فإذا هو صاحب الضربة فقال الشيخ وهو يضطرب، من الألم لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأستغفر الله صدق الله، أراد بالتهليل، أن يلقى الله بالإيمان، وأراد بالاستغفار أن الله تعالى حذره فلم يحذر من ابنه ويقول صدق قول الله تعالى (إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذرورهم) فجمع في هذه الكلمات كل ما يحتاج إليه في هذا الحال[١]..

٤٢٢- يقتل أباه

ورأى والد في " شُبرا " أن سلوك ولده غير حسن وأن سيره معوج، فحاول تقويمه، ولكن عبثا كان يريد، فلم ير من وسيلة يتخلص بها منه سوى طرده من منزله، وحرم عليه العودة إليه، ولا شك أن هذا الوالد، كان يرمي بذلك إلى ابنه سيري نفسه وحيدا طريدا، غير قادرا على كسب معاشه، فتضطره الأحوال إلى أن يبتعد عن طريق أهواء النفس الأمارة بالسوء، فيعدل عن طريقة المعوج، ويصلح نفسه، ويعود إلى والده تائبا مسترحما راجيا أن يغفر له ما تقدم من ذنبه، وأن يغفر عن سيرته الأولى، التي كفر عنها بالاستقامة والصلاح ولا شك أن الأب في هذه الحال، كان يقبل هذا المكفر عن سيئاته بين أحضانه، ويزيده عناية ومحبة، لأنه أصلح عضوا فاسدا في أسرته، وفي المجتمع، بل لأنه خلق رجلا صالحا، وأمات رجلا فاسدا، ولكن ذلك الابن العاق، لم يقوم ما اعوج من خلقه ولم يصلح سير نفسه، بل تحركت فيه الروح الشيطانية الوحشية، وعد طرد أبيه له أهانه كبرى، وجناية لا تغتفر، وأنها ماسة بشرفه، الذي بذله رخيصا في سبيل الضلال والمفاسد، فعول على أن ينتقم، تعذر على هذا الحمق الذهاب إلى منزل أبيه لأنه كان قد غضب عليه، فخاف إن قابلة ينفذ فيه خطة انتقامه، فلم ير وسيلة لتحقيق غرضه الفظيع المستنكر، إلا أن يتربص

(١) «موارد الظمآت لدروس الزمان» (ج٣ ص٤٥٧ - ٤٥٨).

لوالده حتى يحضر إلى المكان الذي تعود الجلوس فيه عند خروجه من المنزل، لاستنشاق الهواء، ومجالسة الأصدقاء، فما وقع نظره عليه حتى طعنه خلسة بمدية طعنة قاتلة، ألقته على الأرض صريعا يتخبط في دمه[١].

٤٢٣- إن الله قادر على أن يحول الذهب حجارة للبنين الذين يعقون والدهم "

ومن تلك الأخبار التي تروى عن أهل العقوق:- يحكي أن أحد التجار الأغنياء لما كبر سنه، وضعفت قوته، تخلى عما لديه من مال لأولاده، بعد أن تعهدوا له أن يقوموا بأموره كافة، فوفوا له حينا، ثم طفقوا يهملونه كرها، ويلبسونه كرها، فلما رأى ذلك من أولئك العاقين، عضن بنان الندم على ما فعله، واستمر يتجرع الغصص منهم، إلى أن أتاه ذات يوم بعض أصحابه القدماء بدين عظيم، كان قد يئس من الحصول عليه، وقطع الرجاء منه، فأحضر صندوقا متينا وأودعه إياه، فحينما رأى الأولاد أن أباهم ذو مال، أخذوا يحترمونه، ويراعون خاطره كي يتخلى لهم عما بقي لديه، ولكنه قد اتعظ بما جرى له من قبل، فلم يعطيهم شيئًا، ثم عند وفاته أسرعوا إلى الصندوق وفتحوه، بقصد أن يغنموا ما فيه، فإذا هو مملوء حجارة، فوقها ورقة مكتوبة فيها " إن الله قادر على أن يحول الذهب حجارة للبنين الذين يعقون والدهم " وذلك أن الأب لما رأى سوء فعلهم، وتيقن عقوقهم، تصدق سرا بذلك المال على بيت لتربية اليتامى ومعالجة الفقراء، وملأ الصندوق حجارة، وكتب الورقة توبيخا لأولاده العاقين[٢].

---

(١) «عقوق الوالدين» (ص٦٩ - ٧٠).

(٢) «عقوق الوالدين» (ص٧١ - ٧٢).

٤٢٤- كما تدين تدان

واستمع إلى تلك القصة التي يروى أحداثها أحد البقالين في قريتنا - فرنوى - يقول: إن محل البقالة الذي أعمل فيه يفتح بابه في وجه باب أحد الجيران وكان لذلك الجار ابن عاق كثيرًا ما يحدث بينه وبين ابنه شجار وشحناء وفي يوم خرج الوالد مغضبا وخرج خلفه ابنه العاق ثم قام الولد بضرب أبيه على خده فقال الوالد في حزن شديد لم ذلك يا بني، ثم اغرورقت عيناه بدموع ثم ولى ذاهبا: يقول البقال، ومرت الليالي والأيام وتزوج ذلك الابن العاق وأنجب ابنا وكبر الابن وحدث الشجار بينه وبين أبيه العاق الذي ضرب والده قبل ذلك؛ وخرج ذلك الرجل وفي نفس المكان قام ابنه فلطم أبيه على خده، والجزاء من جنس العمل

٤٢٥- إن الله قد غفر لأهل عرفات ما خلا رجل

أخبرنا أحمد، حدثنا أبو بكر، وحدثني سويد بن سعيد، قال: حدثني أبو الحسن، رجل من أهل البصرة قال: أخبرني رجل، أنه رأى في منامه أن الله قد غفر لأهل عرفات ما خلا رجل من أهل كورة كذا وكذا قال الرجل: فأتيت مضاربهم فسألت عنهم فدلوني على خباء ذلك الرجل فأتيته فأخبرته بما رأيت وقلت: أخبرني بذنبك، قال: كنت رجلا أتعاطى الشراب وكانت والدتي تنهاني فأتيت المنزل وأنا سكران فحملت علي فحملتها حتى وضعتها في التنور وهو مسجور[١]

٤٢٦- فهل لي من توبة؟

عن ابن عباس، أنه أتاه رجل فقال: إني خطبت امرأة، فأبت أن تنكحني، وخطبها غيري، فأحبت أن تنكحه، فغرت عليها فقتلتها، فهل لي

(١) «ذم المسكر» (ج ١ / ص ٨٣).

من توبة؟

قال: أمك حية؟

قال: لا، قال: تب إلى الله ﷻ، وتقرب إليه ما استطعت.

فذهبت فسألت ابن عباس: لم سألته عن حياة أمه؟

فقال: إني لا أعلم عملا أقرب إلى الله ﷻ من بر الوالدة[١].

(١) «المفرد» للبخاري (ج ١ / ص ٧).

الفصل العشرون عشر: قصص في المحاسبة

٤٢٧- هذا الذي أوردني الموارد

۞ حرص أبي بكر رضي الله عنه.

عن قيس قال رأيت، أبا بكر آخذ بطرف لسانه ويقول هذا الذي أوردني الموارد[١].

٤٢٨- يا نفس إلا تقتلي تموتي

۞ عبد الله بن رواحة رضي الله عنه.

عن الحكم بن عبد السلام بن نعمان بن بشير الأنصاري، أن جعفر بن أبي طالب حين قتل دعا الناس، يا عبد الله بن رواحه، يا عيد الله بن رواحه وهو جانب العسكر ومعه ضلع جمل ينهشه، ولم يكن ذاقا طعاما قبل ذلك بثلاث، فرمى بالضلع ثم قال: وأنت في الدنيا؛ تقدم ثم قاتل فأصيب أصعبه فارتجز فجعل يقول:-

هل أنت إلا إصبع دميت ... وفي سبيل الله ما لقيت

يا نفس إلا تقتلي تموتي ... هذا حياض الموت قد صليت[٢]

وإن تأخرت فقد شقيت

---

(١) «أداب النفوس» (ص ٤٤)، و«صفة الصفوة» (ج١ ص٨٧)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (ص: ٩١).

(٢) «أسد الغابة» (ج١ ص٦٠٨)، و«تاريخ دمشق» (ج٢٨ ص١٢٦)، و«صفة الصفوة» (ج١ ص١٥٤).

ثم قال: يا نفس إلى أي شيء تتوقين، إلى فلانة، هي طالق ثلاثا، وإلى فلان، غلمان له وإلى معجف حائط له فهو لله ولرسوله:-

يا نفس مالك تكرهين الجنة أقسم بالله لتنزلنه
طائعة أولا لتكرهنه فطال ما قد كنت مطمئنة
هل أنت إلا نطفه في شنه قد أجلب الناس وشدوا الرنة

٤٢٩- ماذا عملت اليوم

۞ عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

روي عنه أنه كان يضرب قدميه بالدرة كل ليلة، ويقول: ماذا عملت اليوم(١).

وروي عنه أيضًا: أنه عاقب نفسه حين فاتته صلاة العصر في جماعة بأن تصدق بأرض كانت له قيمتها مائتا ألف درهم.

وهذا ابن عمر رضي الله عنهما، إذا فاتته صلاة جماعة أحيا تلك الليلة وأخر المغرب حتى طلع كوكبا فأعتق رقبتين.

٤٣٠- والله لتتقين الله ابن الخطاب أو ليعذبنك

عن أنس رضي الله عنه قال سمعت عمر يوما وخرجت معه حتى دخل حائطا فسمعته يقول: وبيني وبينه جدار وهو في جوف الحائط: عمر بن الخطاب بخ والله لتتقين الله ابن الخطاب أو ليعذبنك(٢).

٤٣١-فأنت في الأمنية فاعملي.

۞ إبراهيم التيمي رحمه الله.

---

(١) «الأحياء» (ج٤ ص٤٠٧).
(٢) «الأحياء» (ج٤ ص٤٠٨)، و«ذم الهوى» (ص:٤١).

قال مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها وأشرب من أنهارها وأعانق إبكارها، ثم مثلت نفسي في النار أكل من زقومها وأشرب من صديديها، وأعالج سلاسلها وأغلالها، فقلت لنفسي أي نفس أي شيء تريدين؛ قالت: أرد إلى الدنيا فأعمل صالحا، قال: قلت: فأنت في الأمنية فاعملي.

٤٣٢- ظننت أنه قد غفر لهم لولا أني كنت فيهم

❁ أبو بكر المزني ﷺ.

عن معتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: قال بكر يعني ابن عبد الله المزني أو قال رجل: «لما نظرت إلى أهل عرفات ظننت أنه قد غفر لهم لولا أني كنت فيهم»[١].

٤٣٣- أذكر الصالحين، فأف لي وتف

❁ مالك بن دينار ﷺ.

عن جعفر بن سليمان، قال: قال مالك بن دينار: «أذكر الصالحين، فأف لي وتف»[٢].

٤٣٤- وإذا ذكر مناقب أهل الخير كنت منهم بمنعزل

قال سفيان الثوري: جلست ذات يوم أحدث ومعنا سعيد بن السائب الطائفي فجعل سعيد يبكي حتى رحمته، فقلت: يا سعيد ما يبكيك وأنت تسمعني أذكر أهل الخير وتعاليمهم قال يا سفيان، وما يمنعني من البكاء وإذا ذكر مناقب أهل الخير كنت منهم بمعزل، قال سفيان حق له أن يبكي[٣].

---

(١) «محاسبة النفس» (رقم ٢٦).

(٢) «محاسبة النفس» (رقم ٢٧).

(٣) «صفة الصفوة» (٢ / ٢٨٤)، و«محاسبة النفس» (رقم ٢٩).

٤٣٥- فإن لك غاية لا تعدوها

❁ أبي بكرة رضي الله عنه.

قال معاوية لأبي بكرة، هل عندك من عهد تعهده إلينا؟

قال: نعم أعهد إليك يا أمير المؤمنين، أن تنظر لنفسك ورعيتك وتعمل صالحا فإنك تقلدت عظيما خلافة الله في خلقه فإن لك غاية لا تعدوها ومن ورائك طالب حثيث وأوشك أن يبلغ المدى فيلحق الطالب فتصير إلى من يسألك عما كنت فيه وهو أعلم به منك وإنما هي محاسبة وتوفيق فلا تؤثرن على رضا الله شيئًا(١).

٤٣٦- لو كان للذنوب ريح ما قدر أحد أن يجلس إلي

❁ محمد بن واسع رحمه الله.

قال إسماعيل بن عليه: قال بلغني عن محمد بن واسع قال: لو كان للذنوب ريح ما قدر أحد أن يجلس إلي(٢).

٤٣٧- كيف بمن هو ظاهر العيوب

❁ ثابت البناني رحمه الله.

عن جعفر بن سليمان، قال: لقي مالك بن دينار ثابتا البناني فقال له ثابت: يا أبا يحيى، كيف بك؟

قال: «كيف بمن هو ظاهر العيوب كثير الذنوب مستور على غير استحقاق؟ فكيف بك يا أبا محمد؟»

قال: فكتف ثابت يده ومد عنقه وخفض رأسه، وقال: هذا عذر الخطائين

---

(١) «تاريخ الطبري» (ج٣ ص١٧١).

(٢) «المحاسبة» (رقم ٣٧)، و«تاريخ دمشق» (٥٦ / ١٥٨).

الأشراء. قال: وأقبلا يبكيان حتى سقطا[١]

٤٣٨- فوضع يده في النار حتى نشت

۞ أحد الصالحين.

عن شعبة بن منصور عن إبراهيم: أن رجلا من العباد كلم امرأة فلم يزل حتى وضع يده على فخذها، فوضع يده في النار حتى نشت[٢].

٤٣٩- إنك للحاظة إلى ما يضرك

۞ غزوان بن غزوان الرقاشي.

عن هارون بن رئاب، أن غزوان، وأبا موسى كانا في بعض مغازيهم فتكشفت جارية فنظر إليها غزوان فرفع يده فلطم عينه حتى نفرت وقال: «إنك للحاظة إلى ما يضرك[٣]

٤٤٠- أنا أحب أن أحاسب نفسي أربعين سنة على خطاي

۞ يحي بن يحي رحمه الله.

قال الذهبي رحمه الله، ويروي أن يحيى بن يحيى شرب دواء فقالت زوجته قم فتمشى في الدار، قال: أنا أحب أن أحاسب نفسي أربعين سنة على خطاي فما أعلم ما هذه المشية[٤].

فتأمل أخي حال يحيى بن يحيى كيف أنه توقف عن المشي لأنه ما يعلم هذه المشية التي تريد زوجته أن يمشيها، وما ذاك إلا لأنهم كانوا يحاسبون أنفسهم عن كل خطوة هل هي لله وهل تعود عليهم بالخير أم

---

(١) «محاسبة النفس» (رقم ٤٦)، و«تاريخ دمشق» (٥٦ / ٤١٢).
(٢) «محاسبة النفس» (رقم ٤٨)، و«الدينار» (رقم ١٤)، و«التوابين» (رقم ٢٩).
(٣) «المحاسبة» (رقم ٤٠)، و«صفة الصفوة» (٣ / ٢٥٢).
(٤) «تاريخ الإسلام» (ج١ ص١٧٥٦).

بالشر.

٤٤١- أكل بالمسكنة خير من أكل بالعلم

❁ الإمام سحنون رحمه الله.

قال: أكل بالمسكنة خير من أكل بالعلم ،محب الدنيا أعمى لم ينوره العقل، ما أقبح بالعالم أن يأتي الأمراء فيقال هو عند الأمير، والله ما دخلت على سلطان إلا خرجت حاسبت نفسي فوجدت عليها الدرك، وأنتم ترون مخالفتي لهواه وما ألقاه من الغلظة، والله ما أخذت لهم درهما، ولا لبست لهم ثوبا(١).

٤٤٢- أنغص عليها الحي

❁ ضغيم بن مالك الراسبي.

قال مالك بن ضغيم: حدثتني خالتي حبابة ميمونة العتكية قالت: رأيت أبا ضغيم نزل ذات ليلة من فوق البيت بكوز قد برد له حتى صبه في اكتاز من الجب ماء حارا فشرب فقلت له بأبي أنت قد، رأيت الذي صنعت فمم ذاك؛

قال: كانت مني نظرة إلى امرأة فجعلت على نفسي أن تذوق الماء البارد أيام الدنيا قلت أنغص عليها الحياة(٢).

٤٤٣- تسالين عمالا يعنيك لأعاقبنك بصوم سنة

❁ حيان بن أبي سنان رحمه الله.

عن عبد الجبار بن نضر السلمي قال: مرّ حيان بن أبي سنان بغرفة

---

(١) «تاريخ الإسلام» (ج١ ص١٨١٠).

(٢) «محاسبة النفس» (رقم ٥٢)، و«ذم الهوى» (١ / ١٣٢).

فقال: متى بنت هذه؛ ثم أقبل على نفسه فقال: تسألين عمالا يعنيك لأعاقبنك بصوم سنة فصامها[١].

٤٤٤- أهذا وقت نوم؟!

❁ رياح القيسي رحمه الله.

قال مالك بن ضغيم: جاء رياح القيسي يسأل عن أبي بعد العصر فقلنا إنه نائم فقال: نوم هذه الساعة؛؛! أهذا وقت نوم؟!؛

ثم ولى منصرفا فأتبعناه رسولا فقلنا قل له ألا نوقظه لك؛ فأبطأ علينا الرسول ثم جاء وقد غربت الشمس فقلنا أبطأت جدًا فهل قلت له، قال هو أشغل من أن يفهم عني شيئًا أدركته وهو يدخل المقابر وهو يعاتب نفسه وهو يقول أقلت أنوم هذه الساعة؟؛ أفكان عليك ينام الرجل متى شاء وقلت هذا وقت نوم، وما يدرك أن هذا ليس وقت نوم تسألين عما لا يعنيك وتكلمين بما لا يعنيك، أما إن لله علي عهدا لا أنقضه أبدًا لا أوسدك الأرض لنوم حولا إلا لمرض جاء بك أو لذهاب عقل زائل سوءة لك سوءة لك، أما تستحين كم توبخين عن غيك لا تنتهين ، قال وجعل يبكي وهو لا يشعر بمكاني فلما رأيت ذلك انصرفت وتركته[٢].

٤٤٥- نام ليلة فصام سنة

❁ تميم الداري رضي الله عنه.

عن محمد بن المنكدر قال: أن تميما الداري نام ليلة لم يقيم يتهجد حتى

---

(١) «شعب الإيمان» (ج٤ ص٢٧٥)، و«بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب» (١ / ٣٣٩)، و«ذم الهوى» (ص٤٤)، و«محاسبة النفس» (رقم ٥٣).

(٢) «تاريخ دمشق» (ج١١ ص٧٤٣)، و«تاريخ الإسلام» (ج١ ص٤٨٠) و«شعب الإيمان» (ج٣ ص١٥٩)، و«محاسبة النفس» (٩٣).

أصبح فقام سنة لم ينم عقوبة للذي صنع[١].

فهذا حال تميم رضي الله عنه حاسب نفسه على أنه لم يقيم ليلة فصام سنة فما بال الخلف الذين ينامون عن صلاة الفجر ولا يصلونها في جماعة بل الواحد منهم يفرط في الفرائض وربما لا يصلها أصلا فأين الثرى من الثريا؟.

٤٤٦- حلف ألا ينام على فراش أبدًا.

۞ **هند بن عوف** رحمه الله.

عن طلق بن معاوية قال: قدم رجل منا يقال هند بن عوف من سفره فمهدت له امرأته فراشا وكانت له ساعة من الليل يقومها فنام عنها حتى أصبح، فحلف ألا ينام على فراش أبدًا[٢].

٤٤٧- عابد يحاسب نفسه.

عن البحتري بن حارثه قال دخلت على عابد فإذا بين يديه نار قد أججها هو يعاتب نفسه فلم يزل يعاتبها حتى مات[٣].

٤٤٨- ما حملك على ما صنعت يوم كذا

۞ **الأحنف بن قيس** رحمه الله.

كان الأحنف بن قيس يجئ إلى المصباح بالليل فيضع إصبعه فيه ثم يقول " حس، حس " ثم يقول يا أحنف ما حملك على ما صنعت يوم كذا،

---

(١) «بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب» (١ / ٢٢٨)، و«تاريخ دمشق» (١١ / ٧٧)، و«محاسبة النفس» (رقم ٥٥).

(٢) «شعب الإيمان» (ج٣ ص١٥٩)، و«المجالسة وجواهر العلم» (رقم ٢٣٨٥)، و«تاريخ ابن معين» - رواية الدوري - (رقم ١٦٨٥).

(٣) «التخويف من النار» (ص٤٢).

وما حملك على ما صنعت يوم كذا[١].

٤٤٩- ما الذي منعك من ذلك؟

❁ **امرأة تحاسب نفسها وتعاتبها.**

عن الشعبي قال: سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه امرأة تقول:-

دعتني النفس بعد خروج عمرو ... إلى اللذات تطلع إطلاعا
فقلت لها عجلت فلن تطاعي ... ولو طالت إقامته رباعا
أحاذر أن أطيعك سب نفسي ... ومخزاة تحللني قناعا

فقال لها عمر: ما الذي منعك من ذلك؟؛

قالت: الحياء وإكرام زوجي فقال: عمر إن هذا الحياء لهنات ذات ألوان: من استحي اختفى ومن اختفى اتقى ومن اتقى وقي[٢].

٤٥٠- واستقظي يا نفس ويحك واحذري

❁ **عابد يحاسب نفسه.**

عبد الرحمن بن زامرد الأزرق، قال: الحكم بن أبان رأيت عبد الرحمن بن زامرد الأزرق وكان عابدًا يقول:-

ويلي وويحي من تتابع جرمي ... لو قد دعاني للحساب حسيب
والويل لي ويلي أليم دائم ... إن كنت في الدنيا أخذت نصيبي

قال: وزاد غيره.

واستقظي يا نفس ويحك واحذري ... حذرا يهيج عبرتي ونحيبي[٣]

---

(١) «التخويف من النار» (ص٤٢).
(٢) «محاسبة النفس» (ص١١٣).
(٣) «محاسبة النفس» (رقم ٩٠).

٤٥١- فوعزة ربي لأزحفنّ بك زحف البعير

۞ عامر بن عبد الله ﷺ.

عن عامر بن يساف سمعت المعلي بن زياد يقول: كان عامر بن عبد الله قد فرض على نفسه كل يوم ألف ركعة وكان إذا صلى العصر جلس وقد انتفحت ساقاه من طول القيام فيقول: يا نفس بهذا أمرت، ولهذا خلقت يوشك أن تذهب العناء ،

كان يقول لنفسه قومي يا مأوى كل سوء فوعزة ربي لأزحفنّ بك زحف البعير وإن استطعت أن لا يمس الأرض من زهمك لا فعلن ثم يتلوى كما تتلوى الحية على المقلي ثم يقوم: فينادي اللهم إن النار منعتني من النوم(١).

وعن سفيان قال: قال عامر بن عبد الله لاجتهدنّ فإن نجوت فبرحمة الله وإلا لم ألم نفسي(٢)

وعن صخر بن صخر قال: قال عامر بن عبد الله: أنا من أهل الجنة أو أنا من أهل الجنة أو مثلي يدخل الجنة(٣)

٤٥٢- اللهم إن هذه النفس تزعم في الرخاء أنها تحب لقاءك

۞ الأسود بن كلثوم.

قال حميد بن هلال: كان الأسود بن كلثوم إذا مشي نظر إلى قدميه،قال ودور النساء إذا ذاك فيها تواضع، فعسى أن يفجأ النسوة وعسى أن يكون

---

(١) «محاسبة النفس» (رقم ١٠٠)، و«المنتظم» (٥ / ٢٩)، و«التهجد وقيام الليل» (١ / ٤٤٦)، و«سير أعلام النبلاء» (٦ / ٣١٧).

(٢) «الزهر الفاتح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح» (٣).

(٣) «تاريخ دمشق» (٢٦ / ٣٤)، و«المحاسبة (رقم ١٤٧)، و«حلية الأولياء» (٢ / ٩٠).

بعضهن واضعا فيروعهن الرجل حين يرينه ينظر بعضهن إلى بعض فقلن كلا إنه الأسود بن كلثوم، إنه لا ينظر فلما قرب غازيا، قال اللهم إن هذه النفس تزعم في الرخاء أنها تحب لقاءك، فإن كانت صادقة فارزقها ذلك، وإن كانت كاذبة فاحملها عليه وإن كرهت فاجعل ذلك قتلا في سبيلك وأطعم لحمي سباعا وطيرا، وقال فانطلق في طائفة من ذلك الجيش الذي خرج فيه، حتى دخلوا حائطا فيه ثلمة، وجاء العدو حتى قام على الثلمة، فنزل عن فرسه وضرب وجهه فانطلق غابرا، ثم عمد إلى ماء في الحائط، فتوضأ منه، وصلى ، وقال: تقول العجم هكذا استسلام العرب، فلما قضي صلاته قاتلهم حتى قتل، قال فمر عظيم ذلك الجيش على الحائط ومنهم أخوه فقيل لأخيه ألا تدخل الى الحائط فتنظر ما أصبت من عظام أخيك فتجنيه قال ما أنا بفاعل شيئا دعا به أخي فاستجيب له [١]

٤٥٣- ما أقل عناء البكاء عن أهله إن لم يرحمهم الله عز وجل

۞ عطاء السلمي رحمه الله.

عن إبراهيم بن أدهم قال: كان عطاء السلمي إذا استيقظ، قال ويحك يا عطاء وأمك يا عطاء حتى يصبح[٢].

وقال سوار أبو عبيده قالت لي امرأة عطاء السلمي: عُاتب عطاء في كثرة البكاء فعاتبته فقال لي: يا سوار كيف تعاتبني في شيء ليس هو إلي إني إذا ذكرت أهل النار وما ينزل بهم من عذاب الله عز وجل وعقابه تمثلت لي نفسي بهم فكيف لنفس تغل يدها إلى عنقها وتسحب في النار أن لا تصيح وتبكي، وكيف لنفس تعذب أن لا تبكي، ويحك يا سوار، ما أقل عناء البكاء عن

(١) «صفة الصفوة» (ج٢ ص٦٤٣)، و«المحاسبة» (رقم٢٠).
(٢) «صفة الصفوة» (ج٢ ص٦٨٣).

أهله إن لم يرحمهم الله ﷻ[١].

٤٥٤- أخبرتك فاتعظي الآن أو دعي

۞ **عمر بن عبد العزيز** رحمه الله.

عن عطاء قال: دخلت على فاطمة بنت عبد الملك بعد وفاة عمر بن عبد العزيز فقلت لها يا بنت عبد الملك أخبرني عن أمير المؤمنين، قالت: أفعل، ولو كان حيا ما فعلت إن عمر رحمه الله كان قد فرغ نفسه وبدنه للناس كان يقعد لهم يومه، فإذا أمسي وعليه بقية من حوائج يومه وصله بليله إلى أن أمسى وقد فرغ من حوائج يومه فدعا بسراجه الذي يسرج له من ماله، ثم قام فصلى ركعتين ثم أقعى واضعا رأسه على يديه تسايل دموعه على خده يشهق الشهقة فأقول، قد خرجت نفسه، انصدعت كبده، فلم يزل كذلك ليلته، حتى برق له الصبح، ثم أصبح صائما، قالت فدنوت منه فقلت: يا أمير المؤمنين لشيء ما كان الليلة ما كان منك؛ قال أجل، فدعيني وشأني وعليك وشأنك

قالت، فقلت إني لأرجو أن اتعظ، قال: إذا أخبرك إني نظرت إلي، فوجدتني قد وُليتُ أمر هذه الأمة صغيرها وكبيرها وأسودها وأحمرها ثم ذكرت الغريب الضائع والفقير المحتاج، والأسير المفقود وأشباههم في أقاصي البلاد وأطراف الأرض، فعلمت أن الله سائلي عنهم، وأن محمد ﷺ حجيجي فيهم، فخفت على نفسي خوفا دمعت له عيني ووجل له قلبي، فأنا كلما ازددت لها ذكر ازددت لها وجلا، وقد أخبرتك فاتعظي الآن أو دعي[٢].

---

(١) «صفة الصفوة» (ج٣ ص٣٢٧).

(٢) «محاسبة النفس» (رقم ٩٨)، «تاريخ دمشق» (٤٥ / ١٩٧).

٤٥٥- يا لك ركضة إلى لفردوس الأعلى

۞ **توبة بن الصمة** ﷺ.

تأمل في محاسبة الأخيار كيف يحاسب الواحد منهم على نفسه على أنفاسه؟ أم كيف وصلت بهم الخشية والخوف من الله إلى أن يفارق الواحد منهم الحياة فرقا من عذاب الله،

كان توبة بن الصمة بالرقة، وكان محاسبا لنفسه فحسب فإذا هو ابن ستين سنة فحسب أيامها فإذا هي واحد وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم فصرخ وقال: يا ويلتي؛ ألقى الملك بواحد وعشرين ألف ذنب، كيف وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب؛ ثم خر مغشيا عليه فإذا هو ميت، فسمعوا قائلا يقول: يالك ركضة إلى لفردوس الأعلى[١].

٤٥٦- محاسبة مجمع.

عن مجمع أنه رفع رأسه إلى السطح فوقع بصره على امرأة فجعل على نفسه أن لا يرفع رأسه إلى السماء ما دام في الدنيا[٢].

٤٥٧- خويل قد عمرناك ستين سنة فما صنعت فيها

۞ **خويل بن محمد الأزدي.**

عن الهيثم بن عدي قال سمعت خويل بن محمد وكان عأبدًا يقول كأن خويلا وقف للحساب فقيل له يا خويل قد عمرناك ستين سنة فما صنعت فيها فجمع نومه سنة مع قائلة النهار فإذا قطعه من عمري نوم وجمعت

---

(١)«صفة الصفوة» (ج٤ ص١٩٦)، «بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب» (١ / ٩٤)، «الزهد والرقائق» للخطيب البغدادي (رقم ٧٠)، و«تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين» (١ / ٤٦).

(٢) «إحياء علوم الدين» (ج٤ ص٤٠٧).

ساعات أكلي فإذا قطعة من عمري قد ذهبت في الأكل وجمت ساعاب وضوئي فإذا قطعة من عمري ذهبت فيه ثم نظر في صلاتي فإذا صلاة منقوصة وصوم مخرق فما هو إلا عفو الله أو الهلكة[١]

٤٥٨- كهمس بن الحسن القيسي؟

عن عمارة بن زاذان قال لي كهمس بن الحسن يا أبا سلمة أذنبت ذنبا وأنا أبكي عليه أربعين سنة، قلت وما هو؟

قال: زراني أخ فاشتريت له سمكا بدانق فلما أكل قمت إلى حائط جار لي فأخذت منه قطعة طين فغسل بها يده فأن أبكي عليه منذ أربعين سنة[٢].

(١) «صفة الصفوة» (ج٢ ص٦٧٦).

(٢) «حلية الأولياء» (ج٦ ص٢١١)، و«صفة الصفوة» (ج٢ ص٦٥٧).

الفصل الحادي والعشرون: قصص في الإحسان إلى الجيران

٤٥٩- الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق

وكان ابن المقفع بجنب داره دار وكان يستامها وصاحبها يمتنع من بيعها، فاتفق أن ركب صاحب الدار دين واحتاج إلى بيعها فعرضت عليه فقال: ما قمت إذًا بحرمة الجوار إن رغبت في ابتياعها بعد أن باعها معدمًا، وحمل إليه ثمن الدار وقال: بق دارك عليك ورد هذا على دينك[١].

٤٦٠- وهل يباع الجوار؟

وساوموا جارًا لفيروز على داره بثمن فقال: هذا ثمن الدار فأين ثمن الجوار؟

قالوا: وهل يباع الجوار؟

قال: نعم لا أبيعه إلا بأضعافه دراهم، فبلغ فيروز فأرسل إليه ثمن الدار[٢].

٤٦١- حرمة الجار كحرمة الأم

قال رجل لعبد الله بن المبارك رضي الله عنه إن جارنا يشتكي من عبدي ولعله يكذب عليه قال إذا أذنب عبدك ذنبا فاحفظه عليه فإذا شكاه جارك فأدبه على ذلك فتكون قد أرضيت جارك وأدبت عبدك وعن النبي ﷺ حرمة

(١) «محاضرات الأدباء» (٢ / ٩١).
(٢) «محاضرات الأدباء» (٢/ ٩١).

الجار كحرمة الأم[١].

٤٦٢- حق الجوار حتى مع النمل

كان عدي بن حاتم الطائي صحابيا روى عن النبي ستة وستين حديثًا وكان إذا ركب فرسه تخط رجلاه بالأرض وكان يفت الخبز لمن جاوره من النمل ويقول علينا حق الجوار حكاه النووي في تهذيب الأسماء واللغات[٢].

٤٦٣- مجير الجراد

كان أبو حنبل يقال له مجير الجراد، وذلك أنه نزل عليه جراد بفنائه فعدا الحي إليه فقال لهم: إلى أين؟

فقالوا أردنا جيرانك جرادًا نزل بفنائك!

فقال: أما إذ سميتموه جاري فلا تصلون إليه أبدًا! فأمر قومه أن يسلو سيوفهم ويمنعوه؛ وفيهم يقول الشاعر:

ومنّا ابن مرّ أبو حنبل أجار من الناس رجل الجراد[٣]

٤٦٤- أنا هانئ بن عروة.

وذكر أن معاوية ولى كثير بن شهاب المذحجي خراسان، فاختان مالًا كثيرًا ثم هرب فاستتر عند هانئ بن عروة المرادي: فبلغ ذلك معاوية، فهدر دم هانئ. فخرج إلى معاوية فكان في جواره، ثم حضر مجلسه وهو لا يعرفه، فلما نهض الناس ثبت مكانه. فسأله معاوية عن أمره فقال: أنا

---

(١) «نزهة المجالس ومنتخب النفائس» (٢/ ٢٥٠).

(٢) نزهة المجالس ومنتخب النفائس» (١ / ٢٠٩).

(٣) «محاضرات الأدباء» (١ / ١٢٢)، «التذكرة الحمدونية» (١ / ١٨٣)، «المستقصى في أمثال العرب» (١ / ٨٨)، «حماسة القرشي» (١ / ٢).

هانئ بن عروة. فقال: إن هذا اليوم ليس باليوم الذي يقول فيه أبوك:

أرجـــل جمـــتي وأجـــر ذيـــلي وتحمـــل شـــكتي أفـــق كميـــت
وأمشيـــ في سراة بـــني غطيـــف إذا مـــا ســـاءني أمـــر أبيـــت

قال: أنا والله يا أمير المؤمنين اليوم أعز مني ذلك اليوم. فقال: بم ذلك؟

قال: بالإسلام. قال: أين كثير بن شهاب؟

قال: عندي وعندك يا أمير المؤمنين. قال: انظر إلى ما اختانه، فخذ منه بعضًا، وسوغه بعضًا، وقد أمناه ووهبناه لك(١).

٤٦٥- ناس عرفوا قيمة الجوار

يروى أن رجلًا أراد أن يبيع داره، فلما أراد المشتري أن يشتري، قال: لا أسلمك الدار حتى تشتري مني الجوار، قال: جوار من؟

قال: جوار سعيد بن العاص.

جاره أراد أن يبيع بيته، فمن غلاوة الجوار، قال: أنا أبيع بيتي وأبيع الجوار، من الذي يشتري جوار سعيد بن العاص؟

وتزايدوا في الثمن، فقال له شخص: هل رأيت أحدًا يشتري جوارًا أو يبيعه؟ قال: ألا تشترون جوار من إن أسأت إليه أحسن إليّ، وإن جهلت عليه حلم عليّ، وإن أعسرت وهب لي حاجتي، فبلغ ذلك سعيد بن العاص، فبعث إليه بمائة ألف درهم(٢).

فكان الجار يباع قبل الدار، قالت امرأة فرعون: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا﴾ [التحريم:١١] عندك أولًا ثم بيتًا.

---

(١) «العقد الفريد» (١ / ٣٨).
(٢) «سلسلة الآداب الإسلامية» (٤/ ٢٥).

٤٦٦- الإفضال على الإخوان

قال علي بن أبي طالب للعباس: ما بقي من كرم إخوانك؟

قال: الإفضال على الإخوان، وترك أذى الجيران.

وقال بعضهم:

سقيًا ورعيًا لجيران نزلت بهم ... كأن دار اغترابي عندهم وطني

إذا تأملت من أخلاقهم خلقًا ... علمت أنهم من حلية الزمن[١]

٤٦٧-ما يصلح إلا للفرار من جار السوء

ستعرض أبو مسلم صاحب الدولة فرسا محضيرا فقال لأصحابه: لم يصلح هذا؟

فذكروا السباق، وصيد حمر الوحش والنعام، واتباع المنهزم، فقال: ما صنعتم شيئًا، ما يصلح إلا للفرار من جار السوء[٢].

٤٦٨- اللهم إن هذا لنا جار وله علينا ذمام

۞ ومن النوادر المحكية في إكرام الجار ما حكي.

أن يهوديًا عطارًا نزل ببعض أحياء العرب يبيع لهم من بضاعته العطرية فمات عندهم فأتوا شيخًا لهم لم يكن يقطع في الحي أمر دونه فاعلموه بخبر اليهودي فجاء وغسله وكفنه وتقدم وأقام الناس خلفه وقال اللهم إن هذا لنا جار وله علينا ذمام فإذا قضينا ذمامه وصار إليك فلك الخيار أن تفعل به ما هو له أهل أو تفعل به ما أنت له أهل فإنك أهل

(١) «الآداب الشرعية» ابن مفلح (٢/ ٨٢).

(٢) «ربيع الأبرار» (١ / ٧٦).

التقوى وأهل المغفرة [١].

٤٦٩- إني لا أستحيي أن أطعم طعامًا وجيراني لا يقدرون على مثله

قال جعفر بن أبي طالب لأبيه يا أبة إني لا أستحيي أن أطعم طعامًا وجيراني لا يقدرون على مثله فقال له أبوه إني لأرجو أن يكون فيك خلف من عبد المطلب[٢].

٤٧٠- أبو حنيفة وجار له كان يغني بشعر العرجي

من المشهور عن مروءته، ووفائه ورعايته حق الجوار، ما روى أنه كان له جار بالكوفة إسكاف، يعمل نهاره أجمع، حتى إذا جنه الليل رجع إلى منزله، وقد حمل معه لحمًا فطبخه أو سمكة فشواها، ثم لا يزال يشرب حتى إذا دب الشراب فيه غنى بصوت، وهو يقول:

أضـــاعوني وأي فـــتىً أضـــاعُوا ليَـــوم كريهـــةٍ وســـدَادِ ثَغْـــرِ

فلا يزال يشرب ويردد هذا البيت، حتى يأخذه النوم.

وكان أبو حنيفة يصلي الليل كله، ففقد صوته، فسأل عنه، فقيل: أخذه العسس منذ ليال، وهو محبوس.

فصلى أبو حنيفة صلاة الفجر من غد، وركب بغلة، واستأذن على الأمير. فقال: ائذنوا له، وأقبلوا به راكبا، ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط.

ففعل، فلم يزل الأمير يوسع في مجلسه، وقال: ما حاجتك؟

قال: لي جار إسكاف، أخذه العسس منذ ليال، ويأمر الأمير بتخليته.

---

(١) «غرر الخصائص الواضحة» (١ / ٢٥١).

(٢) «غرر الخصائص الواضحة» (١ / ٢٥٠).

فقال: نعم، وكل من أخذ في تلك الليلة إلى يومنا هذا. فأمر بتخليتهم أجمعين.

فركب أبو حنيفة، والإسكاف يمشي وراءه، فلما نزل أبو حنيفة مضى إليه، فقال: يا فتى، هل أضعناك؟

فقال: لا، بل حفظت ورعيت، جزاك الله خيرًا عن حرمة الجوار، ورعايته.

وتاب الرجل، ولم يعد إلى ما كان عليه، ببركة الإمام، -رضي الله تعالى عنه وأرضاه، وجعل الجنة مُتقلبه ومثواه، ونفعنا ببركاته، وبركات علومه في الدنيا والآخرة[١].

٤٧١- كيف أصنع إذا تبين الخطأ

عن ابن المبارك قال: سأل رجل أبا حنيفة عن خوخة أراد أن يفتحها في حائط له في داره فقال افتح ما شئت ولا تطلع على جارك فأتى به جاره إلى ابن أبي ليلى فمنعه منه فشكا إلى أبي حنيفة قال فافتح فيه بابا فجاء ليفتح الباب فأتى به إلى ابن أبي ليلى فمنعه فقال كم قيمة حائطك قال ثلاثة دنانير قال هي لك علي واذهب فاهدم الحائط من أوله إلى آخره فجاءه يهدمه فمنعه فأتى به إلى ابن أبي ليلى فقال يهدم حائطه وتسألني أن أمنعه من ذلك اذهب فاهدمه واصنع ما شئت قال فلم عنيتني ومنعتني من فتح خوخة وكان ذلك أهون علي قال إذا كان يذهب إلى من يدله على خطأي فكيف أصنع إذا تبين الخطأ[٢].

---

(١) «الطبقات السنية في تراجم الحنفية» (١ / ٣٤)، و«أخبار أبي حنيفة» (١ / ٥١)، و«الأغاني» (١ / ٣٩٩)، و«تاريخ بغداد» (١٣ / ٣٦).

(٢) «أخبار أبي حنيفة» (١ / ٣١).

٤٧٢-إن جاري هذا بريء الساحة

۞ **القاضي الفرج بن كنانة** ومن الفقهاء المعدودين بالأندلس في صدور القضاة، الفرج بن كنانة الكناني، رحل إلى المشرق، وسمع من عبد الرحمن بن القاسم وغيره. ولما قدم من رحلته، استخلصه الأمير الحكم بن هشام، وولاه قضاء الجماعة بقرطبة. وهو كان القاضي بها أيام الهرج المعروف بوقيعة الربض. ومما جرى له حينئذ، أن بعض أصحاب الأمير الحكم، الذين أرسلهم على الناس، تعلقوا بجار الفرج بن كنانة، أتهموه بالحركة في الصبح، وتسوروا عليه. وصاح نساؤه؛ فسمع القاضي الصراخ؛ فقال: ما هذا؟

فقيل: جارك فلان تعلق به الحرس؛ فأخرجوه ليقتل فبادر الخروج، وكف القوم عن جاره، وقال لهم: إن جاري هذا بريء الساحة، سليم الناحية، وليس فيه شيء مما تظنون. فقال له رئيس الحرس، المرسل معهم: ليس هذا من شأنك، عليك بالنظر في أحباسك وحكومتك ودع ما لا يعنيك فغضب الفرج عند ذلك، ومشى إلى الأمير الحكم؛ فاستأذن عليه.

فلما دخل، قال له بعد السلام: أيها الأمير إن قريشًا حاربت رسول الله ﷺ وناصبته العداوة في الله تعالى؛ ثم إنه صفح عنهم، لما أظفره الله تعالى بهم، وأحسن إليهم. وأنت أحق الناس بالاقتداء به، لقرابتك منه، ومكانك من خلافته في عباد الله ثم حكى له قصة جاره، وما عرض له في الدفاع عنه.

فأمر بتخليه سبيله، وبعقاب الناظر الذي عارض القاضي؛ وعفا عند ذلك عن بقية أهل قرطبة، وبسط الأمان بجماعتهم، وردهم إلى أوطانهم[١].

---

(١) «تاريخ قضاة الأندلس» (١ / ٥٣).

٤٧٣- من آذى جاره ورثه الله داره

قال المكي: كنت عند سفيان بن عيينة وجاء رجل فقال له: إن جاري قد آذاني، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: من آذى جاره ورثه الله داره، فقال له: إن هذا لفي كتاب الله ﷻ، قال الرجل: وأين ذلك؟ قال: قال الله ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [إبراهيم:١٣-١٤]، فقال المكي وقبل رأسه[١].

٤٧٤- أمرني جدي ﷺ بإكرام الجار

وقال ابن عباس الصاحب بالجنب هو الرفيق في السفر ورأيت عن الحسن بن علي رضي الله عنهما أن جاره اليهودي انخرق جداره إلى منزل الحسن فصارت النجاسة تنزل في داره واليهودي لا يعلم بذلك فدخلت زوجته يوما فرأت النجاسة قد اجتمعت في دار الحسن فأخبرت زوجها بذلك فجاء اليهودي إليه معتذرا فقال أمرني جدي ﷺ بإكرام الجار فأسلم اليهودي

وقال الحسن البصري ليس حسن الجوار كف الأذى عن الجار بل حسن الجوار الصبر على أذى الجار

وقال ﷺ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره ومن آذى جاره حرم الله عليه الجنة[٢].

٤٧٥-هذه الثلاثمائة ليرة ذهبية خذها، وابق جارنا!

ويروى أن الأمير عبد القادر الجزائري رحمه الله تعالى بطل الجزائر كان مدفونًا في دمشق، وقد اختار أن يقيم في دمشق و له جار أراد أن يبيع بيته

---

(١) «البصائر والذخائر» (١ / ١٥).

(٢) «نزهة المجالس ومنتخب النفائس» (١ / ٢٠٩).

عرضه للبيع فدفع له مبلغًا قليلا، فغضب، وقال: والله لا أبيع جيرة الأمير بثلاثمائة ليرة ذهبية، بلغ الأمير هذا الكلام فاستدعاه، وقال له: هذه الثلاثمائة ليرة ذهبية خذها، وابق جارنا!

٤٧٦-فلا يمكن أن يكون الكلب أحسن جيرة منا

نزح محمد بن على الشمري من جماعة ابن طواله شيخ الاسلم من شمر ونزل عند رفيع الركابي واستجار فيه فأجاره وأحسن جواره وأكرمه وأنزله في أحسن منزله وكان عند الشمري كلب (أكرمكم الله) اسمه هباس يرعى إبل الشمري لا أحد يستطيع أن يقترب جهة الإبل وهباس يحرسها فبعد ثمان أعوام أقامها الشمري في جوار عنزة رجع لقومه وفي يوم من الأيام صدف أن غزى رفيع الركابي شمر وكسب أبلا ومن الإبل التي غنمها رفيع الركابي وربعه إبل الشمري فلحق بهم الكلب هباس وانبطح أمام رفيع الركابي فعرف أن الإبل لجاره القديم الشمري فقال لربعه ردوا الإبل للشمري فلا يمكن أن يكون الكلب أحسن جيره منا[١].

٤٧٧- مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله

عن سهل بن عبد الله التستري ﷺ أنه كان له جار ذمي وكان قد انبثق من كنيفه إلى بيت في دار سهل بثق فكان سهل يضع كل يوم الجفنة تحت ذلك البثق فيجتمع ما يسقط فيه من كنيف المجوسي ويطرحه بالليل حيث لا يراه أحد فمكث ﷺ على هذه الحال زمانا طويلا إلى أن حضرت سهلا الوفاة فاستدعى جاره المجوسي وقال له: ادخل ذلك البيت وانظر ما فيه فدخل فرأى ذلك البثق والقذر يسقط منه في الجفنة فقال ما هذا الذي أرى؟

قال سهل: هذا منذ زمان طويل يسقط من دارك إلى هذا البيت وأنا

(١) «نزهة المجالس ومنتخب النفائس» (١ / ٢٠٩).

أتلقاه بالنهار وألقيه بالليل ولولا أنه حضرني أجلي وأنا أخاف أن لا تتسع أخلاق غيري لذلك وإلا لم أخبرك فافعل ما ترى فقال المجوسي: أيها الشيخ أنت تعاملني بهذه المعاملة منذ زمان طويل وأنا مقيم على كفري؟ مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ثم مات سهل رحمه الله[١].

٤٧٨- لا صعدت فوق هذا البيت أبدًا

عن مرحوم بن عبد العزيز، قال: حدثنا القعقاع بن عمرو، قال: صعد الأحنف بن قيس فوق بيته، فأشرف[٢] على جاره، فقال: «سوءة سوءة دخلت على جاري بغير إذن؟ لا صعدت فوق هذا البيت أبدًا»[٣].

٤٧٩- لا تطردوا عنز جاري

عن هشام قال: كان حسان بن أبي سنان بن ثابت تدخل العنز إلى منزله فتأخذ الشيء فإذا طردت قال لهم لا تطردوا عنز جاري دعوها تأخذ حاجتها[٤]

٤٨٠- تغني أنت في ذممي وعهدي

منهم من قضى على من قتل حمامة مجاورة للرجل بالدية

قدم زياد الأعجم خراسان على المهلب فنزل على حبيب بن المهلب، فجلسا على شراب لهما، وفي الدار شجرة عليها حمامة فجعلت تدعو، فقال زياد الأعجم "من الوافر":

---

(١) «الكبائر» الذهبي (١ / ٢٠٧).
(٢) أشرف: أطل وأقبل واقترب وعلا ونظر وتطلع.
(٣) «قصر الأمل» (١ / ٢٧٨).
(٤) «مكارم الأخلاق» (١ / ١٠٤).

تغـــني أنـــت في ذمـــي وعهـــدي بـــأن لـــن يـــذعروك ولـــن تطـــاري
إذا غنيـــــتي فطربـــــت يومًـــــا ذكـــــرت أحبـــــتي وذكـــــرت داري
فإمـــــا يقتلـــــوك طلبـــــت ثـــــأرًا بقـــــتلهم لأنـــــك في جـــــواري

فأخذ حبيب سهمًا فرماها فقتلها، فقال زياد: قتلت جارتي بيني وبينك المهلب، فأتى المهلب فقال: يا حبيب، ادفع إلى أبي أمامة دية جاره ألف دينار كاملة، فقال حبيب: إنما كنت ألعب، فقال المهلب: ليس مع هذا لعب، جاره جاري بل هو أفضل، فدفع إليه ألف دينار، فقال زياد "من الطويل":

فللّه عينـــا مـــن رأى كقضـــية قضى لي بهـا شـيخ العـراق المهلـب
قضى ألـف دينـار لجـار أجرتـه من الطير حضان على البـيض يتعـب
رمـاه حبيـب بـن المهلـب رميـة فأنفـذه بالسـهم والشـمس تغـرب
فألزمـه عقـل القتيـل «بـن حـرة» فقـال حبيـب إنمـا كنـت ألعـب
فقـــال زيـــاد لا يـــروع جـــاره وجاره جـاري بـل مـن الجـار أقـرب

فبلغ الحجاج فقال: ما أخطأت العرب حين جعلت المهلب رجلها[1].

(١) «مختصر تاريخ دمشق» (٧ / ٤٨٥)، و«الأغاني» (١٥ / ٣٧٤)، و«التذكرة الحمدونية» (١ / ١٨٤)، و«المستجاد من فعلات الأجواد» (١ / ٥٨)، و«لباب الآداب» لأسامة بن منقذ (١ / ٧٧).

الفصل الثاني والعشرون: مع الصادقين

٤٨١- ما جربنا عليك إلا صدقا

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين (الشعراء/ ٢١٤) صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: «يا بني فهر، يا بني عدي» لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: «أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟». قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقا. قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد». فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ [المسد:١][(١)].

٤٨٢- إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين

روى أبو داود والنسائي أن عثمان بن عفان رضي الله عنه جاء بعبد الله بن سعد بن أبي السرح وقد أهدر رسول الله ﷺ دمه، حتى أوقفه على رسول الله ﷺ، فقال: يا نبيّ الله بايع عبد الله.

فرفع رسول الله ﷺ رأسه فنظر إليه مرتين أو ثلاثا، كل ذلك يأبى أن يبايعه، ثم بايعه بعد الثلاث، ثم أقبل رسول الله ﷺ على أصحابه فقال: «أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله؟! ".

(١) البخاري- (الفتح ٨) (٤٧٧٠).

فقالوا: ما ندري يا رسول الله ما في نفسك، ألا أومأت إلينا بعينك؟

قال عليه الصلاة والسلام: " إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين!!»[١].

٤٨٣- عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب

عن عبد الله بن سلام ﷺ قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة انجفل الناس إليه، وقيل: قدم رسول الله ﷺ، قدم رسول الله ﷺ، قدم رسول الله ﷺ، فجئت في الناس لأنظر إليه، فلما استثبتُّ وجه رسول الله ﷺ عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، وكان أول شيء تكلم به أن قال: «أيها الناس! أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»[٢].

٤٨٤- واهًا لريح الجنة!!

عن أنس بن مالك ﷺ قال: عمِّي أنس بن النضر -سُمِّيت به- لم يشهد بدرًا مع رسول الله فكبُر عليه، فقال: أول مشهد قد شهده رسول الله غبتُ عنه!! أما والله لئن أراني الله مشهدًا مع رسول الله لَيَرَيَنَّ اللهُ ما أصنع. قال: فهاب أن يقول غيرها، فشهد مع رسول الله يوم أُحُد من العام المقبل، فاستقبله سعد بن معاذ، فقال له أنس: يا أبا عمرو، إلى أين؟

قال: واهًا لريح الجنة!! أجدها دون أُحُد. فقاتل حتى قُتل، فوُجِدَ في جسده بضعٌ وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية، قالت عمَّتِي الرُّبَيِّعُ

---

(١) رواه أبو داود (٢٦٨٣)، والنسائي (٤٠٦٧)، والحاكم (٣ / ٤٥)، وله شاهد عند أبي داود (٣٠٩٤)، وأحمد (٣ / ١٥١) من حديث أنس ولفظه: «إنه ليس لنبي أن يومض». وانظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١٧٢٣).

(٢) أخرجه أحمد (٥ / ٤٥١)، والترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجه (٣٢٥١).

بنت النضر: فما عَرَفت أخي إلاَّ ببنانه. ونزلت هذه الآية: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٣](١).

٤٨٥- صَدَقَ اللهَ فَصَدَقَهُ

عن شداد بن الهاد: أن رجلًا من الأعراب جاء إلى النبي فآمن به واتبعه، ثم قال: أُهَاجِرُ معك. فأوصى به النبي بعضَ أصحابه، فلمَّا كانت غزوةٌ غَنِمَ النبي سَبْيًا فَقَسَمَ، وقَسَمَ له، فأعطى أصحابه ما قَسَمَ له، وكان يرعى ظهرهم، فلمَّا جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قَسَمٌ قسمه لك النبي. فأخذه، فجاء به إلى النبي، فقال: ما هذا؟

قال: "قَسَمْتُهُ لَكَ". قال: ما على هذا اتَّبَعْتُك، ولكني اتبعتك على أن أرمى إلى ها هنا -وأشار إلى حلقه بسهم- فأموت فأدخل الجنة. فقال: "إِنْ تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقْكَ".

فلبثوا قليلًا ثم نهضوا في قتال العدو، فأُتِيَ به النبيُّ يُحْمَلُ قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي: "أَهُوَ هُوَ". قالوا: نعم. قال: "صَدَقَ اللهَ فَصَدَقَهُ". ثم كفَّنه النبي في جُبَّة النبي، ثم قدَّمه فصلَّى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته: "اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ فَقُتِلَ شَهِيدًا، أَنَا شَهِيدٌ عَلَى ذَلِكَ"(٢).

٤٨٦- أحسن ما توَجَّه العبد به إلى الله ماذا؟

(١) مسلم: «كتاب الإمارة»، باب ثبوت الجنة للشهيد (١٩٠٣)، البخاري: «كتاب المغازي»، باب غزوة أحد (٣٨٢٢) بألفاظ أخرى.

(٢) رواه النسائي: «كتاب الجنائز»، باب الصلاة على الشهداء (١٩٥٣)، والبيهقي (٢٠٨٠)، (٦٦٠٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٧٥٦)، وانظر: ابن القيم «زاد المعاد» (٣/٣٢٤).

قال أبو عبد الله الرملي: رأيت منصورًا الدَّيْنَوَرِيَّ في المنام فقلت له: ما فعل الله بك؟

قال: غفر لي ورحمني وأعطاني ما لم أُؤَمِّل.

فقلتُ له: أحسن ما تَوَجَّه العبد به إلى الله ماذا؟ قال: الصدق، وأقبحُ ما توجَّه به الكذب(١)

٤٨٧- ما حملك على الصدق؟

قال الشيخ عبد القادر الجيلاني ﷺ: بَنَيْتُ أمري على الصدق، وذلك أني خرجت من مكة إلى بغداد أطلب العلم، فأعطتني أُمِّي أربعين دينارًا، وعاهدتني على الصدق، ولمَّا وصلنا أرض (هَمْدَان) خرج علينا عرب، فأخذوا القافلة، فمرَّ واحد منهم، وقال: ما معك؟

قلت: أربعون دينارًا. فظنَّ أني أهزأ به، فتركني، فرآني رجل آخر، فقال ما معك؟ فأخبرته، فأخذني إلى أميرهم، فسألني فأخبرته، فقال: ما حملك على الصدق؟ قلت: عاهدَتْني أُمِّي على الصدق، فأخاف أن أخون عهدها. فصاح باكيًا، وقال: أنت تخاف أن تخون عهد أُمِّك، وأنا لا أخاف أن أخون عهد الله!! ثم أمر بردِّ ما أخذوه من القافلة، وقال: أنا تائب لله على يديك. فقال مَنْ معه: أنت كبيرنا في قطع الطريق، وأنت اليوم كبيرنا في التوبة، فتابوا جميعًا ببركة الصدق وسببه(٢).

٤٨٩- عفونا عنهما بصدقك

- عن الحافظ أحمد بن عبد الله العجلي، قال: رِبْعِيُّ بن حِرَاشٍ، تابعي

---

(١) الغزالي: «إحياء علوم الدين»، باب الصدق (٢٧٢٦/١٤).

(٢) الصفوري: «نزهة المجالس ومنتخب النفائس» (١٣١/١)، وانظر: سيد حسين العفاني: «صلاح الأمة في علو الهمة» (٤٥/٥).

ثقة، لم يكذب قط، كان له ابنان عاصيان زمن الحجاج، فقيل للحجاج: إنَّ أباهما لم يكذب قط، لو أرسلت إليه فسألتَه عنهما. فأرسل إليه فقال: أين ابناك؟

فقال: هما في البيت. فقال: قد عفونا عنهما بصدق(١).

٤٩٠- أنا أكذب لا أبا لك

قال الشافعي: حدثنا عمي، قال: دخل سليمان بن يسار على هشام بن عبد الملك فقال: يا سليمان من الذي تولى كبره منهم؟

قال: عبد الله بن أبي ابن سلول، قال: كذبت هو علي، فدخل ابن شهاب فسأله هشام فقال: هو عبد الله بن أبي، قال: كذبت هو علي، فقال- الزهري -: أنا أكذب لا أبا لك، فوالله لو نادى مناد من السماء إن الله أحل الكذب ما كذبت(٢).

٤٩١- وعليكم بالصدق حتى لو قَتل أحدكم قَتيلًا

قال إسماعيل بن عبيد الله: لما حضرت أبي الوفاة جمع بنيه فقال لهم: يا بَنِي عليكم بتقوى الله، وعليكم بالقرآن فتعاهدوه، وعليكم بالصدق حتى لو قَتَل أحدكم قَتيلًا، ثم سئل عنه أقر به، والله ما كذبت كذبة قط مذ قرأت القرآن(٣).

٤٩٢- لا والله لا أزعم أنه ابتلاني وقد عافاني

وخطب الحجاج في يوم الجمعة فأطال الخطبة، فقام إليه رجل فقال:

---

(١) الخطيب البغدادي: «تاريخ بغداد» (٤٣٣/٨)، ابن شرف النووي: «بستان العارفين» (ص١٤).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٣٣٩)

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٣٣٩).

إن الوقت لا ينتظرك والرب لا يعذرك. فأمر به إلى الحبس فأتاه آل الرجل فقالوا: إنه مجنون، فقال: إن أقر على نفسه بما ذكرتم خليت سبيله، فقال الرجل: لا والله لا أزعم أنه ابتلاني وقد عافاني، فبلغ ذلك الحجاج فعفا عنه لصدقه[١].

(١) «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» (٢ - ٤٠).

الفصل الثالث والعشرون قصص في حسن الخلق

٤٩٣- كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا

قال أنس ما مسست ديباجا ولا حريرا ألين من كف النبي - عليه الصلاة والسلام -ولا شممت ريحا قط أطيب من ريح النبي- عليه الصلاة والسلام -ولقد خدمت النبي عشر سنين فما قال لي قط أُفٍّ ولا قال لشيء فعلته لما فعلته ولا لشيء لم أفعله ألا فعلت كذا متفق عليه(١).

٤٩٤- لا تزرموه

عن أنس قال بينما نحن مع رسول الله في المسجد اذا جاء أعرابي فقام يبول في المسجد فقال أصحاب رسول الله مه مه فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: لا تزرموه فتركوه حتى بال فدعاه النبي عليه الصلاة والسلام وقال له إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا إنما هي لذكر الله والصلاة وقراءة القرءان وأمر رجلا أن يأتي بدلو من ماء فشنه عليه(٢).

٤٩٥- عسى أن يخرج الله من أصلابهم من يقول لا إله إلا الله

موقف النبي عليه الصلاة والسلام مع أهل الطائف انظر كيف رد النبي عليه الصلاة والسلام الإساءة بالإحسان ذهب إليهم يدعوهم للإسلام فسفهوه وعيروه وسلطوا عليه الغلمان والسفهاء يقذفونه بالحجارة

---

(١) أخرجه أحمد (١٩٥/٣) (١٣٠٥٢)، وعبد بن حميد (١٣٦١)، والدارمي (٦٢)، والبخاري (١٧/٨) (٦٠٣٨)، ومسلم (٧٣/٧) (٦٠٧٧).

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٤٢/٥، رقم ٥٦٧٩)، ومسلم (٢٣٦/١، رقم ٢٨٤)، والنسائي (٤٧/١، رقم ٥٣).

حتى سال الـــدم من قدمه الشريف فأرسل الله ﷻ ملك الجبال فقال يا رسول الله إن الله أرسلني وأمرني أن لتأمر بأمرك فلو أمرتني أن أطبق عليهم الأخشبين لفعلت فقال لا عســى أن يخرج الله من أصلابهم من يقول لا إله إلا الله[١].

٤٩٦- «غارت أمكم»

عن أنس قال كان النبي ﷺ عند بعض نسائه فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام، فضربت التي النبي ﷺ في بيتها يد الخادم فسقطت الصحفة فانفلقت، فجمع النبي ﷺ فلق الصحفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول «غارت أمكم»، ثم حبس الخادم حتى أتى بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كسرت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت[٢].

٤٩٧- تعالي أسابقك

عن عائشة رضي الله عنها قالت "خرجت مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن، فقال للناس: تقدموا فتقدموا، ثم قال لي: تعالي حتى أسابقك فسبقته، فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس: تقدموا فتقدموا، ثم قال لي: تعالي أسابقك فسبقني، فجعل يضحك وهو يقول هذه بتلك" رواه أحمد[٣].

٤٩٨- أوف بنذرك وارفق بالشيخ

---

(١) أخرجه البخاري (١١٨٠/٣، رقم ٣٠٥٩)، ومسلم (١٤٢٠/٣، رقم ١٧٩٥).

(٢) خرجه أحمد (١٠٥/٣) (١٢٠٥٠)، والدارمي (٢٥٩٨)، والبخاري (٢٤٨١).

(٣) أخرجه الحميدي في «مسنده» (ق ٤٢ / ٢)، وأبو داود (٢٥٧٨)، والنسائي في «عشرة النساء» (ق ٧٤ / ١) والسياق له، وابن ماجه (١٩٧٩)، وأحمد (٦ / ٣٩ / ٢٦٤).

قَسّم معاوية ﷺ مرة نطعا[١] فبعث منها إلى شيخ من أهل دمشق فلم يعجبه فجعل عليه يمينا، يضرب رأس معاوية، فأتى معاوية فأخبره فقال له معاوية: «أوف بنذرك وارفق بالشيخ»[٢].

٤٩٩- إن كان بقي عندك شيء فقل

شتم رجل عدى ابن حاتم وهو ساكت فلما فرغ من مقالته، قال: إن كان بقي عندك شيء فقل قبل أن يأتي شباب الحي فإنهم إن سمعوك تقول هذا لسيدهم لم يرضوا[٣]

٥٠٠- أين العمران؟

خرج إبراهيم بن أدهم إلى بعض البراري فاستقبله جندي فقال: أين العمران؟

فأشار إلى المقبرة، فضرب رأسه فشجه.

فلما أخبر أنه إبراهيم، جعل يقبل يده ورجله فقال: إنه لما ضرب رأسي سألت الله له الجنة لأني علمت أني أؤجر بضربه إياي فلم أحب أن يكون نصيبي منه الخير ونصيبه منى الشر[٤].

٥٠١- انظر هل للرجل حاجة فنقضيها؟

شتم رجل ابن عباس ﷺ فلما قضى مقالته، فقال: يا عكرمة، انظر هل للرجل حاجة فنقضيها؟

---

(١) النطع: بساط من الجلد.

(٢) «مختصر منهاج القاصدين» للمقدسي (١٨٣).

(٣) «مختصر تاريخ دمشق» (٥/ ٢٥١، بترقيم الشاملة آليا).

(٤) «الرسالة القشيرية» (ص: ١١١)، و«المدهش» (ص: ١٨١).

فنكس الرجل رأسه واستحى[١].

٥٠٢- لأغظين من حرضك على غيظي

جاء غلام لأبى ذر وقد كسر رجل شاة له، فقال له: من كسر رجل هذه؟

قال: أنا فعلته عمدًا لأغيظك، فتضربني، فتأثم.

فقال: لأغظين من حرضك على غيظي، فأعتقه (أي: الغلام)[٢].

٥٠٣- أمجنونٌ أنت؟

دخل عمر بن عبد العزيز المسجد ليلة في الظلمة

فمر برجل نائم فعثر به، فرفع رأسه وقال: أمجنونٌ أنت؟

فقال عمر: لا

فهم به الحرس

فقال عمر: مه إنما سألني أمجنون؟ فقلت: لا[٣].

٥٠٤- أشهد أنك من أولاد الرسول

لقي رجل على بن الحسين رضي الله عنهما، فسبه فثارت إليه العبيد،

فقال: مهلًا ثم أقبل على الرجل فقال: ما ستر عنك من أمرنا أكثر ألك حاجة نعينك عليها؟

فاستحى الرجل فألقى عليه خميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم

---

(١) «مختصر منهاج القاصدين» للمقدسي (٣/ ٤٥).

(٢) «مختصر منهاج القاصدين» للمقدسي (٣/ ٤٥).

(٣) «الجامع لسيرة عمر بن عبد العزيز» (٤٢٤/٢).

فكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد الرسول[١].

(١) «مختصر منهاج القاصدين» للمقدسي (٣/ ٤٥).

الفصل الرابع والعشرون مع المتواضعين

٥٠٥- هون عليك فإنما أنا ابن امرأة من قريش

عن أبي مسعود أن رجلا كلم النبي يوم الفتح فأخذته الرعدة فقال النبي هون عليك فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد [١].

٥٠٦- نقله للتراب يوم الخندق:

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: كان النبي ينقل التراب يوم الخندق حتى أغبر بطنه يقول:

والله لـــولا الله مـــا اهتـــدينا ولا تصـــــدقنا ولا صـــــلينا

فـــأنزلن ســـكينة علينـــا وثبـــت الأقـــدام إن لاقينـــا

إن الألى قـــد بغـــوا علينـــا إن أرادوا فتنـــــة أبينـــــا

ويرفع بها صوته: أبينا، أبينا[٢].

٥٠٧- كنت أرعى الغنم

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بعث الله عز وجل نبيًا إلا راعي غنم» فقال له أصحابه: وأنت يا رسول الله؟

قال: «وأنا رعيتها لأهل مكة بالقراريط»[٣].

قال أهل العلم: رعى الغنم وظيفة ارتضاها الله لأنبيائه.

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» برقم (٤٣٦٦).

(٢) أخرجه أحمد (٤/٤٦) (١٦٦١٧)، ومسلم (٥/١٨٦) (٤٦٩٢، ٤٦٩٣).

(٣) البخاري (٢٢٦٢)، ومالك (٢/ ٧٤٠).

٥٠٨- يخصف نعله وخيطه لثوبه:

سئلت عائشة، رضي الله عنها، هل كان رسول الله ﷺ يعمل في بيته؟

قالت: «نعم، كان رسول الله ﷺ يخصف[١] نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته»[٢].

٥٠٩- كان في مهنة أهله فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة

وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن الأسود قال قلت لعائشة ما كان رسول الله يصنع في أهله قالت: كان في مهنة أهله فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة[٣].

٥١٠- لا والله لا تنزل ولا أركب

تواضع أبي بكر في الصحيح أن الرسول عليه الصلاة والسلام لما حضرته سكرات الموت قال: **«أنفذوا جيش أسامة»** وأسامة بن زيد كان عمره يوم أنفذه ﷺ سبع عشرة سنة، وكان مولى من الموالي، وكان في جيشه عمر بن الخطاب وعثمان وعلي فلما توفي -عليه الصلاة والسلام- قال عمر لـ أبي بكر: أرى ألا ترسل جيش أسامة، قال: ولم؟

قال: إن العرب قد تكالبت علينا، وقد ارتد الكثير منهم عن الإسلام، وأخشى أن يدخلوا المدينة وليس لنا جيش، قال أبو بكر: والله لو أخذت الكلاب بعراقيبنا، فلا بد أن أمضي جيش أسامة، فودع أسامة وأخذ بلجام فرسه وأبو بكر يمشي على قدمه في الأرض وهو يكلم أسامة، فيقول أسامة: يا خليفة رسول الله! أنزل أو تركب؟

---

(١) الخصف: إصلاح النعل وخياطته بالمخرز.

(٢) خرجه أحمد (١٠٦/٦).

(٣) أخرجه البخاري (ح ٥٦٩٢).

قال: لا والله لا تنزل ولا أركب، وما علي أن أغبر قدمي ساعة في سبيل الله -وكأن أبا بكر ما غبر قدمه إلا تلك الساعة، وهو منذ أن عرف لا إله إلا الله مغبر قدمه ورأسه وجسمه في سبيل الله ﷻ -رضي الله عنه ، ثم قال: يا أسامة! أتأذن لي بـ عمر لأستعين به؟

قال: نعم، فأذن له فعاد من الجيش(١).

٥١١- هلا أمرت عبدًا من عبيد الصدقة ليكفيك هذا.

عن الفضل بن عميرة أن الأحنف بن قيس قدم على عمر في وفد من العراق في يومٍ صائفٍ شديد الحر وهو محتجز بعباءة، يهنأ بعيرًا من إبل الصدقة، فقال: يا أحنف! ضع ثيابك، وهلم فَأَعِنْ أمير المؤمنين على هذا البعير؛ فإنه من إبل الصدقة، فيه حق لليتيم والمسكين والأرملة، فقال رجل من القوم: يغفر الله لك يا أمير المؤمنين! هلا أمرت عبدًا من عبيد الصدقة ليكفيك هذا.

قال عمر: ثكلتك أمك، وأيُ عبدٍ هو أعبد مني ومن الأحنف؛ إنه من ولي أمر المسلمين فهو عبد المسلمين، يجب عليه ما يجب على العبد لسيده من النصيحة وأداء الأمانة(٢).

٥١٢- إن نفسي أعجبتني فأردتُ أن أذلها

يقول عبد الله بن عمر بن حفص: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يحمل القِرْبَة على عنقه، فيقال له في ذلك فيقول: إن نفسي أعجبتني فأردتُ

(١) أخرجه الطبري (تاريخ ٢٢٦/٣) من حديث سيف بسنده عن الحسن بن أبي الحسن البصري رحمه الله. قلت: سنده. منقطع.

(٢) ابن الجوزي: مناقب (ص٧٣)، وفيه الفضل بن عَميرة.

أن أذلها[١].

٥١٣- كيف هو يا غلام؟

قال البخاري رحمه الله: خرجت على الكتاب بعد العشر -بعد أن حفظ القرآن- فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره من المحدثين، فقال يومًا فيما كان يقرأ للناس: سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم، في أحد الأسانيد التي يحدث بها الشيخ في المجلس وحوله الطلاب، فقلت له: إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم، فانتهرني، فقلت أرجع إلى الأصل، فدخل فنظر فيه، دخل فنظر في مكتوبه في البيت، وكان يحدث من حفظه في الحلقة ثم خرج، فقال لي: كيف هو يا غلام؟ -أمام الناس- كيف هو يا غلام؟ قلت: الزبير بن عدي عن إبراهيم، هكذا أظهر صواب الغلام أمام الناس وهو الشيخ، فقيل للبخاري: ابن كم كنت حين رددت عليه؟

قال: ابن إحدى عشرة سنة[٢].

٥١٤- تواضع عمر بن عبد العزيز

عن شيخ من أهل المدينة قال: قال "رجاء بن حيوة: قام عمر بن عبد العزيز ذات ليلة فأصلح من السراج فقلت: يا أمير المؤمنين لم لا أمرتني بذلك، أو دعوت له من يصلحه؟

فقال: قمت وأنا عمر وعدت وأنا عمر[٣].

٥١٥- أكره أن أمن على الله بما لم أفعل

من تواضع محمد بن كعب

---

(١) «تاريخ الإسلام» للإمام الذهبي (٣/ ٢٧٠).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٣٩٣).
(٣) «عيون الأخبار» (ص ١١٢).

قال: حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: كتب محمد بن كعب فانتسب وقال: القرظي، فقيل له: أو الأنصاريّ. فقال: أكره أن أمن على الله بما لم أفعل[١].

٥١٦- تواضع الأعمش

قال حفص بن غياث: رأيت الأعمش خارجا إلى العيد على حمار مقطوع الذنب قد سدل رجليه من جانب[٢].

٥١٧- أبو العيال أحق أن يحمل

تواضع علي بن ابي طالب

أبو العيال أحق أن يحمل: روى عن على ﷺ أنه أشترى تمرًا بدرهم فحمله في ملحفة، فقالوا: نحمل عنك يا أمير المؤمنين، قال: لا، أبو العيال أحق أن يحمل[٣].

ومن أقوال أمير المؤمنين في التواضع: «تواضع المرء يكرمه»[٤]

يقول أمير المؤمنين على: «ما أحسن تواضع الغنى للفقير رغبة في ثواب الله، وأحسن منه تيه الفقير على الغني ثقة بالله ﷻ»[٥].

٥١٨- والله لن تزالوا بالرجل حتى تهلكوه

قال رجل لابن عمر: يا خير الناس، أو ابن خير الناس! فقال ابن عمر: ما أنا بخير الناس، ولا ابن خير الناس، ولكني عبد من عباد الله،

---

(١) «عيون الأخبار» (ص ١١٢).
(٢) «عيون الأخبار» (ص ١١٣).
(٣) «الزهد» للإمام أحمد (ص ١٣).
(٤) «منهج أمير المؤمنين علي في الدعوة» (ص ٥٢٣).
(٥) «هداية المرشدين» (ص ١٠٥) على محفوظ.

أرجو الله وأخافه. والله لن تزالوا بالرجل حتى تهلكوه[١].

٥١٩- دخلت نفسي نخوة، فأردت أن أكسرها

قال عروة بن الزبير رضي الله عنهما: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه على عاتقه قربة ماء، فقلت: يا أمير المؤمنين، ألا ينبغي لك هذا. فقال: (لما أتاني الوفود سامعين مطيعين - القبائل بأمرائها وعظمائها - دخلت نفسي نخوة، فأردت أن أكسرها) قال الزبير: فمال بالقربة إلى حجرة أرملة من الأنصار، فأفرغها في جرارها[٢].

(١) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٢٣٦)، وأخرجه أبو نعيم (١ / ٣٠٧) من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن أيوب، عن نافع.. وهذا سند صحيح.

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ص ٢٧١).

الفصل الخامس والعشرون: مع أهل الحياء

٥٢٠- حياء النبي ﷺ

عن علي رضي الله عنه قال: أَنَّ يهوديًّا يُقالُ له: فلانٌ حَبْرٌ، كانَ له على رسولِ الله دنانيرُ فتقاضى النبيَّ فقال له: (يا يهوديُّ ما عندي ما أُعطيكَ)، قال: فإني لا أُفارِقُكَ يا محمَّدُ حتى تعطيني. فقال رسولُ الله: (إذًا أجلسُ معَكَ) فجلسَ معَه، فصلَّى رسولُ الله الظهرَ والعصرَ والمغربَ والعشاءَ الآخرةَ والغَداةَ، وكانَ أصحابُ رسولِ الله يتهدَّدونَه ويتوعَّدونه، ففطنَ رسولُ الله ما الذي يصنعونَ به، فقالوا يا رسولَ الله: يهوديٌّ يحبسُكَ. فقال رسولُ الله: (منَعني ربّي أن أظلمَ معاهدًا وغيرَه). فلمَّا ترجَّلَ النهارُ قال اليهوديُّ: أشهدُ أنْ لا إله إلا اللَّهُ وأشهدُ أنّكَ رسولُ الله، وشطرُ مالي في سبيلِ الله، أَمَا والله ما فعلتُ بكَ الذي فعلتُ بكَ إلاَّ لأنظرَ إلى نعتكَ في التّوراةِ محمَّدُ بنُ عبدِ اللَّهِ مولدهُ بمكة ومهاجَرُه بطيبَةَ ومُلكُه بالشام، ليسَ بفظٍّ ولا غليظٍ، ولا سخَّابٍ في الأسواقِ، ولا مُتزَيٍّ بالفُحشِ ولا قولِ الخنَا. أشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ وأنَّكَ رسولُ الله، وهذا مالي فاحكم فيهِ بما أراكَ اللَّهُ. وكانَ اليهودي كثيرَ المالِ[١].

فعن أَبَي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قال: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنْ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شيئًا عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ) متفق عليه[٢].

٥٢١- حياء موسى عليه السلام

(١) «مشكاة المصابيح» (١٦٢١/٣، برقم ٥٨٣٢)، البيهقي في «دلائل النبوة» (٢٨٠/٦).
(٢) رواه البخاري (٢٢٦٣/٥، برقم ٥٧٥١)، ومسلم (١٨٠٩/٤، برقم ٢٣٢٠).

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن موسى كان رجلًا حييًا ستيرًا، لا يُرى من جلده شيءٌ استحياء منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيبٍ بجلده إما برص، وإما أدْرةٍ، وإما آفة. وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى، فخلا يومًا وحده فوضع ثيابه على الحجر، ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر. حتى انتهى إلى ملأٍ من بني إسرائيل فرأوه عريانًا أحسن ما خلق الله، وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر، فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضربًا بعصاه، فوالله إنَّ بالحجر لندبًا من أثر ضربه ثلاثًا، أو أربعًا، أو خمسًا، فذلك قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ٦٩﴾ [الأحزاب:٦٩][(١)].

٥٢٢- أمُّ المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها:

... قالت رضي الله عنها: كنتُ أدخل بيتي الذي دفن فيه رسول الله ﷺ وأبي فأضع ثوبي. فأقول: إنما هو زوجي وأبي. فلما دفن عمر معهم، فوالله ما دخلت إلا وأنا مشدودة عليَّ ثيابي حياءً من عمر رضي الله عنه[(٢)].

٥٢٣- لا يقيم صلبه عند الاغتسال حياءً من الله

وقد ورد أنَّ أبا موسى الأشعري رضي الله عنه قال: إني لأدخل البيت المظلم أغتسل فيه من الجنابة فأحني فيه ظهري إذا أخذت ثوبي حياءً من ربي[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (١٢٤٩/٣، برقم ٣٢٢٣)، ومسلم (١٨٤٢/٤، برقم ٣٣٩).
(٢) رواه الإمام أحمد (٢٠٢/٦، برقم ٢٥٧٠١).
(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٠٠/١، برقم ١١٢٨)، «الزهد» لإمام أحمد (١٩٨/١)، «سير أعلام النبلاء» (٤٠١/٢).

٥٢٤- استحياء من ربي

وقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهو يخطب الناس: (يا معشر المسلمين استحيوا من الله. فوالذي نفسي بيده إني لأظل حين أذهب إلى الغائط في الفضاء مغطي رأسي؛ استحياء من ربي)[١].

٥٢٥- استحي من الله آ حق الحياء

ويقول أبو الحسن الماوردي عن نفسه: (رأيت رسول الله ﷺ في المنام ذات ليلة، فقلت يا رسول الله، أوصني، فقال: استحي من الله ﷻ حق الحياء... ثم قال: تغير الناس. قلت: وكيف ذلك يا رسول الله؟

قال: كنت أنظر إلى الصبي، فأرى من وجهه البشر والحياء، وأنا أنظر إليه اليوم، فلا أرى ذلك في وجهه. ثم تكلم بعد ذلك بوصايا وعظات تصورتها، وأذهلني السرور عن حفظها ووددت أني لو حفظتها. فلم يبدأ بشيء ﷺ قبل الوصية بالحياء من الله ﷻ، وجعل ما سلبه الصبي من البشر والحياء سببا لتغير الناس، وخصَّ الصبي؛ لأن ما يأتيه بالطبع من غير تكلف).

ورُوي أن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أتى الجمعة فوجد الناس قد انصرفوا فتنكب الطريق عن الناس، وقال: (لا خير فيمن لا يستحي من الناس)[٢].

٥٢٦- إني لأستحي من الله أن أهاب شيئًا غيره

عامر بن عبد قيس:

انظر:... جاء في سيرته أنه هبط واديا يقال له: وادي السباع. وفي الوادي عابد حبشي، يقال له: حممة. فانفرد عامر في ناحية، وحممة في

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١/١٠٠، برقم ١١٢٧).

(٢) «أدب الدنيا والدين» (ص٢٤٩).

ناحية يصليان، لا هذا ينصرف إلى هذا، ولا هذا ينصرف إلى هذا، أربعين يومًا وأربعين ليلة، إذا جاء وقت الفريضة صليا، ثم أقبلا يتطوعان، ثم انصرف عامرٌ بعد أربعين يومًا فجاء إلى حممة، فقال: من أنت يرحمك الله؟

قال: دعني وهمي. قال: أقسمت عليك. قال: أنا حممة. قال عامر: لئن كنتَ أنتَ حممة الذي ذُكِرَ لي لأنت أعبدُ منْ في الأرض، فأخبرني عن أفضل خصلة؟

قال: إني لمقصر، ولولا مواقيت الصلاة تقطع عليَّ القيام والسجود، لأحببت أنْ أجعل عمري راكعًا، ووجهي مفترشًا حتى ألقاه، ولكنَّ الفرائض لا تدعني أفعل ذلك. فمن أنتَ يرحمك الله؟

قال: أنا عامر بن عبد قيس. قال: إنْ كنتَ عامر بن عبد قيس الذي ذُكِرَ لي فأنت أعبد الناس. فأخبرني بأفضل خصلة؟

قال: إني لمقصر، ولكن واحدة عظمت هيبة الله في صدري حتى ما أهاب شيئًا غيره. فاكتنفته السباع فأتاه سبعٌ منها فوثب عليه من خلفه، فوضع يديه على منكبيه. وعامر يتلو هذه الآية: ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ١٠٣﴾ [هود:١٠٣] فلما رأى السبع أنه لا يكترث له ذهب.

فقال حممة: بالله يا عامر ما هالك ما رأيت؟

قال: إني لأستحي من الله أنْ أهاب شيئًا غيره. قال حممة: لولا أن الله ابتلانا بالبطن، فإذا أكلنا لابد لنا من الحدث ما رآني ربي ﷻ إلا راكعًا وساجدًا(١).

٥٢٧- حياء حتى في المنام

(١) «تاريخ مدينة دمشق» (٢٦/٢٥-٢٦)، و«حلية الأولياء» (٨٩/٢).

۞ **محمد بن سيرين.**

قال رحمه الله: ما أتيت امرأة في نوم ولا يقظة إلا أم عبد الله. -يعني زوجته-.

وقال: إني أرى المرأة في المنام فأعرف أنها لا تحل لي فأصرف بصري عنها(١).

(١) «المنتظم» (١٣٩/٧)، و«تاريخ مدينة دمشق» (٢٠٥/٥٣)، و«تاريخ بغداد» (٣٣٦/٥).

الفصل السادس والعشرون: قصص عن الغيرة

٥٢٨- لتركبن سنن من كان قبلكم

عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله أجعل لنا ذات أنواط كما لهم، فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر، إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: أجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون، لتركبن سنن من كان قبلكم(١).

٥٢٩- امتهوكون أنتم

وعن جابر عن النبي ﷺ حين أتاه عمر فقال: إنا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا أفتري أن نكتب بعضها، فقال:" أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود، والنصارى؛ لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولو كان موسى حيا ما وسعه إلا إتباعي"(٢).

فظهر الغضب والغيرة من النبي ﷺ عندما رأى عمرا معه صحيفة من صحف اليهود، والله تعالى أرسل محمد ﷺ ناسخا لجميع الرسالات وأبدله بكتبتهم كتابة الخالد، فلا يليق بالمسلم أن يقرأ الصحف الماضية والله

---

(١) «مسند أحمد» (٣٦ / ٢٢٦)، وأخرجه ابن إسحاق كما في «سيرة ابن هشام» (٨٤/٤-٨٥)، والطيالسي (١٣٤٦)، والحميدي (٨٤٨) وصححه الألباني في «تخريج السنة» رقم (٧٦).

(٢) رواه الترمذي وأحمد وصححه الألباني في «تخريج السنة» رقم (٧٦).

أبدلنا خير منها.

٥٣٠- فمن رغب عن سنتي فليس مني

عن أنس رضي الله عنه قال جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؛ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم، أما أنا فأنا أصلي الليل أبدًا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال: أخر أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله ﷺ فقال: « أنتم الذين قلتم كذا وكذا؛ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني »(١).

٥٣١- وا اسلاماه

من غيرته ﷺ على الأعراض غيرته على تلك المرأة التي تعرض لها أحد يهود بني قينقاع، أورد ابن هشام سبب إجلاء بني قينقاع قال: كان أمر بني قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ هناك منهم فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقدة إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا بها، فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهوديا فشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين، على اليهود، فاغضب المسلمون فوقع بينهم وبين بني قينقاع،

٥٣٢- فإنما الرضاعة من المجاعة

و من غيرة المعصوم ﷺ عن عائشة قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣) في «النكاح»، ومسلم (١٤٠١)، والنسائي (٦ / ٦٠)، وأحمد (٣ / ٢٤١، ٢٥٩).

وعندي رجل قاعد فاشتد ذلك عليه ورأيت الغضب في وجهه، قالت: فقلت: يا رسول الله إنه أخي من الرضاعة، قالت: فقال: «انظرن إخوتكن من الرضاعة؛ فإنما الرضاعة من المجاعة» (١).

٥٣٣- لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته

غيرته على أهله المباركين، عن عائشة قالت ﵂ قلت للنبي ﷺ حسبك من صفية كذا وكذا قال غير مسدد تعني قصيرة فقال « لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته " قالت وحكيت له إنسانا قال ما أحب أني حكيت إنسانا وأن لي كذا وكذا » (٢).

٥٣٤- واللهِ لَحَمْلُكِ النَّوَى كانَ أشَدَّ عَليَّ مِنْ رُكُوبِكِ مَعَهُ

غيرة الزبير ﵁. عن أسماء بنت أبي بكر ﵂ قالت: تزوجت الزبير وما له في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير ناضح وغير فرسه، فكنت أعلف فرسه وأستقي الماء وأخرز عربه وأعجن ولم أكن أحسن أخبز وكان يخبز جارات لي من الأنصار، وكن نسوة صدق وكنت أنقل النوى على رأسي، وهي مني على ثلثي فرسخ، فجئت يوما والنوى على رأسي فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من الأنصار فدعاني ثم قال: « إخ إخ ليحملني خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته، وكان أغير الناس فعرف رسول الله ﷺ أني استحييت فمضي» فجئت الزبير، فقلت: لقيني رسول الله ﷺ وعلى رأسي النوى ومعه نفر من أصحابه فأناخ لأركب فاستحييت منه وعرفت غيرتك، فقال: والله

---

(١) أخرجه أحمد (٦/٩٤، رقم ٢٤٦٧٦)، والبخاري (٢/٩٣٦، رقم ٢٥٠٤)، ومسلم (٢/١٠٧٨، رقم ١٤٥٥)، وأبو داود (٢/٢٢٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٤/٢٦٩، رقم ٤٨٧٥)، وقال الشيخ الألباني: «صحيح». انظر حديث رقم: (٥١٤٠) في «صحيح الجامع».

لحملك النوى كان أشد علي من ركوبك معه، قالت أرسل إلي أبو بكر بعد ذلك بخادم يكفيني سياسية الفرس فكأنما أعتقني[١].

٥٣٥- ويحك يا فنحاص اتق الله

❁ غيرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

أورد ابن كثير رحمه الله: ما رواه ابن ماجة مردويه وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: دخل أبو بكر الصديق بيت المدارس فوجد من يهود ناسا كثيرة قد اجتمعوا على رجل منهم يقال له: فنحاص، وكان من علمائهم وأحبارهم ومعه حبر يقال له أشبع فقال له أبو بكر: ويحك يا فنحاص اتق الله وأسلم فوالله إنك لتعلم أن محمدًا رسول من عند الله قد جاءكم بالحق من عنده تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة والإنجيل، فقال: فنحاص، والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من حاجة من فقر، وإنه إلينا لفقير، ما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وأنا عنه لأغنياء، ولو كان عنا غنيا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الربا فغضب أبو بكر رضي الله عنه فضرب وجه فنحاص ضربا شديدا وقال والذي نفسي بيده لولا الذي بيننا وبينك من العهد لضربت عنقك يا عدو الله فأكذبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين، فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد أبصر ما صنع بي صاحبك، فقال رسول الله ﷺ: « ما حملك على ما صنعت يا أبا بكر، فقال: يا رسول الله إن عدو قال: قولا عظيما، يزعم أن الله فقير وأنهم أغنياء، فلما قال: ذلك غضبت لله مما قال، فضربت وجهة فجحد فنحاص ذلك، وقال: ما قلت ذلك فأنزل الله فيما قال فنحاص (لقد سمع الله قول

(١) «صحيح البخاري» برقم (٥٢٢٤)، و«صحيح مسلم» برقم (٥٨٢١)، و«المسند الجامع» برقم (١٥٧٨١).

الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء» رواه أبو حاتم[١].

٥٣٦- غيرة معاذ بن جبل رضي الله عنه

بينا معاذ رضي الله عنه جالس مع زوجته وهما يأكلان تفاح إذ دخل عليهما الخادم وكانت بيد زوجة معاذ تفاحه فنظر الخادم إليها وقد أكلت منها فدفعتها إليه فقام معاذ رضي الله عنه فأوجعها ضربا غيرة عليها، لأنها قد أعطته من التفاحة التي أكلت منها[٢].

٥٣٧ - تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي

غيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان شديد الغيرة على نبيه ﷺ يدافع عنه ويحميه من أذى الكفار والسفهاء ولقد وردت أحاديث كثيرة توضح غيرته رضي الله عنه ومنها حديث زيد بن سعنة، أنه جاء يتقاضاه دينا عليه فجبذ ثوبه عن منكبه وأخذ بمجامع ثيابه، وأغلظ له، ثم قال إنكم، يا بني عبد المطلب مطل، فانتهره عمر وشدد له في القول، والنبي يبتسم، فقال رسول الله ﷺ: « أنا وهو كنا إلى غير هذا أحوج منك عمر، تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي، ثم قال: لقد بقي من أجله ثلاث وأمر عمر يقضيه ماله ويزيد عشرين صاعا لما روعه، فكان سبب إسلامه» [٣]..

٥٣٨- وافقت ربي في ثلاث

ومن غيرة عمر رضي الله عنه غيرته على أمهات المؤمنين.

---

(١) أخرجه أبو داود (ح ٤٤٤٩)، و«تفسير ابن كثير» (ج١ ص٤٣٤)، وحسنه الألباني.
(٢) روضة المحبين.
(٣) رواه الحاكم في «مستدركه» (ج٢٢٣٧)، وقال: صحيح علي شرط البخاري ووافقه الذهبي وروي له شاهد من حديث أبي هريرة.

حيث طلب من النبي ﷺ أن تحتجب نساؤه ﷺ لأنه يدخل عليه البار والفاجر، ففي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال عمر وافقت ربي في ثلاث، قلت يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى؛ فنزلت: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة:١٢٥] وقلت يا رسول الله: إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن، فنزلت آية الحجاب، واجتمع على رسول الله ﷺ نساؤه في الغيرة عليه فقلت لهن عسي ربه إن طلقكن أن يبذله أزواجا خيرًا منكن فنزلت هذه الآية(١).

٥٣٩- إن عادوا فعد

ومن غيرة عمر رضي الله عنه.

رفع إلى عمر رضي الله عنه رجل قد قتل امرأته ومعها رجل آخر فقال أولياء المرأة هذا قتل صاحبتنا وقال أولياء الرجل أنه قد قتل صاحبنا فقال عمر رضي الله عنه ما يقول هؤلاء قال ضرب الأخر فخذي امرأته بالسيف فإن كان بينهما أحد فقد قتلته فقال لهم عمر ما يقول: فقالوا ضرب بسيفه فقطع فخذي المرأة فأصاب وسط الرجل فقطعه باثنين فقال عمر رضي الله عنه: إن عادوا فعد(٢).

٥٤٠- ذاك قتيل الله لا يودي أبدًا

غيرة امرأة وقتلها من روادها: ذكر سفيان بن عيينة الزهري: عن القاسم بن محمد بن عبيد الله بن عمير أن رجلا أضاف إنسانا من هذيل فذهبت جارية لهم تحتطب فأرادها عن نفسها فرمته بفهر فقتله فرفع ذلك

(١) «مسند أحمد» (١ / ٢٩٧)، وأخرجه الدارمي (١٨٤٩)، والبخاري (٤٠٢)، والبزار (٢٢٠) و(٢٢١)، والنسائي (١٠٩٩٨).
(٢) «المغني» (٥٣٥/١٢).

إلى عمر بن الخطاب ﷺ فقال: ذاك قتيل الله لا يودي أبدًا[١].

٥٤١- وقعت من بكر فحطمني

ذكر حماد بن سلمة عن القاسم بن محمد أن أبا السيارة أولع بامرأة أبي جندب يراودها عن نفسها فقالت لا تفعل فإن أبا جندب إن يعلم بهذا يقتلك، فأبى أن ينزع فكلمت أخا أبا جندب فكلمه فأبي أن ينزع، فأخبرت بذلك أبا جندب فقال: أبو جندب إني مخبر القوم أني أذهب إلى الإبل فإذا أظلمت جئت فدخلت البيت فإن جاءك فأدخليه علي، فودع أبو جندب القوم وأخبرهم أني ذهب إلى الإبل فلما أظلم الليل جاء فكمن في البيت، وجاء أبو السيارة وهي تطحن في ظلها فراودها عن نفسها فقالت ويحك أرأيت هذا الأمر الذي تدعوني إليه هل دعوتك إلى شيء منه قط، قال: لا ولكن لا أصبر عنك، قالت: أدخل البيت حتى أتهيأ لك فلما دخل البيت أغلق أبو جندب ثم أخذه فدقة من عنقه إلى عجب ذنبه فذهبت المرأة إلى أخي أبي جندب فقالت: أدرك الرجل فإن أبا جندب قاتلة فجعل أخوه يناشده فتركه وحمله أبو جندب إلى مدرجة الإبل فألقاه فكان إذا مر به إنسان قال: ما شأنك فيقول، وقعت من بكر فحطمني وبلغ عمر ﷺ فأرسل إلى أهل المرأة فصدقوه فجلد عمر أبا السيارة مائة جلده وأبطل ديته[٢].

٥٤٢-يا عبادة، مالك ولمعاوية

غيرة عبادة بن الصامت ﷺ.

أورد الذهبي -رحمه الله- تعالى-: أن عبادة بن الصامت مرت عليه

---

(١) «روضة المحبين» (ص٣٠٣).

(٢) «روضة المحبين» (ص٣٠٣)، و«جامع الأحاديث» (٢٥ / ٤٢٢)، و«كنز العمال» (١٣٥٩١)، «اعتلال القلوب» للخرائطي (رقم ١٨٧).

قطارة[١].. وهو بالشام، تحمل الخمر فقال: ما هذه أزيت؟

قيل: لا، بل خمر يباع لفلان، فأخذ شفرة من السوق فقام إليها فلم يذر فيها راوية إلا بقرها، وأبو هريرة إذا ذاك بالشام، فأرسل فلان إلى أبي هريرة، فقال: ألا تمسك عنا أخاك عبادة، أما بالغدوات، فيغدوا إلى السوق يفسد على أهل الذمة متاجرهم، وأما بالعشي، فيقعد في المسجد ليس له عملا إلا شتم أعراضنا وعيبنا، قال: فأتاه أبو هريرة فقال: يا عبادة، مالك ولمعاوية؛ ذره ما حمل، فقال: لم تكن معنا إذ بايعنا على السمع والطاعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وألا تأخذنا في الله لومة لائم، فسكت أبو هريرة[٢].

٥٤٣- إذا رأيتم المداحين فاحثوا في أفواههم التراب

عن عبادة بن الوليد: قال كان عبادة بن الصامت مع معاوية فأذن يوما، فقام الخطيب يمدح معاوية، ويثني عليه، فقام عبادة بتراب في يده فحثاه في فم الخطيب فغضب معاوية فقال له عبادة: إنك لم تكن معنا حين بايعنا رسول الله ﷺ بالعقبة على السمع والطاعة في منشطا ومكرهنا ومكسلنا، وأثرة علينا، وألا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم بالحق حيث كنا، لا نخاف في الله لومة لائم وقال رسول الله ﷺ: « إذا رأيتم المداحين فاحثوا في أفواههم التراب» [٣].

٥٤٤- غلبنا النساء يا أبا أيوب

غيرة أبي أيوب الأنصاري.

---

(١) القطارة: القافلة.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (ج٣ ص ٣٤٧ – ٣٤٨)، «تاريخ دمشق» (٢٦ / ١٩٧).

(٣) قال الألباني في الصحيحة (٦١٦/٢): عزاه في «الجامع» لابن عساكر. ا.هـ والمرفوع منه أخرجه مسلم (٣٠٠٢).

فعن سالم بن عبد الله بن عمر ﷺ قال: أعرست فدعا أبي الناس فيهم أبو أيوب الأنصاري، وقد ستروا بيتي بحنادي أخضر فجاء أبو أيوب فطأطأ رأسه، فنظر فإذا البيت مستور، فقال: يا عبد الله، تسترون الجدر؛ فقال أبي: واستحي: غلبنا النساء يا أبا أيوب، فقال: من خشيت أن تغلبه لنساء، فلم أخش أن يغلبك، لا أدخل لكم بيتا ولا آكل لكم طعاما(١).

٥٤٦- أبعدها الله، قد أبطلت دمها

غيرة أبن أم مكتوم.

عن عبد الله بن معقل، قال: نزل ابن أم مكتوم على يهودية بالمدينة كانت ترفقه، وتؤذيه في النبي، ﷺ، فتناولها فضربها، فقتلها، فرفع ذلك إلى النبي، ﷺ، فقال هو: أما والله إن كانت لترفقني، ولكن آذتني في الله ورسوله.

فقال النبي، ﷺ: "أبعدها الله، قد أبطلت دمها" (٢).

٥٤٧- ألا اشهدوا أن دمها هدر

وأخرج أبو داود ابن عباس أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي ﷺ وتقع فيه فينهاها فلا تنتهي ويزجرها فلا تنزجر قال فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي ﷺ وتشتمه فأخذ المغول (المغول بالغين المعجمة وهو السكين) فوضعه في بطنها واتكأ عليها فقتلها فوقع بين رجليها طفل فلطخت ما هناك بالدم فلما أصبح ذكر ذلك للنبي ﷺ فجمع الناس فقال « أنشد الله رجلا فعل ما فعل لي عليه حق إلا قام " قال فقام الأعمى يتخطى

(١) أخرجه الطبراني (ج١ ص٢١٨)، وقال الألباني في «آداب الزفاف»: وهذا سند جيد.
(٢) أخرجه أبو داود وضعفه الألباني في «ضعيف أبي داود» (٩٣٧)، وصححه في «الإرواء» (١٢١٥)، و«الصارم المسلول» (ص ٦٠).

الناس وهو يتزلزل حتى قعد بين يدي النبي ﷺ فقال يا رسول الله أنا صاحبها كانت تشتمك وتقع فيك فأنهاها فلا تنتهي وأزجرها فلا تنزجر ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين وكانت بي رفيقة فلما كان البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك فأخذت المغول فوضعته في بطنها واتكأت عليها حتى قتلتها فقال النبي ﷺ " ألا اشهدوا أن دمها هدر" [١].

٥٤٨- غيرة عبد الله بن عمر رضي الله عنهما على أهله.

عن ابن أبي مليكة، عن ابن عمر، سمع امرأته تكلم رجلا من وراء جدار بينها وبينه قرابة لا يعلمها ابن عمر قال: فجمع لها جرائد ثم أتاها فضربها حتى آضت حشيشا" آضت: يعني صارت[٢].

٥٤٩- والله لا تتبعين بعدي رجلاً أبدًا

غيرة عمرو بن حممه الدوسي.

يقول ابن القيم رحمه الله:عن العباس بن هشام الكلبي، عن أبيه: أن عمرو بن حممة الدوسي: «أتى مكة حاجا، وكان من أجمل العرب، فنظرت إليه امرأة، فقالت: لا أدري أوجهه أجسر، أم جمته، أم فرمه، وكانت له جمة[٣] لِيَتِيمِ الزُّبُنَةِ، كان إذا ورد مايلها ثم عقصها، فإذا جلس مع أصحابه نشرها عليهم، فقالت له المرأة: أين منزلك؟

قال: نجد، فقالت: ما أنت بنجدي، ولا تهامي، فاصدقني، فقال: رجل من أهل السراة فيما بين مكة واليمن، ثم أشار إليها أن ارتدي خلفي، ففعلت، فمضى بها إلى السراة، وتبعها زوجها فلم يلحقها فرجع، فلما

---

(١) أخرجه أبو داود رقم (٤٣٦١)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود».
(٢) «اعتلال القلوب» للخرائطي (رقم ٧٢٤).
(٣) لجمة: ما ترامى من شعر الرأس على المنكبين.

استقرت عنده قطع عروقها، وقال: والله لا تتبعين بعدي رجلا أبدًا، ثم ردها إلى زوجها على تلك الحال»[١].

٥٥٠- إنها لا تصيد صيدا

عبد الله بن مغفل رضي الله عنه.

عن سعيد بن جبير، أن قريبا لعبد الله بن مغفل خذف فنهاه، وقال: إن رسول الله ﷺ نهى عن الخذف، وقال: " إنها لا تصيد صيدا، ولا تنكأ عدوا، ولكنها تكسر السن، وتفقأ العين "، قال: فعاد، فقال: " حدثتك أن رسول الله ﷺ نهى عنها، ثم عدت لا أكلمك أبدًا"[٢].

صور من غيرة السلف على كتاب الله تعالى

٥٥١- جزاءك الله من شيخ خيرًا

غيرة الفضل بن دكين شيخ الإسلام. يقول عنه الأمام أحمد بن حنبل: قام لله بأمر لم يقيم به كبير أحد، وقال عنه أيضًا: تراحم به سفيان بن عينيه لما أدخل على الوالي ليمتحنه، أي في القرآن مخلوق أم لا فقال: أدركت الكوفة وبها أكثر من سبعمائة شيخ الأعمش فمن دونه يقولون: القرآن كلام الله، وعنقي أهون من روى هذا فقام إليه أحمد بن يونس فقبل رأسه، وكان بينهما شحناء وقال جزاءك الله من شيخ خيرًا[٣].

٥٥٢- لئن دخلت لأصدقنه

يوسف بن يحي البويطي رحمه الله: امتحن رحمه الله في فتنة خلف القرآن، فقد

---

(١) «روضة المحبين» (ص٣٠٣)، و«اعتلال القلوب» للخرائطي (رقم ١٨٨).

(٢) «مسند أحمد» (٣٤ / ١٦٤)، والبخاري في «الصحيح» (٤٨٤١) و(٦٢٢٠)، وفي «الأدب المفرد» (٩٠٥)، ومسلم (١٩٥٤).

(٣) «مناقب الإمام أحمد بن حنبل» لابن الجوزي (ص٣٤٨- ٣٤٩).

امتحنه والي مصر فيها، وكان الوالي حسن الرأي فيه، فقال له: قل فيما بيني وبينك، قال: إنه يقتدي بي مائة ألف ولا يريدون المعني!! فأمر فحمل إلى بغداد.

قال عنه الربيع بن سليمان: رأيته على بغل في عنقه غل، وفي رجليه قيد وبينه وبين الغل سلسلة فيها لبنة - طوبة - وزنها أربعون رطلا، وهو يقول: إنما خلق الله الخلق بـ " كن " فإذا كانت مخلوقه فكأنه مخلوقا خلق بمخلوق، لئن دخلت لأصدقنه يعني الواثق، ولا موتن في حديدي هذا حتى يأتي قوم يعلمون أنه قدمات في هذا الشأن قوم في حديدهم[١]..

٥٥٣- إني مخاصم

غيرة الإمام نعيم بن حماد ﷺ.

قال الذهبي ﷺ: قال ابن يونس حمل فامتنع أن يجيبهم فسجن، فمات ببغداد، وزاد بن نفطوية: وكان مقيدا محبوسا لا متناعه من القول يخلق القرآن فجر بأقياده، فألقي في حفرة ولم يكفن ولم يصل عليه فعل به ذلك صاحب ابن أبي داؤد[٢].

وفي رواية: وأوصي نعيم بن حماد أن يدفن في قيوده وقال، إني مخاصم،

٥٥٤- إنه غضب لله

غيرة الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والجماعة.

ذكر الذهبي ﷺ: عن معمر القطيعي قال: لما أحضرنا إلى دار السلطان أيام المحنة، وكان أحمد بن حنبل قد أحضر فلما رأى الناس

(١) «سير أعلام النبلاء» (ج١٠ ص٦٢).
(٢) المصدر السابق (ج٩ ص٢٦٦-٢٦٧).

يجيبون، وكان رجلا لينا، فانتفخت أوداجه واحمرت عيناه، وذهب ذلك اللين، فقلت إنه غضب لله، فقلت أبشر: حدثنا ابن فضيل، عن الوليد بن عبد الله بن جميع، عن أبي سلمة قال: كان من أصحاب رسول الله ﷺ إذا أريد على شيء من أمر دينه رأيت حماليق عينيه في رأسه تدور كأنه مجنون(١).

٥٥٥- لا عليك يا أبا عبد الله

قال عمر بن إبراهيم البوشنجي: جعلوا يذاكرون أبا عبد الله بالرقة في التقية وما روي فيها فقال: كيف يصنعون بحديث خباب: إن من كان قبلكم كان ينشرا أحدهم بالمنشار لا يصدره ذلك عن دينه(٢).

فأيسنا منه، وقال لست أبالي بالحبس، ما هو ومنزلي إلا واحد، ولا قتلا بالسيف إنما أخاف فتنة السوط فسمعه بعض أهل الحبس فقال: لا عليك يا أبا عبد الله، فما هو إلا سوطان، ثم لا تدري أين يقع الباقي فكأنه سري عنه(٣). فصبر رضي الله عنه على تلك المحنة وباع نفسه لله تعالى ابتغاء مرضاته، وغيره على كتابه.

٥٥٦- زي المجوس زي المجوس

ومن غيرته رضي الله عنه.

تركه حضور الوليمة التي فيها مخالفة لسنة الرسول ﷺ غيرة على دينه،

عن علي بن أبي صالح السواق قال: كنا في وليمة باب القبر قال:

---

(١) المصدر السابق (ج٩ ص٤٩٠).
(٢) أخرجه البخاري (رقم ٣٨٥٢).
(٣) «السير» (ج٩ ص٤٩١).

فجاء أحمد بن حنبل، فلما دخل نظر إلى كرسي عليه فضه فخرج فلحقه صاحب المنزل فنفض يده في وجهه وقال: زي المجوس زي المجوس، وخرج[١].

٥٥٧- غيرة بنان الحمال شيخ الإسلام

قال عنه الإمام الذهبي: وكان كبير القدر، ولا يقبل من الدولة شيئًا، وله جلالة عجيبة عند الخاصة، وقد امتحن في ذات الله فصبر، وارتفع شأنه فنقل أبو عبد الرحمن السلمي في محن الصوفية، أن بنانا الحمال قام إلى وزير خمارويه صاحب مصر، وكان نصرانيا فأنزله عن مركوبه، وقال لا تركب الخيل وغير، كما هو مأخوذ عليكم في الذمة، فأمر خمارويه بأن يؤخذ ويوضع بين يدي سبع فطرح فبقي ليلة، ثم جاءوا والسبع يلحسه، وهو مستقبل القبلة فأطلقه خمارويه واعتذر إليه[٢].

٥٥٨- أحمق الناس في مسألة كذا وكذا الروافض

شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الله بن الحطيئة.

قال الذهبي: قال السلفي: كان ابن الحطيئة رأسا في القراءات وقرأت بخط أبي الطاهر بن النماطي قال: سمعت شيخنا شجاعا المدلجي وكان من خيار عباد الله يقول، كان شيخنا ابن الحطيئة شديدا في دين الله فظا غليظا على أعداء الله لقد كان يحضر مجلسه داعي الدعاة مع عظم سلطانه ونفوذ أمره، فما يحتشمه ولا يكرمه، ويقول: أحمق الناس في مسألة كذا وكذا الروافض، خالفوا الكتاب والسنة، وكفروا بالله، وكنت عنده يوما في مسجد بشرف مصر، وقد حضره بعض وزراء المصريين أظنه ابن عباس،

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» (ص٣٤٨- ٣٤٩).

(٢) «السير» (ج١١ ص٤٥٢).

فاستسقي في مجلسه، فأتا بعض غلمانه بإناء فضه، فلما رآه ابن الحطيئة وضع يده على فؤاده، وصرخ صرخة ملأت المسجد، وقال: وا حرها على كبدي، أتشرب في مجلس يقرأ فيه حديث رسوله الله ﷺ في آنية الفضة؟!؛ لا والله لا تفعل، وطرد الغلام، فخرج وطلب الشيخ كوزا فجئ بكوز قد تثلهم[١].. فشرب، واستحيى من الشيخ، فرأيته والله كما قال الله: ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ [إبراهيم:١٧][٢].

٥٥٩- وإنه عن المنكر واصبر ما أصابك

۞ غيرة عبد الغني بن عبد الغني المقدسي رحمه الله.

قال الموفق: كان الحافظ لا يصبر عن إنكار المنكر إذا رآه وكنا مرة أنكرنا على قوم وأرقنا خمرهم وتضاربنا فسمع خالي أبو عمر، فضاق صدره وخاصمنا، فلما جئنا إلى الحافظ قلوبنا وصوب فعلنا وتلا: ﴿وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾، وسمعت أبا بكر بن أحمد الطحان قال: كان بعض أولاد صلاح الدين قد عملت لهم طنابير، وكانوا في بستان يشربون فلقي الحافظ الطنابير فكسرها، قال: فحدثني الحافظ قال: فلما كنت أنا وعبد الهادي عند حمام كافور إذا قوم كثير معهم عصي فخففت المشي، وجعلت أقول حسبي الله ونعم الوكيل، فلما صرت على الجسر لحقوا صاحبي، فقال: أنا ما كسرت لكم شيئًا، هذا هو الذي كسر، قال: فإذا فارس يركض فترجل، وقبل يدي، قال: الصبيان ما عرفوك وكان قد وضع الله له الهيبة في النفوس.

وذكروا أن العادل قال: ما خفت من أحد ما خفت من هذا فقلنا: أيها

---

(١) أي: كسر حرفه.

(٢) «السير» (ج١٥ ص١٢٧- ١٢٨).

الملك هذا الرجل فقيه، قال: لما دخل ما خيل إلي إلا أنه سبع[١].

٥٦٠- أنا إذا رأيت شيئًا لا أقدر أصبر

وقال الذهبي رحمه الله أيضًا: سمعت بعض بصحابنا يحكي عن الأمير درباس أنه دخل مع الحافظ إلى الملك العادل فلما قضى كلامه مع الحفظ، جعل يتكلم في أمره ما ردين[٢]وحصارها فسمع الحافظ فقال: أيش هذا، وأنت بعد تريد قتال المسلمين، ما تشكر الله فيما أعطاك أما أما؛ قال: فما أعاد ولا أبدى، ثم قام الحافظ وقمت معه، فقلت أيش هذا، نحن كنا نخاف عليك من هذا ثم عمل هذا العمل؛ قال: أنا إذا رأيت شيئًا لا أقدر أصبر أو كما قال.

٥٦١- ضرب الله رقبته ورقبة السلطان

أبو بكر بن الطحان قال: كان في دولة الأفضل جعلوه الملاهي عند الدرج فجاء الحافظ فكسر شيئًا كثيرًا، ثم صعدا يقرأ الحديث، فجاء رسول القاضي يأمره بالمشي إليه ليناظره في الدف والشبابة، فقال: ذاك عندي حرام ولا أمشي إليه ثم قرأ الحديث، فعاد الرسول فقال: لابد من المشي إليه أنت قد عطلت هذه الأشياء على السلطان، فقال الحافظ: ضرب الله رقبته ورقبة السلطان، فمضي الرسول وخفنا، فما جاء بعد[٣].

٥٦٢- إن تابوا ولازموا الصلاة

۞ **غيرة عماد الدين أبو إسحاق بن إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي رحمه الله.**

قال ضياء الدين المقدسي: وأما زهده فما أعلم أنه دخل نفسه في شيء

---

(١) «السير» (ج١٦ ص٢٥).

(٢) ما ردين: قلعه مشهورة مشرفة علي نصبين، «معجم البلدان» (٥ / ٤٦).

(٣) «السير» (ج١٥ ص٢٦).

من أمر الدنيا ولا تعرض لها، ولا نافس فيها، وما علمت أنه دخل إلى السلطان ولا وال، وكان قويا في أمر الله ضعيفا في بدنه، لا تأخذه في الله لومة لائم، أمارا بالمعروف لا يرى أحدًا يسيء صلاته إلا قال له وعلمه، قال: وبلغني أنه أتي فساقا فكسر ما معهم فضربوه حتى غشي عليه فأراد الوالي ضربهم، فقال: إن تابوا ولازموا الصلاة، فلا تؤذيهم وهم في حل فتابوا(١).

٥٦٣- يا سالم تولهما وأبرا من عدوهما

۞ غيرة أبي جعفر الباقر رحمه الله.

وها هو الإمام أبي جعفر الباقر شديد الغيرة على أصحاب رسول الله ﷺ ويقدم الصديق على غيرة من الصحابة، عن سالم بن أبي حفصة قال: سألت أبا جعفر وابنه جعفرا عن أبي بكر وعمر، فقال لي: يا سالم تولهما وأبرا من عدوهما، فإنهما كانا إمامي هدي(٢).

٥٦٤- نعم الصديق نعم الصديق

وهذا مشهد من مشاهد الغيرة على الصحب والكرام وعلى الصديق الأكبر رضي الله عنه، فعن عروة بن عبد الله قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي، عن حلية السيوف فقال: لا بأس به قد حلى أبا بكر الصديق سيفه، قلت: وتقول الصديق فوثب وثبه واستقبل القبلة ثم قال: نعم الصديق نعم الصديق، فمن لم يقل الصديق فلا صدق الله له قولا في الدنيا والآخرة(٣).

---

(١) «السير» (ج١٦ ص٩٢).
(٢) «السير» (ج٥ ص٣٥٥).
(٣) «السير» (ج٥ ص٣٣٩).

٥٦٥- هذا الذي تعرف البطحاء وطأته

غيرة الفرزدق ممن نال من آل البيت.

يقول الذهبي رحمه الله: أن هشام ابن عبد الملك حج قبيل ولايته الخلافة، فكان إذا أراد استلام الحجر زوحم عليه، وإذا دنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، من الحجر تفرقوا عنه إجلالا له فوجم لها هشام وقال: من هذا؟، فما أعرفه، فأنشا الفرزدق يقول:-

هـذا الذي تعـرف البطحـاء وطأتـه ... والبيـت يعرفـه والحـل والحـرم
هـذا ابـن خـير عبـاد الله كلهـم ... هـذا التـقي النـقي الطـاهر العلـم
إذا رأتـه قـريش قـال قائلهـا ... إلى مـكارم هـذا ينـتهي الكـرم
يكـاد يمسـكه عرفـان راحتـه ... ركـن الحطـيم إذا مـا جـاء يسـتلم
يغضي- حيـاء ويغضي- مـن مهابتـه ... فمـا يكلـم إلا حـين يبتسـم
هذا ابـن فاطمـة إن كنـت جاهلـة ... بجـده أنبيـاء الله قـد ختمـوا

وهي قصيدة طويلة، قال: فأمر هشام بحبس الفرزدق فحبس بعسفان وبعث إليه علي بن الحسين بثني عشر ألف درهم، وقال: أعذر أبا فراس، فردها، قال: ما قلت ذلك إلا غضبا لله ولرسوله، فردها إليه وقال: بحقي عليك لما قبلتها فقد علم الله نيتك ورأى مكانك فقبلها،[1] وقال في هشام:-

أيحبسـني بـين المدينـة والـتي ... إليهـا قلـوب النـاس يهـوي منيبهـا
يقلب رأسـا لـم يكـن رأس سـيد ... وعينـين حـولاون بـاد عيوبهمـا

٥٦٦- غيرة إبراهيم الحربي رحمه الله

(١) «أخبار مكة» للفاكهي (رقم ١٣٠٣)، «المعجم الكبير» (رقم ٢٨٠٠)، «المستجاد من فعلات الأجواد» (١ / ٢٤).

قال أبو بكر الشافعي: سمعت إبراهيم الحربي يقول: عندي عن علي بن المدني قمطر، ولا أحدث عنه بشيء، لأني رأيته المغرب وبيده نعله مبادرا، فقلت: إلى أين؛ قال ألحق الصلاة مع أبي عبد الله، فظننته يعني أحمد بن حنبل ثم قلت: من أبو عبد الله؛ قال: ابن أبي داود[١].

٥٦٧- أفأجيب من يريد أن يتفكه

۞ **غيرة سحنون الإمام العلامة أبو سعيد عبد السلام بن حبيب بن حسان المالكي.**

يقول الذهبي رحمه الله: وقيل إن زيادة الأمير بعث: سأل سحنونا عن مسألة، فلم يجبه، فقال له محمد بن عبدوس، أخرج من بلد القوم، أمس ترجع عن الصلاة خلف قاضيهم واليوم لا تجيبهم، قال: أفأجيب من يريد أن يتفكه، يريد أن يأخذ قولي وقول غيري، ولو كان شيئًا يقصد به الدين لأجبته[٢].

فالإمام سحنون لم يجب ذلك الأمير غيرة على دينه لأن السائل عندما يسئل لم يرد أن يعرف الحق فيتبعه وإنما أراد أن يتفكه بسؤاله له.

٥٦٨- أنا لا أذل العلم

۞ **غيرة الإمام البخاري رحمه الله.**

قال الذهبي رحمه الله: بعث الأمير خالد بن أحمد الذهلي والي بخاري إلى محمد بن إسماعيل أن أحمل إلي كتاب "الجامع" و"التاريخ" وغيرها لأسمع منك، فقال لرسوله أنا لا أذل العلم، ولا أحمله إلى أبواب الناس، فإن كانت لك إلى شيء منه حاجة، فأحضر في مسجدي، أو في داري وإن

(١) «السير» (ج٥ ص٣٣٢ - ٣٣٣).
(٢) «السير» (ج١ ص٦٧).

لم يعجبك هذا فإنك سلطان، فامنعني من المجلس، ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة لأني لا أكتم العلم لقول النبي ﷺ: «من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار» [١].

٥٦٩- يكتب هذا في مكارم الأخلاق

من عجائب الغيرة على المحارم عبد الله محمد بن أحمد بن موسى الرازي يقول: حضرت مجلس موسى بن إسحاق القاضي وقدمت امرأة زوجها إليه فادعت عليه مهرها خمسمائة دينار فأنكر الرجل فقال وكيل المرأة قد أحضرت شهودي فقال: واحد من الشهود انظر إلى المرأة فقام وقامت فقال الزوج يفعل ماذا ينظر إلى امرأتي قالوا: نعم قال: فإني أشهد القاضي أن لها علي مهرها خمسمائة دينار كلها ذهبا عينا مثاقيل ولا تسفر عن وجهها قالت المرأة: فإني أشهد القاضي أني قد وهبتها له قال القاضي: يكتب هذا في مكارم الأخلاق

٥٧٠- وا حَجَّاجاه

من غيرة الحجاج:

ويذكر بعض المؤرخين في حسنات الحجاج بن يوسف الثقفي: "أن امرأة مسلمة سُبيت في الهند، فنادت: "واحَجَّاجاه". وبلغه ذلك، فجعل يقول: "لبيكِ". وأنفق سبعة ملايين من الدراهم حتى أنقذ المرأة".

٥٧١- وامعتصماه

غيرة المعتصم رحمه الله.

---

(١) أخرجه أبو داود (رقم ٣٦٥٨)، والترمذي (رقم ١٦٥٨)، وابن ماجه (رقم ٢٦٦)، وأحمد والطبراني في «الأوسط» (٢٢٩٠)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (رقم ٦٢٨٤) وقال: صحيح. فكان سبب الوحشة بينهما هذا.

وهذه امرأة شريفة أسرها الروم، لا تربطها بالخليفة "المعتصم بالله" رابطة، سوى أخوة الإسلام، تستنجد به لما عذبها صاحب عمورية، وتطلقها صيحة يسجل التاريخ دويها الضخم: "وامعتصماه". وما إن بلغت المعتصم هذه الندبة - وكان يأخذ لنفسه شيئًا من الراحة - حتى قالها بملء جوارحه: "لبيكِ". وانطلق لتوه إلى القتال، وانطلقت معه جحافل المسلمين، وقد ملأت الغيرة لكرامة المرأة نفس كل جندي إباءً وحماسًا، فأنزلوا بالعدو شر هزيمة، واقتحموا قلاعه في أعماق بلاده حتى أتوا عمورية، وهدموا قلاعها، وانتهوا إلى تلك الأسيرة، وفكوا عقالها، وقال لها المعتصم: "اشهدي لي عند جَدِّك المصطفى ﷺ أني جئت لخلاصك"[١].

(١) «صبح الأعشى» (٣ / ٢٨٨).

الفصل السابع والعشرون في رياض الصابرين

٥٧٢- لقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد

عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد، وأخفت في الله وما يخاف أحد، ولقد أتت علي ثلاثون من بين يوم وليلة، وما لي ولبلال ما يأكله ذو كبد إلا ما يواري إبط بلال». أخرجه أحمد(١).

٥٧٣- أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله

أخرج البخاري عن عروة ﷺ قال: سألت ابن أبي العاص ﷺ فقلت: أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله ﷺ، قال: بينما النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة إذا أقبل عليه عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه على عنقه فخنقه خنقا شديدا.

فأقبل أبو بكر ﷺ حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبي ﷺ، وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر:٢٨].. الآية(٢).

٥٧٤- ليس لك من الأمر شيء

وأخرج الشيخان عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ كسرت رباعيته يوم أحد وشج رأسه فجعل يسلت الدم عن وجهه، ويقول: «كيف يفلح قوم شجوا

---

(١) أخرجه أحمد (١٢٠/٣) (١٢٢٣٦)، وعبد بن حميد (١٣١٧).
(٢) أخرجه أحمد (٢٠٤/٢) (٦٩٠٨)، والبخاري (١٢/٥) (٣٦٧٨).

نبيهم، وهو يدعوهم إلى الله، فنزل: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨] الآية[١].

٥٧٦- هل ظهر أحمد بعد؟

أخرج الحاكم في المستدرك عن إبراهيم بن محمد بن طلحة قال: قال لي طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه: حضرت سوق بصرى فإذا راهب في صومعته يقول: سلوا أهل هذا الموسم أفيهم واحد من أهل الحرم.

قال طلحة رضي الله عنه: نعم أنا. فقال: هل ظهر أحمد بعد؟

قال: قلت: ومن أحمد؟

قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذي يخرج فيه وهو آخر الأنبياء مخرجه من الحرم، ومهاجره إلى نخل وحرة وسباخ، فإياك أن تسبق إليه.

قال طلحة: فوقع في قلبي ما قال، فخرجت سريعا حتى قدمت مكة فقلت: هل كان من حدث؟

قالوا: نعم، محمد بن عبد الله ﷺ الأمين تنبأ، وقد تبعه ابن أبي قحافة.

قال: فخرجت حتى دخلت على أبي بكر رضي الله عنه فقلت: اتبعت هذا الرجل؟

قال: نعم فانطلق فادخل عليه فاتبعه فإنه يدعو إلى الحق فأخبره طلحة بما قال الراهب. فخرج أبو بكر بطلحة فدخل به على رسول الله ﷺ فأسلم طلحة وأخبر رسول الله ﷺ بما قال الراهب فسر رسول الله ﷺ، فلما أسلم أبو بكر وطلحة أخذهما نوفل بن خويلد بن العدوية فشدهما في حبل واحد ولم يمنعهما بنو تميم. وكان نوفل بن خويلد يدعى «أسد قريش» فلذلك

---

(١) أخرجه أحمد (٢٥٣/٣) (١٣٦٩٢)، وعبد بن حميد (١٢٠٤)، ومسلم (١٧٩/٥) (٤٦٦٨).

سمى أبو بكر وطلحة القرينين... فذكر الحديث[١].

٥٧٧- لئن قتلتموه على هذه لاتخذنه حنانا.

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن هشام بن عروة عن أبيه قال: كان ورقة بن نوفل يمر ببلال وهو يعذب وهو يقول: أحد أحد. فيقول: أحد أحد، الله يا بلال ثم يقبل ورقة بن نوفل على أمية بن خلف وهو يصنع ذلك ببلال فيقول: احلف بالله ﷻ لئن قتلتموه على هذه لاتخذنه حنانا[٢].

حتى مر به أبو بكر الصديق يوما وهم يصنعون ذلك فقال لأمية: ألا تتقي الله في هذا المسكين حتى متى؟

قال: أنت أفسدته فأنقذه مما ترى. فقال أبو بكر: أفعل عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى على دينك أعطيكه به.

قال: قد قبلت. قال: هو لك فأعطاه أبو بكر غلامه ذلك وأخذ بلالا فأعتقه.

ثم اعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر من مكة ست رقاب بلال سابعهم[٣].

٥٧٨- «فإن عادوا فعد»

عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار قال: أخذ المشركون عمارا ﷺ فلم يتركوه حتى سب رسول الله ﷺ، وذكر آلهتهم بخير، فلما أتى رسول الله ﷺ قال: «ما وراءك؟

---

(١) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٢ / ١٦٧) وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣ / ٢٩).

(٢) أي: لاتخذن قبره منسكًا ومسترحمًا.

(٣) «تهذيب سيرة ابن هشام» (ص: ٩٠).

قال: شر يا رسول الله ﷺ. ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير فقال رسول الله ﷺ: «فكيف تجد قلبك؟

قال: أجد قلبي مطمئن بالإيمان. قال: «فإن عادوا فعد»[١].

٥٧٩-ما هو أحق مني

أخرج ابن سعد عن الشعبي قال: دخل خباب بن الأرت رضي الله عنه على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأجلسه على متكئه فقال: ما على الأرض أحد أحق بهذا المجلس من هذا إلا رجل واحد. قال له خباب: من هو يا أمير المؤمنين؟

قال: بلال. فقال خباب: ما هو أحق مني إن بلالا كان له في المشركين من يمنعه الله به، ولم يكن لي أحد يمنعني، فلقد رأيتني يوما، أخذوني فأوقدوا لي نارا، ثم سلقوني فيها ثم وضع رجل رجله على صدري

فما اتقيت الأرض - أو قال: برد الأرض - إلا بظهري، ثم كشف عن ظهره فإذا هو قد برص، أي من أثر التعذيب بالنار[٢].

٥٨٠- ويلكم تقتلون رجلا من غفار

عن ابن عباس رضي الله عنهما قام أبو ذر فقال يا معشر قريش، إني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. فقالوا قوموا إلى هذا الصابئ. فقاموا فضربت لأموت فأدركنى العباس، فأكب علي ثم أقبل عليهم، فقال ويلكم تقتلون رجلا من غفار، ومتجركم وممركم على غفار. فأقلعوا عنى، فلما أن أصبحت الغد رجعت فقلت مثل ما قلت بالأمس، فقالوا قوموا إلى

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (ج١ ص١٤٠).

(٢) «الروض الأنف» (٩٨/٢).

هذا الصابئ. فصنع بى مثل ما صنع بالأمس وأدركنى العباس فأكب علي، وقال مثل مقالته بالأمس. قال فكان هذا أول إسلام أبي ذر ﷺ[١].

٥٨١- رمي فيكم تسعة ويرمي العاشر الروم

قال أبو الفرج بن الجوزي: أقام جوهر القائد لأبي تميم صاحب مصر أبا بكر النابلسي، وكان ينزل الاكواخ، فقال له: بلغنا أنك قلت: إذا كان مع الرجل عشرة أسهم، وجب أن يرمي في الروم سهما، وفينا تسعة، قال: ما قلت هذا، بل قلت: إذا كان معه عشرة أسهم، وجب أن يرميكم بتسعة، وأن يرمي العاشر فيكم أيضًا، فإنكم غيرتم الملة، وقتلتم الصالحين، وادعيتم نور الالهية، فشهره ثم ضربه، ثم أمر يهوديا فسلخه.

قال ابن الأكفاني: توفي العبد الصالح الزاهد أبو بكر بن النابلسي، كان يرى قتال المغاربة، هرب من الرملة إلى دمشق، فأخذه متوليها أبو محمود الكتامي، وجعله في قفص خشب، وأرسله إلى مصر، فلما وصل قالوا: أنت القائل، لو أن معي عشرة أسهم.. وذكر القصة، فسلخ وحشي تبنا، وصلب[٢].

٥٨٢- «اتقي الله واصبري

عن أنس بن مالك، أن النبي ﷺ مر بامرأة وهي تبكي على قبر، فقال لها النبي ﷺ: «اتقي الله واصبري» فقالت: إليك عني وما تبالي بمصيبتي؟

فقيل لها: إنه رسول الله ﷺ فأخذها مثل الموت فأتته فقالت: إني لم

---

(١) أخرجه البخاري (٥/٥٩) (٣٨٦١)، ومسلم (٧/١٥٥) (٦٤٤٥).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ١٤٨)، و«صور مشرقة من الثبات على الإيمان» للمؤلف (ص ١٠٧- ١٠٨).

أعرفك قال: «الصبر عند أول صدمة»[١].

٥٨٣- إنك تستلقي سبعة أيام لا تصلي

أبو بكر بن الحارث الفقيه، أنبأ أبو محمد بن حيان، ثنا عبد الله بن أحمد، ثنا هارون بن سليمان، ثنا أبو داود، ثنا شريك عن سماك، عن عكرمة أن ابن عباس لما سقط في عينيه الماء أراد أن يخرجه من عينيه، فقيل له: إنك تستلقي سبعة أيام لا تصلي إلا مستلقيًا. قال: فكره ذلك وقال: إنه بلغني أنه من ترك الصلاة وهو يستطيع أن يصلي لقي الله - تعالى - وهو عليه غضبان[٢].

٥٨٤- - ما هي إلا الجنة والنار؟

عن أبيه قال: جلس إلي يوما زياد مولى ابن عياش، فقال لي: يا عبد الله قلت: «ما تشاء؟»

فقال: ما هي إلا الجنة والنار؟

قلت: «لا والله ما هي إلا الجنة والنار». قال: ما بينهما منزل ينزله العباد؟ فقلت: ما بينهما منزل ينزله العباد قال: «فوالله لنفسي نفس أضن بها عن النار، وللصبر اليوم عن معاصي الله خير من الصبر على الأغلال في نار جهنم»[٣].

٥٨٥- أعظم الله أجرك في عقيل

---

(١) أخرجه أحمد (١٣٠/٣) (١٢٣٤٢)، وأبو داود في (٢١٧/٣) (١٣٣٠٦)، وعبد بن حميد (١٢٠٣).

(٢) كتاب «السنن الكبرى» (ح٣٥٧٦)، و«صور مشرقة من الثبات على الإيمان» (ص ١٧٠).

(٣) «الصبر والثواب عليه» (ص: ٥٦).

قال الأصمعي: خرجت أنا وصديق لي إلى البادية فضللنا الطريق فإذا نحن بخيمة عن يمين الطريق فقصدناها فسلمنا فإذا امرأة ترد علينا السلام قالت: ما أنتم؟

قلنا: قوم ضالون عن الطريق أتيناكم فأنسنا بكم فقالت: يا هؤلاء ولو وجوهكم عني حتى أقضي من حقكم ما أنتم له أهل ففعلنا فألقت لنا مسحا فقالت: اجلسوا عليه إلى أن يأتي ابني ثم جعلت ترفع طرف الخيمة وتردها إلى أن رفعتها فقالت: أسأل الله بركة المقبل أما البعير فبعير ابني وأما الراكب فليس بابني فوقف الراكب عليها فقال: يا أم عقيل أعظم الله أجرك في عقيل قالت: ويحك! مات ابني؟

قال: نعم قالت: وما سبب موته؟

قال: ازدحمت عليه الإبل فرمت به في البئر فقالت: انزل فاقض ذمام القوم ودفعت إليه كبشا فذبحه وأصلحه وقرب إلينا الطعام فجعلنا نأكل ونتعجب من صبرها فلما فرغنا خرجت إلينا وقد تكورت فقالت: يا هؤلاء هل فيكم من أحد يحسن من كتاب الله شيئًا؟

قلت: نعم قالت: اقرأ من كتاب الله آيات أتعزى بها قلت: يقول الله ﷻ في كتابه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ قالت: آلله إنها لفي كتاب الله هكذا؟

قلت: آلله إنها لفي كتاب الله هكذا! قالت: السلام عليكم ثم صفت قدميها وصلت ركعات ثم قالت: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ عند الله أحتسب عقيلا تقول ذلك ثلاثا اللهم إني فعلت ما أمرتني به فأنجز لي ما

وعدتني[١].

٥٨٦- واستعينوا بالصبر والصلاة

عن أبيه أن ابن عباس رضي الله عنهما نعي إليه أخوه قثم وهو في سفر فاسترجع ثم تنحى عن الطريق فأناخ ثم صلى ركعتين فأطال فيهما الجلوس ثم قام يمشي إلى راحلته وهو يقول: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة:٤٥].

وقال هشيم: حدثنا خالد بن صفوان قال: حدثني زيد بن علي أن ابن عباس كان في مسير له فنعي إليه ابن له فنزل فصلى ركعتين ثم استرجع وقال: فعلنا كما أمرنا الله: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[٢].

٥٨٧- أعرستم الليلة؟

عن أنس رضي الله عنه قال: كان ابن لأبي طلحة رضي الله عنه يشتكي فخرج أبو طلحة فقبض الصبي فلما رجع أبو طلحة قال: ما فعل ابني؟

قالت أم سليم - وهي أم الصبي -: هو أسكن ما كان فقدمت له العشاء فتعشى ثم أصاب منها فلما فرغ منها قالت: واروا الصبي فلما أصبح أبو طلحة أتى رسول الله ﷺ فأخبره فقال: أعرستم الليلة؟ قال: نعم! قال: اللهم بارك لهما فولدت غلاما فقال لي أبو طلحة: احمله حتى تأتي به النبي ﷺ وبعث معه تمرات فقال: أمعه شيء؟ قال: نعم تمرات فأخذها النبي ﷺ فمضغها ثم أخذها من فيه فجعلها في في الصبي وحنكه وسماه عبد الله رواه البخاري ومسلم وفي رواية البخاري: قال ابن عيينة: فقال رجل من الأنصار: فرأيت تسعة أولاد كلهم قد قرأ القرآن - يعني من أولاد عبد

(١) «تسلية أهل المصائب» (ص: ١٨١).
(٢) «تسلية أهل المصائب» (ص: ١٧٤).

الله[١].

٥٨٩- إنا لله وإنا إليه راجعون

عن ثابت قال: مات عبد الله بن مطرف فخرج أبوه مطرف على قومه في ثياب حسنة وقد ادهن فغضبوا فقالوا: يموت عبد الله وتخرج في مثل هذه مدهنا؟ قال: أفأستكين لها وقد وعدني ربي تبارك وتعالى عليها خصالا كل خصلة منها أحب إلي من الدنيا كلها؟! قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ أفأستكين لها بعد ذلك؟!

ثم قال ثابت قال مطرف: ما شيء أعطي به في الآخرة قدر كوز من ماء إلا وددت أنه أخذ مني في الدنيا رواه الإمام أحمد في كتاب الزهد[٢].

٥٩٠- كنت أشتهي موت ابني هذا

عن محمد بن خلف قال: كان لإبراهيم الحربي ابن كان له إحدى عشرة سنة حفظ القرآن ولقنه من الفقه جانبًا كبيرًا قال: فمات فجئت أعزيه فقال: كنت أشتهي موت ابني هذا قال: فقلت له: يا أبا إسحاق أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا في صبي قد أنجب ولقنته الحديث والفقه؟!

قال: نعم رأيت في منامي كأن القيامة قد قامت وكأن صبيانا بأيديهم قلال فيها ماء يستقبلون الناس فيسقونهم وكان اليوم يوما حارا شديدا حره قال: فقلت لأحدهم: اسقني من هذا الماء قال: فنظر إلي وقال: ليس أنت أبي قلت: فأي شيء أنتم؟

قال: فقال لي: نحن الصبيان الذين متنا في دار الدنيا وخلفنا آباؤنا فنستقبلهم

---

(١) «تسلية أهل المصائب» (ص: ٤٤).

(٢) «تسلية أهل المصائب» (ص: ٤٤).

فنسقيهم الماء قال: فلهذا تمنيت موته[١].

٥٩١- يا بني لأن تكون في ميزاني أحب إلي من أن أكون في ميزانك

وقال أبو الحسن المدائني: دخل عمر بن عبد العزيز على ابنه في وجعه فقال يا بني كيف تجدك؟

قال: تجدني في الحق قال: يا بني لأن تكون في ميزاني أحب إلي من أن أكون في ميزانك فقال: يا أبه لأن يكون ما تحب أحب إلي من أن أكون ما أحبه[٢].

٥٩٢- مرحبا إن كنتن جئتن لتهنئنني مرحبا بكن

عن ثابت البناني: أن صلة بن أشيم كان في غزاة له ومعه ابن له فقال له أي بني تقدم فقاتل حتى أحتسبك فحمل فقاتل حتى قتل ثم تقدم أبوه فقتل فاجتمعت النساء فقامت امرأته معاذة العذرية فقالت للنساء: مرحبا إن كنتن جئتن لتهنئنني مرحبا بكن إن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن[٣].

٥٩٣- كنت أحب أن يموت وأوجر فيه!

في تاريخ الرقة للحراني: عن أحمد بن بديع حدثني أبي قال: سمعت عمر بن ميمون بن مهران يقول: كنت مع أبي ونحن نطوف بالكعبة فلقي أبي شيخا فعانقه أبي ومع الشيخ فتى قريبا مني فقال له أبي: من هذا؟

قال: ابني فقال: كيف رضاك عنه؟

قال ما بقيت خصلة يا أبا أيوب من خصال الخير إلا وقد رأيتها فيه إلا واحدة قال: وما هي؟

---

(١) «تسلية أهل المصائب» (ص: ٤٤).

(٢) «تسلية أهل المصائب» (ص: ٤٤).

(٣) «تسلية أهل المصائب» (ص: ٤٤).

قال: كنت أحب أن يموت وأوجر فيه! قال: ثم فارقه أبي قال: فقلت لأبي: من هذا الشيخ؟

قال: هذا مكحول[١].

٥٩٤- أجد عافيته أكثر مما ابتلاني به

أبو عبد الرحمن المغازلي قال: دخلت على رجل مبتلى بالحجاز، فقلت: كيف تجدك؟

قال: أجد عافيته أكثر مما ابتلاني به، وأجد نعمه علي أكثر من أحصيها.

فقلت: أتجد لما أنت فيه ألما شديدا؟

فبكى ثم قال: سلا بنفسي عن ألم ما بي ما وعد عليه سيدي أهل الصبر من كمال الأجور في شدة يوم عسير. قال: ثم غشي عليه، فمكث مليا، ثم أفاق فقال: إني لأحسب أن لأهل الصبر عند الله غدا في القيامة مقاما شريفا لا يتقدمه من ثواب الأعمال شيء، إلا ما كان من الرضا عن الله جل وعز[٢].

٥٩٥- إن صبرت فلك الجنة

عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟

قلت: بلى قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله لي فقال: «إن صبرت فلك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك» قالت: إني أتكشف، فادع الله أن لا أنكشف. فدعا لها[٣].

---

(١) «تسلية أهل المصائب» (ص: ٤٤).

(٢) «الصبر والثواب عليه» ص: ١١٠.

(٣) «الصبر والثواب عليه» (ص: ٨٩).

٥٩٦- إن الله قد رآكم أهلا أن يختبركم

عن يزيد بن تميم قال: لما أدخل إبراهيم التيمي سجن الحجاج، رأى قوما مقرنين في الأغلال، يقومون جميعا ويقعدون جميعا، فقال: «يا أهل بلاء الله في نعمته، ويا أهل نعمته في بلائه، إن الله قد رآكم أهلا أن يختبركم، فأروه أهلا أن تصبروا له». فقالوا: من أنت رحمك الله؟ قال: «من ينتظر من البلاء مثل ما نزل بكم»، قالوا: ما نحب أن نخرج من موضعنا[١].

٥٩٧- لأمتحنن أهل البلاء

علي بن الحسن قال: قال رجل مرة: لأمتحنن أهل البلاء. قال: فدخلت على رجل بطرسوس وقد أكلت الأكلة أطرافه. فقلت: كيف أصبحت؟

قال: أصبحت والله وكل عضو مني يألم على حدته من الوجع، لو أن الروم في شركها وكفرها اطلعت علي لرحمتني مما أنا فيه، وإن ذلك لبعين الله أحبه إلي أحبه إلى الله، وما قدر ما أخذ ربي مني وددت أن ربي قد قطع مني الأنامل التي بها اكتسبت الإثم، وأنه لم يبق مني إلا لساني يكون له ذاكرا. قال: فقال له الرجل: متى بدأت بك هذه العلة؟

فقال: أما كفاك؟

الخلق كلهم عبيد الله وعياله فإذا رأيت من العباد عيلة فالشكوى إلى الله، ليس الله يشتكى إلى العباد[٢].

---

(١) «الصبر والثواب عليه» (ص: ٨٩).

(٢) «الصبر والثواب عليه» (ص: ١٣٥).

الفصل الثامن والعشرون: قصص عن قيمة الوقت

٥٩٨- لا تطيقونه الوضوء لكل صلاة

حرص عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

قيل لنافع ما كان يصنع ابن عمر في منزلة قال: لا تطيقونه الوضوء لكل صلاة والمصحف فيما بينهما[١].

٥٩٩- صم الدنيا واجعل فطرك الموت

حرص داود الطائي رحمه الله.

يقول ابن الجوزي رحمه الله جاء أبو الربيع الأعرج إلى داود الطائي من واسط ليسمع منه شيئًا ويراه فأقام على بابه ثلاثة أيام لا يصل إليه، قال وكان إذا سمع الإقامة خرج فإذا سلم الإمام وبث فدخل منزلة، قال فصليت في مسجد آخر ثم جئت فجلس على بابه فلما جاء ليدخل الدار قلت: ضيف رحمك الله، قال: إن كنت ضيفا فادخل فدخلت فقمت عنده ثلاثة أيام لا يكلمني، فلما كان بعد ثلاث قلت: رحمك الله أتيتك من واسط وإني أحببت أن تزودني شيئًا، قال صم الدنيا واجعل فطرك الموت، قلت زدني رحمك الله، قال فر من الناس فرارك من الأسد، غير طاعن عليهم ولا تارك لجماعتهم، قال فذهبت أستزيده فوثب إلي المحراب، وقال الله أكبر، وسأله رجل عن حديث فقال: دعني أبادر خروج نفسي[٢].

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (ص٣٦٦- ٣٦٧).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (ج٧ ص ٣٠٠).

٦٠٠- أرحني بحاجتك فإني أبادر

حرص عامر بن عبد الله: عن سحيم مولي بني تميم: قال جلست إلى عامر بن عبد الله وهو يصلي فتجوز في صلاته ثم أقبل علي، فقال أرحني بحاجتك فإني أبادر؛ قلت وما تبادر؟

قال: ملك الموت رحمك الله قال: فقمت عنه، وقام إلي صلاته وقال رجل قف حتى أكلمك فقال: فأمسك الشمس(١).

٦٠١- كنت أقرا في المصحف فشغلتموني

حرص بشر بن منصور السليمي: قال العباس بن الوليد: أتينا بشر بن منصور بعد العصر فخرج إلينا وكأنه متغير، فقلت له: يا أبا محمد لعلنا شغلناك عن شيء؛ فرد ردا ضعيفا ثم قال: ما أكتمكم أو كلمة نحوها، كنت أقرا في المصحف فشغلتموني، ثم قال: ما أكاد ألقى أحدًا فأربح عليه شيئًا(٢).

٦٠٢- يا بشر صرت مناخ البطالين

حرص أبي جعفر السماك العابد: عن السري قال دخل على أبو جعفر بن السماك وكان شيخًا متعبدًا مترويًا فرأى عندي جماعة فوقف ولم يقعد، ثم نظر إلي وقال: يا بشر صرت مناخ البطالين ورجع ولم يقعد وكره اجتماعهم عندي(٣).

٦٠٣- أجلس مع الصحابة والتابعين

حرص عبد الله بن المبارك رحمه الله: عن نعيم بن حماد قال: كان عبد الله

---

(١) «صيد الخاطر» (ص ٤٦٧).
(٢) المصدر السابق (ج٢ ص ٦٩٣).
(٣) «صفة الصفوة» (ج ١ ص ٤٣٣).

بن مبارك يكثر الجلوس في بيته فيقل له: ألا تستوحش؛ فقال: كيف أستوحش وأنا مع النبي ﷺ؛ وقال شقيق بن إبراهيم قيل لابن المبارك: إذا صليت معالم تجلس معنا؛ قال أذهب أجلس مع الصحابة والتابعين، فقلنا له ومن أين الصحابة والتابعون؛ قال أذهب أنظر في علمي فأدرك أثارهم وأعمالهم، وما أصنع معكم؛ أنتم تغتابون الناس[١].

٦٠٤- وغاية كل ساعة الموت فسابق ومسبوق

حرص أبي مسلم الخولاني رحمه الله.

عن علقمة بن مرثد قال: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين منهم: أبو مسلم الخولاني فإنه لم يكن يجالس أحد يتكلم في شيء من أمر الدنيا! إلا تحول عنه، فدخل ذات يوم المسجد فنظر إلى نفرا قد اجتمعوا فرجا أن يكونوا على ذكر الله تعالى، فجلس إليهم وإذا بعضهم يقول: قدم غلامي فأصاب كذا وكذا وقال آخر: جهزت غلامي فنظر إليهم وقال سبحان الله أتدرون ما مثلي ومثلكم؛ كمثل رجل أصابه مطر غزير وابل فالتفت فإذا هو بمصراعين عظيمين فقال: لو دخلت هذا البيت حتي ذهب هذا المطر، فدخل هذا البيت لا سقف له جلست إليكم وأنا أرجو أن تكونوا على ذكر وخير فإذا أنتم أصحاب دنيا، وقال له قائل: حين كبر ورق. لو قصرت عن بعض ما تصنع؛ فقال أرايتم لو أرسلتم الخيل في الحلبة، ألستم تقولون لفارسها دعها وأرفق بها حتى إذا رأيتم الغاية لم تستبقوا منها شيئًا؛ قالوا: بلى، قال: فإني قد أبصرت الغاية، وأن لكل ساعة غاية وغاية كل ساعة الموت فسابق ومسبوق[٢].

---

(١) المصدر السابق (ج ٢ ص ٧٧٩).

(٢) «صفة الصفوة» (ج٢ ص ٨٢٠).

٦٠٥- إن ملك الشمس لا يفتر في سوقها

حرص معروف الكرخي رحمه الله:

كان جماعة قعودا عند معروف فأطالوا فقال: إن ملك الشمس لا يفتر في سوقها أفما تريدون القيام[١].

٦٠٦- أن بقيت فقد سمعت حسنا

حرص أبي سفيان رحمه الله:

وعن فرقد إمام مسجد البصرة أنهم دخلوا على سفيان في مرض موته فحدثه رجل بحديث فأعجبه وضرب سفيان يده تحت فراشة فأخرج ألواحا فكتبه، فقالوا له على هذا الحال منك؟؟!

فقال: إنه حسن، أن بقيت فقد سمعت حسنا، وأن مت فقد كتبه حسنا[٢].

٦٠٧- ما صح لي أكله لاشتغالي بالدرس وأخذ النوبة

حرص أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف رحمه الله:

قال أنه اشتهي ثريدا بماء باقلاء قال: فما صح لي أكله لاشتغالي بالدرس وأخذ النوبة[٣].

---

(١) «صيد الخاطر» (ص ٤٦٧).

(٢) «علو الهمة» (ص٢٠٧).

(٣) المصدر السابق (ج ١٤ ص٨).

الفصل التاسع والعشرون مع أهل الرضا بالقضاء

٦٠٨- يا بنى قضاء الله سبحانه عندي أحسن من بصرى

لما قدم سعد بن أبي وقاص إلى مكة وقد كان كف بصره جاءه الناس يهرعون إليه كل واحد يسأله أن يدعو له فيدعو لهذا ولهذا وكان مجاب الدعوة قاله عبد الله بن السائب فأتيته وأنا غلام فتعرفت إليه فعرفنى وقال أنت قارئ أهل مكة قلت نعم فذكر قصة قال في آخرها فقلت له يا عم أنت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك فرد الله عليك بصرك فتبسم وقال يا بنى قضاء الله سبحانه عندي أحسن من بصرى[١].

٦٠٩ - ما رأيت مثل ابنك ابنا

عن سبرة بن عبد العزيز بن سبرة قال حدثنى أبي عن أبيه قال لما هلك عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز وسهل بن عبد العزيز ومزاحم مولى عمر في أيام متتابعة دخل عليه الربيع بن سبرة فقال عظم الله أجرك يا أمير المؤمنين فما رأيت أحدًا أصيب بأعظم من مصيبتك في أيام متتابعة والله ما رأيت مثل ابنك ابنا ولا مثل أخيك أخا ولا مثل مولاك مولى قط فطأطأ رأسه فقال لى رجل معه على الوسادة لقد هيجت عليه قال ثم رفع رأسه فقال كيف قلت الآن يا ربيع فأعدت عليه ما قلت أولا فقال لا والذي قضى عليه أو قال عليهم الموت ما أحب أن شيئًا كان من ذلك لم يكن[٢].

---

(١) «إحياء علوم الدين» ومعه تخريج الحافظ العراقي (٦/ ٤٣٩).

(٢) «المعرفة والتاريخ» للفسوي (١/ ٦١٠)، و«الآثار الواردة» (١/ ٢٤١)، و«الرضا عن

٦١٠- ما أحب أن هذا الذي بي بأعتى الديلم على الله

عن عمرو بن مرة قال كان الربيع بن خثيم قد أصابه فالج قال فسال من فيه ماء فجرى على لحيته فرفع يده فلم يستطيع أن يمسحه فقام اليه بكر بن ماعز فمسحه عنه فلحظه ربيع ثم قال يا بكر والله ما أحب أن هذا الذي بي بأعتى الديلم على الله(١).

٦١١- طوبى لمن وجد غداء ولم يجد عشاء

عن ابن شوذب قال اجتمع مالك بن دينار ومحمد بن واسع فتذاكرا العيش فقال مالك ما شيء أفضل من أن يكون للرجل غلة يعيش فيها فقال محمد طوبى لمن وجد غداء ولم يجد عشاء ووجد عشاء ولم يجد غداء وهو عن الله ﷻ راض أو قال والله عنه راض(٢).

٦١٢- إن ربي آ اختبرني فأحببت أن أزيده

قال أبو عمرو الكندي: أغارت الروم على جواميس لبشير الطبري نحو من أربع مائة جاموس قال فاستركبني فركبت معه أنا وابن له قال فلقينا عبيده الذين كانوا مع الجواميس معهم عصيهم قالوا يا مولانا ذهبت الجواميس فقال وأنتم أيضًا فاذهبوا معها فأنتم أحرار لوجه الله فقال له ابنه يا أبت أفقرتنا فقال أسكت أي بني إن ربي ﷻ اختبرني فأحببت أن أزيده(٣).

الله بقضائه» (ص: ١٠٣).

(١) «ابن سعد» (٦ / ١٨٩، ١٩٠)، و«المعرفة والتاريخ» (٢ / ٥٧١). وانظر: «الحلية» (٢ / ١١٣، ١١٥).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٣٥٧)، و«الرضا عن الله بقضائه» (ص: ٥٤).

(٣) «حلية الأولياء» (١٠/ ١٣٠) و«الرضا عن الله بقضائه» (ص: ٥٥).

٦١٣- كيف أصبحت يا أبا محمد

عن على بن الحسين قال كان رجل بالمصيصة ذاهب النصف الأسفل لم يبق منه إلا روحه في بعض جسده ضرير على سرير مثقوب فدخل عليه داخل فقال له كيف أصبحت يا أبا محمد قال ملك الدنيا منقطع إلى الله ما لي اليه من حاجة إلا أن يتوفاني على الاسلام[١].

٦١٤- إن لي من لا يغفل عني

عن عبد الله البراثي قال: قال لي خلف البريراني: أتيت برجل مجذوم ذاهب اليدين والرجلين أعمى فجعلته مع المجذومين فغفلت عنه أيامًا ثم ذكرته فقلت يا هذا إني غفلت عنك.

فقال: لي المجذوم إن لي من لا يغفل عني.

قلت: إني أنسيتك.

قال: إن لي من لا ينساني.

قلت: إني لم أذكرك.

قال: إن لي من يذكرني قد شغلتني عن ذكر الله.

قلت: ألا أزوجك امرأة تنظفك من هذه الأقذار؟

فبكى ثم قال لي يا خلف تزوجني وأنا ملك الدنيا وعروسها عندي؟!

قلت: ما الذي عندك من ملك الدنيا وأنت ذاهب اليدين والرجلين أعمى تأكل كما تأكل البهائم؟!

قال رضاي عن الله ﷻ إذ أبلى جوارحي وأطلق لساني بذكره.

قال فوقع مني بكل منزلة فما لبث إلا يسيرًا حتى مات فأخرجت له

(١) «الرضا عن الله بقضائه» (ص: ٨٩).

كفنًا كان فيه طول فقطعت منه فأتيت في منامي فقيل لي يا خلف بخلت على ولي بكفن طويل قد رددنا عليك كفنك وكفناه عندنا في السندس والإستبرق.

قال فنهضت إلى بيت الأكفان فإذا الكفن ملقى![1].

(١) «الصبر» (ص: ٢٧) لابن أبي الدنيا.

الفصل الثلاثون: قصص في الكسب الحلال

٦١٥- إني أحب أن آكل من عمل يدي

ذكر معمر عن رجل من أصحابه قال: دخل قوم على سلمان وهو أمير على المدائن وهو يعمل هذا الخوص، فقيل له: لم تعمل هذا وأنت أمير يجري عليك رزق؟!

فقال: إني أحب أن آكل من عمل يدي[١].

وذكر أنه تعلم عمل الخوص بالمدينة من الأنصار عند بعض مواليه،

وذكر ابن وهب وابن نافع عن مالك قال كان سليمان يعمل الخوص بيده فيعيش منه ولا يقبل من أحد شيئًا[٢].

٦١٦- سيأكل آل أبي بكر من هذا المال ويحترف للمسلمين

عن عائشة رضي الله عنها قالت لما استخلف أبو بكر قال: لقد علم قومي أن حرفتي لم تكن تعجز عن مؤونة أهلي وشغلت بأمر المسلمين فسيأكل آل أبي بكر من هذا المال ويحترف للمسلمين[٣].

٦١٧- أفرض لك قوت رجل من المهاجرين

وأخرج بن سعد عن عطاء بن السائب قال لما رجع أبو بكر أصبح

---

(١) «جمهرة الأجزاء» (ص ٧٤) لأبي بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان المعروف بابن المقرئ، و«مصنف عبد الرزاق» (٨ / ٤١٨، رقم ١٥٧٦٨)، «الإستيعاب في معرفة الأصحاب» (١ / ١٩١).

(٢) «الاستيعاب» (ج١ ص١٩١٤).

(٣) أخرجه البخاري (رقم ١٩٦٤).

وعلى ساعده أبراد وهو ذاهب إلى السوق فقال عمر: أين تريد؟

قال: السوق قال: تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين؟

قال: فمن أين أطعم عيالي؟

أنطلق يفرض لك أبو عبيده فانطلقا إلى أبي عبيده فقال: أفرض لك قوت رجل من المهاجرين ليس بأفضلهم ولا أوكسهم وكسوة الشتاء والصيف وإذا أخلقت شيئًا رددته وأخذت غيره ففرضنا له كل يوم نصف شاه وما كساه في الرأس والبطن(١).

وروي ابن ماجة عن أم سلمة أن أبا بكر خرج تاجرا إلى بصري في عهد رسول الله ﷺ.

٦١٨- كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية

۞ حرص أبي بكر رضي الله عنه على أن يكون مطعمه حلال.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان لأبي بكر غلام له يخرج له خارج وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يوما بشيء فأكل منه أبو بكر فقال له الغلام أتدري ما هذا؟

فقال أبو بكر، وما هو؟

قال كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية وما أحسن الكهانة إلا أني خدعته فلقيني فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلت منه قالت فادخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه(٢).

---

(١) «جامع الأحاديث» (٢٥ / ٢٠٩)، وأخرجه ابن سعد (١٨٤/٣)، وأخرجه أيضًا: ابن الجوزي في «صفوة الصفوة» (٢٥٧/١).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٩٥/٣، رقم ٣٦٢٩)، والبيهقي (٩٧/٦، رقم ١١٣٠٧)، وأخرجه أيضًا: البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٩/٥، رقم٥٧٧٠).

٦١٩- من أين لك هذا

❁ عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

عن زيد بن أسلم قال شرب عمر رضي الله عنه لبنا فأعجبه فقال للذي سقاه من أين لك هذا؟

فأخبره أنه ورد على الماء "قد سماه" فإذا نعم من نعم الصدقة، ويستقون فحلبوه لي من ألبانها فجعلته في سقائي، وهو هذا، فأدخل عمر يده فاستقاءه(١).

٦٢٠- يا عدو الله لهزت أمير المؤمنين

عن إصبع بن نباته قال: خرجت أنا وأبي من ذرود حتى ننتهي إلى المدينة في غلس والناس في الصلاة فانصرف الناس من صلاتهم فخرج الناس على أسواقهم ورفع رجل معه درة فقال: يا أعرابي أتبيع، فلم أزل أساوم به حتى أرضاه على ثمن وإذا هو عمر بن الخطاب فجعل يطوف في السوق يأمرهم بتقوى الله عز وجل يقبل فيها ويدبر، ثم تأخر على أبي، فقال له، حبستني أليس هذا وعدتني ثم مر الثانية فقال له: مثل ذلك فرد على عمر: لا أزيد حتى أوفيك ثم مر به الثالثة، فوثب أبي مغضبا فأخذ بثياب عمر فقال له: كذبتني وظلمتني ولهزه فوثب المسلمون إليه: يا عدو الله لهزت أمير المؤمنين فأخذ عمر ثياب أبي فجره ولا يملك من نفسه شيئًا وكان شديدًا، فانتهى به إلى قصاب فقال: عزمت أو أقسمت عليك لتعطين هذا حقه فلك ربحي وكان عمر باع الغنم منه، فقال يا أمير المؤمنين لا ولكن أعطي هذا حقه وأهبك ربحك فاخرج حقه فأعطاه فقال له عمر:

---

(١) «نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم» (٨ / ٣٤٨٢)، و«مختصر شعب الايمان» (٥٣).

استوفيت، فقال: نعم، فقال له عمر: بقي حقنا عليك لهزتك التي لهزتني قد تركتها لله ﷻ ولك، قال الإصبع، وكأني انظر إليه يعني عمر، أخذ ربحه لحما معلقه في يده اليمني الدرة التي يدور في الأسواق حتى دخل رحله[١].

٦٢١- التقطي السنبل ولا تأكل الصدقة

عن ميمون بن مهران عن أبيه قال: قالت أم الدرداء لأبي الدرداء: إن احتجت بعدك أكل الصدقة، قال: لا اعلمي وكلي، قالت فإن ضعفت عن العمل، قال: التقطي السنبل ولا تأكل الصدقة[٢].

٦٢٢- إنما الزهد في الحلال

كان أبو يوسف الغسولي يلزم الثغور ويغزو فكان إذا غزا مع الناس ودخلوا بلاد الروم أكل أصحابه من ذبائحهم وفواكههم وهو لا يأكل فيقال له: يا أبا يوسف أتشك أنه حلال؛ فيقول: لا، فيقال له فكل من الحلال فيقول: إنما الزهد في الحلال[٣].

٦٢٣- يا سري بن المغلس فالنفقة التي بلغتك

قال السري رجعت من بعض المغازي فرأيت في طريقي ماء صافيا وحوله نبت من حشيش قد نبت، فقلت في نفسي يا سري: إن كنت يوما أكلت أكله حلال وشربت شربة حلال فاليوم فنزلت عن دابتي فأكلت من

---

(١) «إصلاح المال» (رقم ٢١٢).

(٢) «صفة الصفوة» (ج١ ص٢٠٧)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣ / ٢٠٨، رقم ١٠٧٧٤).

(٣) «شعب الإيمان» (٧ / ٥١٧، رقم ٥٣٩٩)، و«الزهد الكبير» للبيهقي (٢ / ٤٦٥، رقم ٩٥٩)، «بغية الطلب في تاريخ حلب» (٤ / ٤٠٠).

ذلك الحشيش وشربت من ذلك الماء فهتف بي هاتف سمعت الصوت ولم أر الشخص: يا سري بن المغلس فالنفقة التي بلغتك إلى هاهنا من أين فقصر إلى نفسي[١].

٦٢٤- حتى يصفو لي حب الباذنجان

قال الحسن بن عمرو سمعت أبا نصر التمار يقول: أتاني بشر ليلة فقلت الحمد لله الذي جاء بك قد جاءنا قطن من خراسان فغزلته البنت وباعته واشترت لنا لحما فتقطر عندنا، قال: لو أكلت عند أحد أكلت عندكم: إني لأشتهي الباذنجان منذ سنين، فقلت وإن فيها لباذنجان من الحلال، فقال حتى يصفو لي حب الباذنجان[٢].

٦٢٥- جزاك الله خيرًا أو صلت الخير إلى أهله

الشيخ خليفة بن شقير الحراني رحمه الله. كان من أعبد أهل زمانه، وكان يصلي من بكرة إلى العصر، وكان يقوم طول الليل قال: مضيت إلى زيارة القدس على رجلي فوصلت وأنا جائع فنمت فإذا رجل يوقظني فإذا رجل معه طبيخ فقال: اقعد كل، فقلت كيف آكل وأنا لا اعلم من أين هو؟

فقال هو حلال وما عملته إلا لأجلك، فأكلت، ثم جاءني مرة ثانية فقال: جاءني أربعة رجال فقالوا: جزاك الله خيرًا أو صلت الخير إلى أهله[٣].

٦٢٦- ما الذي بلغ بك هاهنا

---

(١) «شعب الإيمان» للبيهقي (٥ / ٦٢، رقم ٥٧٨٤)، و«الزهد الكبير» للبيهقي (٢ / ٤٦٧)، و«الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل» (١ / ٢٩٥).

(٢) «الرسالة القشيرية» (ص: ٦٧)، و«صفة الصفوة» (٢ / ٣٢٩)، و«تاريخ الإسلام» للإمام الذهبي (١٦ / ١٠٧).

(٣) «تاريخ الإسلام» للإمام الذهبي (٤٤ / ١٨٨).

۞ الحسن بن يحي ﷺ .

عن عفان قال: لقي رجل الحسن بن يحيى بأرض الحبشة معه تجارة فقال له: ما الذي بلغ بك هاهنا؛ فعزله الرجل فقال: أكل هذا طلب الدنيا وحرصا عليها؟!

فقال الحسن: يا هذا إن الذي حملني على هذا كراهة الحاجة إلى مثلك(١).

١٦٢٧- وأنت أيضًا تعالج البز

عن سعيد بن أبي عروبة قال: كنت منذ ثلاثين سنة لقيت ابنا لأبي هريرة بعمان يعالج البز فقلت له: وأنت أيضًا تعالج البز؛ فحدثني عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ استشاره رجل في البيوع فأشار بالبز « اجتلبت الخصب للمسلمين » وكذا وكذا وعدد رسول الله ﷺ أشياء(٢).

٦٢٨- هذا والله الكسب الحلال

۞ مالك بن دينار ﷺ.

قال دخل عليّ جابر بن زيد وأنا أكتب في المصحف فقال: نعم العمل تعمل، بنقل كتاب الله ﷻ ورقة ورقة، هذا والله الكسب الحلال(٣).

٦٢٩- لا تلهيهم التجارة وبيع

عن أبي يحيى بن عمرو بن ديثار قال: كنت مع سالم بن عبد الله ونحن نريد المسجد فمررنا بسوق المدينة وقد قاموا إلى الصلاة وخمروا متاعهم فنظر سالم إلى أمتعتهم ليس معها أحد فتلا سالم هذه الآية: ﴿رِجَالٌ

---

(١) «إصلاح المال» (رقم ٢٢٦).

(٢) «إصلاح المال» (رقم ٢٣١)، و«الآداب الشرعية» (٣ / ٤٥٥).

(٣) المصدر السابق (رقم ٣٠٤)، و«حلية الأولياء» (٢ / ٣٦٧)، و«سير أعلام النبلاء» (٥ / ٣٦٤).

﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النور:٣٧] ثم قال هم هؤلاء، وكذا قال سعيد بن أبي الحسن والضحاك: لا تلهيهم التجارة وبيع أن يأتوا الصلاة في وقتها(١).

٦٣٠- ضعها عندك حتى نحتاج إليها

مورق العجلي ﷺ. كان مورق يتجر فيصيب المال فلا يأتي عليه جمعه وعنده منه شيء يلقى الأخ فيعطيه أربعمائة خمسمائة ثلاثمائة، فيقول: ضعها عندك حتى نحتاج إليها، قال: ثم يلقاه بعد ذلك فيقول لا حاجة لي فيها، فيقول: إنا والله ما نحن بآخذيها أبدًا فشأنك بها(٢).

٦٣١- حماد بن سلمة ﷺ

عن سوار بن عبد الله قال: حدثنا أبي قال: كنت أتي حماد بن سلمة في سوقه فإذا ربح في ثوب حبة أو حبتين شد جونته(٣) فلم يبيع شيئًا فكنت أظن أن ذلك يقوته، فإذا وجد قوته لم يزد عليه شيئًا(٤).

٦٣٢- أبو يوسف من أين يأكل

۞ أبي يوسف الغسولي ﷺ.

قال: أنا أتفقه في مطعمي من ستين سنة،

وقال المروزي: وسمعت بعض المشيخة يقول سمعت أبا يوسف الغسولي يقول: إنه ليكفيني في السنة اثنا عشر درهما في كل شهر درهم

---

(١) «تفسير ابن كثير» تفسير سورة النور.

(٢) «صفة الصفوة» (ج٢ ص٦٢١).

(٣) الجونة: سليلة مستديرة مغشاة بالجلد، يحفظ العطار فيها الطيب.

(٤) «صفة الصفوة» (ج٢ ص٦٨٥)، و«تهذيب الكمال» (٧ / ٢٦٥)، و«سير أعلام النبلاء» (٧ / ٤٤٨).

وما يحملني على العمل إلا ألسنة هؤلاء القراء يقولون: أبو يوسف من أين يأكل[١].

٦٣٣-أجمع أهل مصر أنه مستجاب الدعوة

۞ الحسن بن الخليل بن مرة ﷺ.

قال: عبد الله بن صالح: ما رأيت بمصر من أُفضله على الحسن بن الخليل في زهده وورعه، ولقد رأيته يحمل دقيقا في جراب للناس بأجرة يتقوت بها في كل يوما، ثم زاد أمره فلم يكن يدخر لوقت يأتي، وعليه مدرعة قيمتها أقل من درهم وأجمع أهل مصر أنه مستجاب الدعوة[٢].

٦٣٤- لا يتوارث أهل ملتين

۞ الحارث بن أسد البغدادي المحاسبي.

قال الجنيد: خلف له أبوه مالا كثير فتركه، وقال: لا يتوارث أهل ملتين وكان أبوه واقفًا[٣]، ولقد كان ﷺ شديد الحرص على تحري الحلال والبعد عن الحرام، قال الجنيد واجتاز الحارث يوما بي فرأيت في وجهه الضر من الجوع فدعوته وقدمت له ألوانا، فأخذ لقمة فرأيته يلوكها، فوثب وخرج ولفظ اللقمة، فلقيته فعاتبته فقال: أما الفاقة فكانت شديدة، ولكن إذا لم يكن الطعام مريضا ارتفع إلى أنفي منه زفرة، فلم أقلبه[٤].

٦٣٥- إني نويت بيعها للذين أتوا البارحة.

---

(١) «صفة الصفوة» (ج٢ ص٨٥٨)، و«الحث على التجارة والصناعة» لأبي بكر بن الخلال (رقم ٣٣).

(٢) «صفة الصفوة» (ج٢ ص٨٨٣).

(٣) أي: يقف في مسألة خلق القرآن، فلا يقول: مخلوق أو غير مخلوق

(٤) «سير أعلام النبلاء» (ج١٠ ص٩٤-٩٥)، و«حلية الاولياء» (١٠ / ٧٥)، و«وفيات الأعيان» (٢ / ٥٧).

۞ **الإمام الحجة أبو عبد الله البخاري ﷺ.**

عن بكر منير قال: كان حمل البخاري بضاعة أنفذها إليه ابنه أحمد، فاجتمع بعض التجار إليه فطلبوها بربح خمسة آلاف درهم، فقالوا: انصرفوا الليلة، فجاءه من الغد تجار آخرون فطلبوا منه البضاعة بربح عشرة آلاف، فقال: إني نويت بيعها للذين أتوا البارحة(١).

وفي ذلك الأثر: أن الإمام البخاري رغم علو كعبه في العلم والحديث لم يمنعه ذلك أن يسعى ويتاجر ويطلب الكسب الحلال.

وفيه: التزام البخاري ﷺ بوعده وبما قال وإن كان في ذلك ضياع ذلك الربح الكبير، لأن الصدق من صفات المؤمنين.

٦٣٦- درهم أصيبه بكد يعرق به جبيني

۞ **حرص أبي همام شريك.**

عن وهب كيسان ﷺ، قال مرّ رجل برجل يتصدق على المساكين فقال: أبو همام شريك درهم أصيبه بكد يعرق به جبيني أحب إلي من صدقة هؤلاء مائة ألف ومائة ألف ومائة ألف(٢).

٦٣٧- كذا يكون الورع

منصور عن موسى عن منصور عن موسى بن عبد الله أن أباه بعث غلامًا له إلى أصبهان بأربعة آلاف فبلغ المال ستة عشر ألفًا أو نحو ذلك، فبلغه أنه مات فذهب يأخذ المال فبلغه أنه كان يقارف الربا، قال: فأخذ

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (ج١٠ص٣٠٧)، و«تاريخ بغداد» (٢ / ١١، ١٢)، و«طبقات السبكي» (٢ / ٢٢٧)، و«مقدمة الفتح» (ص:٤٨٠).

(٢) «الورع» للإمام أحمد بن حنبل (ص٢٠).

أربعة آلاف وترك البقية[١].

٦٣٨ ما رأيت بقولا أرطب ولا أطيب من هذا

۞ **أبو مسلمة بن مسلم** ﷺ.

كان يتغدى يوما وعلى الخوان بقول حسان فكان يأكل منها فقال: ما رأيت بقولا أرطب ولا أطيب من هذا، من أين هذا؟

قال من حائط فلان سماه فقام من الخوان فاستقاء حتى رمي به [٢].

٦٣٩- البراءة من المال الحرام

۞ **يزيد بن زويع أبو معاوية شيخ الإمام أحمد.**

كان ثقة عالما عأبدًا وراعا توفي أبوه وكان والي البصرة وترك من المال خمسمائة درهم فلم يأخذ منها يزيد درهما، وكان يعمل الخوص بيده ويقتات منه هو وعياله[٣].

٦٤٠- روع كهمس بن الحسن ﷺ

قيل إن كهمس سقط منه دينار ففتش عليه فلقيه فلم يأخذه وقال لعله غيره، وكان ﷺ بارا بأمه فلما ماتت حج وأقام بمكة حتى مات وكان يعمل في الجص وكان يؤذن[٤].

٦٤١- إن فرسك خير من ثلاثمائة

جرير بن عبد الله ﷺ روي الطبراني أن غلام يعني جرير اشترى

---

(١) «الورع» (ص٤٥)، و«بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب» (١ / ٣٥٨).
(٢) «الورع» للإمام أحمد بن حنبل (ص ٨٥).
(٣) «البداية والنهاية» (١٠ / ١٩٦).
(٤) «تاريخ الإسلام» للإمام الذهبي (٩ / ٢٥٩).

له فرسا بثلاثمائة فلما رآه جاء إلى صاحبه فقال: إن فرسك خير من ثلاثمائة فلم يزل يزيده حتى أعطاه ثمانمائة[١]

٦٤٢-فهلا رضيت له بما ترضاه لنفسك

❁ يونس بن عبيد رحمه الله.

كان رحمه الله تاجرًا وعنده حلل مختلفة الأثمان منها نوع ثمن كل حله منه أربعمائة درهم، ونوع كل حلة مائتا درهم، فذهب إلى الصلاة وخلف ابن أخيه فجاء أعرابي إلى الدكان وطلب حلة بأربعمائة فعرض عليه من حلل المائتين، فاستحسنها ورضيها فاشتراها بأربعمائة درهم، فمشي بها وهي على يديه فاستقبله يونس فعرف حلته،

فقال للأعرابي بكم اشتريت؛ فقال: بأربعمائة درهم، فقال يونس لا تساوي أكثر من مائتين فارجع حتى تردها، فقال الأعرابي: هذه تساوي في بلدنا خمسمائة وأنا ارتضيها فقال له: يونس انصرف معي فإن النصح في الدنيا خير من الدنيا بما فيها، ثم رده إلى الدكان ورد عليه مئتي درهم وخاصم ابن أخيه في ذلك، وقال له: أما استحيت من الله؛ تربح مثل الثمن وتترك النصح للمسلمين؛ فقال: والله ما أخذها إلا وهو راض بها، فقال: فهلا رضيت له بما ترضاه لنفسك[٢].

٦٤٣- أبرأ لك من عيب فيها

الأصمعي: حدثنا سكن صاحب الغنم قال: جاءني يونس بن عبيد بشاة فقال: بعها وأبرأ من أنها تقلب العلف وتنزع الوتد فبين قبل أن يقع البيع[٣].

---

(١) «تهذيب الأسماء» (١ / ٢٠٥).

(٢) «اللامبالاة وأثرها علي الفرد والمجتمع»

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٢٩٠) ولفظ «الحلية» (٣ / ١٨): ولا تبرأ بعد ما تبيع،

ولكن ابرأ، وبين قبل أن يقع البيع.

الفصل الحادي والثلاثون: قصص عن قضاء الحوائج

٦٤٤- لأن يُرى ثوبك على صاحبك أحسن من أن يُرى عليك

عن حسين بن عبدالله بن عبيد الله بن عباس أنه قال لابن أخيه لأن يرى ثوبك على صاحبك أحسن من أن يرى عليك ولأن ترى دابتك تحت صاحبك أحسن من أن ترى تحتك[١].

٦٤٥- لو مشى معك في حاجتك أحب إلي من اعتكاف شهر

عن عبيد الله بن الوليد عن أبي محصن قال جاء رجل إلى الحسين بن علي فسأله أن يذهب معه في حاجة فقال إني معتكف فأتي الحسن فأخبره فقال الحسن لو مشى معك في حاجتك أحب إلي من اعتكاف شهر[٢].

٦٤٧- أهذه ساعة شعر

ذكر إسماعيل ابن الحسن بن زيد قال كان أبي يغلس بصلاة الفجر فأتاه مصعب ابن ثابت بن عبد الله بن الزبير وابنه عبد الله بن مصعب يوما حين انصرف من صلاة الغداة وهو يريد الركوب إلى ماله بالغابة فقال اسمع مني شعرا قال ليست هذه ساعة ذاك أهذه ساعة شعر فقال بقرابتك من رسول الله ﷺ إلا سمعته قال فأنشده لنفسه...

يا ابن بنت النبي وابن علي ... أنت أنت المجير من ذا الزمان
من زمان ألح ليس بناج ... منه من لم يجرهم الخافقان

(١) «قضاء الحوائج» (ص: ٣٤).
(٢) «قضاء الحوائج» (ص: ٦٣).

مـــن ديـــون خفرتنـــا معضـــلات بيـــد الشـــيخ مـــن بـــنى ثوبـــان
في صـــكاك مكعبـــات علينـــا بمئـــين إذا عـــددت ثمـــان
بـــأبى أنـــت إن أخـــذت وأمي ضـــاق عـــيش النســـوان والصـــبيان

قال فأرسل إلى ابن ثوبان فسأله فقال على الشيخ سبعمائة وعلى ابنه مائة فقضى عنهما وأعطاهما مائتي دينار سوى ذلك[١].

٦٤٨- أنجاه الله من كرب يوم القيامة

عن عبدالله بن قتادة عن أبيه أنه كان يطلب رجلا بدين واختفى منه فقال ما حملك على ذلك قال العسرة فاستحلفه على ذلك فحلف فدعا بصك فأعطاه وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أنسأ معسرا أو وضع له أنجاه الله من كرب يوم القيامة»[٢].

(١) «قضاء الحوائج» (ص: ٦٤).
(٢) «قضاء الحوائج» (ص: ٩٠).

الفصل الثاني والثلاثون: حقوق الأخوة والحب في الله

٦٤٩ - عيادة النبي ﷺ لزيد بن أرقم

عن زيد بن أرقم، قال: أصابني رمد فعادني النبي ﷺ، قال: فلما برأت خرجت، قال: فقال لي رسول الله ﷺ: " أرأيت لو كانت عيناك لما بهما ما كنت صانعا؟

" قال: قلت: لو كانتا عيناي لما بهما صبرت واحتسبت، قال: " لو كانت عيناك لما بهما، ثم صبرت واحتسبت، للقيت الله ﷻ ولا ذنب لك "، قال إسماعيل: " ثم صبرت واحتسبت، لأوجب الله لك الجنة "[(١)].

٦٥٠ - عيادة النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص

عن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال كان رسل الله ﷺ يعودني في عام حجة الوداع من وجع اشتد بي، فقلت: إني قد بلغ بي من الوجع، وأنا ذا مال، ولا يرثني إلا ابنة لي، فأتصدق بثلثي مالي؛ قال: لا فقلت: فالشطر؛ فقال: لا؛ ثم قال: الثلث والثلث كبير أو كثير إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس، وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها، حتى ما تجعل في فيّ امرأتك قلت: يا رسول الله أخلف بعد أصحابي، قال إنك لن تخلف فتعمل عملا صالح إلا ازددت به درجة ورفعة، ثم لعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويضربك آخرون:

---

(١) «مسند أحمد» ط الرسالة (٣٢ / ٩٣) (ح ١٩٣٨)، وأخرجه أبو داود (٣١٠٢)، والحاكم (٣٤٢/١)، والبيهقي في «السنن» (٣٨١/٣).

اللهم أمضي لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم[١].

٦٥١- عيادة النبي ﷺ لجابر رضي الله عنه

وعن جابر رضي الله عنه مرضت مرضا فأتاني النبي ﷺ يعودني وأبو بكر وهما ماشيان فوجداني أغمي علي فتوضأ رسول الله ﷺ ثم صب وضوءه علي ، فأفقت فإذا النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله كيف أصنع في مالي؛ كيف أقضي في مالي؛ فلم يجبني بشيء حتى نزلت آية الميراث[٢].

٦٥٢- عبادة النبي ﷺ لأعرابي

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ دخل على أعرابي يعوده، قال وكان النبي ﷺ إذا دخل على مريض يعوده قال له: لا بأس طهور إن شاء الله، قال قلت طهور؛ كلا بل هي حمي تفور أو تثور على شيخ كبير تزيره القبور، فقال ﷺ " فنعم إذا "[٣].

٦٥٣- عيادة النبي ﷺ لسعد بن عبادة رضي الله عنه

عن أسامة بن زيد، أخبره: أن النبي ﷺ ركب حمارا عليه إكاف تحته قطيفة فدكية، وأردف وراءه أسامة بن زيد، وهو يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج، وذلك قبل وقعة بدر حتى مر بمجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان، واليهود، فيهم عبد الله بن أبي، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر

---

(١) أخرجه أحمد (٣ / ١٠٩)، والبخاري في «صحيحه» (٥٦) و(٣٩٣٦) و(٧٥٢)، ومسلم (١٦٢٨) (٥).

(٢) رواه البخاري (٥٦٥١)، ومسلم (١٦١٦)، وأحمد (١٣٨٨٦)، والترمذي (٢٠٩٧)، والنسائي (١٣٨)، وأبو داود (٢٨٨).

(٣) «مسند أحمد» (٢١ / ٢٢٤)، وأخرجه البخاري في «صحيحه» (٣٦١٦) و(٥٦٥٦) و(٥٦٦٢) و(٧٤٧٠).

عبد الله بن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا. فسلم عليهم النبي ﷺ، ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن، فقال له عبد الله بن أبي: أيها المرء لا أحسن من هذا، إن كان ما تقول حقا فلا تؤذينا في مجالسنا، وارجع إلى رحلك، فمن جاءك منا، فاقصص عليه. قال عبد الله بن رواحة: اغشنا في مجالسنا، فإنا نحب ذلك.

قال: فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى هموا أن يتواثبوا، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم، ثم ركب دابته حتى دخل على سعد بن عبادة فقال: " أي سعد، ألم تسمع ما قال أبو حباب، يريد عبد الله بن أبي، ؟

قال: كذا وكذا " فقال: اعف عنه يا رسول الله واصفح، فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك، ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة أن يتوجوه فيعصبوه بالعصابة، فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاكه، شرق بذلك، فذاك فعل به ما رأيت. فعفا عنه النبي ﷺ(١).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما أصيب سعد بن معاذ يوم الخندق رماه رجل في الأكحل فضرب عليه رسول الله ﷺ خيمة في المسجد فيعوده من قريب(٢).

وعن زيد بن أرقم قال: عادني رسول الله ﷺ "من وجع كان بعيني"(٣).

٦٥٤- عيادة النبي ﷺ أم العلاء

عن أم العلاء وهي عمة حكيم بن حزام وكانت من المبايعات رضي الله عنها

---

(١) «مسند أحمد» (١٠٣/٣٦)، وأخرجه البخاري (٢٩٨٧) و(٥٩٦٤)، أخرجه مسلم (١٧٩٨)، والترمذي (٢٧٠٢).

(٢) «مسند أحمد» (٤٠ / ٣٣٦)، والبخاري (٤٦٣) و(٤١٢٢)، ومسلم (١٧٦٩)، وأبو داود (٣١٠١).

(٣) «مسند أحمد» (٣٢ / ٩٤)، وأخرجه أبو داود (٣١٠٢)، والحاكم (٣٤٢/١)، وحسنه الألباني في «صحيح أبي داود» (٢٦٥٩).

قالت عادني رسول الله ﷺ وأنا مريضة فقال يا أم العلاء أبشري فإن مرض المسلم يذهب الله به خطاياه كما تذهب النار خبث الحديد والفضة [١].

٦٥٥- عيادة الحارث بن سويد عن عبد الله رضي الله عنه للنبي ﷺ

عن الحارث بن سويد عن عبد الله رضي الله عنه أتيت النبي ﷺ في مرضه فمسسته وهو يوعك وعكا شديدا: فقلت، إنك لتوعك وعكا شديد وذلك أن لك اجرين، قال: أجل وما من مسلم يصيبه أذى إلا حات عنه خطاياه كما تحات ورق الشجر،

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبس ﷺ دخل عليه الناس يعودونه في مرضه فصلي بهم جالسا فجعلوا يصلون قياما فأشار إليهم أن أجلسوا، فلما فرغ قال: إن الإمام ليؤتم به فإذا ركع فاركعوا، وإذا رفع فارفعوا، وإن صلي جالسا فصلوا جلوسا: قال أبو عبيد الله هذا الحديث منسوخ لأن النبي ﷺ آخر ما صلى قاعدا والناس خلفه قيام[٢].

حرص الصحابة رضي الله عنهم على زيارة بعضهم بعضا

٦٥٦- عيادة عائشة لأبي بكر وبلال رضي الله عنهما

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك أبو بكر وبلال رضي الله عنهم قالت: فدخلت عليهما فقلت: يا أبت كيف تجدك؛ ويا بلال كيف تجدك؛ قالت وكان أبو بكر إذا أخذته الحُمى يقول:-

---

(١) أخرجه أبو داود (١٨٤/٣، رقم ٣٠٩٢)، وعبد بن حميد (ص ٤٥١)، (رقم ١٥٦٤). وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب».

(٢) «مسند أحمد» (٦ / ١١٧)، وأخرجه البخاري (٥٦٤٧) و(٥٦٤٨) و(٥٦٦٠) و(٥٦٦١) و(٥٦٦٧)، ومسلم (٢٥٧١) (٤٥).

كل امـــرئ مصـــبح في أهلـــه والمـــوت أدني مـــن شراك نعلـــه

وكان بلال يقول إذا أقلعت عنه يقول:-

ألا ليـت شـعري هـل أبيـتن ليلـة بـــواد وحـــولي إذخـــر وجليـــل

هـــل أردن يومـــا ميـــاه مجنـــة وهـــل تبـــدونّ لي شـــامة وطفيـــل

قالت عائشة فجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد اللهم، وصححها وبارك لنا في مدها وصاعها، وانقل حماها فاجعلها بالجحفة(١).

٦٥٧-حرص أبي بكر على عيادة المرضي وإتباع الجنائز.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ من أصبح منكم اليوم صائما؛ قال أبو بكر: أنا، قال: من عاد منكم اليوم مريضا؟

قال أبو بكر أنا، قال من شهد منكم اليوم جنازة؛ قال أبو بكر أنا، قال من أطعم اليوم مريضا؛ قال أبو بكر أنا، قال مروان: بلغني أن النبي ﷺ قال: ما اجتمعت هذه الخصال في رجل يوم إلا دخل الجنة(٢).

٦٥٨-عيادة أبي موسى الأشعري رضي الله عنه للحسن رضي الله عنه

عن عبد الله بن نافع قال: عاد أبو موسى الحسن بن علي رضي الله عنهما فقال: أما إنه ما من مسلم يعود مريضا إلا عاد معه سبعون ألف ملك يستغفرون له، إن كان مصبحًا حتى يمسي، إن كان له خريف في الجنة، وإن كان ممسينا خرج له سبعون ألف ملك كلهم يستغفرون له وكان له خريف في

(١) رواه البخاري (٥٦٥٤)، ومسلم (١٣٧٦)، وأحمد (٢٣٨٣٩)، ومالك (١٦٤٨).

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»، وصححه الألباني في «صحيح الأدب» (رقم ٤٠٠).

الجنة[١].

٦٥٩- أتعود الحسن وفي نفسك ما فيها؟

عن عبد الله بن يسار، أن عمرو بن حريث، عاد الحسن بن علي، فقال له علي: أتعود الحسن وفي نفسك ما فيها؟

فقال له عمرو: إنك لست بربي فتصرف قلبي حيث شئت.

قال علي: أما إن ذلك لا يمنعنا أن نؤدي إليك النصيحة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: " ما من مسلم عاد أخاه إلا ابتعث الله له سبعين ألف ملك يصلون عليه من أي ساعات النهار، كان حتى يمسي، ومن أي ساعات الليل كان حتى يصبح ".

قال له عمرو: كيف تقول في المشي مع الجنازة: بين يديها أو خلفها؟

فقال علي: " إن فضل المشي خلفها على بين يديها، كفضل صلاة المكتوبة في جماعة على الوحدة ". قال عمرو: فإني رأيت أبا بكر وعمر يمشيان أمام الجنازة. قال علي: " إنهما كرها أن يحرجا الناس"[٢].

٦٦٠- أبشر فإن مرض المؤمن يجعله الله له كفارة ومستعتبا

أخرج البخاري في الأدب المفرد، عن عبد الرحمن بن سعيد عن أبيه قال: كنت مع سليمان رضي الله عنه وعاد مرضا في كنده فلما دخل عليه قال: أبشر فإن مرض المؤمن يجعله الله له كفارة ومستعتبا[٣]. وإن مرض

---

(١) أخرجه البيهقي (٥٣١/٦، رقم ٩١٧٢)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (رقم ٣٠٨٩).

(٢) «مسند أحمد» ط الرسالة (٢ / ١٥٠، رقم ٧٥٤)، وقال الهيثمي (ج٣ ص٣١): ورجال أحمد ثقات.

(٣) مستعتبًا: أي: مسترضي يرضيه.

الفاجر كالبعير عقله، أهله ثم أرسلوه فلا يدري لم عقل ولم أرسل[١].

٦٦١-حرص النبي ﷺ على إتباع الجنائز والصلاة عليها.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مات إنسان كان رسول الله يعوده فمات بالليل فدفنوه ليلا فلما أصبح أخبروه فقال: ما منعكم أن تعلموني، قالوا كان الليل فكرهنا، وكانت ظلمة أن نشق عليك، فأتى قبره فصلى عليه[٢].

٦٦٢- اللهم: ألق طلحة يضحك إليك وتضحك إليه

عن حسين بن وحوح الأنصاري: أن طلحة بن البراء مرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقال، إني لا أرى طلحة إلا قد حدث فيه الموت فآذنوني به وعجلوا فلم يبلغ النبي ﷺ بني سالم بن عوف حتى توفي، وكان قال لأهله لما دخل الليل: إذا مت فادفنوني ولا تدعوا رسول الله ﷺ فإني أخاف عليه يهودا أن يصاب بسببي فأخبر النبي ﷺ حين أصبح فجاء حتى وقف على قبره فصف الناس معه، ثم رفع يديه فقال: اللهم: ألق طلحة يضحك إليك وتضحك إليه[٣].

حرص الصحابة رضي الله عنهم على تشميت العاطس

٦٦٣- إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه

حرص أبي موسى رضي الله عنه والتزامه بالعمل بالسنة.

عن أبي بردة قال: دخلت على أبي موسى وهو في بيت ابنته " أم

---

(١) «الأدب المفرد» (رقم ٤٩٣)، وصحَّحه الألباني رحمه الله في «صحيح الأدب» (رقم ٣٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (رقم ١٢٤٧).

(٣) «جامع» (١٠ / ١٧٤)، وأخرجه أبو داود (٣/٢٠٠، رقم ٣١٥٩). رواه الطبراني في «الكبير» (ح ٣٥٥٤) و«الأوسط».

الفضل بن العباس " فعطست فلم يشمتني، وعطست فشمتها، فأخبرت أمي، فلما أن أتاها وقعت به، قالت: عطس ابني فلم تشمته وعطست فشمتها، فقال لها: إني سمعت رسول الله ﷺ إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه، وإن لم حمد الله فلا تشمتوه، وإن ابنك عطس فلم يحمد الله فلم أشمته، وعطست فحمدت الله فشمتها فقالت: أحسنت(١).

٦٦٤- الحمد لله على كل حال

حرص عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: عن مكحول الأزدي قال: كنت إلى جنب ابن عمر فعطس رجل من ناحية المسجد فقال ابن عمر: يرحمك الله إن كنت حمت الله(٢).

وعن نافع أن رجلا عطس إلى جانب ابن عمر فقال: الحمد لله والسلام على رسول الله قال ابن عمر: وأنا أقول الحمد لله والسلام على رسول الله وليس هكذا علمنا رسول الله ﷺ أن يقول الحمد لله على كل حال(٣).

٦٦٥- واثكل أمياه

۞ حرص معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه.

عن معاوية بن الحكم السلمي قال: صليت مع رسول الله ﷺ فعطس رجل من القوم، فقلت يرحمك الله! فرماني القوم بأبصارهم فقلت: واثكل أمياه، ما شأنكم تنظرون إلي؛ فجعلوه الضربون بأيديهم على أفخاذهم

---

(١) «صحيح مسلم» (رقم ٢٩٩٢)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٢٣٥) (٨ / ٤٩٥ رقم ٢٦٤٩٦)، و«الدعاء» للطبراني (١ / ٥٥٥).

(٢) أخرجه الحاكم (٢٩٥/٤ رقم ٧٦٩١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٤/٧ رقم ٩٣٢٧). أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»، وضعفه الألباني (رقم ١٤٧).

(٣) رواه الترمذي وقال: حديث غريب، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (رقم ٤٧٤٤) وقال: إسناده جيد.

فعرفت؟

أنهم يصمتوني، فقال عثمان فلما رأيتهم يسكتوني، لكني سكت قال فلما صلى رسول الله ﷺ بأبي وأمي ما ضربني ولا كهرني، ولا سبني، ثم قال: إن هذه الصلاة لا يحل فيها شيء من كلام الناس، وإنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن(١).

٦٦٦- يا أهل السفينة إن أبا داود اشتري الجنة من الله بدرهم

❁ حرص أبي داود صاحب السنن رحمه الله.

عن أبي داود صاحب السنن أنه كان في سفينة فسمع عاطسا على الشط، حمد الله فاكتري قاربا بدرهم حتى جاء إلى العاطس فشمته، ثم رجع، فسئل عن ذلك فقال: لعله يكون مجاب الدعوة، فلما رقدوا سمعوا قائلا يقول:يا أهل السفينة إن أبا داود اشتري الجنة من الله بدرهم(٢).

٦٦٧-كيف يقول من عطس

❁ حرص الإمام الأوزاعي رحمه الله.

حكى ابن بطال عن بعض أهل العلم، وحكى غيره أنه الأوزاعي أن رجلا عطس عنده فلم يحمد الله، فقال له: كيف يقول من عطس؛ قال: الحمد لله قال: يرحمك الله(٣).

---

(١) «مسند أحمد» ط الرسالة (٣٩ / ١٨٥)، والطبراني في «الكبير» (٩٣٨/١٩، ٩٤٣، ٩٤٧)، وأبو داود (٩٣٠).

(٢) «فتح الباري» (ج١٠ ص٦٢٦)، و«غذاء الألباب شرح منظومة الآداب» (١ / ٣٤١).

(٣) «فتح الباري» (ج١٠ ص٦٢٦).

٦٦٨- لو كنت متخذا من الناس خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا،

لقد ساند أبو بكر الصديق حبيبه محمد ﷺ يصور لنا ذلك النبي ﷺ: عن ابن عباس، قال: خرج رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه، عاصبا رأسه في خرقة، فقعد على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: " إنه ليس أحد أمن علي في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة، ولو كنت متخذا من الناس خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن خلة الإسلام أفضل، سدوا عني كل خوخة في.

٦٦٩- بارك الله لك في أهلك ومالك

۞ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وسعد بن الربيع رضي الله عنه.

عن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده قال لما قدموا المدينة آخى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع قال لعبد الرحمن إني أكثر الأنصار مالا فأقسم مالي نصفين ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها فإذا انقضت عدتها فتزوجها قال بارك الله لك في أهلك ومالك أين سوقكم فدلوه على سوق بني قينقاع فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن ثم تابع الغدو ثم جاء يوما وبه أثر صفرة فقال النبي ﷺ مهيم قال تزوجت قال كم سقت إليها قال نواة من ذهب أو وزن نواة من ذهب شك إبراهيم[١].

٦٧٠-ما أعطيت أحدًا مالا وأنا أستقله

عمر بن عبد العزيز رحمه الله قال: ما أعطيت أحدًا مالا وأنا أستقله وإني أستحي من الله عز وجل إن سألت الله عز وجل لأخ من أخواني الجنة وأبخل عنه

(١) وأخرجه البخاري (ح ٣٧٨٠)، وأخرجه مسلم في «كتاب النكاح» (١٦١٢).

بالدنيا وإذا كان يوم القيامة، قيل لي لو كانت الدنيا بيدك كنت أبخل[١].

٦٧١- إن كنت صادقة فأنت حرة

جاء الفتح الموصلي إلى صديق له يقال له عيسي التمار، فلم يجده في المنزل فقال للخادم: أخرجي إلي كيس أخي، فأخرجته له فأخذ درهمين وجاء عيسي منزله فأخبرته الخادمة بمجيء فتح وأخذ الدرهمين، فقال: إن كنت صادقة فأنت حرة، فنظر فإذا هي صادقة فعتقت[٢].

٦٧٢- هكذا تكون الاخوة

لما حضرت الوفاة: سعيد بن العاص قال لبنية: يا بني لا تفقدوا إخواني مني عندكم عين وجهي، أجروا عليهم ما كنت أجري، واصنعوا بهم ما كنت أصنع، ولا تلجئوهم للطلب، فإن الرجل إذا طلب الحاجة اضطربت أركانه وارتعدت فرائضه، وكل لسانه، وبدأ الكلام في وجهه اكفوهم مؤنه الطلب بالعطية قبل المسألة، فإني لا أجد لوجه الرجل يأتي يتقلقل على فراشة ذاكرا موضعا لحاجته، فعدا بها عليكم لا أرى قضي حاجته عوضا على بذل وجهه فبادروهم بقضاء حوائجهم قبل أن يسبقوكم إليها بالمسألة[٣].

٦٧٣-هكذا يكون العطاء

عن محمدًا بن عبد العزيز قال: حدثني واقد الصفار قال: شكوت يومًا

---

(١) «الإخوان» (رقم ١٦٠).

(٢) «كتاب الأخوان» (رقم ١٦٢)، و«المتحابين في الله» (رقم ١٠٠)، و«تاريخ بغداد» (٢٢٧/٣).

(٣) «كتاب الأخوان» (رقم ١٨٦).

إلى أسد الحاجة فادخل يده في صنفة فأخرج خمسين درهمًا فدفعها إليّ[١].

٦٧٤- لم أعطها لأخذها منك

عن أبي العلاء عن مطرف قال: أتيت عثمان بن أبي العاص فقال لي: يا مطرف ويداك ملأي؛ فلما وليت أتبعني رسولًا معه صرة فيها أربعمائة، فلما تيسرت أتيته بها، فقال: لم أعطها لأخذها منك.

٦٧٥- اللهم أكفنا ضيق المعاش

عن المعاض بن عمران قال: قال عمر بن ذر يومًا في مجلسه اللهم أكفنا ضيق المعاش، قال: فجمع له أربعة آلاف درهم[٢].

٦٧٦- إذا أتيت أهلك فبعها وأستنفق ثمنها

لقي الحسن البصري بعض إخوانه فلما أراد أن يفارقه خلع عمامته وألبسها إياه وقال إذا أتيت أهلك فبعها وأستنفق ثمنها[٣].

٦٧٧- علي منها ألف ألف

لقي حكيم بن حزام عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما بعدما قتل الزبير، فقال: كم ترك أخي عليه من الدين؟

قال: ألفي ألف، قال: علي منها ألف ألف[٤].

٦٧٨- وكل لبيب بالإشارة يفهم

محمد بن واسع رضي الله عنه عن مطر الوراق قال: أتيت محمد بن واسع

---

(١) «الإخوان» (رقم ١٦٣).
(٢) «الإخوان» (رقم ١٦٥).
(٣) «الإخوان» (رقم ١٨١)، و«مكارم الأخلاق» (رقم ٣٠١).
(٤) «تاريخ دمشق» (١٥ / ١٢٣)، و«الإخوان» (١٨٧).

يوما، فلما رآني مال برأسه بين رجليه فخمر وجهه أن أنظر إليه، فلم يرفع رأسه فقمت فذهبت، فلما كان بعد أيام أتاني بكيس فيه سبعمائة درهم فدفعها إلي وأنا في حانوتي في قنطرة حرة فقلت: تبعث إلي في حوائجك؛ قال: وأي حاجة لي أتيتني فظننت بك الحاجة، فما استطعت أن أنظر إليك، وقال مطر: فقلت له: أنا بخير فقال: أنت كيف شئت الدراهم لا ترجع إلي[١].

٦٧٩- أكره أن يتمعر وجه أحدهم إذا نظر إلى رسولي

كان عامر بن عبد الله بن الزبير يتحين العباد وهم سجود، أبا حازم، وصفوان بن سليم، وسليمان بن سحيم، وأشباههم فيأتيهم بالصرر فيها الدنانير والدراهم فيضعها عند نعالهم حيث يحسون بها ولا يشعرون بمكانة فيقال: ما يمنعك أن ترسل إليهم؛ فيقول أكره أن يتمعر وجه أحدهم إذا نظر إلى رسولي، أو لقيني[٢].

٦٨٠- من فطر صائما

كان حماد بن سليمان يفطر كل ليلة في شهر رمضان خمسين إنسانا فإذا كانت ليلة الفطر كساهم ثوبا وأعطاهم مئة مئة.

٦٨١- بئس الأخ أخ يرعاك غنيا ويقطعك فقيرا

وعن الحسن بن كثير قال: شكوت إلى محمد بن علي الحاجة وجفاء أخواني فقال: بئس الأخ أخ يرعاك غنيا ويقطعك فقيرًا، ثم أمر غلامه

---

(١) «كتاب الأخوان» (رقم ١٨٢)، و«المتحابين في الله» (رقم ١٠٢).

(٢) «الإخوان» (رقم ١٦٨)، و«المتحابين في الله» (رقم ١٠١)، و«صفة الصفوة» (٢ / ١٣١).

فأخرج كيسا فيه سبعمائة درهم فقال: استنفق هذه فإذا نفذت فأعلمني[١].

وكان رحمه الله: يدخل عليه إخوانه فلا يخرجون من عنده حتى يطعمهم الطعام الطيب، ويكسوهم الثياب الحسنة، ويهب لهم الدراهم، فتقول له مولاته سلمى، ما تصنع؛ فيقول لها: يا سلمى ما يؤمل في الدنيا بعد المعارف والإخوان[٢].

٦٨٢- إنما أبكي لأني لم أتفقد حاله فاحتاج أن يقول ذلك

وذكر بن الجوزي رحمه الله: قال: جاء رجل من السلف الصالح إلى بيت صديق له فخرج إليه فقال: ما جاء بك؟

قال: عليّ أربعمائة درهم، فدخل الدار فوزنها، ثم خرج فأعطاه، ثم عاد إلى الدار باكيا، فقالت زوجته، هل تعللت عليه إذا كان إعطاؤه يشق عليك؟

فقال: إنما أبكي لأني لم أتفقد حاله فاحتاج أن يقول ذلك[٣].

٦٨٣- كم تريد

وقال أبو سليمان الداراني: كان لي أخ في الله رحمه الله فقلت له يوما: أعطني دراهم، فقال كم تريد؛ فسقط من عيني وخرجت أخوته من قلبي بقوله كم تريد.

٦٨٤- العظماء الثلاثة

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج أبو بكر رضي الله عنه بالهاجرة إلى المسجد

---

(١) «المتحابين في الله» (رقم ١٠٦)، و«البداية والنهاية» (٩ / ٣٤١)، و«مكارم الأخلاق» (رقم ٢٩٣)، و«الإخوان» (رقم ١٧٩).

(٢) «صفة الصفوة» (٢ / ١١٢)، و«الإخوان» (١٧٧).

(٣) «التبصيرة» (ج٢ ص٦٤٠).

فرآه عمر ﷺ فقال: يا أبا بكر ما أخرجك هذه الساعة!! قال: ما أخرجني إلا ما أجد من شدة الجوع، فقال عمر: وأنا ما أخرجني غير ذلك، فبينما هما كذلك، إذا خرج عليهما رسول الله ﷺ فقال: ما أخرجكما هذه الساعة!

قالا: ما أخرجنا إلا ما نجده في بطوننا من شدة الجوع.

قال عليه الصلاة والسلام: وأنا والذي نفسي بيده، ما أخرجني غير ذلك... قوما معي: فانطلقوا فأتوا باب أبي أيوب الأنصاري ﷺ وكان أبو أيوب يدخر لرسول الله ﷺ كل يوم طعاما فإذا أبطأ عنه ولم يأت إليه في حينه أطعمه لأهله، فلما بلغوا الباب خرجت إليهم أُم أيوب، قالت: مرحبا بنبي الله ومن معه، فقال لها النبي ﷺ أين أبو أيوب؟

فسمع أبو أيوب صوت النبي ﷺ وكان يعمل في نخل قريب له فأقبل يسرع وهو يقول: مرحبا برسول الله وبمن معه، ثم أتبع قائلا يا نبي الله ليس هذا بالوقت الذي كنت تجئ فيه.

فقال عليه الصلاة والسلام: صدقت، ثم انطلق أبو أيوب إلى نخيله فقطع منه عذقا[١].. فيه تمر ورطب وبسر[٢] فقال عليه الصلاة والسلام: ما أردت أن تقطع هذا، ألا جنيت لنا من تمره؟؛ قال: يا رسول الله أحببت أن تأكل من تمره ورطبة ولأذبحنّ لك أيضًا، قال: إن ذبحت فلا تذبحن ذات لبن، فأخذ أبو أيوب جديا فذبحه ثم قال لامرأته اعجني واخبزي وأنت أعلم بالخبز، ثم أخذ نصف الجدي فطبخه وعمد إلى نصفه الثاني فشواه، فلما نضج الطعام ووضع بين يدي النبي ﷺ وصاحبيه أخذ الرسول قطعه من الجدي ووضعها في رغيف وقال: يا أبا أيوب بادر بهذه القطعة إلى فاطمة فإنها لم تصيب مثل هذا منذ أيام، فلما أكلوا وشبعوا قال النبي ﷺ: خبز

(١) العذق: غصن له شعب.

(٢) الرطب: ما نضج من تمر النخل، والبسر: ما لم يكتمل نضجه.

ولحم وتمر وبسر ورطب!! ودمعت عيناه ثم قال: والذي نفسي بيده إن هذا هو النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة(١).

٦٨٥- والذي بعثك بالحق ما أجد له مساغا

ولقد كان ﷺ يعظم أصحابه وبالأخص أصحاب الصفة فكان إذا جاء طعام أو شراب أرسل إليهم ليشاركوه فيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: والله: إن كنت لأعتمد على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد من الحجر على بطني من الجوع ولقد قعدت على طريقهم فمر بي أبو بكر فسألته عن آية في كتاب الله، ما أسأله إلا ليستتبعني فمر ولم يفعل فمر عمر: فكذلك حتى مر بي رسول الله ﷺ فعرف ما في وجهي من الجوع فقال أبو هريرة؛ قلت: لبيك يا رسول الله، فدخلت معه البيت فوجد لبنا في قدح، فقال من أين لكم هذا؟؛

قيل أرسل به إليك فلان، فقال: يا أبا هريرة انطلق إلى أهل الصفة(٢).. فادعهم وكان أهل الصفة أضياف الإسلام لا أهل ولا مال، إذا أتت رسول الله صدقة أرسل بها إليهم ولم يصب منها شيئًا، وإذا جاءته هدية أصاب منها وأشركهم فيها، فساءني إرساله إياي فقلت: كنت أرجو أن أصيب من هذا اللبن شربه أتقوى بها، وما هذا اللبن في أهل الصفة!! ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بد، فأتيتهم فأقبلوا محببين، فلما جلسوا، قال: خذ يا أبا هريرة فأعطهم، فجعلت أعطى الرجل فيشرب حتى يروي، حتى أتيت على جميعهم وناولته رسول الله ﷺ فرفع رأسه إلي مبتسما وقال:

---

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» (ح ٥٢١٦)، والطبراني في «الكبير» (ح ٥٦٧)، وأبو يعلى في «مسنده» (ح ٢٥٠)، وضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب» (ح ١٣٠٣).

(٢) الصفة كانت في مسجد النبي ﷺ في المدينة يكون فيها فقراء المهاجرين ومن لا منزل له منهم، وأهلها منسوبون إليها.

بقيت أنا وأنت، قلت: صدقت يا رسول الله، قال: فاشرب، فشربت، فقال: أشرب فشربت، فما زال يقول لي أشرب، فأشرب، حتى قلت: والذي بعثك بالحق ما أجد له مساغا فأخذ فشرب الفضلة(١).

فهكذا كان النبي ﷺ يطعم أصحابه ويقدم لهم الطعام ويؤثرهم على نفسه ﷺ.

٦٨٦- يا أهل الخندق إن جابرا قد صنع سورا

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال لما حفر الخندق رأيت بالنبي ﷺ خمصا شديدا فانكفأت إلى امرأتي فقلت هل عندك شيء فإني رأيت برسول الله ﷺ خمصا شديدا فأخرجت إلي جرابا فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن فذبحتها وطحنت الشعير ففرغت إلى فراغي وقطعتها في برمتها ثم وليت إلى رسول الله ﷺ فقالت لا تفضحني برسول الله ﷺ وبمن معه فجئته فساررته فقلت يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنا صاعًا من شعير كان عندنا فتعال أنت ونفر معك فصاح النبي ﷺ فقال يا أهل الخندق إن جابرا قد صنع سورا فحي هلا بكم فقال رسول الله ﷺ لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس حتى جئت امرأتي فقالت بك وبك فقلت قد فعلت الذي قلت فأخرجت له عجينا فبصق فيه وبارك ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك ثم قال ادع خابزة فلتخبز معي واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها وهم ألف فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط كما هي وإن عجيننا ليخبز كما هو(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (١١ / ٢٤١، ٢٤٦)، وأحمد (٢ / ٥١٥)، والترمذي (٢٤٧٧) (٣٦)، وهو في «تاريخ ابن عساكر» (١٩ / ١١١).

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٤١٠٢)، ومسلم (ح ٢٠٣٩)، والحاكم (ح ٤٣٢٤)، وأبو عوانة

٦٨٧- إني لألقم اللقمة أخا من إخواني فأجد طعمها في حلقي

قال أبو سليمان الدارني لو أن الدنيا كلها لي فجعلتها في فم أخ من إخواني لاستقللتها له وقال أيضًا إني لألقم اللقمة أخا من إخواني فأجد طعمها في حلقي[١].

٦٨٨-يا ويلك هكذا كنا لا يحتشم بعضنا بعضا

دخل مالك بن دينار ومحمد بن واسع منزل الحسن وكان غائبا فأخرج محمد بن واسع سلة فيها طعام من تحت سرير الحسن فجعل يأكل، فقال له مالك: كف يدك حتى يجئ صاحب البيت، فلم يلتف محمد إلى قوله، وأقبل على الأكل وكان مالك أبسط منه وأحسن خلقا، فدخل الحسن وقال: يا ويلك هكذا كنا لا يحتشم بعضنا بعضا حتى ظهرت أنت وأصحابك، وأشار بهذا إلى أن الإنبساط في بيوت الإخوان من الصفاء في الأخوة كيف وقد قال تعالى: (أو صديقكم) وقال: (أو ما ملكتم مفاتحة) إذ كان الأخ يدفع مفاتيح بيته إلى أخيه ويفوض له التصرف كما يريد[٢].

٦٨٩- طعام وكسوة

عن إسحاق بن سعيد الأموي عن أبيه قال: كان سعيد بن عياض يدعو جيرانه وجلسائه في كل جمعة فيصنع لهم الطعام ويكسوهم الثياب فإذا أرادوا أن يتفرقوا أمر لهم بالجوائز وبعث إليهم[٣].

٦٩٠- والله هذا فعل الأخيار

(ح ٦٩٤٢).

(١) «إحياء علوم الدين» (٢ / ١٧٤)، و«الكشكول» (٢ / ١٦٢).

(٢) «إحياء علوم الدين» (ج٢ ص١٩٠).

(٣) «الإخوان» (رقم ١١٢).

عن عون بن يونس قال: دخل رجل على الحسن فوجده نائما على سريره ووجد عند رأسه سلة فيها فاكهة ففتحها فجعل يأكل منها فانتبه فرأي الرجل يأكل فقال: رحمك الله والله هذا فعل الأخيار[١].

٦٩١- كلوا ما شتهيه ما أصنعه إلا لكم

قال الأعمش: كان خثيمة يصنع الخبيص[٢]. فيدعوا إبراهيم ويدعونا معه، ويقول: كلوا ما شتهيه ما أصنعه إلا لكم.

٦٩٢- حدثني ابن عيينة بأربعين حديثا وأطعمني خبيصا

عن إسحاق بن الأقرع قال: رأيت عبد الله بن المبارك يخرج من عند سفيان بن عيينة مسرورا طيب النفس فقيل له في ذلك، فقال وما يمنعني من ذلك؛ حدثني ابن عيينة بأربعين حديثًا وأطعمني خبيصا[٣].

٦٩٣- حدثني بحديث حسن وأطعمني طعاما طيبا

عن يزيد بن أبي زياد قال: ما دخلت على عبد الرحمن بن أبي ليلى قط إلا حدثني بحديث حسن وأطعمني طعامًا طيبًا[٤].

٦٩٤- كساينها رسول الله ﷺ

عن أبي عبد الله بن سعد عن أبيه سعد قال: رأيت رجلا ببخارى على بغلة بيضاء عليه عمامة خز سوداء فقال كساينها رسول الله ﷺ[٥].

٦٩٥- إني لم أكسكها لتلبسها

---

(١) «كتاب الإخوان» أثر (رقم ٢١٤).
(٢) الخبيص: الطعام المعمول من التمر والسمن، والطعام الطيب.
(٣) «الإخوان» (رقم ٢٠٨).
(٤) «الإخوان» (رقم ٢٠٧)، و«مكارم الأخلاق» (رقم ٣٠٤).
(٥) رواه أبو داود وضعفه الألباني في «ضعيف أبي داود» (ح ٨٧٣).

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب رأى حلة سيراء عند باب المسجد، فقال: يا رسول الله، لو اشتريت هذه فلبستها يوم الجمعة وللوفد إذا قدموا عليك، فقال يا رسول الله: إنما يلبس هذه من لا خلاق له في الآخرة، ثم جاء رسول الله ﷺ منها حلل فأعطي عمر بن الخطاب منها حلة فقال عمر يا رسول الله كسوتنيها وقد قلت في حلة عطارد ما قلت!! فقال رسول الله ﷺ إني لم أكسكها لتلبسها، فكساها عمر بن الخطاب أخا له مشركا بمكة(١).

٦٩٦- إني لم أبعث بها لتلبسها فقسمتها بين نسائي

عن علي رضي الله عنه قال: أهديت إلى رسول الله ﷺ حلة سيراء فأرسل بها إلي، فلبستها فأتيته، فرأيت في وجه رسول الغضب وقال: إني لم أبعث بها لتلبسها فقسمتها بين نسائي(٢).

٦٩٧- أنت كريم بني هاشم

عن أحمد بن عبد الأعلى الشيباني عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما أنه كان في سفر له فمر بفتيان يوقدون تحت قدر لهم فقاوم إليه أحدهم فقال:-

أقـــول له حـــين ألفيتـــه عليـــك الســـلام أبـــا جعفـــر

فوقف عبد الله وقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته.

فقال الفتي:

---

(١) أخرجه البخاري (ح ٨٨٦)، ومسلم ح(٢٠٦٨)، وأبو داود (ح ١٠٧٦)، والحميدي (ح ٦٧٩).

(٢) وأحمد (٩٠/١، رقم ٦٩٨)، والبخاري (٩٢٢/٢، رقم ٢٤٧٢)، ومسلم (١٦٤٥/٣، رقم ٢٠٧١)، والنسائي (١٩٧/٨، رقم ٥٢٩٨)، وأبو عوانة (٦٩/٢)، والطحاوي (٢٥٣/٤)، والبيهقي (٤٢٤/٢، رقم ٤٠١٦).

فهـــذي ثيـــابي قـــد أخلقـــت وقـــد عضـــني زمـــن منكـــر

فقال عبد الله: فهذه ثيابي مكانها ونعينك على زمن منكر قال وعليه جبة خز ومطرف خز وعمامة خز فأعطاه ذلك فقال الفتى:

أنـــت كـــريم بـــني هاشـــم وفي البيـــت منهـــا الذي نـــذكر

قال: يا بن أخي ذاك رسول الله ﷺ(١).

٦٩٨- يكسو أهل المسجد جميعا

عن أبي عمرو الثمالي قال: قدم الأشعث بن قيس من مكة فلما صلى الفجر أمرهم فأخذوا بأبواب المسجد، فأمر لكل من في المسجد بحلة ونعلين(٢).

٦٩٩- عمر بن الخطاب رضي الله عنه وزيارة الأصحاب

عن الحسن قال: كان عمر بن الخطاب يذكر الرجل من إخوانه في بعض الليل فيقول يا طولها ليلة فإذا صلى المكتوبة غدا إليه فإذا التقيا عانقه(٣).

وعن محارب بن دثار: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: لقد أحببت في الله عز وجل ألف أخ كلهم أعرف اسمه واسم أبيه واسم قبيلته وأعرف مكان داره(٤)، وقال محارب: حيث قال أعرف مكان داره علمت أنه يزورهم ويأتيهم.

---

(١) «الإخوان» (رقم ٢٢٣)، و«تاريخ دمشق» (٢٧ / ٢٩١)، و«مكارم الأخلاق» (رقم ٤٢٦)، و«الجليس الصالح والأنيس الناصح» (١ / ١٢٤).

(٢) «إحياء علوم الدين» (٣ / ٢٥٠)، و«الإخوان» (رقم ٢٢٢).

(٣) «المتحابين في الله» (١٢٣)، و«الإخوان» (رقم ٨٣).

(٤) «الإخوان» (رقم ٢٨).

٧٠٠- أنا أحمد بن حنبل

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: لما أُطلق أبي من المحنة، خشي أن يجئ إليه إسحاق بن راهوية، فرحل أبي إليه، فلما بلغ الري دخل إلى المسجد فجاء مطر كأفواه القرب، فلما كانت العتمة قالوا له: اخرج من المسجد فإن نريد أن نغلقه فقال لهم هذا مسجد الله وأنا عبد الله، فقيل له أيما أحب إليك أن تخرج أو نجر برجلك؛ قال أحمد: سلاما، فخرجت من المسجد والمطر والرعد والبرق فلا أدري أين أضع رجلي ولا أين أتوجه، فإذا رجل قد خرج من داره، فقال لي: يا هذا أ ين تمر في هذا الوقت؟؛

فقلت لا أدري أين أمر، فقال لي: أدخل فأدخلني دار ونزع ثيابي، وأعطوني ثيابا جافة وتطهرت للصلاة، فدخلت بيت فيه كانون فحم ولبود ومائدة منصوبة، فقيل لي أكل، فأكلت معهم فقال لي: من أين أنت؛ فقلت أنا من بغداد، فقال لي: تعرف رجلا يقال له أحمد بن حنبل فقلت: أنا أحمد بن حنبل، فقال لي وأنا إسحاق بن راهويه[١].

قد يقطع الرحم القريب وتكفر النعماء ولا كتقارب القلبين
بيدي لهوى هذا وبيدي ذا الهدي فإذا هما نفس تري نفسين

٧٠١- صاحب البيت أحق بصدر بيته

قال أبو عبيد القاسم: زرت أحمد بن حنبل في بيته، فأجلسني في صدر داره وجلس دوني، فقلت يا أبا عبد الله أليس يقال: صاحب البيت أحق بصدر بيته؛!! فقال: نعم يقعد من يريد، قال: فقلت في نفسي خذ إليك يا أبا عبيد فائدة، قال: ثم قلت له: يا أبا عبد الله، ولو كنت آتيك على نحو ما تستحق لأتيتك كل يوم، فقال لا تقل، إن لي إخوانا لا ألقاهم إلا في كل سنة

(١) «ترجمة الأئمة الأربعة» (١ / ٣٥٧)، و«سير أعلام النبلاء» (١١ / ٣٢١).

مرة أنا أوثق بمودتهم ممن ألقى كل يوم قال: قلت هذه أخري، يا أبا عبيد، فلما أردت القيام قام معي، فقلت لا تفعل يا أبا عبد الله، فقال: قال الشعبي: من تمام زيارة الزائر أن يمشي معه إلى باب الدار وتأخذ بركابه، قال: فقلت يا أبا عبيد هذه الثالثة، قال فمشي معي إلى باب الدار وأخذ بركابي.

وروي الخطيب البغدادي في تاريخه: عن النقاش أنه قال: بلغني أن بعض أصحاب محمد بن غالب أبي جعفر المقرئ جاء في يوم وحل وطين فقال له: كيف أشكر هاتين الرجلين اللتين تبعا إلي في مثل هذا اليوم لتكسباني الثواب؛ ثم قام بنفسه فاستقي له الماء وغسل رجليه[١].

٧٠٢- قد أعناك على غرمك بعشرين ألفا

جاء المطلب عبد الله بن حنطب المخزومي إلى بكر بن عبد الله بن الحارث: يسأله يفي غرم ألم به، فلما جلس قال له أبو بكر، قد أعناك على غرمك بعشرين ألفا، فقال له من كان معه والله ما تركت الرجل يسألك فقال: إذا سألني فقد أخذت منه أكثر مما أعطيته[٢].

٧٠٣- ما بلغ من كرم عبد الله بن جعفر

قيل لمعاوية بن عبد الله بن جعفر: ما بلغ من كرم عبد الله بن جعفر قال: كان ليس له مال دون الناس، هو والناس في ماله شركاء من سأله شيئًا أعطاه ومن استمنحه شيئًا منحه إياه، ولا يرى أنه يفتقر فيقتصر ولا يرى أنه يحتاج فيدخر[٣].

---

(١) «ترطيب الأفواه» (ج١ ص٣٧٢ - ٣٧٤).

(٢) «تاريخ دمشق» (٦٦ / ٣٥)، و«قضاء الحوائج» (رقم ٤١).

(٣) «شعب الإيمان» (رقم ١٠٨٨٥)، و«بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب» (٢ / ٢١٤)، و«تاريخ دمشق» (٢٧ / ٢٩٠).

٧٠٤- ما شتمت أحد قط

۞ أسماء بن خارجة ﷺ.

قال أسماء بن خارجة: ما شتمت أحد قط، ولا رددت سائلا قط لأنه إنما يسألني أحد رجلين: إما كريم أصابته خصاصة، وحاجة فأنا أحق من سد خلته، وأعانه على حاجته، وإما لئيم أفدي عرضي منه، وإنما يشتمني أحد رجلين، إما كريم كانت منه ذلة، أو هفوة، فأنا أحق من غفرها، وأخذ بالفضل عليه فيها، وإما لئيم فلم أكن لأجعل عرضي إليه[١] وقال أيضًا:-

إذا طارق الهم أسفرت الفتى ... واعمل في الفكر والليل واجر
وباكرني إذا لم يكن ملجأ له ... سواي ولا من نكبة الدهر ناصر
فرجت بمالي همه في مكانه ... فزايلة الهم الدخيل المخامر

٧٠٥- فإن تجد فهو شيء كنت تفعله

أتي العريان بن الهيثم النخعي عتاب بن ورقاء التيمي وهو على أصبهان فقال:

إنا أتيناك لا من حاجة عرضت ... ولا فروض تجازيها ولأنعم
ألا تخبرنا عمال العراق وإن قيل ... بن ورقاء غيث صائب الديم
فإن تجد فهو شيء كنت تفعله ... وإن تكن علة نرجع ولم نلم[٢]

يقول محمد بن المنكدر ﷺ: لم يبق من لذة الدنيا إلا قضاء حوائج الإخوان[٣].

---

(١) «المجالسة وجواهر العلم» (رقم ٤٩٩)، و«تاريخ دمشق» (٩ / ٥٤)، و«قضاء الحوائج» (٦١).
(٢) «قضاء الحوائج» (رقم ٦٥)، و «أخبار أصبهان» (٧ / ٣١٤، رقم ٤٠٦٣٥).
(٣) «آداب الصحبة» (ص١٥٠)، و «تاريخ دمشق» (٥٦ / ٥٣).

الفصل الثالث والثلاثون: في رحاب العفة

٧٠٦- ما أتيت فاحشة وما هممت بها

قال جعفر بن محمد: أتي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بامرأة قد تعلقت بشاب من الأنصار، وكانت تهواه، فلما لم يساعدها احتالت عليه، فأخذت بيضة فألقت صفارها، وصبت البياض على ثوبها وبين فخذيها، ثم جاءت إلى عمر صارخة، فقالت: هذا الرجل غلبني على نفسي، وفضحني في أهلي، وهذا أثر فعاله.

فسأل عمر النساء فقلن له: إن ببدنها وثوبها أثر المني.

فهم بعقوبة الشاب فجعل يستغيث، ويقول: يا أمير المؤمنين، تثبت في أمري، فوالله ما أتيت فاحشة وما هممت بها، فلقد راودتني عن نفسي فاعتصمت، فقال عمر: يا أبا الحسن ما ترى في أمرهما، فنظر علي إلى ما على الثوب.

ثم دعا بماء حار شديد الغليان، فصب على الثوب فجمد ذلك البياض، ثم أخذه واشتمه وذاقه، فعرف طعم البيض وزجر المرأة، فاعترفت[١].

٧٠٧- مالي ولعبيد بن عمير

يقول ابن الجوزي رحمه الله عن صالح بن أحمد بن عبد الله بن مسلم العجلي، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عبد الله، قال: كانت امرأة جميلة بمكة، وكان لها زوج، فنظرت يومًا إلى وجهها في المرآة، فقالت لزوجها:

(١) «الطرق الحكمية» (ج ١ / ص ٦٩).

أترى أحدًا يرى هذا الوجه لا يفتتن به، قال: نعم، قالت: ومن؟

قال: عبيد بن عمير، قالت: فأذن لي فيه فلأفتننه، قال: قد أذنت لك.

قال: فأتته كالمستفتية، فخلا معها في ناحية من المسجد الحرام. قال: فأسفرت عن وجه مثل فلقة القمر، فقال لها: استتري يا أمة الله، قالت: إني قد فتنت بك فانظر في أمري، قال: إني سائلك عن شيء، فإن أنت صدقت نظرت في أمرك، قالت: لا تسألني عن شيء إلا صدقتك.

قال: أخبريني، لو أن ملك الموت أتاك ليقبض روحك كان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟

قالت: اللهم لا.

قال: صدقت، فلو أدخلت قبرك فأجلست للمساءلة أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟

قالت: اللهم لا.

قال: صدقت، فلو أن الناس أعطوا كتبهم فلا تدرين أتأخذين كتابك بيمينك أو بشمالك، أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟

قالت: اللهم لا،

قال: صدقت، فلو أردت الممر على الصراط فلا تدرين تنجين أم لا تنجين، أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟

قالت: اللهم لا. قال: صدقت، فلو جيء بالموازين وجيء بك لا تدرين تخفين أم تثقلين، أيسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟

قالت: اللهم لا،

قال: صدقت. قال: فلو وقفت بين يدي الله تعالى للمساءلة، كان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟

قالت: اللهم لا، قال: صدقت، فاتق الله يا أمة الله، فقد أنعم الله عليك وأحسن إليك.

قال: فرجعت إلى زوجها، قال: ما صنعت؟ قالت: أنت بطال ونحن بطالون. فأقبلت على الصلاة والصوم والعبادة.

قال: فكان زوجها يقول: مالي ولعبيد بن عمير أفسد علي امرأتي كانت لي في كل ليلة عروسًا، فصيرها راهبة[١].

٧٠٨- هل كل في فراش وطيء وعيش رخي

محمد بن إسحاق قال نزل السرى بن دينار في دار بمصر كانت فيه امرأة جميلة تفتن الناس بجمالها فعلمت المرأة فقالت لأفتننه فلما دخلت من باب الدرب كشفت وأظهرت نفسها فقال السرى: مالك، قالت: هل كل في فراش وطيء وعيش رخي، فأقبل عليها وهو يقول:

وكم ذي معاص نال منهن لذة ... ومات فخلاها وذاق الدواهيا

تصرم لذات المعاصي وتنقضي ... وتبقى تباعات المعاصي كما هيا

فوا سوءتاه والله راء وسامع ... لعبد بعين الله يغشى المعاصيا[٢]

٧٠٩- أبو بكر المسكي

ذكر ابن الجوزي في "المواعظ": أن شابًا فقيرًا، كان بائعًا يتجول في الطرقات، فمرّ ذات يوم ببيت، فأطلت امرأة وسألته عن بضاعته فأخبرها، فطلبت منه أن يدخل لترى البضاعة، فلما دخل أغلقت الباب، ثم دعته إلى الفاحشة، فصاح بها، فقالت: والله إن لم تفعل ما أريده منك صرخت،

---

(١) «المنتظم» (ج ٢ / ص ٢٧٧).

(٢) «ذم الهوى» (ص: ٢٣٤)، و«صور مشرقة من الثبات على الإيمان» للمؤلف (ص ١٤٠).

فيحضر الناس فأقول هذا الشاب، اقتحم عليَّ داري، فما ينتظرك بعدها إلا القتل أو السجن.

فخوّفها بالله فلم تنزجر، فلما رأى ذلك، قال لها: أريد الخلاء.

فلما دخل الخلاء: أقبل على الصندوق الذي يُجمع فيه الغائط، وجعل يأخذ منه ويلقي على ثيابه، ويديه وجسده، ثم خرج إليها، فلما رأته صاحت، وألقت عليه بضاعته، وطردته من البيت، فمضى يمشي في الطريق والصبيان يصيحون وراءه: مجنون، مجنون، حتى وصل بيته، فأزال عنه النجاسة، واغتسل.

فلم يزل يُشمُّ منه رائحة المسك، حتى مات رحمه الله[1].

٧١٠- الموت لا معصية ربي

روي أن بعض النبلاء علم برجل مجاب الدعوة عند الله ﷻ فذهب إليه وتظاهر بمظهر الضيفان فأضافه وقام عنده ثلاث ليالي فلم يرى منه شيئًا غريبا من طاعه الله أو عبادة، فسأله عن سبب إجابة دعائه فقال: يا هذا تلك دعوة نفس عضها الجوع وصدقت لله تعالى في سجودها وركوعها فأجاب الله دعاها واعطاها مناها؛ فقال: وكيف ذلك؟

فحدثه أنه حصل في بلد قحط في عام من الأعوام وفي ليله قرع الباب قارع فخرجت وإذا بشابه جميله جدًا تُبدو كأنها الشمس في وسط النهار فشكت لي جوعها فحادثتها ثم راوتها عن نفسها فقالت: الموت لا معصية ربي ثم رجعت من حيث أتت وبعد أيام عادت وتوسلت إلي فقلت كما قلت أولا فبكت ثم دخلت وقد أشرفت على الهلاك ثم قالت: تطعمني لوجه الله؟

---

(١) «المواعظ والمجالس» (ص ٢٢٤)، و«صور مشرقة من الثبات على الإيمان» (ص ١٤٢-١٤٣).

فقلت: لا إلا أن تمكنيني من نفسك فقالت الموت خير من عذاب الله ثم قامت فسرت خلفها فسمعتها تقول:

أيا واحدًا إحسانه شمل الخلقا ... بسمعك ما أشكو بعينك ما ألقى
لقد صدمتني شدة وخصاصة ... ونازلني ما بعضه يمنع النطقا
كأني ظمآن ترى الماء عينه ... فلا غُلّه تروى ولا شربة تسقى
تنازعني نفسي إلى نيل أكله ... لذاذتها تفنى وغصتها تبقا
أأعصيك بعد الفضل والجود والهدى ... وكيف وبالطاعات استجلب الرزقا

فجزعت لما سمعت ذلك ثم دخل قلبي الإيمان بالله وحب الخير فقلت لها: عودي وكلي ما شئت الموت لا معصية ربي ي فعادت وهي في حالة ضعف لا تكاد يسمع لها صوت فقدمت لها الطعام فقالت: (اللهم كما أنرت قلبه وهديت لُبه فأجب دعاءه ولا ترده خائبا) فكان ما دعت به ثم تزوجتها وصارت لي زوجه والحمد لله[1].

٧١١- إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم

كان بالكوفة فتى جميل الوجه شديد التعبد والاجتهاد وكان أحد الزهاد فنزل في جوار قوم من النخع فنظر إلى جارية منهم جميلة فهويها وهام بها عقله ونزل بها مثل الذي نزل به فأرسل يخطبها من أبيها فأخبره أبوها أنها مسماة لابن عم لها واشتد عليهما ما يقاسيان من ألم الهوى فأرسلت إليه الجارية قد بلغني شدة محبتك لي وقد اشتد بلائي بك لذلك مع وجدي بك فإن شئت زرتك وإن شئت سهلت لك أن تأتيني إلى منزلي فقال للرسول لا واحدة من هاتين الخصلتين: ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٣ ﴾ [الزمر:١٣] أخاف نارا لا يخبو سعيرها ولا يخمد لهبها فلما انصرف

(١) «صور مشرقة من الثبات على الإيمان» (ص ١٤٣-١٤٤).

الرسول إليها فأبلغها ما قال قالت وأراه مع هذا زاهدا يخاف الله تعالى والله ما أحد أحق بهذا من أحد وإن العباد فيه لمشتركون ثم انخلعت من الدنيا وألقت علائقها خلف ظهرها ولبست المسوح وجعلت تعبد وهي مع ذلك تذوب وتنحل حبا للفتى وأسفا عليه حتى ماتت شوقا إليه فكان الفتى يأتي قبرها فرآها في منامه وكأنها في أحسن منظر فقال كيف أنت وما لقيت بعدي فقالت:

نعم المحبة يا حبيبي حبكا حب يقود إلى خير وإحسان

فقال على ذلك إلى ما صرت فقالت:

إلى نعيم وعيش لا زوال له في جنة الخلد ملك ليس بالفاني

فقال لها اذكريني هناك فإني لست أنساك فقالت ولا أنا والله أنساك ولقد سألتك ربي مولاي ومولاك فأعني على ذلك بالاجتهاد ثم ولت مدبرة فقلت لها متى أراك قالت ستأتينا عن قريب فلم يعش الفتى بعد الرؤيا إلا سبع ليال حتى مات رحمهما الله[١].

٧١٢- أم كيف بك لو قد ساءلك منكر ونكير؟

يُحكى: أن قوما أمروا امرأة ذات جمال بارع أن تتعرض للربيع بن خثيم فلعلها تفتنه، وجعلوا لها إن فعلت ذلك ألف درهم، فلبست أحسن ما قدرت عليه من الثياب، وتطيبت بأطيب ما قدرت عليه، ثم تعرضت له حين خرج من مسجده، فنظر إليها فراعه أمرها، فأقبلت عليه وهي سافرة، فقال لها الربيع: كيف بك لو قد نزلت الحمى بجسمك، فغيرت ما أرى من لونك، وبهجتك؟

أم كيف بك لو قد نزل بك ملك الموت، فقطع منك حبل الوتين؟

---

(١) من كتاب «التوابين» لابن قدامه المقدسي (٢٦٦-٢٦٧).

أم كيف بك لو قد ساءلك منكر ونكير؟

فصرخت صرخة فسقطت مغشيا عليها، فوالله لقد أفاقت وبلغت من عبادة ربها أنها كانت يوم ماتت كأنها جذع محترق[1].

٧١٣- اللهم إني دعيت إلى معصيتك

يروى: أن شابا في بني إسرائيل لم يكن فيهم شاب أحسن منه، كان يبيع المكاتل، فبينا هو ذات يوم يطوف بمكاتله، إذ خرجت امرأة من دار ملك من ملوك بني إسرائيل، فلما رأته رجعت مبادرة، فقالت لابنة الملك: إني رأيت شابا بالباب يبيع المكاتل لم أر شابا قط أحسن منه، قالت: أدخليه، فخرجت، فقالت: ادخل فدخل، فأغلقت الباب دونه، ثم قالت: ادخل فدخل فأغلقت بابا آخر دونه، ثم استقبلته بنت الملك كاشفة عن وجهها ونحرها، فقال لها: استتري عافاك الله، فقالت: إنا لم ندعك لهذا إنما ندعوك لكذا وراودته عن نفسه، فقال لها: اتقي الله، قالت: إنك إن لم تطاوعني على ما أريد أخبرت الملك أنك إنما دخلت تكابرني على نفسي، قال لها: فضعي لي وضوءا، فقالت: أعلي تتعلل، يا جارية، ضعي له وضوءا فوق الجوسق، مكانا لا يستطيع أن يفر منه، فلما صار في الجوسق، قال: اللهم إني دعيت إلى معصيتك وإني أختار أن ألقي نفسي من هذا الجوسق ولا أركب معصيتك، ثم قال: بسم الله وألقى نفسه من أعلاه، فأهبط الله ملكا أخذ بضبعيه فوقع قائما على رجليه، فلما صار في الأرض، قال: اللهم إن شئت رزقتني رزقا يغنيني عن بيع هذه المكاتل، فأرسل الله عليه رجلا من جراد من ذهب فأخذ منه حتى ملأ ثوبه، فلما صار في ثوبه، قال: اللهم إن كان هذا رزقا رزقتنيه من الدنيا فبارك لي فيه، وإن كان ينقصني مما لي

(١) «صفة الصفوة» (٣/ ١٩١).

عندك في الآخرة فلا حاجة لي فيه، فنودي إن هذا الذي أعطيناك جزء من خمسة وعشرين جزءا لصبرك على إلقائك نفسك، فقال: اللهم فلا حاجة لي فيما ينقصني مما لي عندك في الآخرة، فرجع الجراد"[١].

(١) «روضة المحبين» (ص٤٥٣).

الفصل الرابع والثلاثون: من روائع الزواج

٧١٤- قصة زواج سلمان الفارسي

عن بن جريج قال حدثت أن سلمان الفارسي تزوج امرأة فلما دخل عليها وقف على بابها فإذا هو بالبيت مستور فقال ما أدري أمحموم بيتكم أم تحولت الكعبة في كندة والله لا أدخله حتى تهتك أستاره فلما هتكوها فلم يبق منها شيء دخل فرأى متاعا كثيرًا وجواري فقال ما هذا المتاع قالوا متاع امرأتك وجواريها قال والله ما أمرني حبي بهذا أمرني أن أمسك مثل أثاث المسافر وقال لي من أمسك من الجواري فضلا عما نكح أو ينكح ثم بغين فإثمهن عليه ثم عمد إلى أهله فوضع يده على رأسها وقال لمن عندها رتفعن فلم يبق إلا امرأته فقال هل أنت مطيعتي رحمك الله قالت قد جلست مجلس من يطاع قال إن رسول الله ﷺ قال لي إن تزوجت يومًا فليكن أول ما تلتقيان عليه على طاعة الله فقومي فلنصل ركعتين فما سمعتني أدعو به فأمني فصليا ركعتين وأمنت فبات عندها فلما أصبح جاءه أصحابه فلما انْتَحَاهُ رجل من القوم فقال كيف وجدت أهلك فأعرض عنه ثم الثاني ثم الثالث فلما رأى ذلك صرف وجهه إلى القوم وقال رحمكم الله فيما المسألة عما غيبت الجدرات والحجب والأستار بحسب امرئ أن يسأل عما ظهر إن أخبر أو لم يخبر[١].

٧١٥- قصة زواج جليبيب رضي الله عنه

عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: كان جليبيب امرأ يدخل على

(١) «مصنف عبد الرزاق» (٦/ ١٩٢)، و«سنن سعيد بن منصور» (١/ ١٦٣).

النساء، يمر بهن ويلاعبهن، فقلت لامرأتي: لا يدخلن عليكم جليبيب، فإنه إن دخل عليكم لأفعلن ولأفعلن، قال: وكانت الأنصار إذا كان لأحدهم أيم[١] لم يزوجها حتى يعلم هل للنبي ﷺ فيها حاجة أم لا، فقال رسول الله ﷺ لرجل من الأنصار: "زوجني ابنتك"، فقال: نعم وكرامة يا رسول الله ونعم عيني، فقال: " إني لست أريدها لنفسي"، قال: فلمن يا رسول الله؟

قال: "لجليبيب "، فقال: يا رسول الله أشاور أمها، فأتى أمها فقال: " رسول الله ﷺ يخطب ابنتك "، فقالت: نعم ونعمة عيني) (زوج رسول الله ﷺ، فقال: إنه ليس يريدها لنفسه، قالت: فلمن؟

قال: لجليبيب، فقالت: حلقى[٢] أجليبيب إنية ؟، أجليبيب إنية ؟، لا، لعمر الله لا أزوج جليبيبا) (فلما أراد (أبوها) (أن يقوم ليأتي رسول الله ﷺ ليخبره بما قالت أمها ، قالت الجارية: من خطبني إليكم؟

فأخبرتها أمها، فقالت: أتردون على رسول الله ﷺ أمره؟

ادفعوني إلى النبي ﷺ، فإنه لا يضيعني فانطلق أبوها إلى رسول الله ﷺ فقال: شأنك بها، " فزوجها جليبيبا، فخرج رسول الله ﷺ في غزوة له، فلما أفاء الله عليه قال لأصحابه: هل تفقدون من أحد؟ "

قالوا: نعم، فلانا وفلانا وفلانا، ثم قال: " هل تفقدون من أحد؟ "

قالوا: نعم، فلانا وفلانا وفلانا، ثم قال: " هل تفقدون من أحد؟ "

---

(١) الأيم: الثيب التي فارقت زوجها بموت أو طلاق، وهذا هو الأصل في الأيم، ومنه قولهم: «الغزو مأيمة» أي: يقتل الرجال فتصير النساء أيامى، وقد تطلق على من لا زوج لها أصلًا، صغيرة كانت أو كبيرة، بكرًا كانت أو ثيبًا. «فتح الباري» (ج ١٤ / ص ٣٩٥).

(٢) يقال للمرأة: عقرى حلقى، معناه عقرها الله وحلقها، أي: حلق شعرها. (النووي - ج ٤ / ص ٣٠٠).

قالوا: لا، فقال رسول الله ﷺ: " لكني أفقد جليبيبا فاطلبوه[١]، فطلب في القتلى، فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه فقالوا: يا رسول الله ها هو ذا إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه) " فأتى رسول الله ﷺ فوقف عليه فقال: أقتل سبعة ثم قتلوه؟ هذا مني وأنا منه، هذا مني وأنا منه، قال: فوضعه رسول الله ﷺ على ساعديه) (فحفر له ما له سرير إلا ساعدا رسول الله ﷺ، ثم وضعه في لحده "، ولم يذكر أبو برزة أنه غسله)[٢].

٧١٦- هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا

عن ابن أبي حازم عن أبيه عن سهل قال: "مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟ قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ، قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟ قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْتَمَعَ، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا"[٣].

٧١٧- قصة عرض عمر رضي الله عنه ابته حفصة رضي الله عنها للزواج

عن عمر قال: تأيمت[٤] حفصة من خنيس بن حذافة وكان من النبي ﷺ ممن شهد بدرا فتوفى بالمدينة فلقيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة، قال سأنظر في ذلك، فلبثت

---

(١) أي: ابحثوا عنه.

(٢) أخرجه أحمد (١٩٧٩٩)، ومسلم (١٣١-٢٤٧٢)، وابن حبان (٤٠٣٥)، انظر: «صحيح موارد الظمآن» (١٩٢٤).

(٣) أخرجه البخاري (٥١٩٥٨).

(٤) الأيّم: في الأصل التي لا زوج لها، بكرًا كانت أم ثيّبا، مطلّقة كانت أو مُتَوَفًّى عنها. يقال تأيّمَتِ المرأة وآمَتْ إذا أقامت لا تتزوج، وكذلك الرجل.

ليالي فقال: ما أريد أن أتزوج يومي هذا، فلقيت أبا بكر فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة فلم يرجع إلى شيئًا، فكنت أوجد عليه منى على عثمان فلبثت ليالي، فخطبها إلى رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت علي، عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك شيئًا قلت: نعم، قال: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك شيئًا حين عرضتها علي إلا أني سمعت رسول الله ﷺ يذكرها ولم أكن أفشى سر رسول الله ﷺ، ولو تركها لنكحتها(١).

٧١٨- قصة الواهبة نفسها لرسول الله ﷺ

عن سهل بن سعد أن امرأة جاءت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله جئت لأهب لك نفسي، فنظر إليها رسول الله ﷺ فصعد النظر إليها وصوبه، ثم طأطأ رأسه، فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئًا جلست، فقام رجل من أصحابه فقال يا رسول الله: إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها، فقال: (هل عندك من شيء). فقال: لا والله يا رسول الله، قال: (اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئًا). فذهب ثم رجع فقال: لا والله يا رسول الله ما وجدت شيئًا، قال: (انظر ولو خاتما من حديد). فذهب ثم رجع فقال: لا والله يا رسول الله ولا خاتما من حديد، ولكن هذا إزاري - قال سهل: ما له رداء - فلها نصفه فقال رسول الله ﷺ: (ما تصنع بإزارك؟ إن لبسته لم يكن عليها منه شيء، وإن لبسته لم يكن عليك شيء)، فجلس الرجل حتى طال مجلسه، ثم قام فرآه رسول الله ﷺ موليا فأمر به فدعي فلما جاء قال: (ماذا معك من القرآن). قال: معي سورة كذا، وسورة كذا، وسورة كذا، عدها قال: (أتقرؤهن عن ظهر قلبك). قال: نعم، قال:

---

(١) أخرجه أحمد (١٢/١، رقم ٧٤)، والبخاري (١٤٧١/٤، رقم ٣٧٨٣)، والنسائي (٧٧/٦، رقم ٣٢٤٨)، وأبو يعلى (١٩/١، رقم ٧).

(اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن)[١].

٧١٩- قصة زواج أم سليم

عن أنس بن مالك قال: خطب أبو طلحة أم سليم، فقالت: إنه لا ينبغي أن أتزوج مشركًا، ثم قالت له: يا أبا طلحة! أما تعلم أن آلهتكم -الأصنام- ينحتها عبد آل فلان، وأنكم لو أشعلتم فيها نارًا لاحترقت؟

كيف تعبد يا أبا طلحة هذا الخشب وهذا الحجر من دون الله؟!

إنها دعوة إلى التوحيد، قال أنس: فانصرف وفي قلبه ذلك، ثم أتاها بعد ذلك وقال: الذي عرضت علي قد قبلت، فتزوجها، فكان مهرها الإسلام، فما أعظمه من مهر يا دعاة المادية! يا دعاة غلاء المهور! كان مهرها هو الإسلام! دخل في الإسلام فكان مهرًا لها.

٧٢٠- أما معاوية فصعلوك لا مال له

عبد الرحمن بن عاصم بن ثابت، أن فاطمة بنت قيس، أخت الضحاك بن قيس أخبرته وكانت عند رجل من بني مخزوم - وذكر الحديث بطوله وقال في آخره - فلما انقضت عدتها خطبها أبو جهم ومعاوية بن أبي سفيان، فاستأمرت النبي ﷺ فقال: «أما معاوية فصعلوك لا مال له، وأما أبو جهم فإني أخاف عليك شقاشقه» فأمرني بأسامة بن زيد فتزوجت أسامة بن زيد[٢].

٧٢١- قصة زواج سفيان بن عيينة

أخرج الحافظ أبو نعيم في الحلية عن يحيى بن يحيى يقول: كنت عند سفيان بن عيينة إذ جاء رجل، فقال: يا أبا محمد أشكو إليك من فلانة- يعني

---

(١) أخرجه مسلم (رقم ٤٧٤٢).
(٢) أخرجه مسلم (١٤٨٠).

امرأته- أنا أذل الأشياء عندها وأحقرها، فأطرق سفيان مليًا ثم رفع رأسه، فقال: لعلك رغبت إليها لتزداد عزًا، فقال: نعم يا أبا محمد، قال: من ذهب إلى العز ابتلى بالذل، ومن ذهب إلى المال ابتلى بالفقر، ومن ذهب إلى الدين يجمع الله له العز والمال مع الدين، ثم أنشأ يحدثه، فقال: كنا إخوة أربعة، محمد وعمران وإبراهيم وأنا فمحمد أكبرنا وعمران أصغرنا، وكنت أوسطهم، فلما أراد محمد أن يتزوج رغب في الحسب فتزوج من هي أكبر منه حسبًا فابتلاه الله بالذل، وعمران رغب في المال فتزوج من هي أكثر منه مالًا فابتلاه الله بالفقر، أخذوا ما في يديه ولم يعطوه شيئًا، فبقيت في أمرهما فقدم علينا معمر بن راشد فشاورته وقصصت عليه قصة إخوتي، فذكرني حديث يحيى بن جعدة وحديث عائشة، فأما حديث يحيى بن جعدة، قال النبي ﷺ: تنكح المرأة على أربع، على دينها وحسبها ومالها وجمالها، فعليك بذات الدين تربت يداك. وحديث عائشة أن النبي ﷺ قال: أعظم النساء بركة أيسرهن مؤنة. فاخترت لنفسي الدين وتخفيف الظهر اقتداء بسنة رسول الله ﷺ فجمع الله لي العز والمال مع الدين[١].

٧٢٢- وصية أم إياس ابنتها حين زُفت إلى زوجها

وصت أم إياس ابنتها حين زُفت إلى زوجها فقالت: أي بنية! إن الوصية لو كانت تترك لفضل أدب، أو لتقدم حسب، لزويت ذلك عنك، ولأبعدته منك، ولكنها تذكرة للغافل، ومعونة للعاقل.

أي بنية: لو أن امرأة استغنت عن زوج لغنى أبويها وشدة حاجتهما إليها، كنت أغنى الناس عن ذلك، ولكن النساء للرجال خُلقن، ولهن خُلق الرجال.

(١) «فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب» (١/ ٨٥٩).

أي بنية: إنك قد فارقت الحِمَى الذي منه خرجت، وخلَّفت العش الذي فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك مليكًا، فكوني له أمة يكن لك عبدًا وشيكًا، واحفظي له خصالًا عشرًا، تكن لك ذخرًا.

أما الأولى والثانية: فالصحبة بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة، فإن في القناعة راحة القلب، وفي حسن المعاشرة مرضاة للرب.

وأما الثالثة والرابعة: فالمعاهدة لموضع عينيه، والتفقد لموضع أنفه، فلا تقع عيناه على قبيح، ولا يشمّ منك إلا أطيب ريح.

وأما الخامسة والسادسة: فالتعاهد لوقت طعامه، والتفقد لحين منامه، فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة.

أما السابعة والثامنة: فالاحتراس بماله، والإرعاء على حشمه وعياله، وملاك الأمر في المال حسن التقدير، وفي العيال حسن التدبير.

وأما التاسعة والعاشرة: فلا تفشين له سرًا، ولا تعصين له أمرًا، فإنك إن أفشيت سرَّه لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره.

واتقي مع ذلك كله الفرح إذا كان ترحًا، والاكتئاب إذا كان فرحًا، فإن الأولى من التقصير، والثانية من التكدير.

وأشد ما تكونين له إعظامًا أشدَّ ما يكون لك إكرامًا، وأشدَّ ما تكونين له موافقة أطول ما يكون لك مرافقة.

واعلمي يا بنية أنك لا تقدرين على ذلك حتى تؤثري رضاه على رضاك، وتقدمي هواه على هواك فيما أحببتِ أو كرهت، والله يضع لك الخير وأستودعك الله.

٧٢٣- فأتت بالخليفة عمر بن عبد العزيز

أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه نهى في خلافته عن مذق اللبن بالماء (أي: مزجه به) فخرج ذات ليلة في حواشي المدينة، فإذا بامرأة تقول لابنةٍ لها:

ألا تمذقين لبنك فقد أصبحت؟

فقالت الجارية: كيف أمذق، وقد نهى أمير المؤمنين عن المذق؟

فقالت: قد مذق الناس فامذقي، فما يدري أمير المؤمنين.

فقالت: إن كان عمر لا يعلم، فالله عمر يعلم، ما كنت لأفعله وقد نهى عنه.

فوقعت مقالتها من عمر، فلما أصبح دعا عاصمًا ابنه فقال: يا بني اذهب إلى موضع كذا وكذا، فاسأل عن الجارية -ووصفها له- فذهب عاصم، فإذا هي جارية من بني هلال، فقال له عمر: اذهب يا بني فتزوجها، فما أحراها أن تأتي بفارس يسود العرب، فتزوجها عاصم بن عمر فولدت له أم عاصم بنت عاصم بن عمر ابن الخطاب، فتزوجها عبد العزيز بن مروان بن الحكم، فأتت بالخليفة عمر بن عبد العزيز[١].

٧٢٤- هل تحب أن يزورك أهلي؟

تزوج شُريح القاضي بامرأة من بني تميم، وكان يوم بنائه بها، يقول: (قمت أتوضأ فتوضأت معي، وصليت فصلت معي، فلما انتهيت من الصلاة دعوت بأن تكون ناصية مباركة وأن يعطيني الله من خيرها ويكفيني شرّها.

قال: فحمدت الله وأثنت عليه، ثم قالت: إنني امرأة غريبة عليك، فماذا يعجبك فآتيه، وماذا تكره فأجتنبه. قال: فقلت: إني أحبُّ كذا، وأكره كذا.

فقالت: هل تحب أن يزورك أهلي؟

---

(١) «سيرة عمر بن عبد العزيز» لابن عبد الحكم (ص٢٢، ٢٣).

فقلت: إنني رجلٌ قاض، وأخاف أن أملَّهم.

فقالت: من تحب أن يزورك من جيرانك؟

فأخبرها

قال شريح: فجلست مع هذه المرأة في أرغد عيش وأهنئه حتى حال الحول، إذ دخلتُ البيت فإذا بعجوز تأمر وتنهي، فسألت من هذه؟

فقالت: إنها أمي. فسألته الأم: كيف أنت وزوجتك؟

فقال لها: خير زوجة. فقالت: ما حوت البيوت شرًا من المدللة، فإذا رابك منها ريب فعليك بالسوط.

قال شريح: فكانت تأتينا مرة كل سنة، تنصح ابنتها وتوصيها، ومكثت مع زوجتي عشرين عامًا لم أغضبْ إلا مرة واحدة، وكنت لها ظالمًا)[١].

٧٢٥- فإنما هو جنتك ونارك

فعن حُصين بن محصن قال: حدثتني عمتي قالت: أتيت رسول الله ﷺ فقال: "أي هذه، أذات بعل؟"

قلت: نعم، قال: "كيف أنت منه؟"

قالت: ما آلوه[٢] إلا ما عجزت عنه. قال: "فانظري أين أنت منه، فإنما هو جنتك ونارك".

٧٢٦- وَلَنِعْمَ حليلة المرء المسلم أنتِ

دخلت سعدى على زوجها طلحة بن عبيد الله، فرأت على محياه سحابة هم لم تعرف سببها، وخشيت أن تكون قد قصرت في حق أو

(١) «فوائد الزواج وأسرار السعادة الزوجية» للمؤلف.

(٢) أي: لا أقصر في خدمته وطاعته.

فرطت في واجب، فبادرت قائلة: "ما لك!! لعلك رابك منا شيء فنعتبك".

قال: "لا، وَلَنِعْمَ حليلة المرء المسلم أنتِ.

ولكن اجتمع عندي مال ولا أدري كيف أصنع به؟"

قالت: "وما يغمك منه؟ ادع قومك فاقسمه بينهم".

قال: "يا غلام عليَّ بقومي، فقسّم أربعمائة ألف"(١).

عن ثوبان قال: دخل رسول الله ﷺ على فاطمة وأنا معه، وقد أخذت من عنقها سلسلة من ذهب، فقالت: هذه أهداها لي أبو الحسن. فقال: "يا فاطمة أيسرك أن يقول الناس: هذه فاطمة بنت محمد وفي يدها سلسلة من نار" ثم خرج. فاشترت بالسلسلة غلامًا فأعتقته، وهذا يبين لنا زهدها في متاع الدنيا.

٧٢٧- "إياكن وكفر المنعَّمين"

فعن أسماء ابنة زيد الأنصارية رضي الله عنها قالت: مرَّ بي النبي ﷺ وأنا في جوار أتراب لي، فسلم علينا وقال: "إياكن وكفر المنعَّمين"، فقلت: يا رسول الله وما كفر المنعَّمين؟

قال: "لعل إحداكن تطول أيِّمتُها من أبويها، ثم يرزقها الله زوجًا، ويرزقها منه ولدًا، فتغضب الغضبة فتكفر، فتقول: ما رأيت منك خيرًا قط"(٢).

٧٢٨- فإني ما استحق في تركته شيئًا

كان ببغداد رجل بزاز(٣) له ثروة، فبينا هو في حانوته أقبلت إليه

(١) «الزواجر عن اقتراف الكبائر» (١/ ٤٦١).

(٢) «الآداب الشرعية في المعاشرة الزوجية» (ص: ٨).

(٣) البزاز: بائع البز، والبز: الثياب أو متاع البيت من الثياب ونحوها.

صبية فالتمست منه شيئًا تشتريه، فبينا هي تحادثه كشفت وجهها في خلال ذلك، فتحير، وقال: قد والله تحيرت مما رأيت.

فقالت: ما جئت لأشتري شيئًا، إنما لي أيام أتردد إلى السوق ليقع بقلبي رجل أتزوجه، وقد وقعت أنت بقلبي، ولي مال، فهل لك في التزوج بي؟

فقال لها: لي ابنة عم وهي زوجتي، وقد عاهدتها ألا أغيرها، ولي منها ولد.

فقالت: وقد رضيت أن تجيء إلي في الأسبوع نوبتين، فرضي، وقام معها، فعقد العقد ومضى إلى منزلها، فدخل بها.

ثم ذهب إلى منزله، فقال لزوجته: إن بعض أصدقائي قد سألني أن أكون الليلة عنده.

ومضى، فبات عندها، وكان يمضي كل يوم بعد الظهر إليها.

فبقي على هذا ثمانية أشهر. فأنكرت ابنة عمه أحواله، فقالت لجارية لها: إذا خرج فانظري أين يمضي؟

فتبعته الجارية، فجاء إلى الدكان، فلما جاءت الظهر قام، وتبعته الجارية، وهو لا يدري، إلى أن دخل بيت تلك المرأة.

فجاءت الجارية إلى الجيران فسألتهم: لمن هذا الدار؟

فقالوا: لصبية قد تزوجت برجل تاجر بزاز.

فعادت إلى سيدتها، فأخبرتها، فقالت لها: إياك أن يعلم بهذا أحد، ولم تظهر لزوجها شيئًا.

فأقام الرجل تمام السنة، ثم مرض، ومات، وخلف ثمانية آلاف دينار، فعمدت المرأة التي هي ابنة عمه إلى ما يستحقه الولد من التركة، وهو سبعة آلاف دينار، فأفردتها وقسمت الألف الباقية نصفين، وتركت النصف

في كيس، وقالت للجارية: خذي هذا الكيس واذهبي إلى بيت المرأة، وأعلميها أن الرجل مات، وقد خلف ثمانية آلاف دينار، وقد أخذ الابن سبعة آلاف بحقه، وبقيت ألف فقسمتها بيني وبينك، وهذا حقك، وسلميه إليها، فمضت الجارية، فطرقت عليها الباب، ودخلت، وأخبرتها خبر الرجل، وحدثتها بموته، وأعلمتها الحال، فبكت، وفتحت صندوقها وأخرجت منه رقعة وقالت للجارية: عودي إلى سيدتك، وسلمي عليها عني، وأعلميها أن الرجل طلقني، وكتب لي براءة، وردي عليها هذا المال، فإني ما استحق في تركته شيئًا[١].

٧٢٩- قصة زواج عبد الله بن وداعة من ابنت سعيد بن المسيب

عن عبد الله بن وداعة قال: كنت أجالس سعيد بن المسيب فتفقدني أيامًا، فلما أتيته قال: أين كنت؟

قلتُ: توفيت زوجتي فاشتغلت بها، قال: هلا أخبرتنا فشهدناها؟

قال: ثم أردت أن أقوم، فقال: هل استحدثت امرأة؟

فقلت: - يرحمك الله تعالى- ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثًا، فقال: أنا، فقلت: وتفعل؟!

قال: نعم، فحمد الله تعالى وصلى على النبي ﷺ وزوجني على درهمين - أو قال: ثلاثة - قال: فقمت وما أدرى ما أصنع من الفرح، فعدت إلى منزلي وجعلت أفكر ممن آخذ، ممن أستدين، فصليت المغرب وانصرفت إلى منزلي، فأسرجت، وكنتُ صائما، فقدمت عشائي لأفطر، وكان خبزًا وزيتًا، وإذا بالباب يقرع، فقلت: من هذا؟

قال: سعيد، قال: ففكرت في كل إنسان اسمه سعيد، إلا سعيد بن

---

(١) «صفة الصفوة» (٥٣٢/٢).

المسيب، وذلك أنه لم يمر أربعين سنة إلا بين داره والمسجد، فخرجت إليه، فإذا به سعيد بن المسيب، فظننت أنه بدا له ـ أي رجع عن رأيه ـ فقلت: يا أبا محمد: لو أرسلت إلى! لأتيتك، فقال: لا، أنت أحق أن تؤتى، فقلت: ماذا تأمر؟

فقال، إنك رجلًا عزبًا فتزوجتَ، فكرهت أن تبيت الليلة وحدك، وهذه امرأتك، وإذا هي قائمة خلفه في طوله، فدفعها في الباب ورده.

قال: ثم دخلت بها، فإذا هي من أجمل النساء وأحفظ الناس لكتاب الله تعالى وأعلمهم لسنة رسول الله ﷺ، وأعرفهم بحق الزوج.

٧٣٠- فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك؟

عن وهب بن كيسان، عن جابر، قال:خرجت مع رسول الله ﷺ في غزاة، فأبطأ بي جملي، فأتى علي رسول الله ﷺ، فقال لي: يا جابر، قلت: نعم، قال: ما شأنك؟

قلت: أبطأ بي جملي وأعيا، فتخلفت، فنزل فحجنه بمحجنه، ثم قال: اركب، فركبت، فلقد رأيتني أكفه عن رسول الله ﷺ، فقال: أتزوجت؟

فقلت: نعم، فقال: أبكرا أم ثيبا؟

فقلت: بل ثيب، قال: فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك؟

قلت: إن لي أخوات، فأحببت أن أتزوج امرأة تجمعهن وتمشطهن، وتقوم عليهن، قال: أما إنك قادم، فإذا قدمت فَالْكَيْسَ الْكَيْسَ ، ثم قال: أتبيع جملك؟ قلت: نعم، فاشتراه مني بأوقية، ثم قدم رسول الله ﷺ، وقدمت بالغداة، فجئت المسجد، فوجدته على باب المسجد، فقال: الآن حين قدمت؟

قلت: نعم، قال: فدع جملك، وادخل فصل ركعتين، قال: فدخلت فصليت، ثم رجعت، فأمر بلالا أن يزن لي أوقية، فوزن لي بلال، فأرجح في

الميزان، قال: فانطلقت، فلما وليت قال: ادع لي جابرا، فدعيت، فقلت: الآن يرد علي الجمل، ولم يكن شيء أبغض إلي منه، فقال: خذ جملك، ولك ثمنه(١).

٧٣١- عَقَقْتَهُ قبل أن يعقّك

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "أن رجلًا جاء إليه بابنه، فقال: إن ابني هذا يعقني. فقال عمر رضي الله عنه للابن: أما تخاف الله من عقوق والدك، فإن من حق الوالد كذا، ومن حق الوالد كذا.

فقال الابن: يا أمير المؤمنين، أما للابن على والده حق؟

قال: نعم، حقّه عليه أن يستنجب أمه، يعني لا يتزوج امرأة دنيئة، لكيلا يكون للابن تعيير بها.

قال: ويُحسن اسمه، ويعلمه الكتاب.

فقال الابن: فوالله ما استنجب أمي، وما هي إلا سِنْدِيّة اشتراها بأربعمائة درهم، ولا حسّن اسمي، سماني جُعَلًا - ذكر الخفاش - ولا علمني من كتاب الله آية واحدة. فالتفت عمر رضي الله عنه إلى الأب وقال: تقول: ابني يعقني، فقد عَقَقْتَهُ قبل أن يعقّك، قم عني"(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٩٧)، ومسلم (١٥٦/٢) (١٦٠٥).

(٢) «تنبيه الغافلين» (ص١٣٠).

الفصل الخامس والثلاثون مع الزاهدين والزاهدات

٧٣٢- فراش محمد ﷺ وطعامه

عن ابن عباس أن عمر رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ في خزانته فإذا هو مضطجع على حصير، فأدني عليه أزاره وجلس وإذا الحصير قد أثر بجنبه، فقلبت عيني في خزانة رسول الله ﷺ فإذا ليس فيها شيء من الدنيا غير قبضتين أو قال قبضة من شعير وقبطه من قرظ نحو الصاعين، وإذا أَفِيقٌ معلق أو أفيقان قال: فابتدرت عيناي فقال: رسول الله ﷺ ما يبكيك يا ابن الخطاب؛ قلت يا رسول الله ومالي لا أبكي وأنت صفوة الله ورسوله وهذه خزانتك! وكسرى وقصير في الثمار والأنهار وأنت هكذا.

فقال: يا ابن الخطاب أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؛ قلت بلى: يا رسول الله قال " فاحمد الله تعالى"(١).

٧٣٣- رديه فوالله لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان فراش النبي ﷺ من أدم حشوه ليف(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت علي امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله ﷺ عباءة مثنية فانطلقت فبعثت إلي بفراش حشوه من الصوف فدخل علي رسول الله ﷺ فقال: ما هذا يا عائشة؟

قلت: فلانة رأت فراشك فبعثت إلى بهذا، فقال: رديه يا عائشة، قالت فلم

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٦٤٥٦).

أرده وأعجبني أن يكون في بيتي، حتى قال ذلك ثلاث مرار قالت: فقال رديه فوالله لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة[١].

٧٣٤- مالي وللدنيا

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: اضطجع رسول الله ﷺ على حصير فأثر في جنبه فقيل له: ألا نأتيك بشيء يقيك منه؛ فقال: مالي وللدنيا إنما أنا والدنيا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها[٢].

٧٣٥- الله مالي أراك ساهم الوجه

❁ **شدة حرص النبي ﷺ على التخفف من الدنيا.**

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: دخل علي رسول الله ﷺ ساهم الوجه فحسبت ذلك وجع، فقلت: يا رسول الله مالي أراك ساهم الوجه؛ فقال: من أجل الدنانير السبعة التي أتتنا أمس ولم ننفقهن فكن في خمل الفراش[٣].

٧٣٦- من كان يطلب رسول الله ﷺ دينا فليحضر

عن معاوية بن سلام عن زيد أنه سمع أبا سلام حدثني عبد الله أبو عامر الهرزني قال: لقيت بلالا مؤذن رسول الله ﷺ بحلب فقلت: حدثني كيف كانت نفقة النبي ﷺ فقال ما كان له شيء من ذلك إلا أنا الذي كنت إلى ذلك منه منذ بعثة الله إلى أن توفي، فكان إذا أتاه الإنسان المسلم فراه عاريا يأمرني فأنطلق فاستقرض فأشتري البردة والشيء فاكسوه أطعمه حتى

---

(١) أخرجه وأخرجه أبو يعلى (٥٢٩٢)، وأخرجه الترمذي (٢٣٧٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (ح ٢٤٨٤).

(٢) صحيح بنحوه: أخرجه الترمذي (٢٣٤٨)، وابن ماجه (٤١٠٤)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه».

(٣) أخرجه أحمد (ح ٢٦٥١٣)، وأخرجه ابن حبان (٥١٦٠)، وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٥٢/٢٣).

أعترض رجل من المشركين فقال: يا بلال إن عندي سعة فلا تستقرض من أحد إلا مني ففعلت فلما كان ذات يوم توضأت، ثم قمت أؤذن بالصلاة، فإذا المشرك في عصابة من التجار فلما رأني قال: يا حبشي، قلت يا لبيه فتهجمني وقال قولا غليظا فقال: أتدري كم بينك وبين الشهر؛ قلت قريب، قال إنما بينك وبينه أربع ليال فأخذك بالذي لي عليك، فإني لم أعطك الذي أعطيتك من كرامتك ولا من كرامة صاحبك، ولكن أعطيتك لتصير لي عبدا أردك ترعى الغنم كما كنت قبل ذلك، فأخذني في نفسي ما يأخذ في أنفس الناس، فانطلقت ثم أذنت بالصلاة، حتى إذا صليت العتمة رجع النبي ﷺإلى أهله فاستأذنت عليه فأذن لي: فقلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي إن المشرك قال لي كذا وكذا وليس عندك ما تقضي عني، ولا عندي وهو فاضحي، فأذن لي أن آتي بعض هؤلاء الأحياء الذين قد أسلموا، حتى يرزق الله رسوله ﷺ ما يقضي عني فخرجت حتى أتيت منزلي فجعلت سيفي وجرابي ورمحي ونعلي عند رأسي واستقبلت بوجهي الأفق فكلما نمت انتبهت فإذا رأيت علي ليلا نمت حتى انشق عمود الصبح الأول فأردت أن أنطلق فإذا إنسان يسعى، يدعو: يا بلال أجب رسول الله ﷺ فانطلقت حتى أتيته فإذا أربع ركائب عليهن أحملاهن فأتيت النبي ﷺ فاستأذنت فقال لي النبي ﷺ أبشر فقد جاءك الله بقضائك فحمدت الله قال: ألم تر على الركائب المناخات الأربع؛ قلت: بلى، قال: فإن لك رقابهن وما عليهن، فإذا عليهن كسوة وطعام أهداهن له عظيم فدك، فحططت عنهن، ثم عقلتهن، ثم عمدت إلى تأذين صلاة الصبح حتى إذا صلي رسول الله ﷺ خرجت إلى البقيع فجعلت إصبعي في أذني، وناديت وقلت: من كان يطلب رسول الله ﷺ دينا فليحضر؛ فما زالت أبيع وأقضي حتى لم يبق على رسول اللهﷺ دين في الأرض، حتى فضل عندي

أوقيتان أو أوقية ونصف ثم انطلقت إلى المسجد وقد ذهب عامة النهار فإذا رسول الله ﷺ قاعد في المسجد وحده فسلمت عليه، فقال لي ما فعل ما قبلك؛ قلت قد قضي الله كل شيء كان على رسول الله ﷺ فلم يبقي شيء ،قال أفضل شئ فقلت نعم نعم ديناران قال: انظر أن تريحني منهما فلست بداخل على أحد من أهلي حتى تريحني منهما، فلم يأتينا أحد، فبات في المسجد حتى أصبح وظل في المسجد اليوم الثاني حتى كان آخر النهار جاء راكبان، فانطلقت بهما فكسوتهما وأطعمتهم حتى إذا صلى العتمة دعاني فقال: ما فعل الذي قبلك؛ قلت: قد أراحك الله منه فكبر وحمد الله شفقا من أن يدركه الموت، ثم اتبعته حتى جاء أزواجه فسلم على امرأة امرأة حتى أتى مبيته فهو الذي سألتني عنه(١).

٧٣٧- إليك عني إليك عني

حرص أبي بكر الصديق رضي الله عنه: عن زيد بن أرقم أنا أبا بكر استسقى، فأتى بإناء فيه عسل فلما أدناه من فيه - فمه - بكى وأبكى من حوله فسكت وما سكتوا ثم عاد فبكى حتى ظنوا أن لا يقدروا على مساءلته ثم مسح وجهه وأفاق فقالوا: ما أهاجك على هذا البكاء؟

قال كنت مع النبي ﷺ وجعل يدفع عنه شيئًا ويقول: " إليك عني إليك عني " ولم أر معه أحد.

فقلت يا رسول الله أراك تدفع شيئًا ولا أرى معك أحد؟

قال: هذه الدنيا تمثلت لي بما فيها فقلت لها إليك عني فتنحت، وقالت أما والله لئن انفلت مني لا ينفلت مني من بعدك " فخشيت أن تكون قد

(١) «سير أعلام النبلاء» (ج١ ص٣١٤- ٣١٦)، وأخرجه أبو داود وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (ح ٣٠٥٥).

لحقتني فذاك الذي أبكاني"[١].

٧٣٨- لقد أتعب من بعده تعبًا شديدًا

عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما مرضى أبو بكر مرضه الذي مات فيه قال: انظري ما زاد في مالي منذ دخلت في الإمارة فابعثوا به إلى الخليفة من بعدي " فنظر فإذا عبد نوبي كان يحمل صبيانه وإذا ناضح كان يسقى بستانا له فبعثنا بهما إلى عمر قالت: فأخبرني جدي أن عمر بكى وقال رحمه الله لقد أتعب من بعده تعبا شديدًا[٢].

٧٣٩- لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى

وقالت عائشة رضي الله عنها: لما مرض أبو بكر مرضه الذي مات فيه دخلت عليه وهو يعالج ما يعالج الميت ونفسه في صدره فتمثلت هذا البيت:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فنظر إلى كالغضبان ثم قال: ليس كذلك يا أم المؤمنين ولكن قول الله أصدق: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ [ق:١٩].

ثم قال: يا عائشة إنه ليس أحد من أهلي أحب إلي منك وقد كنت نحلتك حائط وإن في نفسي منه شيء فرد به إلى الميراث قالت: نعم فرددته وقال رضي الله عنه: أما أنا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم دينارا ولا درهما ولكنا قد أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا، وليس عندنا من فئ المسلمين قليل ولا كثير إلا هذا العبد وهذا

---

(١) أخرجه الحاكم (٣٤٤/٤، رقم ٧٨٥٦) وقال: صحيح الإسناد. وأبو نعيم في «الحلية» (٣٠/١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٦٥/٧، رقم ١٠٥٩٦).

(٢) الناضح: هو البعير يستقي عليه.

البعير الناضج وجرد هذه القطيفة فإذا مت فابعثي به إلى عمر وابرئي منهن فقلت فلما جاء الرسول " عمر " بكى حتى جعلت دموعه تسيل في الأرض ويقول: رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده، رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده، رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده "[١].

٧٤٠- إنما حبسني قميصي هذا

عمر ابن الخطاب رضي الله عنه:

قال ابن الجوزي: في مناقب عمر: قال عبد العزيز ابن أبي جميلة: أبطأ عمر ابن الخطاب رضي الله عنه جمعه بالصلاة فلما خرج صعد المنبر واعتذر إلى الناس فقال " إنما حبسني قميصي هذا لم يكن لي قميص غيره يخاط له أبيض سُنْبلاني[٢] لا يجاوزكمه "[٣]

٧٤١- كلما اشتهيت اشتريت!!

عن جابر رضي الله عنه قال: رأى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه في يدي لحما معلقا قال ما هذا يا جابر؟

قال: اشتهيت لحما فاشتريته.

فقال عمر كلما اشتهيت اشتريت!! أما تخاف هذه الآية " أذهبتكم طيباتكم في حياتكم الدنيا"[٤].

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات» (١٤٦/٣، ١٤٧) ورجاله ثقات، و«ربيع الأبرار» (١ / ٢٩٣).

(٢) « قميص سُنبلاني - بالضم -: سابغ الطول، منسوب إلى بلد بالروم. (القاموس ص ١٣١٤).

(٣) «الطبقات» لابن سعد (٣٥١/٣)، وإسناده صحيح.

(٤) أخرجه مالك في «الموطأ»، وأحمد في «الزهد» (١٥٣)، والبيهقي في «الشعب» (٣٢٨٤).

٧٤٢- إن طعامك هذا جشب غليظ

وعن حميد ابن هلال: أن حفص ابن العاص كان يحضر طعام عمر، فكان لا يأكل فقال عمر له: ما يمنعك من طعامنا؟

قال: إن طعامك هذا جشب غليظ، وإني أرجع إلى طعام لين قد صنع لي فأصيب منه، قال: أتراني أعجز أن آمر بشاة فيلقى عنها شعرها، وآمر بدقيق فينخل ثم يصب في خرقة، ثم آمر به فيخبز خبزا رقاقا وآمر بصاع من زبيب فيقذف في سعن ثم يصب عليه من الماء فيصبح كأنه دم الغزال؟

فقال إني لا أراك عالما بطيب العيش.

قال: أجل والذي نفسي بيده لولا أن تنقص حسناتي لشاركتكم في لين عيشكم"[(١)].

وعوتب عمر فقيل له: لو أكلت طعاما طيبا كان أقوى لك على الحق؟

فقال: إني تركت صاحبي على جادة فإن تركت جادتهما فلن أدركهما في المنزل" وكان معاوية رضي الله عنه يقول " أما أبو بكر فلم يرد الدنيا ولم ترده، وأما عمر فأرادته الدنيا ولم يردها، أما نحن فتمرغنا فيها ظهرا لبطن "[(٢)].

٧٤٣- هذا أمير المؤمنين

عثمان بن عفان رضي الله عنه. إنه ذو النورين من باع نفسه وماله لله ورسول الله. من جهز جيش في العسرة... وعلى الرغم من ذلك الثراء إلا أنه كان من أزهد الناس في زينة الحياة الدنيا وهيا لنرى مدى حرصه على التخفف

---

(١) «سير الخلفاء» للذهبي (ص ٨١).

(٢) أخرجه ابن عساكر (٢٢٤/٥٢) في «تاريخه»، وابن الأثير في «أسد الغابه» (١٤٧/٤) بسند حسن.

من الدنيا، عن الحسن سئل عن القائلين في المسجد فقال: رأيت عثمان بن عفان ﷺ يقيل في المسجد وهو يومئذ خليفة، قال يقوم وأثر الحصير بجنبه قال فيقال. هذا أمير المؤمنين هذا أمير المؤمنين[١].

٧٤٤- أكره أن أعود نفسي ما لم تعتده

علي بن أبي طالب ﷺ .فعن عبد الله بن شريك عن جده عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه أتي بفالوذج[٢] فوضع قدامه بين يديه فقال: إنك طيب الريح حسن اللون طيب الطعم، ولكن أكره أن أعود نفسي ما لم تعتده[٣].

٧٤٥- هذا يبلغني المقيل

عن عروة قال: دخل عمر بن الخطاب على أبي عبيده بن الجراح ﷺ فإذا هو مضطجع على طنفسة رحلة متوسد -الحقيبة - فقال: عمر ألا اتخذت ما أتخذ أصحابك؛ فقال: يا أمير المؤمنين. هذا يبلغني المقيل[٤].

٧٤٦- غيرتنا الدنيا كلنا غيرك يا أبا عبيده

وعن ابن عمر ﷺ: أن عمر حين قدم الشام قال لأبي عبيده: أذهب بنا إلى منزلك، قال: وما تصنع عندي، ما تريد إلا أن تعصر عينك علي: قال فدخل فلم ير شيئًا، قال أين متاعك؛ لا أري إلا لِبْداً وصحفة وشنا وأنت أمير أعندك طعام؛ فقام أبو عبيده إلى جونة فأخذ منها كسيرات فبكي عمر، فقال له أبو عبيدة، قد قلت لك إنك ستعصر عينك علي يا أمير المؤمنين، يكفيك ما يبلغك المقيل، قال عمر: غيرتنا الدنيا كلنا غيرك يا أبا

---

(١) «حلية الأولياء» (١ / ٦٠)، و«صفة الصفوة» (١ / ٣٠٣).
(٢) الفالوذج: نوع من الحلوى.
(٣) «سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي» (٢ / ٣٣).
(٤) «مصنف ابن أبي شيبة» (ح ٣٥٧٦٢).

عبيده[١].

٧٤٧- الحمد لله الذي جعل في الإسلام من يصنع هذا

وروي مالك أن عمر أرسل إلى أبي عبيده: بأربعة آلاف أو بأربعمائة دنيار وقال للرسول: أنظر ما يصنع بها قال فقسمها أبو عبيده، ثم أرسل إلى معاذ بمثلها، وقال: قسمها إلا شيئًا قالت له امرأته نحتاج إليه فلما أخبر الرسول عمر قال: الحمد لله الذي جعل في الإسلام من يصنع هذا[٢].

٧٤٨- بل أنتم اليوم خير

عن علي بن أبي طالب ﷺ قال خرجت في غداة شاتية جائعا وقد أوبقني البرد فأخذت ثوبا من صوف قد كان عندنا ثم أدخلته في عنقي وحزمته على صدري أستدفىء به والله ما كان في بيتي شيء آكل منه ولو كان في بيت النبي ﷺ شيء لبلغني فذكر الحديث إلى أن قال ثم جئت إلى رسول الله ﷺ فجلست إليه في المسجد وهو مع عصابة من أصحابه فطلع علينا مصعب بن عمير في بردة مرقوعة بفروة وكان أنعم غلام بمكة وأرفهه عيشا فلما رآه النبي ﷺ ذكر ما كان فيه من النعيم ورأى حاله التي هو عليها فذرفت عيناه فبكى ثم قال رسول الله ﷺ أنتم اليوم خير أم إذا غدا على أحدكم بجفنة من خبز ولحم وريح عليه بأخرى وغدا في حلة وراح في أخرى وسترتم بيوتكم كما تستر الكعبة.

قلنا: بل نحن يومئذ خير نتفرغ للعبادة.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (ج٣ ص٩،١٠) وإسناده ضعيف فيه، عبد الله عمر العمراوي قال عنه ابن حجر في «التقريب» (٣٤٨٩): ضعيف.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (ج٣ ص١٠) وإسناده منقطع.

قال: بل أنتم اليوم خير[١].

٧٤٩- لو قنعت لم تكن مطهرتي مرهونة

عن أبي وائل قال: ذهبت أنا وصاحب لي إلى سلمان فقال: لولا رسول الله نهى عن التكلف لتكلفت لكم. فجاءنا بخبز وملح. فقال صباحي لو كان في ملحنا صعتر، فبعث سلمان بمطهرته فرهنها فجاء بصعتر فلما أكلنا قال صاحبي الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا فقال سلمان: لو قنعت لم تكن مطهرتي مرهونة[٢].

٧٥٠- ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب

دخل سعد وابن مسعود على سلمان عند الموت فبكى. فقيل له: ما يبكيك؛ قال عهد عهده إلينا رسول الله ﷺ لم نحفظه قال: ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب. وأما أنت يا سعد: فاتق الله في حكمك إذا حكمت وفي قسمك إذا قسمت وعند همك إذا هممت.

قال ثابت: فبلغني أنه ما ترك إلا بضعة وعشرون درهما نفقة كانت عنده[٣].

٧٥٢- ألا نبي لك بيت تستظل به

عن معن عن أنس أن سلمان الفارسي رضي الله عنه .كان يستظل بالفيء وحيث دار ولم يكن له بيت فقال له رجل: ألا نبي لك بيت تستظل به من

---

(١) أخرجه هناد في «الزهد» (٣٨٩/٢، رقم ٧٥٨)، والترمذي (٦٤٧/٤)، وقال الألباني: ضعيف، «المشكاة» (٥٣٦٦ / التحقيق الثاني).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (ح ٦٠٩٨)، والحاكم (ح ٧١٤٦)، قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٥ / ٥١١).

(٣) أخرجه بن ماجه (ح ٤١٠٤)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٢٣١٢).

الحر وتسكن فيه من البرد؛ فقال له سلمان رضي الله عنه: نعم فلما أدبر، صاح به فسأله سلمان: كيف تبنيه؛ فقال: أبنيه إن قمت فيه أصاب رأسك وإن اضطجعت فيه أصاب رجلك فقال سلمان أصبت[١].

٧٥٣- خوف أبي ذر رضي الله عنه

عن أبي أسماء أنه دخل على أبي ذر بالربذة وعنده امرأة سوداء مشعته ليس عليها أثر المجاسد والخلوق، فقال ": ألا تنظرون ما تأمرون به؛ تأمروني أن آتي العراق، فإذا أتيتها ما لوا علي بدنياهم؛ وأن خليلي عهد إلي أن دون جسر جهنم طريق ذا دحض ومزلة وأنا نأتي عليه وفي أحمالنا اقتدار أحرى أن ننجو من أن نأتي عليه ونحن مواقير[٢].

٧٥٤- تعمروا دار أذن الله بخربها

وعن ثابت البناني بني أبو الدر داء مسكنا فمر عليه أبو ذر فقال: ما هذا! تعمروا دار أذن الله بخربها لأن تكون رأيتك تتمرغ في عذراه أحب إلي من أن أكون رأيتك فيما رأيتك.

٧٥٥- أما ثوابك فعلى الله

عن أم طلق قالت: دخلت على أبي ذر فرأيته شعثا شاحبا بيده صوف قد جعل عودين وهو يغزل بهما فلم أر في بيته شيئًا فناولته شيئًا من دقيق وسويق فقال لي: أما ثوابك فعلى الله[٣].

---

(١) «الطبقات الكبرى» (٤/ ٨٩)، و«تاريخ دمشق» (٢١ / ٤٣٦)، و«صفة الصفوة» (١ / ٥٣٩).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (ج٣ /٣٨٨) ورجاله ثقات، وأخرجه ابن سعد (٢٣٦/٤)، وأحمد (١٩٥/٥).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (ج٣٨٨/٣)، وعن أبي بكر بن المنكدر.

٧٥٦- مالنا إلا ظل نتوارى به

قال بعث حبيب بن مسلمة وهو أمير الشام إلى أبي ذر بثلاث مائة دينار، وقال استعن بها على حاجتك فقال: أبو ذر: ارجع بها إليه أو ما وجد أحد أغر بالله ﷻ منا؛ مالنا إلا ظل نتوارى به وثلة من غنم تروح علينا ومولاه لنا تصدقت علينا بخدمتها ثم إني لأتخوف الفضل - الزيادة.

٧٥٧- يا أبا ذر أين متاعك

عن جعفر بن سليمان قال: دخل رجل علي أبي ذر فجعل يقلب بصره في بيته فقال: يا أبا ذر أين متاعك؛ قال: لنا بيت نوجه إليه صالح متاعنا، قال: أنه لابد لك من متاع ما دمت هاهنا قال: أن صاحب المنزل لا يدعنا فيه[١].

٧٥٨- حجوا حجة لعظائم الأمور

عن سفيان الثوري قال: قام أبو ذر الغفاري عند الكعبة فقال: يا أيها الناس أنا جندب الغفاري هلموا إلى الأخ الناصح الشفيق. فاكتنفه الناس فقال أريتم لو أن أحد منكم أراد سفر أليس يتخذ من الزاد ما يصلحه ويبلغه؛ قالوا بلى؛ قال: فإن سفر طريق القيامة أبعد ما تريدون، فخذوا ما يصلحكم، قالوا: وما يصلحنا؛ قالوا حجوا حجة لعظائم الأمور، وصوموا يومًا شديدًا حره لطول يوم النشور، وصلوا ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور... كلمة خير تقولها أو كلمة شر تسكت عنها لوقوف يوما عظيم تصدق بمالك لعلك تنجوا من عسيرها أجعل الدنيا مجلسين مجلسًا في طلب الحلال، ومجلسا في طلب الآخرة، الثالث يضرك ولا ينفعك.

اجعل المال درهمين درهما: تنفقه علي عيالك من حلة، ودرهما تقدمه

---

(١) «صفة الصفوة» (١ / ٥٩٥).

لأخرتك، الثالث يضرك ولا ينفعك لا ترده، ثم نادي بأعلى صوته: يا أيها الناس قد قتلكم حرص لا تدركونه أبدًا[١].

٧٥٩-الطريق قد جاء الأمير

عن أبي رافع قال: كان مروان ربما استخلف أبا هريرة على المدينة فيركب حمارا ببردعة وخطامه ليف فيسير فيلقى الرجل فيقول: الطريق قد جاء الأمير. وربما أتى الصبيان وهم يلعبون بالليل لعبة الأعراب فلا يشعرون بشيء حتى يلقي نفسه بينهم ويضرب برجليه فيفزع الصبيان ويفرون.

٧٦٠- أوسع الطريق للأمير

عن ثعلبة بن أبي مالك قال: أقبل أبو هريرة في السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان فقال: أوسع الطريق للأمير[٢].

٧٦١- إن بين أيدينا عقبة كؤود المخف فيها خير من المثقل

وعن محمد بن كعب قال: أن أناسا نزلوا على أبي الدر داء ليلة قرة فأرسل إليهم بطعام سخن ولم يرسل إليهم بلحف، فقال: بعضهم لقد أرسل إلينا بالطعام فما هنأنا مع القر لا أنتهي أو أبين له، قال الأخر: دعه فأبى فجاء حتى وقف على الباب رآه جالسا وامرأته ليس عليها من الثياب إلا ما لا يذكر، فرجع الرجل وقال: ما أراك بت إلا نحو ما بتنا به، قال، إن لنا دار ننتقل إليها قدمنا ننتقل إليها فرشنا ولحفنا إليها لو ألفيت عندنا منه شيئًا لأرسلنا إليك به وإن بين أيدينا عقبة كؤود المخف فيها خير من المثقل

(١) «صفة الصفوة» (ج١ ص١٩٠).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (ج١ ص١٧٨- ١٧٩)، وأخرجه ابن سعد (٤٨٥/٢).

أفهمت ما أقول لك؛ قال نعم[١].

٧٦٢- أحب الموت وتكرهونه

روى أحمد عن بن سليمان أن أبا الدرداء كان يقول " ويل لكل جماع فاغر فاه، كأنة مجنون يرى ما عند الناس ولا يرى ما عند الله ﷻ لو يستطيع لوصل الليل بالنهار، ويله من حساب غليظ وعذاب شديد قال وكان يقول: أحب الموت وتكرهونه؛ وأحب الفقر وتكرهونه؛ وأين الذين أملوا بعيد وجمعوا كيثرا وبنوا شديد فأصبح أملهم غرورا وأصبح جمعهم بورا أصبحت منازلهم قبورا؟

٧٦٣- ما أعجب ابن عمر شيء من ماله إلا قدمه

وعن عبيد الله عن نافع قال: ما أعجب ابن عمر شيء من ماله إلا قدمه بينا هو يسير على ناقته إذ أعجبته فقال اخ اخ؛ قال يا نافع حط عنها الرحل فجللها وقلدها وأجعلها في بدنه[٢].

٧٦٤- ألا نجعل لك جوارش؟

عن ابن سيرين: أن رجلا قال لابن عمر: ألا نجعل لك جوارش؟

قال: وأي شيء جوارش؟

قال: شيء إذا كظك الطعام فأخذت منه شيئًا يذهب عنك ما تجد.

فقال ابن عمر: ما شبعت منذ أربعة أشهر، وما ذاك أن لا أكون له واجدًا، ولكني عهدت أقواما يشبعون مرة ويجوعون مرة[٣].

---

(١) «صفة الصفوة» (ج١ ص ٢٠٦).

(٢) «تاريخ الإسلام» للإمام الذهبي (٥ / ٤٦٠).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٣ / ٢٢٢)، و«حلية الأولياء» (١ / ٣٠٠).

٧٦٥- إن الله قد نهاك عن الغيبة

قال عبد الملك بن هارون بن عنترة حدثا أبي عن جدي أن عمير بن سعد بعثة عمر على حمص فمكث حولا لا يأتيه خبره فكتب إليه أقبل بما جبيت من الفيء فأخذ جرابه وقصعته وعلق أداوته وأخذ عَنَزَته وأقبل راجلا فدخل المدينة وقد شجبا وأغبر وطال شعره فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال ما شأنك قال ألست صحيح البدن مع الدنيا فظن عمر أنه جاء بمال فقال جئت تمشي.

قال: نعم قال أما كان أحد يتبرع لك بدابة؟

قال: ما فعلوا ولا سألتهم قال بئس المسلمون قال يا عمر:إن الله قد نهاك عن الغيبة.

فقال ما صنعت؟

قال: الذي جبيته ووضعته في مواضعه ولو نالك منه شيء لأتيتك به.

قال: جددوا لعمير عهدا قال لا عمل لك ولا لأحد ،قلت لنصراني أخزاك الله، وذهب إلى منزله على أميال من المدينة فقال عمر أراه خائنا فبعث رجلا بمائة دينار قال انزل بعمير كأنك ضيف فإن رأيت شيء فأقبل وإن رأيت حالا شديدة فادفع إليه هذه المائة، فانطلق فرآه يُفلي قميصه فسلم فقال له عمير:انزل منزل فساءله فقال: كيف أمير المؤمنين؟

قال ضرب ابنا له على فاحشة فمات فنزل به ثلاثا ليس إلا قرص شعير يخصونه به ويطوون ثم قال: إنك قد أجعتنا فأخرج الدنانير فادفعها إليه فصاح وقال: لا حاجة لي بها ردها علية

قالت المرأة: إن احتجت إليها وإلا ضعها مواضعها

فقال: مالي شيء أجعلها فيه فشقت المرأة درعها فأعطته خرقة فجعلها

فيها ثم خرج يقسمها بين أبناء الشهداء، أتى الرجل عمر فقال: ما فعل بالذهب؟

قال لا أدرى، فكتب إلية عمر يطلب فجاء فقال، ما صنعت بالدنانير؟

قال وما سؤالك؟

قدمتها لنفسي فأمر له بطعام وثوبين، فقال لا حاجه لي في الطعام وأما الثوبان، فإن أم فلان عارية فأخذه ورجع فلم يلبث أن مات(١).

٧٦٦- أفضل القصد عند الجدة وأفضل العفو عند المقدرة.

عمر بن عبد العزيز -زهده ﷺ: عن سعيد بن سويد أن عمر بن عبد العزيز صلى بهم الجمعة ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه فقال له رجل يا أمير المؤمنين!! إن الله قد أعطاك، فلو لبست!!

فقال: أفضل القصد عند الجدة وأفضل العفو عند المقدرة.

٧٦٧- لا بل أختارك يا أمير المؤمنين

عن الفرات بن السائب أن عمر بن عبد العزيز قال لامرأته فاطمة بنت عبد الملك بن مروان وكان عندها جوهر أمر لها به أبوها لم ير مثله اختاري إما أن تردي حليك إلى بيت المال وإما تأذني لي في فراقك؟

فإني أكره أن أكون أنا وأنت وهو في بيت واحد

قالت لا بل أختارك يا أمير المؤمنين [عليه] وعلى أضعافه لو كان لي فأمر به فحمل حتى وضع في بيت مال المسلمين فلما هلك عمر واستخلف يزيد قال لفاطمة إن شئت رددته عليك قالت فإني لا أشاؤه طبت عنه نفسا في

(١) «صفة الصفوة» (ج١ ص ٢٢٨)، و«سير أعلام النبلاء» (ج٤ ص ١٤٧- ١٤٨).

حياة عمر وأرجع فيه بعد موته لا والله أبدًا فلما رأى ذلك قسمه بين أهله وولده[١].

٧٦٨- قدموا لي بغلتي

عن الضحاك بن عثمان قال: لما أنصرف عمر بن عبد العزيز عن قبر سليمان بن عبد الملك صفت له مراكب سليمان فقال:

ولولا التقى ثم النهى خشية الردى لعاصيت في حب الصبا كل زاجر

قضى ما قضى فيما مضى ثم لا يرى له صبوة أخرى الليالي الغوابر

ثم قال إن شاء الله لا قوة ألا بالله، قدموا لي بغلتي[٢].

٧٦٩-والله لقد انتزعتها من أبني وكأنما نزعتها عن قلبي

وعن الفهري عن أبيه قال: كان عمر بن عبد العزيز يقسم تفاح الفيء فتناول ابن له صغير تفاحة فانتزعها من فيه فأوجعه فسعى إلى أمه مستعبرا فأرسلت إلى السوق فاشترت له تفاحا فلما رجع عمر وجد ريح التفاح، فقال هل أتيت شيء من هذا الفيء؛ قالت: لا وقصت عليه القصة فقال: والله لقد انتزعتها من أبني وكأنما نزعتها عن قلبي ولكن كرهت أن أضيع نصيبي من الله ﷻ بتفاحه من فيء المسلمين[٣].

٧٧٠- إن وصي وولي فيهم الله

عن هاشم قال: لما كانت الصرعة التي هلك فيها عمر دخل عليه مسلمة بن عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين إنك أفقرت أفواه ولدك من هذا

---

(١) «تاريخ دمشق» (٧٠ / ٣٠).

(٢) «الطبقات الكبرى» (٥ / ٣٤٠)، و«تاريخ دمشق» (٤٥ / ١٦٦)، و«سير أعلام النبلاء» (٥ / ١٢٧)، و«تاريخ الإسلام» للإمام الذهبي (٧ / ١٩٤).

(٣) «صفة الصفوة» (٢ / ١٢٠).

المال. وتركتهم علية لا شيء لهم فلو وصيت بهم إلي وإلى نظرائي من أهل بيتك؟

قال: أسندوني ثم قال: أما قولك أني أفقرت أفواه ولدي من هذا المال. فوالله ما منعتهم حقا هو لهم ولم أعطيهم ما ليس لهم وأما قولك: لو أوصيت بهم فإن وصي وولي فيهم الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين، بني أحد الرجلين: إما رجل يتقي الله فسيجعل الله له مخرجا وإما رجل مكب على المعاصي فإني لم أكن أقويه على معاصي الله.

ثم بعث إليهم وهم بضعة عشر ذكرا قال: فنظر إليهم فذرفت عيناه ثم قال: بنفسي الفتية الذين تركهم بخير، أي بني إن أباكم مثل بين أمرين: بين أن تستغنوا ويدخل النار أو تفتقروا ويدخل أبوكم الجنة فكان أن تفتقروا ويدخل الجنة أحب إليه من أن تستغنوا ويدخل النار قوموا عصمكم الله[١].

٧٧١- أريد السمن للدود والحياة

قال أبو حمدون الطيب بن إسماعيل: ذهبنا إلى المدائن إلى شعيب بن حرب وكان قاعدا على شط دجلة قد بنى له كوخا، وخبز له معلق شريط ومطهرة يأخذ كل ليلة رغيفا يبله في المطهرة ويأكله فقال بيده: هكذا إنما كان جلدا وعظما فقال: أرى هنا بعد لحما والله لأعملن في ذوبانه حتى أدخل القبر وأنا عظام تقعقع، أريد السمن للدود والحياة؛ فبلغ أحمد قوله فقال: شعيب بن حرب حمل على نفسه في الورع[٢].

---

(١) «صفة الصفوة» (٢ / ١٢٥)، و«حلية الأولياء» (٥ / ٣٣٤)، و«سيرة عمر بن عبد العزيز» (١ / ١٠١).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (ج٨ ص١٢٣)، و«تاريخ بغداد» (٩ / ٢٤٠)، و«تهذيب الكمال» (١٢ / ٥١٥)، و«صفة الصفوة» (٣ / ٧).

٧٧٢- زهد الإمام أحمد ؟

وقال صالح: ابن الإمام أحمد - ربما رأيت أبي يأخذ الكسر ينفض الغبار عنها ويصيرها في قصعة ويصب عليها الماء ثم يأكلها بالملح وما رأيته اشترى رمانًا ولا سفرجلًا ولا شيئًا من الفاكهة إلا أن تكون بطيخة فيأكلها بخبز وعنبا وتمرًا، وقال لي كان ولداتك في الظلام تغزل غزلا دقيقا فتبتع الأستار بدرهمين أقل أو أكثر فكان ذلك قوتنا وكنا إذا اشترينا الشيء نستره عنه كيلا يراه فيوبخنا[١].

٧٧٣- إنما جئت لاقتبس منك لعلم

عن محمد بن يحيى خادم المزني عنه قال: قال الشافعي: لما دخلت على الرشيد قال: اليمن يحتاج إلى حاكم فانظر رجلا نوليه، فلما رجع الشافعي إلى مجلسه ورأى أحمد بن حنبل من أمثلهم كلمة في ذلك وقال: تهيأ حتى أدخلك على أمير المؤمنين فقال: إنما جئت لاقتبس منك لعلم وتأمرني أن أدخل في القضاء ووبخه فاستحيا الشافعي[٢].

يقول الحسن بن محمد بن الحارث دخلت دار أحمد فرأيت في بهوة حصيرا خلقا ومخدة وكتبه مطروحة حواليه وحب خزف ، وقيل كان على الباب مسح شعر. ومن تخففه وحرصه الشديد على الزهد فيها.

٧٧٤- ويحك لو أن أبا عبد الله قبل هذا الشيء ورمي مثلا في دجلة

عن صالح ابن الإمام أحمد بن حنبل قال: دخلت على أبي في أيام الواثق والله يعلم في أي حالة نحن وخرج لصلاة العصر وكان له جلد

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (ج٩ ص٤٦٩)، و«ترجمة الأئمة الأربعة» (١ / ٢٣٤).

(٢) المصدر السابق (ج٩ ص٤٧٩)، «ترجمة الأئمة الأربعة» (١ / ٢٥٠)، و«شذرات الذهب» ابن العماد (٥ / ٤).

يجلس عليه قدر أتت عليه سنون، كثيرة حتى قد بلي فإذا تحته كتاب فيه: بلغني يا أبا عبد الله ما أنت فيه وعن الضيق وما عليك من الدين وقد وجهت إليك بأربعة آلاف درهم على يدي فلان لتقضي بها دينك وتوسع بها على عيالك فقرأت الكتاب ووضعته فلما دخل قلت: يا أبه ما هذا الكتاب؛ فأحمر وجهه وقال: رفعته منك، ثم قال: تذهب بجوابه إلى الرجل وكتب بسم الله الرحمن الرحيم. وصل كتابك إلي ونحن في عافية فأما الدين الذي علي فإنه لرجل لا يرهقنا وأما عيالنا فهم بنعمة الله والحمد لله فذهبت بالكتاب إلى الرجل الذي كان أوصل كتاب فقال: ويحك لو أن أبا عبد الله قبل هذا الشيء ورمي مثلا في دجلة كان مأجورا لأن هذا الرجل لا يعرف له معروف(١).

٧٧٥- إن الشمس قد بلغت رأس الحيطان

عن ذكريا بن دلويه بعث طاهر بن عبد الله إلى رافع بخمسة آلاف درهم مع رسول فدخل عليه بعد العصر وهو يأكل الخبز مع الفجل فوضع الكيس فقال بعث الأمير إليك بهذا المال

فقال: خذ خذ لا أحتاج إليه فإن الشمس قد بلغت رأس الحيطان إنما تغرب بعد ساعة وقد جاوزت الثمانين إلى متى أعيش؟فرد،

قال: فدخل ابنة وقال: يا أبته ليس لنا الليلة خبز قال: فبعث ببعض أصحابه خلف الرسول ليرد المال إلى طاهر فزعا من ابنه أن يذهب خلفه فيأخذ المال(٢).

---

(١) «صفة الصفوة» (ج١ ص٤١٠).

(٢) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب البغدادي (٢ / ٤٦٤)، و«تهذيب الكمال» (٢٥ / ١٩٥).

٧٧٦- نحن في أمر عظيم لا في الدنيا ولا في أمر الآخرة

إبراهيم الحربي رحمه الله : عن القاسم الجبلي قال: اعتل إبراهيم الحربي علة حتى أشرف على الموت فدخلت إليه يوم فقال لي: يا أبا القاسم أنا في أمر عظيم مع ابنتي ثم قال لها: قومي أخرجي عمك فخرجت فألقت على وجهها خمارها فقال: لها إبراهيم: هذا عمك كلميه فقالت لي: يا عم نحن في أمر عظيم لا في الدنيا ولا في أمر الآخرة الشهر والدهر ما لنا طعام إلا كسر يابسة وملح وربما عدمنا الملح وبالأمس قد وجه إليه المعتضد مع بدر بألف دينار فلم يأخذها ووجه إليه فلان فلم يأخذ منها شيء وهو عليل. فألتفت الحربي إليها وتبسم وقال: يا بنيه إنما خفت الفقر؛ قالت: نعم. قال: انظري إلى تلك الزاوية فنظرت فإذا كتب فقال: هناك ثنتي عشر ألف جزء لغة وغريب كتبته بخطي إذا مت فوجهي كل يوم جزء فبيعيه بدرهم فمن كان عنده اثنا عشر ألف درهم فليس هو فقير[١].

٧٧٧- أنا غني عنها

عن علي بن محمد الحسن المالكي قال: جاء رجل إلى عبد الصمد بمائة دينار ليدفعها إليه فقال له: أنا غني عنها فقال: -فرقها على أصحابك هؤلاء فقال: ضعها على الأرض ففعل، فقال عبد الصمد للجماعة: من احتاج منكم إلى شيء فليأخذ على قدر حاجته فتوزعها الجماعة على صفات مختلفة من القلة والكثرة ولم يمسها بيده ثم جاء ابنه بعد ساعة فطلب منه شيئًا فقال: اذهب إلى البقال فخذ منه ربع رطل تمرا[٢].

---

(١) «صفة الصفوة» (ج١ ص٤٤٠)، و«تاريخ بغداد» (٦ / ٣٣)، و«طبقات الحنابلة» (١ / ٨٧)، و«المنتظم» (٦ / ٦).

(٢) «صفة الصفوة» (ج١ ص٤٧٤)، و«تاريخ بغداد» (١١ / ٤٣)، و«المنتظم» (٧ / ٢٣٦)، و«سنوات الحنابلة» (١ / ٢١٢).

٧٧٨- إنما الزاهد من قدر فترك

عن إسحاق بن منصور السلولي قال: دخلت أنا وصاحب لي على داود الطائي وهو على التراب فقلت لصاحبي: هذا رجل زاهد، فقال داود: إنما الزاهد من قدر فترك[١].

وعن الوليد بن عقبة قال: كان يخبز لداود الطائي ستون رغيفا يعلقها بشريط يفطر كل ليلة على رغيفين بملح وماء، فأخذ ليلة فطرة فجعل ينظر إليه قال ومولاة له سوداء تنظر إليه، فقامت فجاءت بشيء من تمر على طبق فأفطر ثم أحيا ليلته وأصبح صائما فلما جاء وقت الإفطار أخذ رغيفه وملحا وماء قال: جعلت أسمعه يعاتب نفسه ويقول اشتهيت البارحة تمرا فأطعمك، واشتهيت الليلة تمرا؛ لا ذاق داود تمرا ما دام في الدنيا.

عن حماد بن أبي حنيفة قال: قالت مولاة لداود الطائي: يا داود لو طبخت لك دسما؛ قال فافعلي. فطبخت له شحما ثم جاءت به، فقال لها: ما فعل أيتام بني فلان؟

قالت: علي حالهم، قال: أذهبي به إليهم، فقالت له: فديتك إنما تأكل هذا الخبز بالماء؛ قال: إن أكلته كان في الحش وإذا أكله هؤلاء الأيتام كان عند الله مذخورا[٢].

٧٧٩- مالي إذا نظرت إليك امتلأت رعبا

قال مقاتل بن صالح الخراساني دخلت على حماد بن سلمة فإذا ليس في البيت إلا حصير وهو جالس عليه، ومصحف يقرأ فيه وجراب فيه

---

(١) «الجوهر النقي الملتقط من زهد البيهقي» (١ / ٤)، و«الزهد وصفة الزاهدين» (١ / ٢١).

(٢) «صفة الصفوة» (ج٢ ص٥٦٣- ٥٦٤)، و«أخبار أبي حنيفة» (١ / ١٢٠)، و«تاريخ بغداد» (٨/ ٣٥٣).

علمه ومطهرة يتوضأ منها فبينما هو جالس إذا دق داق الباب فقال: يا صبية أخرجي فانظري من هذا؛ فقالت رسول محمد بن سليمان، قال: قولي له يدخل وحده فناوله كتابا فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن سليمان إلى حماد بن سلمة: أما بعد فصبحك الله بما صبح به أوليائه وأهل طاعته وقعت مسألة فأتينا نسألك عنها والسلام.

قال يا صبية: هلمي الدواة ثم قال لي: اقلب الكتاب واكتب أما بعد: وأنت فصبحك الله بما صبح به أولياءه وأهل طاعته إنا أدركنا العلماء وهم لا يأتون أحدًا فإن كانت وقعت مسألة فأتينا واسألنا عما بد لك وإن أتيني فلا تأتني إلا وحدك ولا تأتني بخيلك ورجك فلا أنصحك ولا أنصح نفسي والسلام. فبينا أنا عنده دق داق الباب فقال يا صبية اخرجي فانظري من هذا؛ فقالت: محمد بن سليمان. قال قولي له يدخل وحده، فدخل فسلم ثم جلس بين يديه فقال: مالي إذا نظرت إليك امتلأت رعبا فقال: حماد بن سلمة سمعت ثابتا البناني يقول سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله ﷺ إن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله ﷻ هابه كل شيء وإذا أراد أن يكتنز به الكنوز هاب من كل شيء[(١)].

فقال: أربعون ألف درهم تأخذ تستعين بها على ما أنت عليه، قال: اردها على من ظلمته بها.

قال والله ما أعطيتك إلا ما ورثته قال لا حاجة لي فيها أذوها عنى زوي الله عنك أوزارك قال: فتقسمها، قال فلعلي إن عدلت في قسمتها أن يقول بعض من لم يرزق منها لم يعدل أزوها عني زوى الله عنك

(١) أخرجه الديلمي (٣/٧١، رقم ٤٢٠١)، وقال الشيخ الألباني: «ضعيف»، انظر حديث (رقم ٣٨٣٦) في «ضعيف الجامع».

أوزارك[١].

٧٨٠- إن المزين ما أخذها فخذها أنت فاصرفها

قال أبو علي الحسن بن خيران الفقيه قال: مر أبو تراب النخشبي بمزين فقال له: تحلق رأسي لله ﷻ؛ فقال له اجلس فجلس ففيما يحلق رأسه مر به أمير أهل بلده فسأل حاشيته فقال لهم: أليس هذا أبا تراب؟

قالوا: نعم. فقال أي شيء معكم من الدنانير؟

فقال له رجل من خاصته: معي خريطة فيها ألف دينار.

فقال: إذا قام فأعطه واعتذار إليه وقل له: لم يكن معنا غير هذا، فجاء إليه الغلام فقال له: إن الأمير يقرأ عليك السلام وقال لك ما حضر معنا غير هذه الدنانير فقال له: أدفعها إلى المزين فقال المزين: أي شيء أعمل بها؛ فقال له خذها فقال لا والله ولو أنها ألف دينار ما أخذتها.

فقال له أبو تراب: مر إليه فقل له إن المزين ما أخذها فخذها أنت فاصرفها في مهماتك[٢].

---

(١) «صفة الصفوة» (ج٢ ص٦٨٤- ٦٨٥)، و«الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب البغدادي (٢ / ٤٥٩).

(٢) «صفة الصفوة» (ج٢ ص٨٠٠)، و«تاريخ مدينة دمشق» (٥٣ / ١٣٣)، و«الزهد والرقائق» للخطيب البغدادي (١ / ١٣٥)، و«طبقات الشافعية الكبرى» (٢ / ٣٠٩)، و«الزهد والرقائق» (١ / ١٣٥).

الفصل السادس والثلاثون: في روضة أهل الرفق

٧٨١- اللهم أمتي أمتي وبكى

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ [إبراهيم:٣٦] وقال عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة:١١٨]، فرفع يديه وقال: «اللهم أمتي أمتي وبكى» فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب إلى محمد- وربك أعلم- فسله ما يبكيك؟.

فأتاه جبريل -عليه الصلاة والسلام،- فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال- وهو أعلم- فقال الله: يا جبريل، اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك(١).

٧٨٢- فو الله ما كهرني ولا ضربني

الرفق في تعليم الجاهل: عن معاوية بن الحكم السلمي:يقول: "بينما أنا أصلي مع رسول الله، إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله. فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ، ما شأنكم تنظرون إليَّ. فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمِّتونني، لكني سكتُّ، فلما صلى النبي، فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه، فو الله ما كهرني ولا ضربني، ولا شتمني، قال: إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير

(١) البخاري- (الفتح ٤) (٢٣٠٦) واللفظ له، ومسلم (١٦٠١).

وقراءة القرآن"[١].

٧٨٣- هل تجد رقبة تعتقها؟

الرفق مع العاصي التائب: عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: "بينما نحن جلوس عند النبي إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله، هلكت! قال: ما لك؟

قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم. فقال: هل تجد رقبة تعتقها؟

قال: لا. قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟

قال: لا.

فقال: فهل تجد إطعام ستين مسكينًا؟

قال: لا. فمكث النبي، قال: فبينما نحن على ذلك أُتي النبي بعرق فيه تمر والعرق المكتل فقال: أين السائل؟ فقال: أنا. فقال: خذه فتصدق به"[٢].

٧٨٤- فإن الله يحب الرفق في الأمر كله.

الرفق في التعامل مع الكفار: فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «دخل رهط من اليهود على رسول الله فقالوا: السام عليك. ففهمتها، فقلت: عليكم السام واللعنة. فقال رسول الله: مهلًا يا عائشة؛ فإن الله يحب الرفق في الأمر كله. فقلت: يا رسول الله، أوَلم تسمع ما قالوا؟

قال رسول الله: فقد قلت عليكم ». وكان يخاطب الكفار ويناظرهم، ويقبل هديتهم، ويعود مريضهم ويجيرهم، ويحسن إليهم إذا اقتضت المصلحة ذلك[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٢/٧٠- ٧١)، وكذا أبو عوانة (٢/١٤١- ١٤٢)، وأبو داود (٩٣٠، ٩٣١) والنسائي (١/١٧٩- ١٨٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤/١٤١- ١٤٩ و١٥١).

(٣) أخرجه البخاري (ح ٥٩٠١)، ومسلم (ح ٢١٦٥).

٧٨٥- يا معاذ، أفتان أنت

الرفق بالناس في العبادات: قال جابر بن عبد الله: « أقبل رجل بناضحين[١] وقد جنح الليل، فوافق معاذًا يُصلي فترك ناضحه وأقبل إلى معاذ، فقرأ بسورة البقرة أو النساء، فانطلق الرجل وبَلَغَه أن معاذًا نال منه، فأتى النبي فَشَكَا إليه معاذًا، فقال النبي: يا معاذ، أفتان أنت أو فاتن -ثلاث مرار- فلولا صليت بـ سبح اسم ربك، والشمس وضحاها، والليل إذا يغشى؛ فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة» [٢].

٧٨٦- أتحبه لأمك قال لا والله جعلني الله فداك

عن أبي أمامة قال: « إن فتى شابا أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ائذن لى بالزنا فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا مه مه، فقال ادنه فدنا منه قريبا قال فجلس قال أتحبه لأمك؟

قال: لا والله جعلني الله فداك قال ولا الناس يحبونه لأمهاتهم قال أفتحبه لابنتك؟

قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك قال ولا الناس يحبونه لبناتهم

قال: أفتحبه لأختك؟

---

(١) الناضح بالنون والضاد المعجمة والحاء المهملة ما استعمل من الإبل في سقي النخل والزرع.

(٢) أخرجه أحمد (١٢٤/٣، رقم ١٢٢٦٩)، قال الهيثمي (٧١/٢): رجال أحمد رجال الصحيح.

قال: لا والله جعلني الله فداك؟

قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم

قال: أفتحبه لعمتك؟

قال:لا والله جعلني الله فداك قال ولا الناس يحبونه لعماتهم

قال أفتحبه لخالتك؟

قال: لا والله جعلني الله فداك

قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال فوضع يده عليه وقال اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه قال فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء »[(١)].

٧٨٧- مرحبا بنسب قريب

عن زيد بن أسلم عن أبيه؛ قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى السوق، فلحقت عمر امرأة شابة فقالت: يا أمير المؤمنين هلك زوجي وترك صبية صغارا والله ما ينضجون كراعا[(٢)] ولا لهم زرع ولا ضرع وخشيت أن تأكلهم الضبع، وأنا بنت خفاف بن إيماء الغفاري وقد شهد أبي الحديبية مع النبي ﷺ. فوقف معها عمر ولم يمض.

ثم قال: «مرحبا بنسب قريب»، ثم انصرف إلى بعير ظهير[(٣)] كان مربوطًا في الدار فحمل عليه غرارتين[(٤)] ملأهما طعاما وحمل بينهما نفقة وثيابا، ثم ناولها بخطامه، ثم قال: «اقتاديه، فلن يفنى حتى يأتيكم الله

---

(١) أخرجه أحمد (٥/٢٥٦) (٢٢٥٦٤).

(٢) كراعًا: هو ما دون الكعب من الشاة، ومعناه أنهم لا يكفون أنفسهم معالجة ما يأكلونه.

(٣) بعير ظهير: أي: قوي الظهر معد للحاجة.

(٤) الغرارتان: واحدها غرارة، وهي الجوالق.

بخير». فقال رجل: يا أمير المؤمنين أكثرت لها، قال عمر: «ثكلتك أمك، والله إني لأرى أبا هذه وأخاها قد حاصرا حصنا زمانا فافتتحاه ثم أصبحنا نستفيء سهمانهما فيه »[١].

٧٨٨- رفق عمر بن الخطاب بمن حاد عن الصواب

أنس بن مالك رضي الله عنه: بعثني أبو موسى بفتح تستر[٢] إلى عمر رضي الله عنه فسألني عمر فقال: ما فعل النفر من بكر بن وائل[٣]؟

وكان ستة نفر من بكر بن وائل قد ارتدوا عن الإسلام، ولحقوا بالمشركين، فأخذت في حديث آخر لأشغله، فقال: ما فعل النفر من بكر ابن وائل؟

فقلت: يا أمير المؤمنين، قوم ارتدوا عن الإسلام، ولحقوا بالمشركين، ما سبيلهم إلا القتل، فقال عمر: لأن أكون أخذتهم سلمًا أحب إلي مما طلعت عليه الشمس من صفراء أو بيضاء، قال: قلت: يا أمير المؤمنين، وما كنت صانعًا بهم لو أخذتهم، قال: كنت عارضًا عليهم الباب الذي خرجوا منه أن يدخلوا فيه، فإن فعلوا ذلك قبلت منهم، وإلا استودعتهم السجن[٤].

٧٨٩- أحب أن ترفع إزارك

عن ثابت قال: أن صلة بن أشيم وأصحابه مر بهم فتى يجر ثوبه فهم أصحاب صلة أن يأخذوه بألسنتهم أخذا شديدا فقال صلة دعوني أكفكم أمره

---

(١) البخاري- (الفتح ٧) (٤١٦٠).

(٢) تُستر: هي شوشتر، مدينة إيرانية في خوزستان شمالي الأهواز. المنجد- «الأعلام» (ص: ٣٣٨).

(٣) بكر بن وائل: قبيلة عظيمة من العدنانية.

(٤) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٠/١٦٥،١٦٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٤٣٨/٦).

فقال يابن أخي إن لي إليك حاجة قال وما حاجتك قال أحب أن ترفع إزارك قال نعم ونعمى عين فرفع إزاره فقال صلة لأصحابه هذا كان أمثل مما أردتم لو شتمتموه وآذيتموه لشتمكم(١).

(١) «التبصرة» لابن الجوزي (٢/ ٢٨٦)، و«حلية الأولياء» (٢/ ٢٣٨).

الفصل السابع والثلاثون: قصص عن ماء زمزم

٧٩٠- النبي ﷺ وشق صدره

عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل ﷺ وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه[١] فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة[٢] فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست[٣] من ذهب بماء زمزم ثم لأمه[٤] ثم أعاده في مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه يعني ظئره[٥] فقالوا إن محمدًا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع[٦] اللون قال أنس وقد كنت أرئي أثر ذلك المخيط في صدره[٧].

٧٩١- أهو هو؟ قال: نعم

المرة الثانية: وهو ﷺ ابن عشر سنين.

روى عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد المسند بسند رجاله ثقات، وابن حبان والحاكم وأبو نعيم وابن عساكر والضياء، في (المختارة) عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: يا رسول الله ما أول ما ابتدئت به من

---

(١) الصرع: السقوط والوقوع.
(٢) العلقة: القطعة من الدم الغليظ الجامد.
(٣) الطست: إناء كبير مستدير من نحاس أو نحوه.
(٤) لأمه: ضم بعضه إلى بعض.
(٥) الظئر: المرضعة لغير ولدها، ويطلق على زوجها أيضًا.
(٦) انتقع لونه: تغير من خوف أو ألم.
(٧) «مسند أحمد» (ح ١٣٥٥٥)، وعبد بن حميد (١٣٠٨)، و«صحيح مسلم» (ح ٢٣٦)، والبيهقي في «الدلائل» (ح ٤٩).

أمر النبوة؟ قال: إني لفي صحراء أمشي ابن عشر حجج[١] إذا أنا برجلين فوق رأسي يقول أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال نعم.

فأخذاني فاستقبلاني بوجوه لم أرها لخلق قط وأرواح[٢] لم أرها من خلق قط، وثياب لم أرها على أحد قط، فأقبلا إلي يمشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعضدي لا أجد لأخذهما مسا.

فقال أحدهما لصاحبه: أضجعه.

فأضجعاني لا قصر[٣]ولا هصر[٤] وفي لفظ: فقلباني لحلاوة القفا[٥] ثم شقا بطني.

وفي لفظ فقال أحدهما لصاحبه: افلق صدره.

فخوى[٦] أحدهما إلى صدري ففلقه فيما أرى بلا دم ولا وجع فكان أحدهما يختلف بالماء في طست من ذهب والآخر يغسل جوفي فقال أحدهما لصاحبه: افلق صدره فإذا صدري فيما أرى مفلوقا لا أجد له وجعا.

ثم قال: شق قلبه فشق قلبي فقال: أخرج الغل والحسد منه.

فأخرج شبه العلقة فنبذ به.

ثم قال: أدخل الرأفة والرحمة في قلبه.

---

(١) الحجج: بكسر الحاء وفتح الجيم الأولى السنون.

(٢) الأرواح: جمع ريح بمعنى الرائحة.

(٣) بلا قصر: قصرت الثوب أي: أرخيته بلا استرخاء.

(٤) ولا هصر: قال في النهاية: هصر ظهره أي: ثناه إلى الأرض. وأصل الهصر أن تأخذ برأس العود فتثنيه إليك وتعطفه.

(٥) حلاوة القفا: وهي وسط القفا.

(٦) خوى أحدهما إلى صدري: أي مال إليه.

فأدخل شيئًا كهيئة الفضة.

ثم أخرج ذرورا كان معه فذره عليه ثم نقر إبهامي ثم قال: اغد واسلم.

فرجعت بما لم أغد به من رحمتي للصغير ورأفتي للكبير[١].

٧٩٢- شق صدر النبي ﷺ وغسله بماء زمزم ليلة الإسراء

عن أنس بن مالك قال كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ﷺ ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغه في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء الدنيا[٢]

قصص عن شفاء مرضى بماء زمزم

٧٩٣- لعلي ناعس فضربت بالماء على وجهي

عن رباح، عن الأسود، قال: «كنت مع أهلي بالبادية فاتبعت بمكة فأعتقت فمكثت ثلاثة أيام لا أجد شيئًا آكله، قال: فمكثت أشرب من ماء زمزم فانطلقت حتى أتيت زمزم فبركت على ركبتي مخافة أن أستقي، وأنا قائم، فيرفعني الدلو من الجهد، فجعلت أنزع قليلا قليلا حتى أخرجت الدلو فشربت فإذا أنا بصريف اللبن بين ثناياي، فقلت: لعلي ناعس فضربت بالماء على وجهي، وانطلقت وأنا أجد قوة اللبن وشبعه»[٣].

عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، قال: أخبرني مقاتل، عن الضحاك بن مزاحم، قال: بلغني أن «التضلع من ماء زمزم براءة من

---

(١) «سبل الهدى والرشاد» (ج ٢ / ص ٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٩٧/١)، ومسلم (١٠٢/١)، والنسائي في «الكبرى» (٣٠٦).

(٣) «أخبار مكة» للأزرقي (ج ٢ / ص ٢٥٤).

النفاق، وأن ماءها يذهب بالصداع، وأن الإطلاع فيها يجلو[١] البصر وأنه سيأتي عليه زمان يكون أعذب من النيل والفرات».

٧٩٤- أراد أن يضاهي زمزم

عن عبد الرحمن بن حسن بن القاسم بن عقبة بن الأزرق، عن أبيه، قال: «كتب سليمان بن عبد الملك بن مروان إلى خالد بن عبد الله القسري أن أجر لي عينا تخرج من الثقبة من مائها العذب الزلال، حتى تظهر بين زمزم والركن الأسود، ويضاهى بها رغم ماء زمزم قال: فعمل خالد بن عبد الله القسري البركة التي بفم الثقبة يقال لها بركة القسري، ويقال لها أيضًا بركة البردي ببير ميمون، وهي قايمة إلى اليوم بأصل ثبير، فعملها بحجارة منقوشة طوال، وأحكمها وأنبط ماءها في ذلك الموضع، ثم شق لها عينا[٢] تسكب فيها من الثقبة، وبنى سد الثقبة وأحكمه، والثقبة شعب يفرع فيه وجه ثبير، ثم شق من هذه البركة عينا تجري إلى المسجد الحرام، فأجراها في قصب من رصاص، حتى أظهرها في فوارة تسكب في فسقينة من رخام بين زمزم والركن والمقام، فلما أن جرت وظهر ماؤها، أمر القسري بجزر، فنحرت[٣] بمكة، وقسمت بين الناس، وعمل طعاما فدعا عليه الناس، ثم أمر صايحا فصاح الصلاة جامعة، ثم أمر بالمنبر فوضع في وجه الكعبة، ثم صعد فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، احمدوا الله تبارك وتعالى، وادعوا لأمير المؤمنين الذي سقاكم الماء العذب الزلال النقاح، بعد الماء المالح الأجاج، المائي الذي لا يشرب إلا صبرا - يعني زمزم قال: ثم تفرغ تلك الفسقينة في سرب من رصاص، يخرج إلى

---

(١) يجلو: يقوي.

(٢) العين: ينبوع الماء ينبع من الأرض ويجري.

(٣) النحر: الذبح.

وضوء كان عند باب المسجد باب الصفا، في بركة كانت في السوق قال: فكان الناس لا يقفون على تلك الفسقينة، ولا يكاد أحد يأتيها، وكانوا على شرب ماء زمزم أرغب ما كانوا فيه قال: فلما رأى ذلك القسري صعد المنبر، فتكلم بكلام يؤنب[١] فيه أهل مكة، فلم تزل تلك البركة على حالها، حتى قدم داود بن علي بن عبد الله بن عباس مكة حين أفضت الخلافة إلى بني هاشم، فكان أول من أحدث بمكة، هدمها ورفع الفسقينة وكسرها، وصرف العين إلى بركة كانت بباب المسجد قال: فسر الناس بذلك سرورًا عظيمًا حين هدمت»[٢].

٧٩٥- من شربه لذهاب بوله

ومن ذلك ما حكاه القرطبي عن أبي عبد الله محمد بن علي الترمذي عن أبيه قال: دخلت الطواف في ليلة مظلمة فأخذني التبول فاشغلني فجعلت اعتصر حتى آذاني، وخفت إن خرجت من المسجد أن أطأ بعض تلك الأقذار وذلك أيام الحج، فذكرت الحديث وهو أن لما شرب له فذخلت زمزم فتضلعت منه فذهب عني إلى الصباح

٧٩٦- من شربه لإذهاب ما ألم

عن أحمد بن محمد بن حمزة بن واصل، عن أبيه، أو عن غيره من أهل مكة، أنه ذكر أنه «رأى رجلا في المسجد الحرام مما يلي باب الصفا والناس مجتمعون عليه، قال: فدنوت منه، فإذا برجل مكعوم قد كعم نفسه بقطعة من خشب، فقلت: ما له؟

(١) التَّأنِيب: المبالغَة في التَّوبيخ والتَّعنِيف.
(٢) «أخبار مكة» للأزرقي (ج ٢ / ص ٣٥٣).

فقالوا: هذا رجل شرب سويقا[١]، وكانت في السويق إبرة، فذهبت في حلقه، وقد اعترضت في حلقه، وقد بقي لا يقدر يطبق فمه، وإذا الرجل في مثل الموت، قال: فأتاه آت فقال له: اذهب إلى ماء زمزم فاشرب منه، وجدد النية، وسل الله الشفاء، قال: فدخل زمزم، فشرب بالجهد منه حتى أساغ منه شيئًا، ثم رجع إلى موضعه، وانصرفت في حاجتي، قال: ثم لقيته بعد ذلك بأيام، وليس به بأس، فقلت له: ما شأنك؟

فقال: شربت من ماء زمزم، ثم خرجت على مثل حالي الأول حتى انتهيت إلى أسطوانة، فأسندت ظهري إليها، فغلبتني عيني فنمت، فانتبهت من نومي وأنا لا أحس من الإبرة شيئًا»[٢].

٧٩٧- ومنهم من شربه لبنا وعسلا

عن يحيى الحماني قال: سمعت أبا بكر بن عياش يقول: «شربت من ماء زمزم لبنا وعسلا»[٣].

٧٩٨- ومن من شربه لعلاج البواسير

عن الفضل بن عطية قال: رأيت رجلا سأل عطاء فشكى إليه البواسير، فقال: «اشرب من ماء زمزم، واستنج به»[٤].

٧٩٩- ومنهم من شربه للتصنيف والتأليف

عن الحاكم أبا عبد الله إمام أهل الحديث في عصره يقول: شربت ماء

---

(١) السويق: طعام يصنع من دقيق القمح أو الشعير بخلطه بالسمن والعسل.
(٢) «أخبار مكة» للفاكهي (ج ٣ / ص ١٥٧).
(٣) «أخبار مكة» للفاكهي (ج ٣ / ص ١٦٨).
(٤) «أخبار مكة» للفاكهي (ج ٣ / ص ٢٢٩).

زمزم وسألت الله تعالى أن يرزقني حُسن التصنيف[١].

٨٠٠- ومنهم من شربه للعلم ونيل الشهرة

أن أبا بكر الخطيب ذكر أنه لما حج شرب من ماء زمزم ثلاث شربات، وسأل الله تعالى ثلاث حاجات، آخذًا بقول رسول الله ﷺ: " ماء زمزم لما شرب له ". فالحاجة الأولى أن يحدث " بتاريخ بغداد " ببغداد، والثانية أن يملي الحديث بجامع المنصور، والثالثة أن يدفن عند بشر الحافي، فقضى الله الحاجات الثلاث له[٢].

٨٠١- ومنهم من شربه لنيل المناصب والقضاء

أحمد بن إبراهيم السروجي: يقال أنه شرب ماء زمزم لقضاء القضاة فحصل له قال الكمال جعفر كان فاضلًا بارعًا في مذهبه مشاركًا في النحو والأصول ولي القضاء وشرح الهداية ولم يسمع عنه أنه ارتشى وكان كريمًا قوي الهمة نافذ الكلمة شهمًا في ولايته[٣].

٨٠٢- نية الإمام ابن العربي المالكي لما شرب زمزم

روي عن الإمام العلامة الحافظ القاضي أبي بكر محمد بن عبدالله ابن العربي الأندلسي، صاحب أحكام القرآن، المتوفى سنة ٥٤٣ هـ، رحمه الله تعالى، قال: كنت بمكة مقيمًا في ذي الحجة سنة تسع وثمانين وأربعمئة، وكنت أشرب ماء زمزم كثيرًا، وكلما شربته نويت به العلم والإيمان، حتى فتح الله لي ببركته في المقدار الذي يسَّره لي من العلم، ونَسيت أن أشربه للعمل، وياليتني شربتُه لهما، حتى يفتح الله عليَّ فيهما، ولم

(١) «تاريخ الإسلام» للذهبي (ج ٦ / ص ٤٤٠).
(٢) «تاريخ الإسلام» للذهبي (ج ٧ / ص ٢٣٨).
(٣) «الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة» (ج ١ / ص ٢٨).

يُـقـدَّر، فكان صـَغـوي إلى العلم أكثر منه إلى العمل، ونسأل الله الحفظ والتوفيق برحمته[١].

٨٠٣-نية الشيخ ظفر أحمد العثماني التهانوي لما شرب زمزم

قال العلامة المحدث الفقيه الشيخ ظفر أحمد العثماني التـَّـهانوي، أحد كبار علماء الهند وباكستان، المتوفى سنة ١٣٩٤ هـ، عن أربع وثمانين سنة ﷺ: (وقد شربت ماء زمزم في أول حجتي لأمور من الدين والدنيا، نلتُ أكثرها، ثم شربتُه في الحجة الثانية لأمور كذلك، فـُزْت بكثير منها، ثم في الثالثة لأمور أرجو الله سبحانه أن أنالها.

وقد كانت بلساني لُكْنَة شديدة، كانت تَعُوقُني عن إلقاء الدرس في المدارس، وعن الخطبة على المنابر، فلم أصدُر من أول حجتي بعد الشرب من زمزم لزوالها، إلا وأنا أجد من نفسي القدرة على الدرس والخطابة..، وقد رزقني الله بفضله وكرمه قدرة تامة على الخطابة والوعظ والتذكير، وقـَبولًا في قلوب السامعين، ولله الحمد حق حمده، والصلاة والسلام على نبيه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين[٢].

٨٠٤-من شربه بنية الإنجاب

قال أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الشمس أبو الخير العمري الدمشقي ثم الشيرازي الشافعي المقرئ ويعرف بابن الجزري نسبة لجزيرة ابن عمر قريب الموصل. كان أبوه تاجرًا فمكث أربعين سنة لا يولد له ثم حج فشرب ماء زمزم بنية ولد عالم[٣].

وكان يقول: شربت ماء زمزم ثلاث مرات وسألت الله ﷻ ثلاث

---

(١) «العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ» (١ / ٣٧).
(٢) «السيل العرمرم من فضائل وخصائص ماء زمزم» للمؤلف.
(٣) «الضوء اللامع» (ج ٤ / ص ٤٣٩).

حاجاتٍ آخذًا بقول النبي ﷺ ماء زمزم لما شرب له، فالحاجة الأولى أن أحدث بتاريخ بغداد، والثانية أن أملي الحديث بجامع المنصور، والثالثة أن أدفن إذا مت عند قبر بشر الحافي. فلما عاد إلى بغداد حدث بتاريخه بها ووقع إليه جزء فيه سماع الخليفة القائم بأمر الله فحمل الجزء ومضى إلى باب حجرة الخليفة وسأل أن يؤذن له في قراءة الجزء فقال الخليفة: هذا رجل كبير في الحديث وليس له إلى السماع مني حاجة ولعل له حاجة أراد أن يتوصل إليها بذلك فاسألوه حاجته، فسألوه فقال: حاجتي أن أملي الحديث بجامع المنصور، فتقدم الخليفة إلى نقيب النقباء بأن يؤذن له في ذلك. ولما مات أرادوا دفنه عند بشر الحافي بوصيةٍ منه وكان الموضع الذي بجنب بشر قد حفر فيه أبو بكر أحمد بن علي الطريثيثي قبرًا لنفسه، وكان يمضي إلى ذلك الموضع ويختم فيه القرآن ويدعو، ومضى على ذلك سنون، فلما مات الخطيب سألوه أن يدفنوه فيه فامتنع وقال: هذا قبري قد حفرته وختمت فيه عدة ختمات ولا أمكن أحدًا من الدفن فيه وهذا مما لا يتصور، فانتهى الخبر إلى سعد الصوفي فقال له: يا شيخ لو كان بشر في الأحياء ودخلت أنت والخطيب إليه أيكما كان يقعد إلى جانبه أنت أو الخطيب؟

فقال: لا بل الخطيب، فقال: فكذا ينبغي أن يكون في حالة الموت فإنه أحق به منك، فطاب قلبه ورضي بأن يدفن الخطيب في ذلك الموضع[١].

٨٠٥- من شربه لحسن التصنيف

الطهماني النيسابوري:

كان إمام عصره في الحديث العارف به حق معرفته صالحًا ثقة يميل

(١) «الوافي بالوفيات» (ج ٢ / ص ٤٤٢).

إلى التشيع.

قال: شربت ماء زمزم وسألت الله أن يرزقني حسن التصنيف[١].

٨٠٦-من شربه ليصل إلى رتبة في العلم

وحكى عن شيخ الإسلام أبي الفضل بن حجر أنه قال: شربت ماء زمزم لأصل إلى مرتبة الذهبي في الحفظ ولي تدريس الحديث بتربة أم الصالح وغيرها وله من المصنفات تاريخ الإسلام التاريخ الأوسط الصغير سير النبلاء طبقات الحفاظ التي لخصناها في هذا الكتاب وذيلنا عليها طبقات القراء مختصر تهذيب الكمال الكاشف مختصر ذلك المجرد في أسماء رجال الكتب الستة التجريد في أسماء الصحابة الميزان في الضعفاء المغني في الضعفاء وهو مختصر نفيس وقد ذيلت عليه بذيل مشتبه النسبة مختصر الأطراف لشيخه المزي تلخيص استدرك مع تعقب عليه مختصر سنن البيهقي مختصر المحلى وغير ذلك وله معجم كبير وصغير ومختص بالمحدثين والذي أقوله إن المحدثين عيال الآن في الرجال وغيرها من فنون الحديث على أربعة: المزي والذهبي والعراقي وابن حجر.

٨٠٧- من شربه للفهم

عبد الرحمن بن عمر بن رسلان بن نصير بن صالح بن عبد الخالق ابن عبد الحق بن شهاب البلقيني،

وكان يذكر أنه لم يكن له تقدم اشتغال في العربية، وأنه حج في حياة والده فشرب من ماء زمزم لفهم هذا العلم. فلما رجع، أدمن النظر فيه، فمهر في مدة يسيرة فيه، ولا سيما منذ مات والده[٢].

---

(١) «طبقات الحفاظ» (ج ١ / ص ٨٢).

(٢) «رفع الإصر عن قضاة مصر» (ج ١ / ص ٩٥).

٨٠٨- شربت من ماء زمزم لأمور

قال الإمام السيوطي وسافرت بحمد الله تعالى إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتكرور، ولما حججت شربت من ماء زمزم لأمور، منها أن أصل في الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين البلقيني، وفي الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر(١).

٨٠٩- شربت ماء زمزم، وسألت الله أن يرزقني حسن التصنيف

الإمام الحاكم ﷺ قال أبو حازم عمر بن أحمد العبدويي الحافظ: سمعت الحاكم أبا عبدا لله إمام أهل الحديث في عصره يقول: شربت ماء زمزم، وسألت الله أن يرزقني حسن التصنيف(٢).

٨١٠-- من شربه لعطش يوم القيامة

عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: ماء زمزم لما شرب له [٦٧٠٣] ثم قال ابن المبارك اللهم هذا لعطش يوم القيامة ثم شربه (٣).

---

(١) «طبقات المفسرين» (ج ١ / ص ٢).

(٢) «تبيين كذب المفتري» (٢٢٨)، و«الأنساب» (٢ / ٣٧١)، و«تذكرة الحفاظ» (٣ / ١٠٤٤)، و«طبقات السبكي» (٤ / ١٥٩).

(٣) «تاريخ دمشق» (ج ٣٢ / ص ٤٣٨).

الفصل الثامن والثلاثون: من عجائب بني اسرائيل

٨١١- أيُقتل البريء ويفر الآخذ؟

ذكر يحيى بن عاصم الغرناطي في كتاب (جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى) عن بعض الكتب الإسرائيلية: أن نبياً من أنبياء بني إسرائيل كان يجلس على قمة جبل، فرأى فارساً وبيده صُرة مال، وأتى على بئرٍ فوضع الصرة على حافة البئر ونزل فشرب، ثم نسي المال وانصرف، فجاء راعي غنم يسقي غنمه فوجد المال فالتقطه، وسقى الغنم وانصرف، ثم جاء رجلٌ شيخٌ كبير، فجاء البئر بعد انصراف الراعي فشرب وجلس، وتذكر الفارس مالَه فرجع، فوجد ذلك الرجلَ يجلس على حافة البئر، قال: أين المال؟

قال: ما أعرف شيئاً، قال: المال معك.

ولم يشك الفارس أنه التقط المال، فلما أنكر الرجلُ أخرج الفارسُ رمحاً وقتله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أيُقْتَل البريء ويفر الآخذ؟

فقال الله ﷻ له: إن لي حكمةً جَلَّت؛ أما هذا المال فكان مِلْكاً لوالد الراعي أعطاهُ والدَ الفارس، ولا يدري الراعي ولا الفارس، وأما هذا الذي قُتِل؛ فإنه قتل أبا الفارس، فسلطت ولي الدم عليه، فأخذ بثأر أبيه، فبَكى ذلك النبي وقال: لا أعود! مجرد سؤال: يا رب ما هذا؟ إن لم تسلم بأن الله عز وجل فعال لما يريد، ولا يظلم مثقال ذرة، تسلل إليك الشيطان من هذا الباب.

٨١٢- ثوبي حجر

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: أن موسى عليه السلام كان رجلا حييا ستيرا ما يرى من جلده شيء استحياء منه فآذاه من آذاه من بنى إسرائيل فقالوا ما يستتر هذا الستر إلا من عيب بجلده إما برص وإما أدرة وإما آفة وإن الله ﷻ أراد أن يبرئه مما قالوا وإن موسى عليه السلام خلا يوما وحده فوضع ثيابه على حجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه فطلب الحجر فجعل يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى إلى ملأ من بنى إسرائيل فرأوه عريانا أحسن الناس خلقا وأبرأه مما كانوا يقولون قال وقام الحجر فأخذ ثوبه ولبسه وطفق بالحجر ضربا بعصاه فوالله إن بالحجر لندبا من أثر عصاه ثلاثا أو أربعا أو خمسا فذلك قوله تعالى ؟يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها؟. (١).

٨١٣- لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة عيسى ابن مريم وصاحب جريج وكان جريج رجلا عابدًا فاتخذ صومعة فكان فيها فأتته أمه وهو يصلى فقالت يا جريج. فقال يا رب أمي وصلاتي. فأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد أتته وهو يصلى فقالت يا جريج فقال يا رب أمي وصلاتي فأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد أتته وهو يصلى فقالت يا جريج. فقال أي رب أمي وصلاتي. فأقبل على صلاته فقالت اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات.

فتذاكر بنو إسرائيل جريجا وعبادته وكانت امرأة بغى يتمثل بحسنها فقالت إن شئتم لأفتننه لكم قال فتعرضت له فلم يلتفت إليها فأتت راعيا كان

(١) أخرجه البخاري (١٩٠/٤) (٣٤٠٤)، و(١٥١/٦) (٧٤٩٩)، والترمذي (٣٢٢١).

يأوي إلى صومعته فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو من جريج. فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ما شأنكم قالوا زنيت بهذه البغي فولدت منك. فقال أين الصبى فجاءوا به فقال دعوني حتى أصلى فصلى فلما انصرف أتى الصبى فطعن في بطنه وقال يا غلام من أبوك قال فلان الراعي قال فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا نبنى لك صومعتك من ذهب. قال لا أعيدوها من طين كما كانت. ففعلوا. وبينا صبى يرضع من أمه فمر رجل راكب على دابة فارهة وشارة حسنة فقالت أمه اللهم اجعل ابنى مثل هذا. فترك الثدي وأقبل إليه فنظر إليه فقال اللهم لا تجعلني مثله. ثم أقبل على ثديه فجعل يرتضع.

قال فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكى ارتضاعه بإصبعه السبابة في فمه فجعل يمصها.

قال ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون زنيت سرقت.

وهى تقول حسبي الله ونعم الوكيل. فقالت أمه اللهم لا تجعل ابنى مثلها. فترك الرضاع ونظر إليها فقال اللهم اجعلني مثلها. فهناك تراجعا الحديث فقالت حلقى مر رجل حسن الهيئة فقلت اللهم اجعل ابنى مثله. فقلت اللهم لا تجعلني مثله. ومروا بهذه الأمة وهم يضربونها ويقولون زنيت سرقت. فقلت اللهم لا تجعل ابنى مثلها. فقلت اللهم اجعلني مثلها قال إن ذاك الرجل كان جبارا فقلت اللهم لا تجعلني مثله. وإن هذه يقولون لها زنيت. ولم تزن وسرقت ولم تسرق فقلت اللهم اجعلني مثلها[1].

٨١٤- حبس الشمس لنبي الله يوشع بن نون

(١) أخرجه أحمد (٣٠٧/٢) (٨٠٥٧)، والبخاري (١٧٩/٣) (٢٤٨٢)، و(٢٠١/٤) (٣٤٣٦)، ومسلم (٤/٨).

عن هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ فذكر أحاديث منها وقال رسول الله ﷺ «غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبنى[١] بها ولما يبن ولا آخر قد بنى بنيانا ولما يرفع سقفها ولا آخر قد اشترى غنما أو خلفات[٢] وهو منتظر ولادها. قال فغزا فأدنى للقرية حين صلاة العصر أو قريبا من ذلك فقال للشمس أنت مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها على شيئًا.

فحبست عليه حتى فتح الله عليه - قال - فجمعوا ما غنموا فأقبلت النار لتأكله فأبت أن تطعمه فقال فيكم غلول فليبايعنى من كل قبيلة رجل. فبايعوه فلصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول فلتبايعنى قبيلتك. فبايعته - قال - فلصقت[٣] بيد رجلين أو ثلاثة فقال فيكم الغلول أنتم غللتم - قال - فأخرجوا له مثل رأس بقرة من ذهب - قال - فوضعوه في المال وهو بالصعيد[٤] فأقبلت النار فأكلته. فلم تحل الغنائم لأحد من قبلنا[٥] ذلك بأن الله تبارك وتعالى رأى ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا»[٦].

٨١٥- إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت

عن رسول الله ﷺ: وقال رسول الله ﷺ جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام فقال له أجب ربك قال فلطم موسى عليه السلام عين ملك الموت ففقأها قال فرجع الملك إلى الله تعالى فقال إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت

---

(١) يبني بها: أي يدخل دخول الرجل على زوجته.
(٢) الخلفات: الحوامل.
(٣) لصقت: المراد لصقت يد النبي بيد رجلين أو ثلاثة.
(٤) الصعيد: أي: وجه الأرض.
(٥) هذا من كلام الرسول ﷺ.
(٦) أخرجه أحمد (٣١٨/٢، رقم ٨٢٢١)، والبخاري (١١٣٦/٣، رقم ٢٩٥٦)، ومسلم (١٣٦٦/٣، رقم ١٧٤٧)، وأخرجه أيضًا: ابن حبان (١٣٧/١١، رقم ٤٨٠٨).

وقد فقأ عيني قال فرد الله إليه عينه وقال ارجع إلى عبدي فقل الحياة تريد؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما توارت يدك من شعرة فإنك تعيش بها سنة قال ثم مه؟ قال ثم تموت قال فالآن من قريب رب أمتني من الأرض المقدسة رمية بحجر قال رسول الله ﷺ والله لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر(١).

٨١٦- يرحمك الله - هو ابنها

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «بينما امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما.

فقالت هذه لصاحبتها إنما ذهب بابنك أنت. وقالت الأخرى إنما ذهب بابنك. فتحاكمتا إلى داود فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود ﷺ فأخبرتاه فقال ائتونى بالسكين أشقه بينكما.

فقالت الصغرى لا يرحمك الله هو ابنها. فقضى به للصغرى»(٢).

٨١٧- لأطوفنّ الليلة على سبعين امرأة

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «قال سليمان بن داود نبي الله لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كلهن تأتى بغلام يقاتل في سبيل الله. فقال له صاحبه أو الملك قل إن شاء الله. فلم يقل ونسى. فلم تأت واحدة من نسائه إلا واحدة جاءت بشق غلام». فقال رسول الله ﷺ: «ولو قال إن شاء الله. لم يحنث وكان دركا له في حاجته»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (٣١٥/٢) (٨١٥٧)، والبخاري (١٩١/٤) (٣٤٠٧) قال: حدثنا يحيى بن موسى، ومسلم (١٠٠/٧).

(٢) أخرجه أحمد (٣٢٢/٢، رقم ٨٢٦٣)، والبخاري (١٢٦٠/٣، رقم ٣٢٤٤)، ومسلم (١٣٤٤/٣، رقم ٧٢).

(٣) أخرجه الحميدي (١١٧٤)، والبخاري (١٩٧/٤) (٣٤٢٤)، ومسلم (٨٧/٥)، والنسائي

٨١٨- اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب

عن أنس بن مالك ﷺ، أن رسول الله ﷺ، قال: «إن أيوب نبي الله لبث به بلاؤه خمس عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه كانا من أخص إخوانه، قد كانا يغدوان[١] إليه ويروحان، فقال أحدهما لصاحبه ذات يوم: نعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين فقال له صاحبه: وما ذاك؟ قال منذ ثمانية عشر سنة لم يرحمه الله ويكشف ما به ،فلما راحا إلى أيوب لم يصبر الرجل حتى ذكر له ذلك، فقال له أيوب: لا أدري ما تقول غير أن الله يعلم أني كنت أمر بالرجلين يتنازعان يذكران الله فأرجع إلى بيتي، فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا في حق، وكان يخرج لحاجته، فإذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ، فلما كان ذات يوم أبطأ عليها فأوحى الله إلى أيوب في مكانه أن اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب، فاستبطأته فتلقته وأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء وهو أحسن ما كان، فلما رأته قالت: أي بارك الله فيك هل رأيت نبي الله هذا المبتلى؟ والله على ذلك ما رأيت رجلا أشبه به منك إذ كان صحيحًا، قال: فإني أنا هو، قال: وكان له أندران أندر للقمح وأندر للشعير فبعث الله سحابتين فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وأفرغت الأخرى فى أندر الشعير الورق حتى فاض »[٢].

٨١٩- لا غنى بى عن بركتك

(٢٥/٧).

(١) الغُدُو: السير أول النهار.

(٢) أخرجه ابن حبان (١٥٧/٧، رقم ٢٨٩٨)، والحاكم (٦٣٥/٢، رقم ٤١١٥) وقال: صحيح على شرط الشيخين.

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «بينا أيوب يغتسل عريانا فخر عليه جراد من ذهب، فجعل أيوب يحتثى في ثوبه، فناداه ربه يا أيوب، ألم أكن أغنيتك عما ترى قال بلى وعزتك ولكن لا غنى بي عن بركتك »[١].

٨٢٠- أهلكت أمة من الأمم تسبح

عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: «أن نملة قرصت نبيا من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأحرقت فأوحى الله إليه أفي أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح»[٢].

٨٢١- أكونُ معك في الجنة.

فعن أبي موسى الأشعري قال: أتى النبي ﷺ أعرابيًا، فأكرمه فقال له: "ائتنا" فأتاه، فقال رسول الله ﷺ: "سلْ حاجتك"، فقال: ناقة تركُبها، واعنُزًا يحلبها أهلي.

فقال رسول الله ﷺ: "عجزتم أن تكونوا مثل عجوز بني إسرائيل؟

قالوا: يا رسول الله، وما عجوز بني إسرائيل؟

قال: "إن موسى لَّما سار ببني إسرائيل من مصر، ضلُّوا طريق، فقال: ما هذا؟

فقال علماؤهم: إن يوسف لما حضره الموتُ أخذ علينا موثقًا من الله أن لا نخرج من مصر حتى تُنقل عظامه معنا. قال: فمن يعلم موضع قبره؟

---

(١) أخرجه أحمد (٣١٤/٢) (٨١٤٤)، والبخاري (٧٨/١) (٢٧٨) قال: حدثنا إسحاق بن نصر. وفي (١٨٤/٤) (٣٩٩١) و(١٧٥/٩) (٧٤٩٣).

(٢) أخرجه أحمد (٤٠٢/٢) (٩٢١٨)، والبخاري (٧٥/٤) (٣٠١٩)، ومسلم (٤٣/٧)، وأبو داود (٥٢٦٦)، وابن ماجه (٣٢٢٥).

قالوا: عجوز من بني إسرائيل، فبعث إليها، فأتته، فقال: دُليني على قبر يوسف،

قال: حتى تُعطيني حكمي، قال: ما حكمك؟

قالت: أكونُ معك في الجنة. فكره (موسى) أن يُعطيها ذلك، فأوحى الله إليه أن أعطها حكمها؟

فانطلقت بهم إلى بحيرة موضع مستنقع ماء، فقالت: انضِبُوا هذا الماء، قالت: احتفِروا واستخرجوا عظام يوسف، فلما أقلُّوها إلى الأرض، إذا الطريق مثل ضوءِ النهار"[(١)].

٨٢٢- لأتصدقن بصدقة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: قال رجل: لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تصدق على سارق، فقال: اللهم لك الحمد، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يدي زانية، فأصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة على زانية، فقال: اللهم لك الحمد على زانية، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يدي غني، فأصبحوا يتحدثون: تصدق على غني، فقال: اللهم لك الحمد، على سارق، وعلى زانية، وعلى غني، فأتي فقيل له: أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقته، وأما الزانية فلعلها أن تستعف عن زناها، وأما الغني فلعله يعتبر فينفق مما أعطاه الله[(٢)].

---

(١) أخرجه أبو يعلى (٢٣٦/١٣، رقم ٧٢٥٤)، و«صحيح ابن حبان» (٢/ ٥٠١)، والحاكم (٢ / ٤٠٤ - ٤٠٥)، وقال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١/ ٦٢٢): «صحيح».

(٢) أخرجه أحمد (٣٢٢/٢) (٨٢٦٥)، والبخاري (١٤٢١)، ومسلم (٢٣٢٦)، والنسائي (٥٥/٥)، وفي «الكبرى» (٢٣١٤)، وابن حبان (٣٣٥٦).

٨٢٣- الرحمة بالحيوان تغفر الذلل والعصيان

عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: أن امرأة بغيا رأت كلبا في يوم حار يطيف ببئر، قد أدلع لسانه من العطش، فنزعت موقها، فغفر لها.

- وفي رواية: بينما كلب يطيف بركية كاد يقتله العطش، إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل، فنزعت موقها فسقته، فغفر لها به(١).

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ منى. فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له». قالوا يا رسول الله وإن لنا في هذه البهائم لأجرا فقال «في كل كبد رطبة أجر»(٢).

٨٢٤- رضي الله عنك وسخط على صاحبيك

عن عبد الرحمن بن أبي عمرة أن أبا هريرة حدثه أنه سمع النبي ﷺ يقول:

إن ثلاثة في بنى إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى فأراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكا فأتى الأبرص فقال أي شيء أحب إليك قال لون حسن وجلد حسن ويذهب عنى الذي قد قذرني الناس. قال فمسحه فذهب عنه قذره وأعطى لونا حسنا وجلدا حسنا قال فأي المال أحب إليك قال الإبل أو قال البقر شك إسحاق إلا أن الأبرص أو الأقرع قال أحدهما الإبل وقال

---

(١) أخرجه أحمد (٥٠٧/٢) (١٠٥٩١)، والبخاري (٣٤٦٧)، ومسلم (٥٩٢٢)، وأبو يعلى (٦٠٣٥).

(٢) أخرجه مالك في «الموطأ» (٢٦٨٨)، وأحمد (٣٧٥/٢) (٨٨٦١)، والبخاري (١٧٣)، ومسلم (٥٩٢١)، وأبو داود (٢٥٥٠).

الآخر البقر قال فأعطى ناقة عشراء فقال بارك الله لك فيها قال فأتى الأقرع فقال أي شيء أحب إليك قال شعر حسن ويذهب عنى هذا الذي قذرني الناس. قال فمسحه فذهب عنه وأعطى شعرا حسنا قال فأي المال أحب إليك قال البقر. فأعطى بقرة حاملا فقال بارك الله لك فيها قال فأتى الأعمى فقال أي شيء أحب إليك قال أن يرد الله إلى بصرى فأبصر به الناس قال فمسحه فرد الله إليه بصره. قال فأي المال أحب إليك قال الغنم. فأعطى شاة والدا[١] فأنتج هذان وولد هذا قال فكان لهذا واد من الإبل ولهذا واد من البقر ولهذا واد من الغنم. قال ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال[٢] في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرا أتبلغ عليه في سفري. فقال الحقوق كثيرة. فقال له كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيرا فأعطاك الله فقال إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر[٣]. فقال إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت. قال وأتى الأقرع في صورته فقال له مثل ما قال لهذا ورد عليه مثل ما رد على هذا فقال إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت. قال وأتى الأعمى في صورته وهيئته فقال رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري فقال قد كنت أعمى فرد الله إلى بصرى فخذ ما شئت ودع ما شئت فوالله لا أجهدك اليوم شيئًا أخذته لله فقال أمسك مالك فإنما

---

(١) شاة والدا: أي وضعت ولدها، وهو معها.

(٢) انقطعت بي الحبال: هي الأسباب. وقيل: الطرق.

(٣) إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر: أي ورثته من آبائي الذين ورثوه من آبائهم، كبيرًا عن كبير، في العز والشرف والثروة.

ابتليتم فقد رضى عنك وسخط على صاحبيك[١].

٨٢٥-كفى بالله كفيلا

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه ذكر رجلا من بنى إسرائيل سأل بعض بنى إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال ائتنى بالشهداء أشهدهم. فقال كفى بالله شهيدًا. قال فأتنى بالكفيل. قال كفى بالله كفيلًا. قال صدقت. فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج في البحر، فقضى حاجته، ثم التمس مركبا يركبها، يقدم عليه للأجل الذي أجله، فلم يجد مركبا، فأخذ خشبة، فنقرها فأدخل فيها ألف دينار، وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجج موضعها، ثم أتى بها إلى البحر، فقال اللهم إنك تعلم أني كنت تسلفت فلانا ألف دينار، فسألني كفيلًا، فقلت كفى بالله كفيلًا، فرضى بك، وسألني شهيدًا، فقلت كفى بالله شهيدًا، فرضى بك، وأني جهدت أن أجد مركبًا، أبعث إليه الذي له فلم أقدر، وإني أستودعكها. فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه، ثم انصرف، وهو في ذلك يلتمس مركبًا، يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان أسلفه، ينظر لعل مركبا قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطبا، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي كان أسلفه، فأتى بالألف دينار، فقال والله ما زلت جاهدا في طلب مركب لآتيك بمالك، فما وجدت مركبًا قبل الذي أتيت فيه.

قال هل كنت بعثت إلى بشيء قال أخبرك أني لم أجد مركبًا قبل الذي جئت فيه.

قال فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة فانصرف بالألف الدينار راشدًا[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٨/٤) (٣٤٦٤)، ومسلم (٢١٣/٨).

(٢) أخرجه أحمد (٣٤٨/٢) (٨٥٧١)، أخرجه البخاري تعليقًا في (١٥٩/٢) (١٤٩٨).

٨٢٦- بادرني عبدي بنفسه

عن جندب بن عبد الله في هذا المسجد، وما نسينا منذ حدثنا، وما نخشى أن يكون جندب كذب على رسول الله ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح، فجزع، فأخذ سكينا فحز بها يده، فما رقأ الدم حتى مات، قال الله تعالى: بادرني عبدي بنفسه، حرمت عليه الجنة(١).

٨٢٧- الجزاء من جنس العمل

عن ربعي بن حراش، أن حذيفة حدثهم، قال: قال رسول الله ﷺ: تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم. فقالوا: أعملت من الخير شيئًا؟

قال: لا. قالوا: تذكر. قال: كنت أداين الناس، فآمر فتياني أن ينظروا المعسر، ويتجوزوا عن الموسر. قال: قال الله، ﷻ: تجوزوا عنه(٢).

٨٢٨-ما فعلت إلا من مخافتك

عن ربعي بن حراش، قال: قال عقبة بن عمرو لحذيفة: ألا تحدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال: إني سمعته يقول: «إن رجلا حضره الموت، فلما يئس من الحياة أوصى أهله: إذا أنا مت، فاجمعوا لي حطبا كثيرًا، وأوقدوا فيه نارا، حتى إذا أكلت لحمي، وخلصت إلى عظمي، فامتحشت، فخذوها فاطحنوها، ثم انظرا يوما راحا، فاذروه في اليم. ففعلوا، فجمعه الله، فقال له: لم فعلت ذلك؟

---

(١) أخرجه أحمد (٣١٢/٤) (١٩٠٠٧)، والبخاري (١٢٠/٢) (١٣٦٤)، ومسلم (٧٤/١) (٢٢٢).

(٢) أخرجه أحمد (٣٩٥/٥) (٢٣٧٤٤)، والبخاري (١٥٣/٣) (٢٣٩١)، ومسلم (٣٢/٥) (٣٩٩٨ و٣٩٩٩).

قال: من خشيتك، فغفر الله له »

قال عقبة بن عمرو: وأنا سمعته يقول ذاك، وكان نباشا[١].

٨٢٩- قصة القاتل مائة نفس

عن أبي سعيد الخدري أن نبي الله ﷺ قال: « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا. فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء. فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة ما فعلت إلا من مخافتك وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيرًا قط. فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له. فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة.

قال قتادة فقال الحسن ذكر لنا أنه لما أتاه الموت نأى بصدره» [٢].

٨٣٠- التوسل إلى الله بصالح الأعمال

عن سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله

---

(١) أخرجه أحمد (٣٩٥/٥) (٢٣٧٤٥)، والبخاري (٢٠٥/٤) (٣٤٥٢)، و(٢١٤/٤) (٣٤٧٩).

(٢) أخرجه أحمد (٢٠/٣) (١١١٧١)، والبخاري (٢١١/٤) (٣٤٧٠)، ومسلم (١٠٣/٨) (٧١٠٨)، وابن ماجه (٢٦٢٢).

ﷺ يقول: « انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم. فقال رجل منهم اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا، فنأى بي في طلب شيء يوما، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين وكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا، فلبثت والقدح على يدى أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئًا لا يستطيعون الخروج.

قال النبيﷺ وقال الآخر اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلى، فأردتها عن نفسها، فامتنعت منى حتى ألمت بها سنة من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بيني وبين نفسها، ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه. فتحرجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها وهى أحب الناس إلى وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه. فانفرجت الصخرة، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها.

قال النبي ﷺ وقال الثالث اللهم إني استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم، غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله أد إلي أجري. فقلت له كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق. فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي. فقلت إني لا أستهزئ بك. فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئًا، اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه.

فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون» [١].

٨٣١- سرعة العقاب لمن أصابه الكبر والإعجاب

عن محمد بن زياد، قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال النبي، أو قال أبو القاسم ﷺ: « بينما رجل يمشي في حلة، تعجبه نفسه، مرجل جمته، إذ خسف الله به، فهو يتجلل إلى يوم القيامة. - وفي رواية: بينا رجل يتبختر في حلة، معجب بجمته، قد أسبل إزاره، إذ خسف الله به فهو يتجلجل، أو قال: يهوى، فيها إلى يوم القيامة» [٢].

٨٣٢- ورع الأتقياء

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «اشترى رجل من رجل عقارا له، فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرة[٣] فيها ذهب، فقال له الذي اشترى العقار: خذ ذهبك مني، إنما اشتريت منك الأرض، ولم أبتع منك الذهب، وقال الذي له الأرض: إنما بعتك الأرض وما فيها، فتحاكما إلى رجل، فقال الذي تحاكما إليه: ألكما ولد؟

قال أحدهما: لي غلام، وقال الآخر لي جارية، قال: أنكحوا الغلام الجارية، وأنفقوا على أنفسهما منه، وتصدقا» [٤].

٨٣٣-لا تحقرن من المعروف شيئًا

---

(١) أخرجه أحمد (١١٦/٢) (٥٩٧٣)، والبخاري (١١٩/٣) (٢٢٧٢)، ومسلم (٩١/٨) (٧٠٥١)، وأبو داود (٣٣٨٧).

(٢) أخرجه عبد الرزاق (١٩٩٨٣)، وأحمد (٢٦٧/٢) (٧٦١٨)، والبخاري (٥٧٨٩)، ومسلم (٥٥١٦).

(٣) الجرة: إناء من خزف له بطن كبير وعروتان وفم واسع.

(٤) أخرجه أحمد (٣١٦/٢) (٨١٧٦)، والبخاري (٣٤٧٢)، ومسلم (٤٥١٨)، وابن حبان (٧٢٠)، وأخرجه ابن ماجه (٢٥١١).

عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «غفر لرجل نحى غصن شوك عن طريق الناس.- وفي رواية: حوسب رجل ممن كان قبلكم، فلم يوجد له من الخير إلا غصن شوك كان على الطريق كان يؤذي الناس فعزله، فغفر له» [١].

٨٣٤-حسبي الله حسبي الله

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «بينما امرأة فيمن كان قبلكم ترضع ابنا لها إذ مر بها فارس متكبر عليه شارة حسنة فقالت المرأة اللهم لا تمت ابنى هذا حتى أراه مثل هذا الفارس على مثل هذا الفرس. قال فترك الصبى الثدي ثم قال اللهم لا تجعلني مثل هذا الفارس. قال ثم عاد إلى الثدي يرضع ثم مروا بجيفة حبشية أو زنجية تجر فقالت المرأة أعيذ ابني بالله أن يموت ميتة هذه الحبشية أو الزنجية. فترك الثدي وقال اللهم أمتني ميتة هذه الحبشية أو الزنجية. فقالت أمه يا بني سألت ربك أن يجعلك مثل ذلك الفارس فقلت اللهم لا تجعلني مثله وسألت ربك أن لا يميتك ميتة هذه الحبشية أو الزنجية فسألت ربك أن يميتك ميتتها قال فقال الصبي إنك دعوت ربك أن يجعلني مثل رجل من أهل النار وإن الحبشية أو الزنجية كان أهلها يسبونها ويضربونها ويظلمونها فتقول حسبي الله حسبي الله[٢].

٨٣٥- اسق حديقة فلان

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « بينما رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتا في سحابة اسق حديقة فلان. فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه

---

(١) أخرجه أحمد (٢٨٦/٢) (٧٨٣٤)، وابن حبان (٥٣٨)، وقال الشيخ الألباني: صحيح (التعليق الرغيب) (٣٦/٤).

(٢) أخرجه أحمد (٣٩٥/٢) (٩١٢٤)، أخرجه البخاري (٢١٠/٤) (٣٤٦٦).

في حرة[١] فانتهى إلى الحرة فإذا هو في أذناب شراج[٢] وإذا شراجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته[٣] فقال له يا عبد الله ما اسمك قال فلان بالاسم الذي سمع في السحابة. فقال له يا عبد الله لم سألتني عن اسمى قال إني سمعت صوتا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول اسق حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها قال أما إذا قلت هذا فإني أنظر إلى ما خرج منها فأتصدق بثلثه وآكل أنا وعيالي ثلثه وأرد فيها ثلثه» [٤].

٨٣٦- حَلِّني وربِّي أبعِثتَ عليَّ رقيبا؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «كَانَ في بني إسرائيل رَجُلانِ مُتَواخِيانِ، أحدُهُما مُذْنِب، والآخرُ في العبادة مُجْتَهِد، فَكَانَ المُجْتَهِدُ لا يزالُ يرى الآخَرَ على ذَنْب، فَيقولُ: أقْصِرْ، فوجده يوما على ذَنب، فقَالَ: أقْصِرْ، فقالَ: خَلِّني وربِّي أَبُعِثْتَ عليَّ رقيبا؟ فقالَ لَهُ: واللهِ، لا يَغْفِرُ الله لكَ - أو قال: لا يُدْخِلُكَ الجنة - فقبض الله أرواحهما فاجتمعا عِندَ ربِّ العَالَمين، فقالَ الربُّ تَعالَى للمُجْتَهِدِ: أكنتَ على ما في يدي قَادِرا؟ وَقالَ للمُذنِبِ: اذهبْ فادْخُل الجنَّةَ بِرَحمتي، وقال للآخر: اذْهَبوا به إلى النار، قال أبو هريرة: تكلَّمَ واللهِ بكلِمَة أوْبَقَتْ دُنْياهُ، وآخِرَتَه». أخرجه أبو داود[٥].

٨٣٧- ثمرة الحب في الله

---

(١) الحرة: أرض بها حجارة سود كثيرة.
(٢) الشراج: مسايل الماء.
(٣) المسحاة: آلة يحرف بها الطين.
(٤) أخرجه أحمد (٢/٢٩٦) (٧٩٢٨)، ومسلم (٨/٢٢٢، ٢٢٣).
(٥) أخرجه أحمد (٢/٣٢٣، رقم ٨٢٧٥)، وأبو داود (٤/٢٧٥، رقم ٤٩٠١).

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «أن رجلا زار أخا له في قرية أخرى فأرصد الله له على مدرجته ملكا فلما أتى عليه قال أين تريد قال أريد أخا لي في هذه القرية. قال هل لك عليه من نعمة تربها قال لا غير أني أحببته في الله ﷻ. قال فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه»[١].

٨٣٨- إن الله قد غفر للكفل

عن سعد مولى طلحة عن ابن عمر قال سمعت النبي ﷺ يحدث حديثًا لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين حتى عد سبع مرات ولكنى سمعته أكثر من ذلك سمعت رسول الله ﷺ يقول: كان الكفل من بنى إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله فأتته امرأة فأعطاها ستين دينارا على أن يطأها فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته أرعدت وبكت فقال ما يبكيك أأكرهتك قالت لا ولكنه عمل ما عملته قط وما حملني عليه إلا الحاجة فقال تفعلين أنت هذا وما فعلته اذهبي فهي لك. وقال لا والله لا أعصى الله بعدها أبدًا. فمات من ليلته فأصبح مكتوبا على بابه إن الله قد غفر للكفل[٢].

٨٣٩- سألتك بالذي أحيا هذا الغزال من الذي أكل الرغيف؟

أن عيسى عليه السلام خرج مع رجلٍ، وكان معه ثلاثة أرغفة، فقال: رغيف لي، ورغيف لك.

ثم أن عيسى عليه السلام نام، فاستيقظ فلم يجد الرغيف الثالث.

---

(١) أخرجه أحمد (٤٠٨/٢، رقم ٩٢٨٠)، ومسلم (١٩٨٨/٤، رقم ٢٥٦٧)، وابن حبان (٣٣١/٢، رقم ٥٧٢).

(٢) أخرجه أحمد (٢٣/٢، رقم ٤٧٤٧)، والترمذي (٦٥٧/٤، رقم ٢٤٩٦)، و«ضعيف الترغيب والترهيب» (٢/ ١٦٠، رقم ١٨٣٦).

فقال لصاحبه: أين الرغيف الثالث؟

قال: لا أدري.

فدعا غزالًا فذبحه وشواه وأكلاه، ولم يبقيا منه إلا العظام، فدعاه عيسى عليه السلام فقام غزالًا بإذن الله، قال: سألتك بالذي أحيا هذا الغزال من الذي أكل الرغيف؟

قال: لا أدري.

فانطلق، فوجدا ثلاثة أجبل -جبال كبيرة- فحولها إلى ذهب - وقال: هذا لي، وهذا لك، والثالث لمن أكل الرغيف.

قال: أنا أكلته.

قال: لا خير في صحبتك وتركه.

وعيسى عليه السلام يضرب المثل للحواريين بتفاهة الدنيا، فهذا الرجل أراد أن ينقل هذه الجبال الثلاثة إلى بلده فوجد اثنين، فأراد أن يستعين بهما على نقل هذا الذهب الكثير، قال الرجلان: ولم نقسم هذه الأجبل على ثلاثة أسلاف؟! نحن نقتل هذا الرجل ونأخذ هذا الذهب كله، وأضمرا في نفسيهما أن يقتلاه، فأرسلاه إلى السوق ليأتي بطعام، فبينما هو يمشي إلى السوق قال: ولم نقسمه إلى ثلاثة أجزاء؟! أنا أضع لهم سمًا في الطعام وأنفرد بالذهب، فجاء بالأكل وفيه السم، فما إن تلقياه حتى انهالا عليه ضربًا فقتلاه، ثم جلسا يأكلان فأكلا الطعام المحشو بالسم، فماتوا جميعًا وتركوا جبال الذهب[1].

٨٤٠- من كانت بمنيته بأرض أتاها

روى أبو الشيخ في كتاب العظمة أن داود عليه السلام قرَّب رجلًا من أهل

(١) «معجم ابن الأعرابي» (رقم ٢٢٣٢).

مملكته، فلما مات داود عليه السلام اصطفاه وسليمان وقربه إليه، وكان ملك الموت عليه السلام يجالس الأنبياء عيانًا، ودخل ذات مرة على سليمان عليه السلام فنظر إلى الرجل ولحظه بطرف عينه، وانتبه الرجل لنظره إليه، وذهب ملك الموت، فسأل الرجل جليس سليمان عليه السلام من هذا؟

فقال: ملك الموت، فقال: لا أجلس في أرض فيها ملك الموت، فقال: وماذا تريد؟

قال: مر الريح فلتذهب بي إلى أرض الهند، وكانت الريح مسخرة له كما قال الله ﷻ: ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾، وبعد قليل جاء ملك الموت إلى سليمان عليه السلام فقال له: لم لحظت الرجل، ولم نظرت إليه؟ قال: إن الله أمرني أن أقبض روحه في أرض الهند، فلما ذهبت إلى هناك وجدته هناك يرتعد في مكانه فاستلبت روحه. لو علم الرجل أنه يقبض هناك ما طلب هذا الطلب، لكن الله غالب على أمره، وتدبيره محكم وسابق على تدبير عباده

٨٤١- اذكروا صاحب الرغيف

عن أبي بردة يحدث عن أبيه عبد الله بن قيس أبي موسى الأشعري أنه قال حين حضره الموت لبنيه أي بني اذكروا صاحب الرغيف ثم قال كان رجل في صومعة له يتعبد - أراه ذكر سبعين سنة قال عفان حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم قال ستين سنة - لا ينزل إلا يوما واحدًا فإنه نزل يومًا واحدًا قال فشب الشيطان في عينه امرأة أو شبة وكان مع المرأة سبع ليال - أو قال سبعة أيام - ثم كشف عن الرجل غطاؤه فانطلق تائبا فجعل كلما خطا خطوة سجد وصلى فآواه الليل إلى دكان عليه اثنا عشر مسكينا منضجعين فأدركه العياء فألقى نفسه بين رجلين منهم وكان ثم راهب يتصدق عليهم كل ليلة على كل مسكين برغيف فجاء الذي يعطيهم

فأعطى كل واحد منهم رغيفا فمر على الذي ألقى نفسه بين أظهرهم فأعطاه رغيفا فترك أحدهم وهو لا يشعر فقال المتروك ما شأنك لم تعطني قال هل أعطيت أحدًا منكم رغيفين قالوا لا والله فقال والله لا أعطيك الليلة شيئًا - أو كما قال - فذكر الرجل فأعطاه الآخر الرغيف فأصبح الرجل ميتًا فوزنت السبع ليال بالسبعين سنة فرجحت السبع ليال ثم وزن الرغيف بالسبع ليال فرجح الرغيف على السبع ليال قال أبو موسى فأي بني أذكركم صاحب الرغيف[١].

٨٤٢- إن صاعك لم تمتلئ بعد

عن معاذ بن جبل قال: كان في بني إسرائيل رجل عقيم لا يولد له وكان يخرج فإذا رأى غلاما من غلمان بني إسرائيل عليه حلي يخدعه حتى يدخله فيقتله ويلقيه في مطمورة له فبينا هو كذلك إذا لقي غلامين أخوين عليهما حلي لهما فأدخلهما فقتلهما وطرحهما في مطمورة له وكانت له امرأة مسلمة تنهاه عن ذلك فتقول له: إني أحذرك النقمة من الله ﷻ وكان يقول: لو أن الله أخذني على شيء أخذني يوم فعلت كذا وكذا فتقول: إن صاعك لم تمتلئ بعد ولو قد امتلأ صاعك أخذت فلما قتل الغلامين الأخوين خرج أبوهما فطلبهما فلم يجد أحدًا يخبره عنهما فأتى نبيا من أنبياء بني إسرائيل فذكر ذلك له فقال له النبي: هل كانت لهما لعبة يلعبان بها؟

فقال: نعم كان لهما جرو فأتي بالجرو فوضع النبي: خاتمه بين عينيه ثم خلا سبيله فقال: أول دار يدخلها من بني إسرائيل فيها ميتان فأقبل الجرو يتخلل الدور حتى دخل دارا فدخلوا خلفه فوجدوا الغلامين مقتولين

(١) «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٤٧٣)، و«البر والصلة» (ص: ١٤٣).

مع غلام قد قتله وطرحهم في مطمورة فانطلقوا به إلى النبي فأمر به أن يصلب فلما رفع على خشبته أتت امرأته فقالت: يا فلان قد كنت أحذرك هذا اليوم وأخبرك أن الله غير تاركك وأنت تقول: لو أن الله أخذني على شيء أخذني يوم فعلت كذا وكذا فأخبرك أن صاعك بعد لم تمتلئ ألا وإن هذا قد امتلأ صاعك)[١].

٨٤٣- ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم

وقد روى ابن أبي حاتم عن أبي الصديق الناجي قال: خرج سليمان بن داود ﷺ يستسقي، فإذا هو بنملة مستلقية على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء وهي تقول: اللهم إنا خلق من خلقك، ولا غنى بنا عن سقياك، وإلاّ تسقنا تهلكنا، فقال سليمان: ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم.

٨٤٤- حديث الأموات إلى الأحياء

عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: تحدثوا عن بني إسرائيل، فإنه كانت فيهم الأعاجيب، ثم أنشأ يحدث، قال: خرجت طائفة منهم، فأتوا مقبرة من مقابرهم، فقالوا: لو صلينا ركعتين، فدعونا الله، ﷻ، يخرج لنا بعض الأموات، يخبرنا عن الموت، قال: ففعلوا، فبينا هم كذلك إذ طلع رجل برأسه من قبر، بين عينيه أثر السجود، فقال: يا هؤلاء، ما أردتم إلي؟

فوالله، لقد مت منذ مئة سنة، فما سكنت عني حرارة الموت حتى كان الآن، فادعوا الله أن يعيدني كما كنت[٢].

---

(١) «شعب الإيمان» (٥/ ٤٦١).

(٢) «الإكليل من عجائب وغرائب بني إسرائيل» للمؤلف.

الفصل التاسع والثلاثون:

قصص عن عصمة الله تعالى لنبيه ﷺ

٨٤٥- إنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَاد لمن نال من خير العباد

لقد حاول المشركون كثيرًا أن ينالوا منه ﷺ وكان يدفعهم إلى ذلك الحقد الدفين والحسد القاتل لصاحبه عن ابن مسعود رضي الله عنه: «بينما رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة، وجمع من قريش في مجالسهم إذ قال قائل منهم: ألا تنظرون إلى هذا المرائي؟

أيكم يقوم إلى جَزور آل فلان، فيعمد إلى فرثها ودمها وسَلاها، فيجيء به ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه؟

فانبعث أشقاهم، فلما سجد رسول الله ﷺ وضعه بين كتفيه، وثبت النبي ﷺ ساجدًا، فضحكوا حتى مال بعضهم إلى بعض من الضحك، فانطلق منطلق إلى فاطمة عليها السلام -وهي جويرية- فأقبلت تسعى، وثبت النبي ﷺ حتى ألقته عنه، وأقبلت عليهم تسبهم، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال: «اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش» ثم سمّى: «اللهم عليك بعمرو بن هشام، وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط، وعمارة بن الوليد» قال ابن مسعود: فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب[١] -قليب بدر-، ثم قال رسول الله ﷺ: «وأتبع أصحاب القليب لعنة»[٢].

وقد بينت الروايات الصحيحة الأخرى أن الذي رمى الفرث عليه هو عقبة بن أبي معيط، وأن الذي حرضه هو أبو جهل[٣]، وأن المشركين تأثروا

---

(١) القليب: البئر المفتوحة.

(٢) البخاري (فتح الباري ٥٩٤/١)، ومسلم (١٤١٨/٣-١٤٢٠).

(٣) «صحيح مسلم» (١٤٢٠/٣).

لدعوة الرسول، وشق عليهم الأمر؛ لأنهم يرون أن الدعوة بمكة مستجابة[١].

٨٤٦-خطط لقتل خير البرية فأرسل الله عليه صاعقة ربانية

عن أنس بن مالك قال: بعث النبي ﷺ مرةً رجلا إلى رجل من فراعنة العرب، أن ادْعُه لي، فقال: يا رسول الله، إنه أعتى من ذلك! قال: اذهب إليه فادعه. قال: فأتاه فقال: رسول الله ﷺ يدعوك! فقال: مَنْ رسول الله؟ وما الله؟ أمن ذهب هو، أم من فضة، أم من نحاس؟ قال: فأتى الرجل النبي ﷺ فأخبره، فقال: ارجع إليه فادعه" قال: فأتاه فأعاد عليه وردَّ عليه مثل الجواب الأوّل. فأتى النبي ﷺ فأخبره، فقال: ارجع إليه فادعه! قال: فرجع إليه. فبينما هما يتراجعان الكلام بينهما، إذ بعث الله سحابة بحيالِ رأسه فرَعَدت، فوقعت منها صاعقة فذهبت بقِحْفِ رأسه، فأنزل الله: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [الرعد:١٣][٢].

٨٤٧- أشار بإصبعه إلى النبي ﷺ باستهزاء فأصابه البلاء

وهذا مجموعة من السفهاء الذين ضلوا عن سواء الصراط مر عليهم خير النبي ﷺ فقاموا يستهزئون ويغمزون في قفاه سخرية واستخفافا به ﷺ فلم يمهلهم الله تعالى حتى اقتص لحبيبه من الأشقياء فقد أخرج البزار والطبراني في الأوسط عن أنسٍ قال: مرَّ النبيُّ ﷺ على أناس بمكة فجعلوا يغمزون في قفاه ويقولون: هذا الذي يزعم أنه نبيّ؟! ومعه جبريل، فغمز جبريل بأصبعه، فوقع مثلُ الظفر في أجسادهم، فصارت قروحًا نتنةً فلم

(١) انظر: «السيرة النبوية الصحيحة» للعمري (١/١٤٩).

(٢) «تفسير الطبري» (ج ١٦ / ص ٣٩٢) (ح ٢٠٢٧٠)، واه أبو يعلى البزار، ورجال البزار رجال الصحيح، غير ديلم بن غزوان، وهو ثقة.

يستطع أحد أن يدنوا منهم[١].

٨٤٨- أراد بقتل النبي ﷺ المال فهداه الكبير المتعال

قال ابن شهاب وأخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سراقة بن مالك بن جعشم أن أباه أخبره أنه سمع سراقة بن جعشم يقول جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كل واحد منهما من قتله أو أسره فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال يا سراقة إني قد رأيت آنفا أسودة بالساحل أراها محمدًا وأصحابه قال سراقة فعرفت أنهم هم فقلت له إنهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي وهي من وراء أكمة فتحبسها علي وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فحططت بزجه الأرض وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي فركبتها فرفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم فعثرت بي فرسي فخررت عنها فقمت فأهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزلام فاستقسمت بها أضرهم أم لا فخرج الذي أكره فركبت فرسي وعصيت الأزلام تقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها عثان ساطع في السماء مثل الدخان فاستقسمت بالأزلام فخرج الذي أكره فناديتهم بالأمان فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما

---

(١) «الدر المنثور» (١٠٠/٥)، و«مجمع الزوائد» (ج ٣ ص175)، والطبراني في «الأوسط» (ح ٧٣٣١)، و«مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (ج ٣ / ص ١٧٥) وفيه يزيد بن درهم ضعفه ابن معين ووثقه الفلاس.

لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ فقلت له إن قومك قد جعلوا فيك الدية وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآني ولم يسألاني إلا أن قال أخف عنا فسألته أن يكتب لي كتاب أمن فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أديم ثم مضى رسول الله ﷺ[1].

٨٤٩-خرج لقتل سيد الأنام فأصبح من جند الرحمن (محاولة عمير بن وهب)

و في هذه المحاولة أرد عمير بن وهب أن يثأر لقريش من رسول الله ﷺ فوضع خطته الأثيمة لقتل النبي ﷺ و أن يريح منه أهل مكة ولكن العبد يريد والله تعالى غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون والقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، فخرج عمير وقد شحذ سيفه بالسم ولندع المشهد يحدثنا عن إحداثه.

وقال عروة بن الزبير: جلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية، بعد مصاب أهل بدر بيسير، في الحجر. وكان عمير من شياطين قريش، وممن يؤذي المسلمين. وكان ابنه وهيب في الأسرى. فذكر أصحاب القليب ومصابهم. فقال صفوان: والله إن في العيش بعدهم لخير فقال عمير: صدقت، والله لولا دين علي ليس عندي له قضاء، وعيال أخشى عليهم، لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإن لي فيهم علة؛ ابني أسير في أيديهم. فاغتنمها صفوان فقال: علي دينك وعيالك. قال: فاكتم علي. ثم شحذ سيفه وسمه، ومضى إلى المدينة.

فبينا عمر في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر، إذ نظر عمر

---

(١) «صحيح البخاري» (ج ١٢ / ص ٢٩٤).

ﷺ إلى عمير حين أناخ على باب المسجد متوشحًا بالسيف. فقال: هذا الكلب عدو الله عمير، وهو الذي حزرنا يوم بدر. ثم دخل على النبي ﷺ فقال: هذا عمير. قال: أدخله علي. فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه، فلببه به، وقال لرجال ممن كانوا معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده واحذروا عليه هذا الخبيث. ثم دخل به فقال: أرسله يا عمر، أدن يا عمير. فدنا، ثم قال: أنعموا صباحًا، قال: فما جاء بك - قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم. قال: فما بال السيف في عنقك - قال: قبحها الله من سيوف، وهل أغنت شيئًا - قال: أصدقني ما الذي جئت له - قال: ما جئت إلا لذلك. قال: بلى، قعدت أنت وصفوان في الحجر. وقص له ما قالا. فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسوله. قد كنا يا رسول لله نكذبك بما تأتينا به من خبر السماء، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام. فقال النبي ﷺ: فقهوا أخاكم في دينه، وأقرئوه القرآن وأطلقوا له أسيره. ففعلوا.

ثم قال: يا رسول الله إني كنت جاهدًا على إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله، وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعو إلى الله ورسوله، لعل الله أن يهديهم. وإلا آذيتهم في دينهم. فأذن له ولحق بمكة. وكان صفوان يعد قريشًا يقول: ابشروا بوقعة تأتيكم الآن تنسيكم وقعة بدر. وكان صفوان يسأل عنه الركبان، حتى قدم راكبًا فأخبره عن إسلامه، فحلف لا يكلمه أبدًا ولا ينفعه بشيء أبدًا. ثم أقام يدعو إلى الإسلام، ويؤذيهم. فأسلم على يديه ناس كثير[١].

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (ح ٤٥٢)، و« تاريخ الإسلام» للذهبي (ج ١ / ص ١٧٦).

٨٥٠-خططوا لاغتيال النبي المختار فأجلاهم الله عن الدار(محاولة بني النضير)

قال محمد بن إسحاق بن يسار في كتابه السيرة: ثم خرج رسول الله إلى بني النضير، يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر، اللذين قتل عمرو بن أمية الضمري؛ للجوار الذي كان رسول الله ﷺ عقد لهما، فيما حدثني يزيد بن رُومان، وكان بين بني النضير وبني عامر عَقد وحلف. فلما أتاهم رسول الله ﷺ يستعينهم في دية ذينك القتيلين قالوا: نعم، يا أبا القاسم، نعينك على ما أحببت، مما استعنت بنا عليه. ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه -ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم-فَمَن رجل يعلو على هذا البيت، فيلقي عليه صخرة، فيريحنا منه؟

فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب أحدُهم، فقال: أنا لذلك، فصعَدَ ليلقي عليه صخرة كما قال، ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه، فيهم أبو بكر وعمر وعلي، رضي الله عنهم. فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعًا إلى المدينة، فلما استلبث النبي ﷺ أصحابه قاموا في طلبه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة، فسألوه عنه، فقال: رأيته داخلا المدينة. فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه، فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به، وأمر رسولُ الله ﷺ بالتهيؤ لحربهم والمسير إليهم. ثم سار حتى نزل بهم فتحصنوا منه في الحصون، فأمر رسولُ الله ﷺ بقطع النخل والتَّحريق فيها. فنادوه: أن يا محمد، قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه، فما بال قطع النخل وتحريقها؟

وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج، منهم عبد الله ابن أبي [بن] سلول، ووديعة، ومالك بن أبي قوقل وسُوَيد وداعس، قد بعثوا إلى بني

النضير: أن اثبتوا وتَمَنَّعوا فإنا لن نسلمكم، إن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خَرَجنا معكم فتربصوا ذلك من نصرهم، فلم يفعلوا، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم ويكف عن دمائهم، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة، ففعل، فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه، فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به. فخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام، وَخَلّوا الأموال إلى رسول الله ﷺ، فكانت لرسول الله خاصة يضعها حيث شاء، فقسمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار. إلا أن سهل بن حُنَيف وأبا دُجانة سماك بن خَرشَة ذكرا فَقْرًا، فأعطاهما رسول الله ﷺ.

قال: ولم يسلم من بني النضير إلا رجلان: يامين بن عُمَير بن كعب بن عمرو بن جحاش، وأبو سعد بن وهب أسلما على أموالهما فأحرزاها.

قال: ابن إسحاق: قد حدثني بعض آل يامين: أن رسول الله ﷺ قال ليامين: "ألم تر ما لقيتُ من ابن عمك، وما هم به من شأني". فجعل يامين بن عُمَير لرجل جُعِل علي أن يقتل عمرو بن جحاش، فقتله فيما يزعمون.

قال ابن إسحاق: ونزل في بني النضير سورة الحشر بأسرها[١].

وهكذا روي يونس بن بُكَيْر، عن ابن إسحاق، بنحو ما تقدم[٢].

٨٥١- أخذ سيف النبي ﷺ الحبيب فقذف الله في قلبه الخوف الرهيب

عن جابر، أنه غزا مع الرسول ﷺ قبل نجد، فلما قفل النبي ﷺ،

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/١٩٠ -١٩٢)، و«تفسير الطبري» (٢١/٢٨).
(٢) «السيرة النبوية» لابن كثير (ج ٣ ص ١٤٦)، و«عيون الأثر» (ج ٢ / ص ٢٣)، و«الروض الآنف» (ج ٣ ص ٣٨٦)، و«سيرة ابن هشام» (ج ٣ / ٢٠١).

أدركتهم القائلة في واد كثير العضاة، فنزل النبي ﷺ وتفرق الناس يستظلون بالشجر، ونزل النبي ﷺ تحت شجرة، وعلق بها سيفه، ونمنا نومة، فإذا النبي، ﷺ، يدعونا، وإذا عنده أعرابي، فقال: «إن هذا اخترط على سيفي، وأنا نائم فاستيقظت، وهو في يده صلتا»، فقال: من يمنعك منى؟

قلت: «الله، ثلاثا»، فشام [١].السيف ولم يعاقبه، وجلس[٢].

٨٥٢ - وضعوا السم له في الشاة فانطقها الإله (محاولة يهود خيبر)

ومن صور هذه الحماية الربانيةِ أنْ يغيّر الله السنن الكونيةَ صيانةً لنبيّه ﷺ ورعايةً له. وشاهدُ ذلك قصةُ الشاةِ المسمومةِ.

عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال: لما فتحت خيبر أهديت للنبي ﷺ شاة فيها سم، فقال رسول الله ﷺ " اجمعوا لي من كان ها هنا من يهود " فجمعوا له فقال النبي ﷺ " إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقي عنه؟ "

قالوا نعم يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ " من أبو كم؟ " قالوا أبونا فلان، فقال رسول الله ﷺ " كذبتم بل أبو كم فلان " قالوا صدقت وبررت فقال " هل أنتم صادقي عن شيء إذا سألتكم عنه؟ " قالوا: نعم يا أبا القاسم وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا، فقال رسول الله ﷺ " من أهل النار؟ " فقالوا نكون فيها يسيرا ثم تخلفونا فيها، فقال لهم رسول الله ﷺ " والله لا نخلفكم فيها أبدًا " ثم قال لهم " هل أنتم صادقي عن شئ إذا سألتكم؟ " فقالوا نعم يا أبا القاسم، فقال " هل جعلتم في هذه

(١)شام: كلمة من الاضداد تعني إذا سل سيفه وإذا أغمده، والمراد هنا: أغمده.

(٢) أخرجه البخاري في الجهاد وفي المغازي (٣٣: ٢)، ومسلم (٤: ١)، راجع: «تحفة الأشراف» (٨٤٩/٢).

الشاة سما " فقالوا: نعم! قال " ما حملكم على ذلك؟ " قالوا أردنا إن كنت كاذبا أن نستريح منك وإن كنت نبيا لم يضرك[١].

٨٥٣-محاولة المنافقين اغتيال إمام المرسلين في غزوة تبوك

عن أبي الطفيل قال لما أقبل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أمر مناديا فنادى إن رسول الله ﷺ أخذ العقبة فلا يأخذها أحد فبينما رسول الله ﷺ يقوده حذيفة ويسوق به عمار إذ أقبل رهط متلثمون على الرواحل غشوا عمارا وهو يسوق برسول الله ﷺ وأقبل عمار يضرب وجوه الرواحل فقال رسول الله ﷺ لحذيفة قد قد حتى هبط رسول الله ﷺ فلما هبط رسول الله ﷺ نزل ورجع عمار فقال يا عمار هل عرفت القوم فقال قد عرفت عامة الرواحل والقوم متلثمون قال هل تدري ما أرادوا قال الله ورسوله أعلم قال أرادوا أن ينفروا برسول الله ﷺ فيطرحوه قال فسأل عمار رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ فقال نشدتك بالله كم تعلم كان أصحاب العقبة فقال أربعة عشر فقال إن كنت فيهم فقد كانوا خمسة عشر فعدد رسول الله ﷺ منهم ثلاثة قالوا والله ما سمعنا منادي رسول الله ﷺ وما علمنا ما أراد القوم فقال عمار أشهد أن الاثني عشر الباقين حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد قال الوليد وذكر أبو الطفيل في تلك الغزوة أن رسول الله ﷺ قال للناس وذكر له أن في الماء قلة فأمر رسول الله ﷺ مناديا فنادى أن لا يرد الماء أحد قبل رسول الله ﷺ فورده رسول الله ﷺ فوجد رهطا قد وردوه قبله فلعنهم رسول الله ﷺ يومئذ[٢].

---

(١) أخرجه البخاري في (٥٨) «كتاب الجزية» (٧) باب فتح الباري (٦ / ٢٧٢)، وفي «كتاب الطب» (٥٥) باب ما يذكر في سم النبي ﷺ.

(٢) أخرجه أحمد (ح ٢٢٦٧٦)، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٩٥/٦): «رجاله رجال الصحيح».

٨٥٤-خطط لقتل النبي الهمام ﷺ فهداه الملك العلام

وقال ابن هشام: وحدثني - يعنى بعض أهل العلم - أن فضالة بن عمير بن الملوح - يعنى الليثي - أراد قتل النبي ﷺ وهو يطوف بالبيت عام الفتح، فلما

دنا منه قال رسول الله ﷺ: " أفضالة؟ ".

قال: نعم فضالة يا رسول الله.

قال: " ماذا كنت تحدث به نفسك؟

قال: لا شيء، كنت أذكر الله.

قال: فضحك النبي ﷺ ثم قال: " استغفر الله " ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إلى منه.

قال فضالة: فرجعت إلى أهلي فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها فقالت: هلم إلى الحديث؟

فقال: لا وانبعث فضالة يقول:

قالت هلم إلى الحديث فقلت لا ... يأبى عليك الله والاسلام

لو ما رأيت محمدًا وقبيله ... بالفتح يوم تكسر الأصنام

لرأيت دين الله أضحى بينا ... والشرك يغشى وجهه الإظلام[1]

٨٥٥- محاولة شيبة بن عثمان الحجبي

(١) «السيرة النبوية» لابن كثير (ج ٣ / ص ٥٨٣)، و«عيون الأثر» (ج ٢ ص ٢٠١)، و«الروض الآنف» (ج ٤ص١٧٦)، و«زاد المعاد» (ج ٣ ص٣٦١)، و«سبل الهدى والرشاد» (ج ٥ ص ٢٣٥).

وذكر ابن سعد عن شيبة بن عثمان الحجبي، قال لما كان عام الفتح دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قلت: أسير مع قريش إلى هوازن بحنين فعسى إن اختلطوا أن أصيب من محمد غرة فأثأر منه فأكون أنا الذي قمت بثأر قريش كلها، وأقول لو لم يبق من العرب والعجم أحد إلا اتبع محمدًا، ما تبعته أبدًا، وكنت مرصدا لما خرجت له لا يزداد الأمر في نفسي إلا قوة فلما اختلط الناس اقتحم رسول الله ﷺ عن بغلته فأصلت السيف فدنوت أريد ما أريد منه ورفعت سيفي حتى كدت أشعره إياه فرفع لي شواظ من نار كالبرق كاد يمحشني، فوضعت يدي على بصري خوفا عليه فالتفت إلي رسول الله ﷺ فناداني: يا شيب ادن مني " فدنوت منه فمسح صدري، ثم قال " اللهم أعذه من الشيطان " قال فوالله لهو كان ساعتئذ أحب إلي من سمعي، وبصري، ونفسي، وأذهب الله ما كان في نفسي، ثم قال " آدن فقاتل " ، فتقدمت أمامه أضرب بسيفي ولو لقيت تلك الساعة أبي لو كان حيا لأوقعت به السيف فجعلت ألزمه فيمن لزمه حتى تراجع المسلمون فكروا كرة رجل واحد وقربت بغلة رسول الله ﷺ فاستوى عليها، وخرج في أثرهم حتى تفرقوا في كل وجه ورجع إلى معسكره فدخل خباءه فدخلت عليه ما دخل عليه أحد غيري حبا لرؤية وجهه وسرورا به فقال يا شيب الذي أراد الله بك خير مما أردت لنفسك "، ثم حدثني بكل ما أضمرت في نفسي ما لم أكن أذكره لأحد قط قال فقلت فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله ﷺ ثم قلت: استغفر لي. فقال " غفر الله لك[١].

(١) «عيون الأثر» (ج ٢ ص ٢١٧)، و«زاد المعاد» (ج ٣ / ص ٤٠٨)، و«مختصر سيرة الرسول» (ص٣١٥) للشيخ محمد بن عبد الوهاب، و«المنتظم» لابن الجوزي (ج٢ ص ٢٠٢)، و«مختصر تاريخ دمشق» (ج٣ ص ٤٧٢)، و«البداية والنهاية» لابن كثير.

٨٥٦- أراد أن يقتل رسول الله ﷺ فأقماه الإله

عن أبي أمامة، أن رسول الله ﷺ، رماه عبد الله بن قمئة بحجر يوم أحد، فشجه في وجهه، وكسر رباعيته، وقال: خذها وأنا ابن قمئة، فقال له رسول الله ﷺ وهو يمسح الدم عن وجهه:"ما لك، أقمأك الله"، فسلط الله عليه تيس جبل، ، فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة(١).

٨٥٧- لفظ القران واستهزأ بالنبي العدنان فجعله الله عبرة لبني الإنسان

أنس رضي الله عنه قال كان رجل نصرانيا فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران فكان يكتب للنبي ﷺ فعاد نصرانيا فكان يقول ما يدري محمد إلا ما كتبت له فأماته الله فدفنوه فأصبح وقد لفظته الأرض فقالوا هذا فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فألقوه فحفروا له فأعمقوا فأصبح وقد لفظته الأرض فقالوا هذا فعل محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم فألقوه فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا فأصبح وقد لفظته الأرض فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه(٢).

٨٥٨- مزق كتاب النبي المختار ﷺ فمزق ملكه الملك الجبار

عن ابن عباس، أن النبي ﷺ بعث بكتابه رجلا، وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه مزقه، فحسبت أن ابن المسيب قال: فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمزقوا كل ممزق(٣).

---

(١) «المعجم الكبير» للطبراني (ج ٧ / ص ١٤١)، و«مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (ج ٣ / ص ١٥) وفيه الشاذكوني والواقدي وكلاهما ضعيف.

(٢) البخاري (٣٦١٧)، ومسلم (٢٧٨١).

(٣) أخرجه أحمد (٢٤٣/١) (٢١٨٤)، والبخاري (٢٥/١).

قصةُ كسرى وقيصر المشهورةِ، فإن النبيّ ﷺ كان قد كتب إليهما، فامتنع كلاهما من الإسلام، لكن قيصر أكرم كتاب النبيّ ﷺ، وأكرم رسوله، فثبّت الله ملكه، وكسرى مزّق كتابَ رسول الله ﷺ، واستهزأ برسول الله ﷺ، فقتله الله بعد قليل، ومزّق ملكه كل ممزّق، ولم يبق للأكاسرة ملكٌ(١).

وقد تحقق ما أنبأ به رسول الله بكل دقة، فقد استولى على عرشه ابنه (قباذ) الملقب بـ (شرويه) وقتل كسرى ذليلا مهانًا بإيعاز منه سنة ٦٢٨م، وقد تمزق ملكه بعد وفاته، وأصبح لعبة في أيدي أبناء الأسرة الحاكمة، فلم يعش (شرويه) إلا ستة أشهر، وتوالى على عرشه مدة أربع سنوات عشرة ملوك، واضطرب حبل الدولة إلى أن اجتمع الناس على (يزدجرد) وهو آخر ملوك بني ساسان، وهو الذي واجه الزحف الإسلامي الذي أدى إلى انقراض الدولة الساسانية التي دامت وازدهرت أكثر من أربعة قرون انقراضًا كليًّا، وكان ذلك في سنة ٦٣٧م، وهكذا تحققت هذه النبوءة في ظرف ثماني سنين(٢).

٨٥٩- استهزأ وتكبر وحارب النبي ﷺ فقتله الصبي

عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال بينا أنا واقف في الصف يوم بدر نظرت عن يميني وشمالي فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما تمنيت لو كنت بين أضلع منهما فغمزني أحدهما فقال: يا عم هل تعرف أبا جهل قال قلت نعم وما حاجتك إليه يا ابن أخي قال أخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا قال فتعجبت لذلك فغمزني الآخر فقال مثلها قال فلم أنشب أن

(١) «الصارم المسلول» (ص: ١٤٤).
(٢) انظر: «السيرة النبوية» للندوي، (ص٣٠٠).

نظرت إلى أبي جهل يزول في الناس فقلت ألا تريان هذا صاحبكما الذي تسألان عنه قال فابتدراه فضرباه بسيفيهما حتى قتلاه ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه فقال أيكما قتله فقال كل واحد منهما أنا قتلت فقال هل مسحتما سيفيكما قالا لا فنظر في السيفين فقال كلاكما قتله وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح والرجلان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء(١)

٨٦٠- أراد أن يطأ رقبة النبي ﷺ فحالت دونه ملائكة العلي:

حماية الملائكة - بأمر الله - للنبي ﷺ في حادثة مع أبي جهل ما رواه الإمام مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ - أي يسجد كما كان يصلي عند الكعبة - بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ قَالَ فَقِيلَ نَعَمْ فَقَالَ وَاللاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ أَوْ لأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ قَالَ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ قَالَ فَمَافَجِئَهُمْ مِنْهُ إلا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ قَالَ فَقِيلَ لَهُ مَا لَكَ؟ فَقَالَ إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلا وَأَجْنِحَةً فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَوْ دَنَا مِنِّي لاخْتَطَفَتْهُ الْمَلائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا قَالَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ.. (كَلا إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى - يَعْنِي: أَبَا جَهْلٍ - أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى كَلا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ - يَعْنِي قَوْمَهُ - سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ كَلا لا تُطِعْهُ.. سورة القلم(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (ح ٣٦٨٩)، ومسلم واللفظ له (ح ٣٢٩٦).

(٢) «صحيح مسلم» (٢٧٩٧)، وذكره ابن كثيرٍ في «تفسيره» (٥٣٠/٤).

٨٦١- أغلظ للنبي في السباب فسلط الله عليه كلبا من الكلاب

كان أبو لهب وابنه عتبة قد تجهزا إلى الشام، فقال ابنه عتبة: والله لأنطلقنّ إلى محمد ولأوذينّه في ربه ﷻ، فانطلق حتى أتى النبيّ ﷺ فقال: يا محمد هو يكفر بالذي دنى فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى، فقال النبيّ ﷺ: (اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك). ثم انصرف عنه، فرجع إلى أبيه فقال: يا بني ما قلت له؟ فذكر له ما قاله، فقال: فما قال لك؟ قال: قال: (اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك). قال: يا بني والله ما آمن عليك دعاءه!

فساروا حتى نزلوا بالشراةِ وهي أرضٌ كثيرةُ الأسدِ، فقال: أبو لهب إنكم قد عرفتم كبر سني وحقي، وإنّ هذا الرجل قد دعا على ابني دعوة والله ما آمنها عليه، فاجمعوا متاعكم إلى هذه الصومعة وافرشوا لابني عليها ثم افرشوا حولها، ففعلوا، فجاء الأسد فشمَّ وجوههم فلما لم يجد ما يريد تقبض فوثب وثبة، فإذا هو فوق المتاع فشمَّ وجهه ثم هزمه هزمة ففسخ رأسه!! فقال أبو لهب: قد عرفت أنه لا يتفلت عن دعوة محمد!![1].

٨٦٢- غضب الأرض والسماء لمن سب إمام الأصفياء

ظهر في زمن الحاكم رجلٌ سمّى نفسه هادي المستجيبين، وكانوا يدعو إلى عبادة الحاكمِ، وحُكيَ عنه أنّه سبّ النبيّ ﷺ، وبصق على المصحفِ، فلما ورد مكةَ شكاهُ أهلها إلى أميرها، فدافع عنه، واعتذر بتوبتِهِ، فقالوا: مثل هذا لا توبة له! فأبى، فاجتمع الناس عند الكعبةِ وضجّوا إلى الله، فأرسل الله ريحًا سوداء حتى أظلمت الدنيا، ثم تجلت الظلمةُ وصار على الكعبة فوق أستارها كهيئة الترس الأبيض له نور كنور الشمسِ، فلم يزل كذلك ترى ليلًا ونهارًا، فلما رأى أميرُ مكةَ ذلك أمر

(١) «تفسير ابن كثير».

بهادي المستجيبينَ فضربَ عنقَهُ وصلبَهُ[١] .

٨٦٣-سخر بالله وأنبيائه فولغ الكلب في دمائه

وذكر القاضي عياض قصةً لساخرٍ بالنبي ﷺ! وذلك أن فقهاءَ القيروانِ وأصحابَ سُحنُون أفتوا بقتلِ إبراهيم الفزاري، وكان شاعرًا متفننًا في كثير من العلومِ، وكان يستهزئ باللهِ وأنبيائهِ ونبينا محمد ﷺ، فأمر القاضي يحيى بن عمرَ بقتله وصلبه، فطُعن بالسكينِ وصُلب مُنكسًا، وحكى بعضُ المؤرخين أنه لما رُفعت خشبته، وزالت عنها الأيدي استدارت وحوَّلته عن القبلةِ فكان آيةً للجميعِ، وكبر الناسُ، وجاءَ كلبٌ فولغ في دمهِ[٢].

٨٦٤- انتقص النبي في رسالته فأهلك الله أهله وذريته

حكى أحد الدعاة أن رجلًا ذهب لنيل الشهادة العليا من جامعة غربيةٍ، وكانت رسالتُهُ متعلقةً بالنبيّ ﷺ، وكان مشرفُهُ شانئًا حانقًا، فأبى أن يمنحه الدرجةَ حتى يضمّن رسالتَه انتقاصًا للمصطفى ﷺ، فضعفت نفسه، وآثر الأولى على الآخرة. فلما حاز شهادته ورجع إلى دياره فوجئ بهلاك جميع أولاده وأهله في حادث مفاجئ.

٨٦٥ - سب النبي فقتله الجني

نُقل عن أصحاب المغازي أن هاتفًا هتف على جبل أبي قبيسٍ بشعرٍ فيه تعريضٌ بالنبيّ ﷺ، فما مرتْ ثلاثة أيامٍ حتى هتف هاتف على الجبل يقولُ:

نحــن قتلنــا في ثــلاثٍ مِســعرا إذ ســفّه الحــقّ وســنَّ المنكــرا

(١) «ذيل مولد العلماء» (١٣٩/١).
(٢) «الشفا» (٢١٨/٢).

قنّعتُـــهُ ســـيفًا حســـامًا مبـــترا بشـــتمه نبيّنـــــا المطهّـــرا

ومسعرٌ - كما في الخبر- اسمُ الجنيّ الذي هجا النبيّ ﷺ.

٨٦٦- عرض في كلامه بخير العباد فأذله الله على كل باب

ذكر الشيخ أحمد شاكر رحمه الله عن والده محمد شاكر، وكيل الأزهر في مصر سابقًا، أن خطيبًا مفوها فصيحا كان يمدح أحد الأمراء في مصر عندما أكرم طاه حسين الذي كان يطعن في القرآن وفي العربية، فلما جاء طاه حسين إلى ذلك الأمير قام هذا الخطيب المفوه يمدح ذلك الأمير قائلا له: جاءه الأعمى فما عبس بوجه وما تولى وهو يقصد من شعره هذا إساءة النبي عليه الصلاة والسلام، لأن الله قال عن قصته عليه الصلاة والسلام مع أبن أم مكتوم " عبس وتولى أن جاءه الأعمى " فلما صلى الخطيب بالناس قام الشيخ محمد شاكر والد الشيخ أحمد شاكر رحمهما الله، وقال للناس: أعيدوا صلاتكم فإن إمامكم قد كفر، لأنه تكلم بكلمة الكفر، قال الشيخ أحمد شاكر: ولم يدع الله لهذا المجرم جرمه في الدنيا قبل أن يجزيه جزاءه في الأخرى، فأقسم بالله أنه رآه بعينه بعد بعض سنين، بعد أن كان عاليًا منتفخًا مستعزًا، مهينًا ذليلًا خادمًا على باب مسجد من مساجد القاهرة، يتلقى نعال المصلين ليحفظها في ذلة وصغار.

٨٦٧- صرف السباب عن النبي الأواب

ومن كفاية الله تعالى لنبيه من المستهزئين أن يصرف الشتيمة والذم والاستهزاء إلى غيره.. فإذا بالشاتم يريد أن يشتمه فيشتم غيره من حيث لا يشعر!!

قال ﷺ: "ألا ترون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم، يشتمون مذممًا، ويلعنون مذممًا، وأنا محمدٌ"! (البخاري).

قال ابن حجر: كان الكفار من قريش من شدة كراهتهم في النبي ﷺ لا يسمونه باسم الدال على المدح، فيعدلون إلى ضده فيقولون: مذمم، وإذا ذكروه بسوء قالوا: فعل الله بمذمم. ومذمم ليس اسمه، ولا يعرف به، فكان الذي يقع منهم مصروفًا إلى غيره[١].

٨٦٨- وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "إنَّ الله منتقمٌ لرسوله ممن طعن عليه وسَبَّه، ومُظْهِرٌ لِدِينِهِ ولِكَذِبِ الكاذب إذا لم يمكن الناس أن يقيموا عليه الحد، ونظير هذا ما حَدَّثَنَاه أعدادٌ من المسلمين العُدُول، أهل الفقه والخبرة، عمَّا جربوه مراتٍ متعددةٍ في حَصْرِ الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية، لما حصر المسلمون فيها بني الأصفر في زماننا، قالوا: كنا نحن نَحْصُرُ الحِصْنَ أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر وهو ممتنعٌ علينا حتى نكاد نيأس منه، حتى إذا تعرض أهلُهُ لِسَبِّ رسولِ الله والوقيعةِ في عرضِه تَعَجَّلنا فتحه وتيَسَّر، ولم يكد يتأخر إلا يومًا أو يومين أو نحو ذلك، ثم يفتح المكان عنوة، ويكون فيهم ملحمة عظيمة، قالوا: حتى إن كنا لَنَتَبَاشَرُ بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه، مع امتلاء القلوب غيظًا عليهم بما قالوا فيه.

وهكذا حدثني بعض أصحابنا الثقات أن المسلمين من أهل الغرب - يعني المغرب- حالهم مع النصارى كذلك، ومن سنة الله أن يعذب أعداءه تارة بعذاب من عنده وتارة بأيدي عباده المؤمنين" انتهى[٢].

٨٦٩- عاقبة الصليبى الشهير أرناط أمير الكرك

يعتبر الأمير الصليبي "رينالد دي شاتيون" المشهور في المراجع

---

(١) «الفتح» (ج ٦/٥٥٨).

(٢) «الصارم المسلول» (ص ١١٦-١١٧).

العربية باسم "أرناط"، من أشد الصليبيين عداوة وغدرًا وحقدًا على الإسلام والمسلمين، قضى حياته كلها في محاربة المسلمين تدينًا منه، ووقع في الأسر عدة مرات، ويفتدى نفسه ليخرج لمحاربة المسلمين مرة أخرى، وكان أميرًا على حصن الكرك وكان دائم الإغارة على قوافل المسلمين، وذات مرة هاجم أرناط قافلة حجاج مسلمين فقتلهم وسرق متاعهم وأثناء اقترافه هذه الجريمة الشنيعة أخذ في سب النبي ﷺ، ويقول للمسلمين "أين محمدكم لينقذكم؟."

وقد فكر هذا الخنزير الأحمق في الهجوم على مكة والمدينة النبوية وأعد أسطولًا لذلك وقام بغارات مجرمة على قوافل الحجيج، فأقسم "صلاح الدين" على أن يقتل هذا الكلب بيده إذا ظفر بيده، وجاء يوم الوفاء يوم "حطين" العظيم سنة ٥٨٣ هجرية، حيث وقع هذا الكلب في الأسر، وقال صلاح الدين بعزة المؤمن المدافع عن نبيه وأمته: أنا أنوب عن الأمة في الانتصار لرسولها ثم ضرب عنق أرناط بسيفه فأطارها وأطار معها أفئدة باقي الأسرى الصليبيين.

٨٧٠- سب النبي الحنيف فأماته الله في الكنيف[١]

عاقبة أحمد القادياني - لعنه الله:

هذا الدجال الكاذب المحتال الذي ادعى النبوة غلام أحمد ميرزا القادياني، العميل الإنجليزي الذي تم تجنيده لإفساد عقائد المسلمين، كان هذا الدجال يفضل نفسه على النبي ﷺ ويقول عن نفسه: له خسف القمر المنير وإن لي غسا القمران المشرقان أتنكر ويرفع نفسه فوق النبي ﷺ ويقول إنه أكمل وأعظم من الرسول ﷺ، فهلك هذا الدجال بالطاعون وجاءه أجله المقدور في بيت النجاسات وهو يقضي حاجته، وكانت

(١) المكان الذي يقضي فيه حاجته من بول أو غائط.

النجاسة تخرج من فيه قبل موته وذلك في ٢٦ مايو ١٩٠٨ ميلادية.

٨٧١- سب النبي ﷺ واحتقر فذبح كما تذبح البقر

وهذا صليبي حاقد على الإسلام ورسول الإسلام وعلى المسلمين فتعرض للحجيج وسلب أموالهم وقطع الطريق المؤدية إلى ذلك بل أخذ يسب النبي ﷺ من رفع الله شأنه وأعلى قدره فيأتي سفيه لينال من قمة القمم ومن شرف الشره فيكون جزاؤه أن يذبح عند حجرة النبي كما تذبح البقر ففي أثناء الحملة الصليبية السادسة على دمياط سنة ٦١٥ هجرية، وبعد أن احتل الصليبيون دمياط وأقام الأمير الأيوبي محمد الكامل معسكره في المنصورة قبالة دمياط لمقاومة العدوان الصليبي، كان كل يوم يخرج كلب صليبي ويقف قبالة المعسكر الإسلامي ثم يبدأ في سب النبي ﷺ بأقذع الشتائم والسباب، وظل يفعل ذلك كل يوم، وكان الأمير محمد يود أن يأسر هذا الصليبي الحاقد وقد حفر شكله في ذاكرته ومخيلته، ولما انتهت الحملة الصليبية بالفشل سنة ٦١٨ هجرية، عاد الصليبيون إلى بلادهم، ولكن هذا الكلب الصليبي الحاقد لم يرجع بل توجه إلى الشام لمحاربة المسلمين هناك وذلك من شدة عداوته للإسلام والمسلمين، وهناك يقع في الأسر ويعرفه الأمير محمد الكامل فيأخذه من بين الأسرى ويرسل به إلى المدينة النبوية، لينحر أمام الحجرة الشريفة يوم الجمعة وذلك سنة ٦٢٥ هجرية، جزاءً له على سبه للرسول ﷺ.

٨٧٢- تكبر أن يأكل باليمين فدعا عليه النبي الأمين

وللعصاة أمثالها فهذا رجل تكبر على أمر النبي وأخذته العزة بالإثم فشلت يده فلم يرفعها.

روى الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رضي الله عنه أن

أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِشِمَالِهِ فَقَالَ كُلْ بِيَمِينِكَ قَالَ لَا أَسْتَطِيعُ قَالَ لَا اسْتَطَعْتَ مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ قَالَ فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ[١].

فهذا صحابي[٢] تكبر على أمر من أمور رسول الله ﷺ فكان جزاؤه أن استجاب الله لدعاء نبيه ﷺ فيه، وأصابه بالشلل، فما الشأن بمن لا يرفع لأوامر وهدى رسول الله ﷺ رأسًا.

٨٧٣- سابق الإمام فحول الله رأسه راس حمار

وهذا آخر استبعد وقوع الإنذار الذي اخبر به المختار فرفع رأسه قبل الإمام فحول الله رأسه رأس حمار وقد حذرنا النبي - ﷺ من مسابقة الإمام كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ أَمَا يَخْشَى أَحَدُكُمْ أَوْ لَا يَخْشَى أَحَدُكُمْ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلَ الْإِمَامِ أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ صُورَتَهُ صُورَةَ حِمَارٍ[٣].

قال المباركفوي في "تحفة الأحوذي": ".. القول الظاهر الراجح هو حمله على الظاهر ولا حاجة إلى التأويل مع ما فيه.. ويؤيد حمله على الظاهر ما حكي عن بعض المحدثين أنه رحل إلى دمشق لأخذ الحديث عن شيخ مشهور بها فقرأ جملة لكنه كان يجعل بيني وبينه حجابا ولم ير وجهه فلما طالت ملازمته له ورأى حرصه على الحديث كشف له الستر فرأى وجهه وجه حمار فقال له احذر يا بني أن تسبق الإمام فإني لما مر بي

---

(١) «صحيح مسلم» كتاب الأشربة- باب: آداب الطعام والشرب (رقم ٢٠٢١).

(٢) قال النووي في «شرح مسلم»: هذا الرجل هو (بُسر)، ابن راعي العير، الأشجعي، كذا ذكر ابن منده وأبو نعيم الأصبهاني.

(٣) رواه البخاري في كتاب الجماعة والإمامة باب: إثم من رفع رأسه قبل الإمام، ومسلم برقم (٤٢٧).

الحديث استبعدت وقوعه فسبقت الإمام فصار وجهي كما ترى والله تعالى أعلم"[١].

٨٧٤- سخر بكلام الحبيب فبتلاه الله بالداء المعيب

وهذه عقوبة سريعة المن استهزأ بكلام الحبيب - ﷺ فابتلاه الله بالداء المعيب أخرج الحاكم في مستدركه بسنده عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، قال: كان فلان يجلس إلى النبي ﷺ فإذا تكلم النبي ﷺ بشيء اختلج[٢] وجهه فقال له النبي ﷺ: «كن كذلك» فلم يزل يختلج حتى مات، وقال الحاكم:[٣].

٨٧٥- استهزأ بالسواك فحمل كالنساء ومات

ومن حماية الله لنبيه حماية سنته من أن يسخر بها ساخر ويطعن فيها طاعن فهدا رجل استهزأ بسنة من سننه ﷺ ألا وهي السواك فكان جزاؤه ما أورده ابن كثير في تاريخه وابن خلكان في تراجمه في أحداث سنة ٦٦٥ هجرية، أن رجلًا من أهل بصرى اسمه "أبو سلامة" كان فيه مجون واستهتار واستهزاء بكل شيء، فذكر عنده السواك وما فيه من الفضيلة فقال: "والله لا أستاك إلا في المخرج يعنى دبره، ثم أخذ سواكًا فوضعه في مخرجه ثم أخرجه، فمكث بعده تسعة أشهر وهو يشكو ألم البطن ثم وضع ولدًا على صفة الجرذان له أربع قوائم ورأسه كرأس السمكة وله أربعة أنياب بارزة وذنب طويل، ولما وضعه صاح هذا الحيوان ثلاث صيحات فقامت ابنة ذلك الرجل فرضخت رأس الحيوان فمات، وعاش ذلك الرجل بعد وضعه هذا المسخ يومين ومات في الثالث وهو يقول "هذا الحيوان

---

(١) «تحفة الأحوذي» برنامج موسوعة الكتب التسعة من شركة حرف.

(٢) اختلج: حرّك شفتيه وذقنه استهزاءً ومحاكاةً للنبيّ.

(٣) أخرجه الحاكم (ح ٤٢٤١)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد.

قتلني وقطع أمعائي[١].

٨٧٦- استهزأ بالكرام فجفت الإقدام

روى الطبراني في كتاب السنة عن زكريا بن يحيى الساجي قال كنا الى بعض الشيوخ لسماع حديث رسول الله ﷺ فأسرعنا في المشي ومعنا شاب ماجن فقال ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة لا تكسروها قال فما زال حتى جفته رجلاه ولهذا نظائر نسأل الله تعالى الاعتصام بكتابه وسنة رسوله واتباع ما أقام من دليله والله سبحانه أعلم[٢].

٨٧٧- الفضيحة لمن استهزأ بالنصيحة

وذكر الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي رحمه الله في كتابه شرح صحيح مسلم هذه الحكاية فيها وشلت رجلاه ويداه وسائر أعضائه. قال وقرأت في بعض الحكايات أن بعض المبتدعة حين سمع قول النبي ﷺ إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها فإنه لا يدري أين باتت يده. قال ذلك المبتدع على سبيل التهكم أنا أدري أين باتت يدي في الفراش فأصبح وقد أدخل يده في دبره إلى ذراعه. قال التيمي فليتق المرء الاستحفاف بالسنن ومواضع التوقيف فانظر كيف وصل إليهما شؤم فعلهما. قلت ومعنى هذا الحديث ما قاله الإمام الشافعي رضي الله عنه وغيره من العلماء رضي الله عنهم أن النائم تطوف يده في نومه على بدنه فلا يأمن أنها مرت على نجاسة من دم بثرة أو قملة أو برغوث أو على محل الاستنجاء وما أشبه ذلك والله أعلم[٣].

---

(١) «البداية والنهاية» (ج ٧ ص ٢٦٣)، و«شذرات الذهب» (ج ٥ ص ٤٥٧).

(٢) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (ج ٤ ص ٥٣٩)، و«المجالسة» (ج٥ ص ٢٩٤)، و«مفتاح دار السعادة» (ج ١ ص ٢٥٦)، و«بستان العارفين» (ص ٩٣).

(٣) «بستان العارفين» (ص ٩٤).

٨٧٨- كلب يغار على النبي المختار

ومن جنود الرحمن التي دافعت عن سيد ولد عدنان ﷺ ذلك الكلب الذي سطر التاريخ ذكره كما سطر الله تعالى ذكر كلب أصحاب الكهف في سورة الكهف، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ ﴾ [المدثر:٣١].

يقول ابن حجر رحمه الله ذكر عن جمال الدين إبراهيم بن محمد الطيبي أن بعض أمراء المغول تنصر فحضر عنده جماعة من كبار النصارى والمغول فجعل واحد منهم ينتقص النبي ﷺ وهناك كلب صيد مربوط فلما أكثر من ذلك وثب عليه الكلب فخمشه فخلصوه منه وقال بعض من حضر هذا بكلامك في محمد ﷺ فقال كلا بل هذا الكلب عزيز النفس رآني أشير بيدي فظن أني أريد أن أضربه ثم عاد إلى ما كان فيه فأطال فوثب الكلب مرة أخرى فقبض على زردمته فقلعها فمات من حينه فأسلم بسبب ذلك نحو أربعين ألفا من المغول(١).

٨٧٩- سخر بالنبي والكبير المتعال فبال على نفسه في الحال

وتمر الأيام والسنون والله تعالى غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون، ويتطاول غر مأفون ويسخر بالله بالكبير المتعال والنبي سيد الرجال فيقتص الله منه في الحال فيبول على نفسه ثم يصرع كما تصرع الأنعام ليفارق الحياة وهاك إحداث تلك الواقعة...

الزمان: الأحد الأول من أغسطس ١٩٩٣م-الساعة الثانية ظهرًا.

المكان: "ركن الخطباء" في حديقة "هايد بارك " الشهيرة بوسط العاصمة البريطانية "لندن".

---

(١) «الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة» (ج ١ / ص ٣٨٦).

الحدث: اعتاد بعض المسلمين الإنكليز المؤهلين لدعوة بنى جلدتهم الى الاسلام أن يتواجدوا بصفة أسبوعية في "ركن الخطباء" بالحديقة المذكورة، ليتناوبوا على الخطابة داعين إلى توحيد الله ﷻ، وموضحين حقائق الإسلام، ومفندين شبهات أعدائه، وفي اليوم المذكور وقف الأخ أبو سفيان داعيًا إلى الله ﷻ، فانبرى له رجل بريطاني نصراني فأخذ يقاطعه ويشوش عليه، ثم تدني إلى ما هو أشنع من ذلك، فطوعت له نفسه أن يلعن ويسب الله ﷻ، والرسول ﷺ، والاسلام، فلم يمهله الله طرفة عين، وإذا بالخبيث يخر في الحال على وجهه صريعًا لليدين وللفم بعد أن بال على نفسه، وأخذت الرغوة الكريهة المقززة تنبعث من فمه، وفشلت كل محاولات إسعافه إذ كان قد نفق في الحال، وأفضى إلى جبار السموات والأرض جل وعلا، وكان أحد رجال الشرطة البريطانية المخصصين لحفظ الأمن والنظام يراقب الموقف برمته مع الحاضرين عن كثب، فلما نفضوا أيديهم منه، وآيسوا من حياته، أقبل الشرطي نحو أخينا "أبى سفيان"قائلا له:"هذا ربك قد انتقم منه في الحال؟"، فأجابه "أبو سفيان": "نعم هو الله الذي فعل ذلك، فادعوا الروح القدس كي تعيده إلى الحياة إن استطعتم"[١].

٨٨٠- المحاولة الأولى للنصارى لسرقة جسمان رسول الله

قال الجمال الأسنوي في رسالة له في منع الولاة من استعمال النصارى إن الملك العادل نور الدين الشهيد رأى النبيّ ﷺ في نومه في ليلة ثلاث مرات وهو يشير إلى رجلين أشقر بن ويقول أنجدني أنقذني من هذين فأرسل إلى وزيره وتجهزا في بقية ليلتهما على رواحل خفيفة في عشرين

[١] - مجلة بريد الإسلام العدد الثالث، وأكد وقوع هذه القصة الشيخ محمد إسماعيل المقدم حفظه الله في محاضرة له بعنوان «تنبًا لك يا دانمارك» تعرض فيها للجريمة الدانماركية، فجزاه الله خيرًا. أين مكان التخريج

نفرا وصحب مالا كثيرًا وقدم المدينة في ستة عشر يوما فزارا ثم أمر بإحضار أهل المدينة بعد كتابتهم وصار يتصدّق عليهم ويتأمل تلك الصفة إلى أن انفضت الناس فقال هل بقى أحد قالوا لم يبق سوى رجلين صالحين عفيفين مغربيين يكثران الصدقة فطلبهما فرآهما فإذا هما الرجلان اللذان أشار إليهما النبيّ ﷺ فسأل عن منزلهما فأخبر أنهما في رباط بقرب الحجرة فأمسكهما ومضى إلى منزلهما فلم ير إلا خيمتين وكتبا في الرقائق ومالا كثيرًا فأثنى عليهما أهل المدينة بخير كثير فرفع السلطان حصيرا في البيت فرأى سردابا محفورا ينتهي إلى صوب الحجرة فارتاعت الناس لذلك وقال لهما السلطان أصدقاني وضربهما ضربا شديدا فاعترفا إنهما نصرانيان بعثهما سلطان النصارى في زي حجاج المغاربة وأمالهما بأموال عظيمة ليتحيلا في الوصول إلى الجناب الشريف ونقله وما يترتب عليه فنزلا بأقرب رباط وصارا يحفران ليلا ولكل منهما محفظة جلد والذي يجتمع من التراب يخرجانه في محفظتيهما إلى البقيع بعلة الزيارة فلما قربا من الحجرة الشريفة أرعدت السماء وأبرقت وحصل رجيف عظيم فقدم السلطان صبيحة تلك الليلة فلما ظهر حالهما بكى السلطان بكاء شديدا وأمر بضرب رقابهما فقتلا تحت الشباك الذي يلي الحجرة الشريفة ثم أمر بإحضار رصاص عظيم وحفر خندقا عظيما إلى الماء حول الحجرة الشريفة كلها وأذيب ذلك الرصاص ومليء به الخندق فصار حول الحجرة الشريفة كلها سورا رصاصا إلى الماء انتهى[١].

٨٨١-الثانية محاولة الصليبيون

وقال مُجير الدين الحنبلي في " الأنس الجليل":

(١) «خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى» (ج ١ / ص ١٥٥).

في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة قصد الإفرنج المقيمون بالكرك والشوبك المسير لمدينة رسول الله ﷺ لينبشوا قبره الشريف وينقلوا جسده الكريم إلى بلادهم ويدفنوه عندهم ولا يمكنوا المسلمين من زيارته إلا بجعل فأنشأ البرنس أرباط صاحب الكرك سفنًا حملها عل البر إلى بحر القلزم وركب فيها الرجال وسارت الإفرنج ومضوا يريدون المدينة الشريفة فكان السلطان صلاح الدين على حوران فلما بلغه ذلك بعث إلى سيف الدولة بن منقذ نائبه بمصر يأمره بتجهيز حسام الدين لؤلؤ الحاجب خلف العدو فاستعد لذلك وسار في طلبهم حتى أدركهم ولم يبق بينهم وبين المدينة الشريفة النبوية إلا مسافة يوم وكانوا نيفًا وثلاثمائة وقد انضم إليهم عدة من العربان المرتدة ففرت العربان والتجأ الإفرنج إلى رأس جبل صعب المرتقى فصعد إليهم في نحو عشرة أنفس وضايقهم فيه فخارت قواهم بعد ما كانوا معدودين من الشجعان وقبض عليهم وقيدوهم وحملهم إلى القاهرة وكان لدخولهم يوم مشهود وتولى قتلهم الصوفية والفقهاء وأرباب الديانة بعد ما ساق رجلين من أعيان الإفرنج إلى منى ونحرهما هناك كما تنحر البدن التي تساق هديا إلى الكعبة[١].

٨٨٢- المحاولة الثالثة من قبل الرافضة

كما تعرّض قبر النبي ﷺ لِمحاولات نبش من قِبَل العُبيديين الرافضة.

يقول السخاوي رحمه الله ومن أغرب ما اتفق له، مما أورده ابن النجار بسنده: أن بعض الزنادقة أشار على الحاكم بأمر الله العبيدي بنبش القبر الشريف، وحمله ﷺ وصاحبيه رضي الله عنهما إلى مصر لتكون محط الرحال، فأنفذ لأبي الفتوح يأمره بذلك، فسار حتى قدم المدينة، فحضر إليه جماعة

(١) «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل» (ج ١ / ص ٣١٦-٣١٧).

من أهلها ممن علم سبب قدومه، ومعهم قارئ يعرف بالركباني، فقرأ بين يديه: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ﴾ [التوبة:١٢] - إلى قوله -: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة:١٢] فماج الناس، وكادوا أن يقتلوا أبا الفتوح ومن معه من الجند، فلما رأى ذلك، قال لهم: الله أحق أن يخشى، ووالله لا أتعرض لشيء من هذا، ودع الحاكم يفعل في ما أراد، ثم استولى عليه ضيق الصدر، وتقسيم الفكر كيف أجاب؟ فما غابت الشمس من بقية يومه حتى أرسل الله من الريح ما كادت الأرض تزلزل منه، وتدحرجت الإبل بأقتابها، والخيل بسروجها، كما تدحرج الكرة على وجه الأرض، وهلك خلق كثيرون من الناس، وانفرج هم أبي الفتوح بما أرسله من تلك الرياح، التي شاع ذكرها في الآفاق، ليكون حجة له عند الحاكم، وفي ترجمته غير هذه الغريبة من الغرائب، طوله الفاسي[١].

٨٨٣- المحاولة الرابعة

في عهد نفس الخليفة العبيدي، حيث أرسل من يسكنون بدار بجوار الحرم النبوي الشريف ويحفر نفقًا من الدار إلى القبر، وسمع أهل المدينة مناديًا صاح فيهم بأن نبيكم ينبش، ففتشوا الناس فوجدوهم وقتلوهم. ومن الجدير بالذكر أن الحاكم بن عبيد الله ادعى الألوهية سنة ٤٠٨ هـ[٢].

٨٨٤- المحاولة الخامسة

جملة من النصارى سرقوا ونهبوا قوافل الحجيج، وعزموا على نبش القبر وتحدثوا وجهروا بنياتهم وركبوا البحر واتجهوا للمدينة، فدفع الله عاديتهم بمراكب عمرت من مصر والإسكندرية تبعوهم وأخذوهم عن

(١) «التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة» (ج ١ / ص ١٨١).
(٢) موقع أخوات طريق الإسلام على شبكة الانترنت.

أخرهم، وأسروا ووزعوا في بلاد المسلمين.

٨٨٥- محاولة السادسة الاعتداء على الحجرة النبوية

وفي سنة إحدى وستين وخمسمائة ذكر صاحب الخميس عن شمس الدين صواب الموصلي بواب المسجد النبوي، والقائم بأمره بإسناد صحيح عنه أن جماعة الروافض وصلوا من حلب فأهدوا إلى أمير المدينة الشريفة من الأموال والجواهر لم يخطر ببال، فشغله ذلك وأنساه دينه، والتمسوا منه أن يخرجوا جسد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من عند النبي ﷺ.

فلما غشيه من حب الدنيا والتشاغل بالأموال عن الدين وافقهم على ذلك. قال صواب الموصلي المذكور: فطلبني أمير المدينة وقال: إن في هذه الليلة يصل إليك كذا وكذا من الرجال، فحين يصلون إليك سلم إليهم مفتاح الحجرة الشريفة النبوية ولا تتشاغل عنهم، وإلا أخذت ما فيه عيناك.

قال صواب: فأخذتني رعدة ودهشة، ولا أدري إلامَ يئول الأمر، فانتظرت، فلما كان نصف الليل أقبل أربعون رجلا فدخلوا من باب السلام، فسلمت إليهم مفتاح الحجرة المطهرة، فإذا معهم المقاحف والمكاتل وآلات الحفرة فعرفت مرادهم؛ وغاب حسى من الهيبة النبوية، ثم سجدت لله وجعلت أبكي وأتضرع، فما نظرت إلا وقد انشقت الأرض واشتملتهم بجميع ما معهم من آلات الحفر والتأمت لساعتها، وذلك عند المحراب العثماني، فسجدت شكرًا لله، فلما استبطأ الأمير الخبر أرسل لي رسولا فأخبرته بما رأيت، فطلبني عاجلا فوصلت إليه فإذا هو مثل الواله، فسألني مشافهة فحققت له ما رأيت، فقال: إن خرج منك هذا الأمر قتلتك، فلم أزل ساكتًا عن بث هذا الأمر مدة حياة ذلك الأمير خوفًا منه.[١]

(١) «سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي» (ج ٢ / ص ٢٤٥).

الفصل الأربعون: مع فراسة أهل الإيمان

٨٨٦- هذا الرجل قد كان ينظر في الكهانة

وقال نافع عن ابن عمر: بينما عمر جالس إذ رأى رجلا فقال: لست ذا دراية إن لم يكن هذا الرجل قد كان ينظر في الكهانة ادعوه لي. فدعوه فقال: هل كنت تنظر وتقول في الكهانة شيئًا؟

قال: نعم[١].

٨٨٧- أدرك أهلك فقد احترقوا

وقال مالك عن يحيى بن سعيد إن عمر بن الخطاب قال لرجل: ما اسمك؟ قال: جمرة. قال: ابن من؟

قال: ابن شهاب.

قال ممن؟

قال: من الحرقة. قال: أين مسكنك. قال: بحرة النار. قال: أيها. قال: بذات لظى. فقال عمر: أدرك أهلك فقد احترقوا. فكان كما قال[٢].

٨٨٨- قد جحدتها وأنكرتها.

ومن ذلك أنه خاصم غلام من الأنصار أمه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجحدته فسأله البينة فلم تكن عنده وجاءت المرأة بنفر فشهدوا أنها لم تتزوج وأن الغلام كاذب عليها وقد قذفها فأمر عمر بضربه.

---

(١) «نور القبس» (ص: ٦٢، بترقيم الشاملة آليًا).

(٢) «نور القبس» (ص: ٦٢).

فلقيه علي بن أبي طالب فسأله عن أمرهم فأخبره فدعاهم ثم قعد في مسجد النبي ﷺ وسأل المرأة فجحدت فقال للغلام: اجحدها كما جحدتك. فقال: يا ابن عم رسول الله ﷺ إنها أمي. قال: اجحدها وأنا أبوك والحسن والحسين أخواك.

قال: قد جحدتها وأنكرتها.

فقال علي لأولياء المرأة أمري في هذه المرأة جائز.

قالوا: نعم وفينا أيضًا.

فقال: أشهد من حضر أني قد زوجت هذا الغلام من هذه المرأة الغريبة منه يا قنبر ائتني بدراهم فأتاه فعد أربعمائة وثمانين درهما فقذفها مهرا لها.

وقال للغلام خذ بيد امرأتك ولا تأتنا إلا وعليك أثر العرس فلما ولى قالت المرأة: يا أبا الحسن الله الله هو النار هو والله ابني.

قال: وكيف ذلك؟

قالت: إن أباه كان هجينا - الهجين عربي ولد من أمة أو من أبوه خير من أمه - وإن إخوتي زوجوني منه فحملت بهذا الغلام وخرج الرجل غازيا فقتل وبعثت بهذا إلي حي بني فلان فنشأ فيهم وأنفت أن يكون ابني فقال علي: أنا أبو الحسن وألحقه بها وثبت نسبه[١].

٨٨٩- ممن يحب الفتنة ويكره الحق

ومن ذلك أن عمر بن الخطاب سأل رجلا كيف أنت؟

فقال: ممن يحب الفتنة ويكره الحق ويشهد على ما لم يره. فأمر به إلى السجن فأمر علي برده. فقال: صدق. فقال: كيف صدقته. قال: يحب المال

(١) «موارد الظمآن لدروس الزمان» (٤/ ٨).

والولد وقد قال الله تعالى: ﴿أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾، ويكره الموت وهو الحق ويشهد أن محمدًا رسول الله ولم يره فأمر عمر بإطلاقه وقال: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[١].

٨٩٠- أما إحداهن فحامل

وتقدم إلى إياس بن معاوية أربع نسوة فقال إياس: أما احداهن فحامل والأخرى مرضع والأخرى ثيب والأخرى بكر فنظروا فوجدوا الأمر كما قال. قالوا: كيف عرفت؟

فقال: أما الحامل فترفع ثوبها عن بطنها وهي تكلمني فعلمت أنها حامل، وأما المرضع فكانت تضرب ثديها فعلمت أنها مرضع، وأما الثيب فكانت تكلمني وعينها في عيني فعلمت أنها ثيب وأما البكر فكانت تكلمني وعينها في الأرض فعلمت أنها بكر[٢].

٨٩١- قد أعطاني المال

قال المدائني عن روح استودع رجل رجلا من أبناء الناس مالا ثم رجع فطلبه فجحد فأتا إياسا فأخبره فقال له إياس: انصرف فاكتم أمرك ولا تعلمه أنك أتيتني ثم عد إلي بعد يومين.

فدعا إياس المودع فقال: قد حضر مال كثير وأريد أن أسلمه إليك أفحصين منزلك؟

قال: نعم. قال: فأعد له موضعا وحمالين وعاد الرجل صاحب الوديعة إلي إياس.

فقال انطلق إلي صاحبك فاطلب المال فإن أعطاك فذاك وإن جحدك فقل له

---

(١) «موارد الظمآن لدروس الزمان» (٤/ ٨).

(٢) «موارد الظمآن لدروس الزمان» (٤/ ٨).

إني أخبر القاضي فأتى الرجل صاحبه فقال: مالي وإلا أتيت القاضي وشكوت إليه وأخبرته بأمري، فدفع إليه ماله فرجع الرجل إلي إياس فقال: قد أعطاني المال.

وجاء الأمين إلي إياس لوعده فزجره وانتهره وخجله وقال: لا تقربني يا خائن[١].

٨٩٢- هذا سيد الفتيان إن لم يحدث

ودخل عمرو بن عبيد على الحسن فقال هذا سيد الفتيان إن لم يحدث[٢].

٨٩٣- أتفرس أنه نجار

وقيل إن الشافعي ومحمد بن الحسن جلسا في المسجد الحرام فدخل رجل فقال محمد أتفرس أنه نجار فقال الشافعي أتفرس أنه حداد فسألاه فقال كنت حدادا وأنا اليوم أنجر[٣].

٨٩٤- ما هذه الظلمة فخرجا

ودخل أبو الحسن البوشنجي والحسن الحداد على أبي القاسم المناوى يعودانه فاشتريا في طريقهما بنصف درهم تفاحا نسيئة فلما دخلا عليه قال ما هذه الظلمة فخرجا وقالا ما علمنا لعل هذا من قبل التفاح فأعطيا الثمن ثم عادا إليه ووقع بصره عليهما فقال يمكن الإنسان أن يخرج من الظلمة بهذه السرعة أخبراني عن شأنكما فأخبراه بالقصة فقال نعم كان كل واحد منكما يعتمد على صاحبه في إعطاء الثمن والرجل مستح منكما في

---

(١) «موارد الظمآن لدروس الزمان» (٤/ ٨).
(٢) «الروح» (ص: ٢٣٩).
(٣) «الروح» (ص: ٢٣٩).

التقاضي[١].

٨٩٥- ألا تستحي

وكان بين زكريا النخشي وبين امرأة سبب قبل توبته فكان يوما واقفا على رأس أبي عثمان الخيري فتفكر في شأنها فرفع أبو عثمان إليه رأسه وقال ألا تستحي[٢].

٨٩٦- هذا عجب وأنت صدوق وأنا أعرف قلبي

وكان شاب يصحب الجنيد يتكلم على الخواطر فذكر للجنيد فقال إيش هذا الذي ذكر لي عنك فقال له اعتقد شيئًا فقال له الجنيد اعتقدت فقال الشاب اعتقدت كذا وكذا فقال الجنيد لا فقال فأعتقد ثانيا قال اعتقدت فقال الشاب اعتقدت كذا وكذا فقال الجنيد لا قال فاعتقد ثالثا قال اعتقدت قال الشاب هو كذا وكذا قال لا فقال الشاب هذا عجب وأنت صدوق وأنا أعرف قلبي فقال الجنيد صدقت في الأولى والثانية والثالثة لكن أردت أن أمتحنك هل يتغير قلبك[٣].

٨٩٧- اعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه

وقال أبو سعيد الخراز دخلت المسجد الحرام فدخل فقير عليه خرقتان يسأل شيئًا فقلت في نفسي مثل هذا كل على الناس فنظر إلى وقال اعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه قال فأستغفرت في سري فناداني وقال وهو الذي يقبل التوبة عن عباده[٤].

---

(١) «الروح» (ص: ٢٣٩).
(٢) «الروح» (ص: ٢٣٩).
(٣) «الروح» (ص: ٢٤٠).
(٤) «الروح» (ص: ٢٤٠).

٨٩٨- الصديق لا تخطئ فراسته

وقال إبراهيم الخواص كنت في الجامع فأقبل شاب طيب الرائحة حسن الوجه حسن الحرمة فقلت لأصحابنا يقع لي أنه يهودي فكلهم كره ذلك فخرجت وخرج الشاب ثم رجع إليهم فقال إيش قال الشيخ فأحتشموه فألح عليهم فقالوا قال إنك يهودي فجاء فأكب على يدي فأسلم فقلت ما السبب فقال نجد في كتابنا أن الصديق لا تخطئ فراسته فقلت امتحن المسلمين فتأملتهم فقلت إن كان فيهم صديق ففي هذه الطائفة فلبست عليكم فلما اطلع هذا الشيخ على وتفرسني علمت أنه صديق.

فهذا شأن الفراسة وهي نور يقذفه الله في القلب فيخطر له الشيء فيكون كما خطر له وينفذ إلى العين فيرى مالا يراه غيرها[١].

٨٩٩- لا ولكن فراسة صادق"

وروي عن عثمان بن عفان أنه دخل عليه بعض الصحابة، وكان قد مرّ بالسوق فنظر إلى امرأة، فلما نظر إليه عثمان قال: "يدخل أحدكم عليّ وفي عينيه أثر الزنا". فقال له: أَوَحْيًا بعد رسول الله ﷺ؟

قال عثمان: "لا ولكن فراسة صادق"[٢].

٩٠٠- أستودعك الله من قتيل

ما روي من فراسة عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في الحسين بن علي رضي الله عنهما لمّا ودَّعه قال: "أستودعك الله من قتيل"[٣].

---

(١) «الروح» (ص: ٢٤٠).

(٢) «الطرق الحكمية» لابن القيم (ص ٣٦)، و«تبصرة الحكام» لابن فرحون (ج ٢ ص١٠٣).

(٣) المرجع السابق.

الفصل الحادي والاربعون: كرامات الصالحين

٩٠١- أضاءت العصا

عن ثابت بن أنس أن أسيد بن حضير الأنصاري ورجلا آخر من الأنصار تحدثا عند النبي ﷺ في حاجة لهما حتى ذهب من الليل ساعة وليلة شديدة الظلمة ثم خرجا من عند رسول الله ﷺ ينقلبان وبيد كل واحد منهما عصية فأضاءت عصا أحدهما لهما حتى مشيا في ضوئها حتى إذا افترقت لهما الطريق أضاءت للآخر عصاه فمشى كل واحد مهما في ضوء عصاه حتى بلغ أهله(١).

٩٠٢- يا سارية، الجبل

قصد سارية بن زُنَيم فساودارا بجرد، فاجتمع له جموع من الفرس والأكراد عظيمة ودهم المسلمين منهم أمر عظيم، رأى عمر في تلك الليلة فيما يرى النائم معركتهم وعددهم في وقت من النهار، وأنهم في صحراء، وهناك جبل إن أسندوا إليه لم يؤتوا إلا من وجه واحد، فنادى في الغد الصلاة جامعة حتى إذا كانت الساعة التي رأي أنهم اجتمعوا فيها ـ خرج إلى الناس وصعد المنبر ـ فخطب الناس وأخبرهم بصفة ما رأى ـ ثم قال: يا سارية الجبل ـ ثم أقبل عليهم وقال: إن لله جنودًا ولعل بعضها أن يبلغهم. قال: ففعلوا ما قال عمر ـ فنصرهم الله على عدوهم ـ وفتحوا البلد(٢).

---

(١) «كرامات الأولياء» (ص: ٩٨).

(٢) «تاريخ الطبري» (١٦٨/٥، ١٦٩)، وأخرجها اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (رقم ٢٥٣٧)، وحسن الشيخ الألباني إسنادها في حاشيته على «مشكاة

٩٠٣- من عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر

عن قيس بن حجاج عمن حدثه قال:لما فتحت مصر أتى أهلها إلى عمرو بن العاص حين دخل بؤونة من أشهر العجم فقالوا أيها الأمير إن لنيلنا هذا سنة لا يجري إلا بها فقال وما ذاك قالوا إذا كان ثنتا عشرة ليلة خلون من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر من أبويها فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون ثم ألقيناها في هذا النيل فقال له عمرو إن هذا مما لا يكون في الإسلام إن الإسلام يهدم ما قبله.

قال فأقاموا بؤونة وأبيب ومسرى والنيل لا يجري قليلا ولا كثيرًا حتى هموا بالجلاء فلما رأى ذلك عمرو كتب بذلك إلى عمر بن الخطاب فكتب إنك قد أصبت بالذي فعلت وإن الإسلام يهدم ما قبله وإني قد بعثت إليك ببطاقة داخل كتابي هذا فألقها في النيل.

فلما قدم كتاب عمر إلى عمرو أخذ البطاقة ففتحها فإذا فيها من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر أما بعد فإن كنت إنما تجري من قبلك فلا تجر وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك

قال فألقى البطاقة في النيل فلما ألقى البطاقة أصبحوا يوم السبت وقد أجراه الله تعالى ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة وقطع الله تعالى تلك السنة عن أهل مصر إلى اليوم[١].

٩٠٤- اللهم إنا نستسقيك بعم نبيك ﷺ

عن ابن عباس قال: استسقى عمر بن الخطاب بالعباس عام الرمادة

المصابيح» (١٦٧٨/٣، رقم ٥٩٥٤).

(١) «كرامات الأولياء» (ص: ١١٩).

فقال إن هؤلاء عبادك وبنو إمائك أتوك راغبين إليك متوسلين إليك بعم نبيك فاسقنا سقيا نافعة تعم العباد وتحيي البلاد اللهم إنا نستسقيك بعم نبيك ﷺ ونستشفع إليك بشيبته فسقوا.

ففي ذلك يقول عباس بن عتبة بن ابي لهب:

بعمي سقا الله الحجاز وأهله عشية يستسقي بشيبته عمر
توجه بالعباس في الجدب راغبا إليه فما إن رام حتى أتى المطر[١]
رسول الله فينا تراثه فهل فوق هذا للمفاخر نفتخر

٩٠٥- اسمع إلى ما لم يسمع أبوك مثله

عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن خيثمة قال كان أبو الدرداء يصلح قدرا له فوقعت على وجهها فجعلت تسبح، فقال يا سلمان تعال اسمع إلى ما لم يسمع أبوك مثله قط قال فجاء سلمان وسكت الصوت فأخبره فقال سلمان لو لم تسبح لرأيت أو لسمعت من آيات الله الكبرى[٢].

٩٠٦- تسلم عليه الملائكة

مطرف بن عبد الله قال لي عمران بن حصين إني أحدثك حديثًا عسى الله أن نفعك به إن رسول الله ﷺ جمع بين الحج والعمرة ولم ينه عنه حتى مات ولم ينزل فيه قرآن يحرمه ولقد كان يسلم علي يعني الملائكة فلما اكتويت أمسك فلما تركته عاد إلي أخرجه البخاري [٣].

٩٠٧- لو اقسم على الله لأبره

(١) «كرامات الأولياء» (ص: ١٣٦).
(٢) «كرامات الأولياء» (ص: ١٤٤).
(٣) «كرامات الأولياء» (ص: ١٤٦).

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: كم من ضعيف متضعف ذو طمرين لو أقسم على الله ﷻ لأبره منهم البراء بن مالك وإن البراء لقي زحفا من المشركين وقد أوجف المشركون في المسلمين فقالوا له يا براء إن رسول الله ﷺ قال إنك لو أقسمت على الله لأبرك فأقسم على الله.

فقال أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم فمنحوا أكتافهم ثم التقوا على قنطرة السوس فأوجفوا في المسلمين فقالوا أقسم يا براء على ربك.

فقال أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وألحقتني بنبيي ﷺ فمنحوا أكتافهم وقتل البراء شهيدا رحمه الله عليه[١].

٩٠٨- يا حليم يا عليم يا علي يا عظيم اسقنا

عن أبي السليل ضريب ابن نفير قال: كنت مرافقا للعلاء بن الحضرمي حين بعث إلى البحرين فسلكنا مفازة فعطشنا عطشا شديدا حتى خشينا على أنفسنا الهلاك وما ندري ما مسافة الأرض فذكر ذلك له فنزل فصلى ركعتين ثم قال يا حليم يا عليم يا علي يا عظيم اسقنا قال فإذا نحن بسحابة كأنها جناح طائر قد أظلتنا حتى أتينا على خليج من البحر ماخيض قبل ذلك اليوم ولا خيض بعده فالتمسنا سفنا فلم نجد، فذكرنا ذلك له فصلى ركعتين ثم قال يا حليم يا عليم يا علي يا عظيم أجرنا ثم أخذ بعنان فرسه ثم قال جوزوا باسم الله.

قال أبو هريرة فمشينا على الماء فوالله ما ابتلت قدم ولا خف بعير ولا حافر دابة وكان الجيش أربعة آلاف فلما جزنا قال هل تفقدون شيئًا قالوا لا قال فأتينا البحرين فافتتحها وأقام بها سنة ثم مات رحمة الله عليه قال أبو هريرة فكنت فيمن مرضه وغسله وكفنه وصلى عليه ودفنه فلما

(١) «كرامات الأولياء» (ص: ١٤٨).

دفناه تلاومنا في دفنه وقالوا ينبشه كلب أو سبع فكشفنا عنه التراب فلم نجده في قبره[١].

٩٠٩- أبا الحارث أنا مولى رسول الله ﷺ

عن الحجبي عن ابن المنكدر أن سفينة مولى رسول الله ﷺ أخطأ الجيش بأرض الروم أو أسر في أرض الروم فانطلق هاربا يلتمس الجيش فإذا هو بالأسد فقال أبا الحارث أنا مولى رسول الله ﷺ كان من أمري كيت وكيت فأقبل الأسد له بصبصة حتى قام إلى جنبه كلما سمع صوتا أهوى إليه ثم أقبل يمشي إلى جنبه فلم يزل كذلك حتى بلغ الجيش ثم رجع الأسد[٢].

٩١٠- اللهم إن كنت صادقا فأرني به آية

عن الحجاج بن صفوان بن أبي يزيد قال: وشى[٣] رجل ببسر بن سعيد إلى الوليد بن عبد الملك أنه يطعن على الأمير ويعيب علي بني مروان.

قال فأرسل إليه الوليد والرجل عنده قال فجيء به ترعد فرائصه فأدخل عليه فسأله عن ذلك فأنكر بسر فقال ما فعلت فالتفت الوليد إلى الرجل فقال يا بسر هذا يشهد عليك بذلك فالتفت فنظر إليه بسر فقال أهكذا.

فقال نعم فنكس رأسه وجعل ينكت في الأرض ثم رفع رأسه فقال

---

(١) «كرامات الأولياء» (ص: ١٥٠).

(٢) «كرامات الأولياء» (ص: ١٥٨).

(٣) ووشى به إلى السلطان وشاية: أي: سعى به، انظر شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (١١/ ٧١٧٤).

اللهم قد شهد بما قد علمت أني لم أقله اللهم إن كنت صادقا فأرني به آية.

قال فانكب الرجل لوجهه لم يزل يضطرب حتى مات[١].

٩١١- يا هذا إني لم أعنك رحمك الله

قال أبو عبد الله الهروي إبراهيم بن عبدالله قال كنا مع الفضيل بن عياض على أبي قبيس فقال لو أن الرجل صدق في التوكل على الله ﷻ ثم قال لهذا الجبل اهتز لاهتز.

قال فوالله لقد رأيت الجبل قد اهتز وتحرك فقال يا هذا إني لم أعنك رحمك الله، قال فسكن[٢].

٩١٢- يا نار كوني بردا وسلاما

شرحبيل بن مسلم: أن الأسود بن قيس بن ذي الخمار تنبأ باليمن فبعث إلى أبي مسلم فلما جاءه قال أتشهد أني رسول الله قال ما أسمع قال أتشهد أن محمدًا رسول الله قال نعم فردد ذلك عليه فأمر بنار عظيمة فأججت ثم ألقى فيها أبا مسلم فلم يضره.

قال فقيل له عليك وإلا أفسد عليك من اتبعك قال فأمره بالرحيل فأتى أبو مسلم المدينة وقد قبض رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر فأناخ أبو مسلم راحلته بباب المسجد ثم دخل المسجد فقام يصلي إلى سارية فبصر به عمر بن الخطاب ﷺ فقام إليه فقال ممن الرجل؟

قال من أهل اليمن.

قال ما فعل الذي أحرقه الكذاب بالنار؟

قال ذلك عبد الله بن ثوب.

---

(١) «كرامات الأولياء» (ص: ١٦٧).

(٢) «كرامات الأولياء» (ص: ١٧٨).

فقال له نشدتك بالله أنت هو.

قال اللهم نعم فاعتنقه ثم بكى ثم ذهب حتى أجلسه فيما بينه وبين أبي بكر

فقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمة محمد من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الرحمن.

قال ابن عياش فأنا أدركت رجالا من الأمداد الذين يمدون من اليمن من خولان يقولون لأمداد من عنس صاحب الكذاب حرق صاحبنا بالنار فلم تضره[١].

٩١٣- اذهبي فأنت حرة

قال السري بن يحيى ثنا به قال قالت جارية أبي مسلم الخولاني قد صنعت لك السم في طعامك فلم يضرك.

قال ولم قالت أردت أتعجل العتق، قال اذهبي فأنت حرة[٢].

٩١٤- اللهم من أفسد علي أهلي فأعم بصره

عثمان بن عطاء قال كان أبو مسلم الخولاني إذا دخل منزله سلم وإذا بلغ وسط الدار كبر وكبرت امرأته فإذا بلغ البيت كبر وكبرت امرأته.

قال: فيدخل فينزع رداءه وحذاءه وتأتيه بطعام فيأكل فجاء ذات ليلة فكبر فلم تجبه ثم أتى البيت فكبر وسلم وكبر فلم تجبه وإذا البيت ليس فيه سراج وإذا هي جالسة بيدها عود في الأرض تنكت به.

فقال: لها مالك قالت الناس بخير وأنت أبو مسلم لو أنك أتيت معاوية فيأمر لنا بخادم ويعطيك شيئًا نعيش به.

---

(١) «كرامات الأولياء» (ص: ١٨١).

(٢) «كرامات الأولياء» (ص: ١٨٢).

فقال: اللهم من أفسد علي أهلي فأعم بصره.

قال: وكانت أتتها امرأة فقالت أنت امرأة أبي مسلم فلو كلمت زوجك يكلم معاوية ليخدمكم ويعطيكم.

قال: فبينا هذه المرأة في منزلها والسراج يزهر إذ أنكرت بصرها.

فقالت: سراجكم طفئ.

قالوا: لا.

قالت: إنا لله ذهب بصري فأقبلت كما هي إلى أبي مسلم فلم تزل تناشده الله وتطلب إليه.

قال: فدعا الله فرد عليها بصرها ورجعت امرأته إلى حالها التي كانت عليها(١).

٩١٥- تحويل الرمل الى دقيق

أن امرأة أبي مسلم قالت: ليس لنا دقيق.

فقال: هل عندك شئ ؟ قالت: درهم بعنا به غزلا.

قال: ابغينيه وهاتي الجراب، فدخل السوق، فأتاه سائل، وألح، فأعطاه الدرهم، وملا الجراب نشارة مع تراب، وأتى وقلبه مرعوب منها، وذهب، ففتحته، فإذا به دقيق حوارى فعجنت وخبزت، فلما جاء ليلا، وضعته، فقال: من أين هذا ؟ قالت: من الدقيق، فأكل وبكى(٢).

٩١٦- اللهم اجعلها ذهبا

عن خالد بن نزار الفزاري قال كان حيوة بن شريح دعاء من البكائين

---

(١) «كرامات الأولياء» (ص: ١٨٣).

(٢)«سير أعلام النبلاء» (٤/ ١٢) «كرامات الأولياء» (ص: ١٨٩).

وكان ضيق الحال جدًا فجلست إليه ذات يوم وهو متخل وحده يدعو فقلت رحمك الله لو دعوت الله فوسع عليك في معيشتك.

قال فالتفت يمينا وشمالا فلم ير أحدًا فأخذ حصاة من الأرض فقال اللهم اجعلها ذهبا.

قال وإذا هي والله تبرة في كفه ما رأيت أحسن منها.

قال فرمى بها إلي فقال هو أعلم بما يصلح عبادة فقلت ما أصنع بها.

قال أستنفقها فهبته والله أن أرده[١].

٩١٧- ما نقص مال من صدقة

عن أبي العلاء بن عبد الله بن الشخير أن عامرا كان يأخذ عطاءه فيجعله في طرف ردائه فلا يلقى أحدًا من المساكين يسأله إلا أعطاه فإذا دخل على أهله رمى به إليهم فيعدونها فيجدونها سواء كما أعطيها[٢].

٩١٨- إنما هو كلب من كلاب

عن عامر بن عبد قيس: أنه مر بقافلة قد حبسهم أسد من بين أيديهم على طريقهم فلما جاء عامر نزل عن دابته.

فقالوا: يا أبا عبد الله إنا نخاف عليك من الأسد.

قال: فقال إنما هو كلب من كلاب الله ﷻ إن شاء أن يسلطه سلطة وإن شاء أن يكفه كفه فمشى إليه حتى أخذ بيديه أذني الأسد فنحاه عن الطريق وجازت القافلة وقال: إني أستحي من ربي تبارك وتعالى أن يرى من قلبي أني أخاف من غيره[٣].

---

(١) «كرامات الأولياء» (ص: ١٩٣).

(٢) «كرامات الأولياء» (ص: ٢٠٥).

(٣) «كرامات الأولياء» (ص: ٢٠٦).

٩١٩- رد الله عليه بصره

عن خلف بن محمد بن الفضل البلخي قال: سمعت أبي يقول: ذهبت عينا محمد بن إسماعيل في صغره فرأت والدته في المنام إبراهيم الخليل عليه السلام فقال لها يا هذه قد رد الله على ابنك بصرة لكثرة بكائك أو كثرة دعائك، الشك من أبي محمد البلخي فأصبحنا وقد رد الله عليه بصره[١].

٩٢٠- اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام

عن عبد الجبار بن كثير قال: قيل لإبراهيم بن أدهم هذا السبع قد ظهر لنا قال أرونيه فلما رآه قال يا قسورة إن كنت أمرت فينا بشيء فامض لما أمرت به وإلا فارجع عودك على بدئك قال فولى السبع ذاهبا أحسبه قال يضرب بذنبه قال فتعجبنا كيف فهم السبع كلام إبراهيم بن أدهم فأقبل علينا إبراهيم فقال قولوا اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واكنفنا بركنك الذي لا يرام وارحمنا بقدرتك علينا ولا نهلك وأنت رجاؤنا قال خلف فما زلت أقولها منذ سمعتها فما عرض لي عدو ولا غيره[٢].

٩٢١- اللهم قد تعلم حاجتنا قبل نسألكها

عن صالح المري قال:كان عطاء السليمي لا يكاد يدعو إنما يدعو بعض أصحابه ويؤمن هو قال: فحبس بعض أصحابه فقيل له ألك حاجة قال دعوة من عطاء أن يفرج الله عني.

قال: صالح فأتيته فقلت يا أبا محمد أما تحب أن يفرج الله عنك.

قال: بلى والله إني لأحب ذاك.

قلت: فإن جليسك فلان قد حبس فادع الله أن يفرج عنه.

---

(١) «كرامات الأولياء» (ص: ٢٤٧).

(٢)تاريخ دمشق (٦/ ٣٢٠) «كرامات الأولياء» (ص: ٢٤٣).

قال: فرفع يديه وبكى وقال اللهم قد تعلم حاجتنا قبل نسألكها فاقضها لنا.

قال: صالح فوالله ما برحنا من البيت حتى دخل الرجل[١].

٩٢٢- إن كنت كاذبا فعجل الله حتفك

عن حميد بن هلال قال كان بين مطرف وبين رجل من قومه شيء فكذب على مطرف: فقال له مطرف إن كنت كاذبا فعجل الله حتفك.

فقال: فمات الرجل مكانه، فاستعدى أهله زيادا على مطرف فقال: لهم زياد هل ضربه؟ هل مسه بيده؟ فقالوا: لا.

فقال: دعوة رجل صالح وافقت دعوته قدرا، فلم يجعل لهم شيئًا لفظهما قريب[٢].

٩٢٣- اللهم لا تشهر بي فاقبضني إليك

عن عبد الله بن المبارك قال:كنت بمكة فأصابهم قحط فخرجوا إلى المسجد الحرام يستسقون فلم يسقوا وإلى جانبي أسود منهوك فقال: اللهم اللهم قد دعوك فلم تجبهم إني أقسم عليك أن تسقينا.

قال: فوالله ما لبثنا أن سقينا قال فانصرف الأسود واتبعته حتى دخل دارا في الحناطين فعلمتها فلما أصبحت أخذت دنانير وأتيت الدار فإذا رجل على باب الدار فقلت أردت رب هذه الدار.

قال: أنا.

---

(١) «كرامات الأولياء» (ص: ٢٢٧).

(٢) «كرامات الأولياء» (ص: ٢٠٨).

قلت: مملوك لك أردت شراءه.

فقال: لى أربعة عشر مملوكا أخرجهم إليك.

قال: فلم يكن فيهم فقلت له بقي شيء فقال لي غلام مريض فأخرجه فإذا هو الأسود.

فقلت: بعنيه فقال هو لك يا أبا عبد الرحمن فأعطيته الأربعة عشر دينارا وأخذت المملوك فلما صرنا إلى بعض الطريق قال يا مولاي أي شيء تصنع بي وأنا مريض.

فقلت: له لما رأيته عشية أمس.

قال: فاتكأ على الحائط فقال اللهم لا تشهر بي فاقبضني إليك قال فخر ميتا فانحشر عليه أهل مكة[١].

٩٢٤- كرامة خالد بن الوليد في فتح الحيرة:

وقد أخرج الإمام الطبري بإسناده... وكان مع ابن بُقَيلة[٢]، منصف له[٣] فعلق كيسا في حقوة، فتناول خالد الكيس ونثر ما فيه في راحته فقال: ما هذا يا عمرو؟ قال: هذا وأمانة الله سُمٌّ ساعة، قال: لِمَ تَحْتقب السم؟ قال: خشيت أن تكونوا على غير ما رأيت، وقد أتيت على أجلي والموت أحب إليَّ من مكروه أدخله على قومي وأهل قريتي، فقال خالد: إنها لن تموت نفس حتى تأتي على أجلها، وقال: بسم الله خير الأسماء رب الأرض ورب السماء -الذي ليس يضر مع اسمه داء- الرحمن الرحيم، فأهووا إليه يمنعونه منه وبادرهم فابتلعه، فقال عمرو: والله يا معشر العرب لتملكن ما

---

(١) «كرامات الأولياء» (ص: ١٨٠).

(٢) يعني: عمرو بن عبد المسيح، وهو سيد قومه.

(٣) أي: خادم.

أردتم ما دام منكم أحد أيها القرن[١]. وأقبل على أهل الحيرة فقال: لم أر كاليوم أوضح إقبالًا[٢] وقد ذكر هذه الرواية الحافظ ابن كثير ولم يضعفها[٣].

(١) يعني: أهل الجيل المعاصر.
(٢) «تاريخ الطبري» (٤/ ١٨٠).
(٣) «البداية والنهاية» (٦/ ٢٥١).

الفصل الثاني والأربعون: مجابوا الدعوات

٩٢٥- اللهم بارك له في صفقة يمينه

عروة بن أبي الجعد الباقري رضي الله عنه.

ذلك أن النبي ﷺ أعطى عروة بن أبي الجعد البارقي دينارًا يشتري به شاة فاشترى له به شاتين فباع إحداهما بدينار، فجاء بدينار وشاة، فدعا له بالبركة في بيعه، وكان لو اشترى التراب لربح فيه. وفي مسند الإمام أحمد أنه قال له: «اللهم بارك له في صفقة يمينه؛ فكان يقف في الكوفة ويربح أربعين ألفًا قبل أن يرجع إلى أهله»[١].

٩٢٦- اللهم أنزل على نبيك بيان ما تكلمت به

عمير بن سعد رضي الله عنه

عندما أراد الرسول ﷺ غزوة تبوك أمر المسلمين بأخذ العدة، والعتاد، ويتجهزون، ويستعدون، وفي يوم من الأيام كان الفتى عمير بن سعد عائدًا إلى بيته بعد أداء الصلاة في المسجد وقد امتلأت نفسه بطائفة مشرقة من صور بذل المسلمين وتضحيتهم، رآها بعينيه، وسمعها بأذنيه وما كاد يسمع الجلاس ما سمع - وهو زوج أمه - حتى انطلقت من فمه كلمة أطارت صواب الفتى المؤمن إذ سمعه يقول: إن كان محمد صادقًا فيما يدعي من النبوة فنحن شر من الحمير. فالتفت عمير إلى الجلاس وقال: والله يا جلاس ما كان على ظهر الأرض أحد بعد محمد بن عبد الله

(١) «مسند أحمد» (٣٧٦/٤).

أحب إلي منك، فأنت آثر الناس عندي وأجلهم يدًا علي، ولقد قلت مقالة إن ذكرتها فضحتك، وإن أخفيتها خنت أمانتي، وأهلكت نفسي وديني، وقد عزمت على أن أمضي إلى رسول الله ﷺ، وأخبره بما قلت فكن على بينة من أمرك. ومضى الفتى عمير إلى المسجد وأخبر النبي ﷺ بما سمع من الجلاس بن سويد فاسْتَبْقَاه رسول الله ﷺ عنده، وأرسل أحد أصحابه يدعو الجلاس، فجاء الجلاس وحيَّا رسول الله ﷺ، وجلس بين يديه فقال له النبي ﷺ: «ما مقالة سمعها منك عمير بن سعد؟» وذكر له ما قاله: فقال: كذب علي يا رسول الله وافترى، فما تفوهت بشيء من ذلك. والتفت الرسول ﷺ إلى عمير فرأى وجهه قد احتقن بالدم، والدموع تنحدر مدرارًا من عينيه فتساقط على خديه وصدره وهو يقول: اللهم أنزل على نبيك بيان ما تكلمت به... اللهم أنزل على نبيك بيان ما تكلمت به.

فبرز الجلاس وقال: إن ما ذكرته لك يا رسول الله هو الحق، وإن شئت تحالفنا بين يديك، وإني أحلف بالله أني ما قلت شيئًا مما نقله لك عمير.

فما إن انتهى من حلفه حتى أخذت عيون الناس تنتقل عنه إلى عمير بن سعد، حتى غشيت رسول الله ﷺ السكينة، فعرف الصحابة إنه الوحي، فلزموا أماكنهم، وسكنت جوارحهم، ولاذوا بالصمت، وتعلقت أبصارهم بالنبي ﷺ، وهنا ظهر الخوف، والوجل على الجلاس، وبدأ التلهف والتشوق على عمير، وظل الجميع كذلك حتى سري عن النبي ﷺ فتلا قوله ﷻ: ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ ﴾ إلى قوله ﷻ: ﴿فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[التوبة:٧٤].

فارتعد الجلاس من هول ما سمع وكاد ينعقد لسانه من الجزع ثم التفت

إلى رسول الله ﷺ وقال: بل أتوب يا رسول الله... بل أتوب... صدق عمير يا رسول الله وكنت من الكاذبين... وهنا توجه الرسول ﷺ إلى الفتى فإذا دموع الفرح تبلل وجهه المشرق بنور الإيمان، فمد رسول الله ﷺ يده الشريفة إلى أذنه وأمسكها برفق وقال: «وفت أذنك يا غلام ما سمعت، وصدقت ربك»(١).

٩٢٧- اللهم عليك بقريش

ومن ذلك أن المشركين آذوا رسول الله ﷺ في مكة وأمر أبو جهل بعض القوم أن يضع سلا الجزور بين كتفي النبي ﷺ وهو ساجد ففعل ذلك عقبة بن أبي معيط فلما قضى النبي ﷺ صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم: «اللهم عليك بقريش» ثلاث مرات فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته ثم قال: «اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط» قال ابن مسعود: فوالذي بعث محمدًا ﷺ بالحق لقد رأيت الذي سمى صرعى يوم بدر، ثم سُحبوا إلى القليب، قليب بدر وفي رواية: فأقسم بالله لقد رأيتهم صرعى على بدر قد غيرتهم الشمس، وكان يومًا حارًا(٢).

٩٢٨- اللهم اصرعه

لحق سراقة بالنبي ﷺ يريد أن يقتله وأبا بكر رضي الله عنه؛ لكي يحصل على دية كل واحد منهما؛ لأن قريشًا جعلوا لمن يقتل رسول الله ﷺ وأبا بكر رضي الله عنه أو أسرهما دية لكل واحد منهما، فلحق سراقة بالنبي ﷺ وعندما رآه أبو

(١) الباشا، عبد الرحمن، «صور من حياة الصحابة»، (ج٤، ص١٢-٢٠) [بتصرف].
(٢) أخرجه مسلم (١٤٢٠/٣).

بكر ﷺ قال: يا رسول الله هذا فارس قد لحق بنا فالتفت إليه رسول الله ﷺ فقال: «اللهم اصرعه» وساخت يد فرس سراقة في الأرض حتى بلغت الركبتين. فقال سراقة: يا رسول الله ادع الله لي، فدعا له رسول الله ﷺ ونجت فرسه، ورجع يخفي عنهما، فكان أول النهار جاهدًا على النبي ﷺ وكان آخر النهار مسلحة له يخفي عنه(١).

٩٢٩- اللهم سلّط عليه كلبًا من كلابك

دعاء النبي ﷺ على عتبة بين أبي لهب - لعنه الله - روى أن النبي ﷺ لما تلا: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾ قال عتبة بن أبي لهب كفرت بالذي دنا فتدلى فقال النبي ﷺ: «اللهم سلّط عليه كلبًا من كلابك» يعني الأسد، فخرج عتبة مع أصحابه في عير إلى الشام حتى إذا كانوا في طريقهم زأر الأسد فجعلت فرائص عتبة ترتعد فقال أصحابه من أي شيء ترتعد فوالله ما نحن وأنت إلا سواء فقال إن محمدًا دعا عليَّ وما تُرد له دعوة ولا أصدق منه لهجة فوضعوا العشاء، فلم يدخل عتبة يده فيه وحاط القوم أنفسهم بمتاعهم وجعلوا عتبة وسطهم وناموا فجاء الأسد يشم رؤوسهم حتى انتهى إلى عتبة فهشمه هشمة أوصلته إلى آخر رمق، فقال: وهو بآخر رمق ألم أقل لكم إن محمدًا أصدق الناس لهجة؟(٢).

٩٣٠- مغيث أغثني

عن أنس ﷺ قال: كان رجل من أصحاب رسول الله ﷺ من الأنصار يكنى أبا معلق، وكان تاجرًا يتجر بمال له ولغيره يضرب به الآفاق، وكان ناسكًا ورعًا فخرج مرة فلقيه لص مقنع بسلاح فقال له: ضع ما معك فإني

(١) البخاري في الفتح (٢٣٨/٧، ٢٤٠، ٢٤٩ برقم ٣٩٠٦، ٣٩٠٨، ٣٩١١).
(٢) السلمان، عبد العزيز بن محمد. سلاح اليقظان لطرد الشيطان، (ص١٢٦-١٢٧).

قاتلك، قال: ما تريد إلى دمي؟ شأنك بالمال، قال: أما المال فلي، ولست أريد إلا دمك، قال: أما إذا أبيت، فذرني أصلي أربع ركعات قال: صلَّ ما بدا لك، فتوضأ، ثم صلى أربع ركعات، فكان من دعائه في آخر سجدة أن قال: يا ودود يا ذا العرش المجيد يا فعَّال لما يريد، أسألك بعزك الذي لا يرام، وملكك الذي يُضام وبنورك الذي ملأ أركان عرشك، أن تكفيني شر هذا اللص، يا مغيث أغثني، يا مغيث أغثني، قال دعا: بها ثلاث مرات، فإذا هو بفارس قد أقبل بيده حربة واضعها بين أذني فرسه، فلما بصر به اللص أقبل نحوه، فطعنه، فقتله ثم أقبل إليه، فقال: قم قال من أنت؟ بأبي أنت وأمي؛ فقد أغاثني الله بك اليوم، قال: أنا ملك من أهل السماء الرابعة دعوت بدعائك الأول، فسمعت لأبواب السماء قعقعة، ثم دعوت بدعائك الثاني فسمعت لأهل السماء ضجة، ثم دعوت بدعائك الثالث فقيل لي: دعاء مكروب فسألت الله أن يوليني قتله.

قال أنس: فاعلم أنه من توضأ، وصلى أربع ركعات ودعا بهذا الدعاء، استجيب له مكروبًا كان، أو غير مكروب[١].

٩٣١- اللهم إن كان كاذبًا فاعم بصره

دعاء سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن جابر بن سمرة رضي الله عنه، قال: شكا أهل الكوفة سعدًا رضي الله عنه إلى عمر رضي الله عنه، حتى قالوا: إنه لا يحسن يصلي، قال سعد: أما أنا فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ، لا أخرم - أي لا أنقص - عنها، أركد في الأوليين وأحذف الآخرين، قال عمر رضي الله عنه: ذلك الظن بك يا أبا إسحاق، ثم بعث رجالًا يسألون عنه في مجالس الكوفة فكانوا لا يأتون مجلسًا إلا أثنوا عليه خيرًا، وقالوا معروفًا، حتى أتوا

(١) المرجع السابق، (ص٦٤-٦٥).

مسجدًا من مساجدهم، فقال رجل يقال له أبو سعدة، فقال: اللهم إذا سألتمونا، فإنه كان لا يعدل في القضية، ولا يقسم بالسوية، ولا يسير بالسرية، فقال سعد رضي الله عنه: اللهم إن كان كاذبًا فاعم بصره، وأطل فقره، وعرضه للفتن.

قال عبد الملك: فأنا رأيته يتعرض للإماء في السكك، فإذا قيل له: كيف أنت يا أبا سعدة؟

قال: كبير فقير مفتون، أصابتني دعوة سعد[١].

٩٣١- أشهد أن كل معبود ما دون عرشك إلى قرار أرضك باطل، غير وجهك الكريم

دعاء عمرو السرايا رحمه الله عن عمرو السرايا، قال: كنت أغزو في بلاد الروم وحدي، فبينا أنا ذات يوم نائم، إذا ورد علي علج، فحركني فانتبهت، فقال: يا عربي اختر إن شئت مطاعنة، وإن شئت مسايفة، وإن شئت مصارعه، فقلت: أما المسايفة والمطاعنة فلا طاقة لي بقتالهما، ولكن مصارعه. فنزل، فلم ينهنهني أي لم يمهلني - أن صرعني، وجلس على صدري، فقال: أي قتلة أقتلك فتذكرت، فرفعت طرفي إلى السماء، فقلت: أشهد أن كل معبود ما دون عرشك إلى قرار أرضك باطل، غير وجهك الكريم، قد ترى ما أنا فيه ففرج عني، فأغمي علي ثم أفقت، فإذا الرومي قتيل إلى جانبي[٢].

٩٣٢- يا صفوان قم فاطلب حاجتك من وجهها

صفوان بن محرز يدعو في جوف الليل:عن ثابت البناني، قال: أخذ

(١) المرجع السابق، (ص٧٣-٧٤).
(٢) «الفرج بعد الشدة» (ص: ٦٦).

عبيد الله بن زياد ابن أخ لصفوان بن محرز فحبسه في السجن، فلم يدع صفوان شريفًا بالبصرة يرجو منفعته إلا تجمل به عليه فلم ير لحاجته نجاحًا فبات في مصلاه حزينًا، قال: فهو من الليل فإذا آت قد أتاه في منامه، فقال: يا صفوان قم فاطلب حاجتك من وجهها، قال: فانتبه فزعًا، فقام فتوضأ، ثم صلى، ثم دعا فأرق ابن زياد، فقال: علي بابن أخي صفوان بن محرز، فجاء الحراس، وجيء بالنيران، وفتحت تلك الأبواب الحديدية في جوف الليل، فقيل: أين ابن أخي صفوان بن محرز؟ أخرجوه، فإني قد منعت من النوم منذ الليلة، فأتى به ابن زياد، فكلمه، ثم قال: انطلق بلا كفيل ولا شيء، فما شعر صفوان حتى ضرب عليه ابن أخيه بابه، قال صفوان: ما هذا؟

قال: أنا فلان، قال فأي ساعة هذه الساعة؟ فحدثه الحديث(١).

٩٣٣- اللهم قد شهد بما قد علمت أني لم أقله

دعاء بسر بن سعيد على الواشي: عن الحجاج بن صفوان بن أبي يزيد، قال: وشي رجل ببسر بن سعيد إلى الوليد [بن عبد الملك أنه يطعن على الأمراء، أو يعيب بني مروان] قال: فأرسل إليه الوليد، والرجل عنده، قال فجيء به ترعد فرائصه، فأدخل عليه، فسأله عن ذلك، فأنكره بسر وقال: ما فعلت، فالتفت الوليد إلى الرجل، فقال: يا بسر هذا يشهد عليك بذلك، فنظر إليه بسر وقال: أهكذا؟ قال: نعم، فنكس رأسه وجعل ينكت في الأرض، ثم رفع رأسه، وقال: اللهم قد شهد بما قد علمت أني لم أقله، فإن كنت صادقًا، فأرني به على ما قال: فانكب الرجل على وجهه، فلم يزل يضطرب حتى مات(٢).

(١) المرجع السابق، (ص٩٩-١٠٠).
(٢) المرجع السابق، (ص١٢٩).

٩٣٤- يا عليُّ، يا عظيم، يا عليم، يا حليم

عن عمر بن ثابت الخزرجي، قال: دخلت في أذن رجل من أهل البصرة حصاة، فعالجها الأطباء، فلم يقدروا عليها، حتى وصلت إلى صماخه فأسهرت ليله، ونغصت عيش نهاره، فأتى رجل من أصحاب الحسن، فشكا ذلك إليه، فقال: ويحك إن كان شيء ينفعك فدعوة العلاء بن الحضرمي التي دعا بها في البحر وفي المفازة، قال: وما هي؟

قال: يا عليُّ، يا عظيم، يا عليم، يا حليم، قال: فدعا بها، فوالله ما برحنا حتى خرجت من أذنه ولها طنين حتى صكت الحائط وبرأ(١).

٩٣٥- ومنا الذي أحيا الإله حماره

عن الشعبي: أن قومًا من المهاجرين خرجوا متطوعين في سبيل الله، فنفق - أي مات - حمار رجل منهم، فأرادوه على أن ينطلق معهم فأبى، فانطلق أصحابه مترجلين وتركوه، فقام، وتوضأ وصلى، ثم رفع يديه فقال: اللهم إني خرجت مجاهدًا في سبيلك، وابتغاء مرضاتك، وأشهد أنك تحيي الموتى، وأنك تبعث من في القبور، اللهم فأحيي لي حماري، ثم قام إلى الحمار فضربه فقام الحمار ينفض أذنيه فأسرجه وألجمه، ثم ركبه فأجراه حتى لحق بأصحابه، فقالوا له: ما شأنك؟

قال: إن الله تعالى بعث لي حماري.

قال إسماعيل: قال الشعبي: أنا رأيت هذا الحمار بيع أو يباع بالكناسة: مكان بالكوفة(٢).

٩٣٦- اكفني بحلالك عن حرامك

(١) المرجع السابق، (ص٨٢).
(٢) المرجع السابق، (ص٩٠).

دعاء عاصم بن أبي إسحاق (شيخ القراء في زمانه)

روى البيهقي في فضائل الأعمال عن حماد بن سلمة أن عاصم ابن أبي إسحاق - شيخ القراء في زمانه - قال: أصابتني خصاصة أي حاجة، وفاقة فجئت إلى بعض إخواني فأخبرته بأمري فرأيت في وجهه الكراهة فخرجت من منزلي إلى الجبانة - أي إلى الصحراء - فصليت ما شاء الله تعالى، ثم وضعت وجهي على الأرض فقلت: يا مسبب الأسباب، يا مفتح الأبواب، ويا سامع الأصوات، ويا مجيب الدعوات، ويا قاضي الحاجات، اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمن سواك - يلح على الله بهذا الدعاء - قال: فوالله ما رفعت رأسي حتى سمعت وقعة بقربي فرفعت رأسي فإذا بحدأة طرحت كيسًا أحمر، فأخذت الكيس فإذا فيه ثمانون دينارًا وجوهرًا ملفوفًا في قطنة، فبعت الجواهر بمال عظيم، وأفضلت - أي أبقيت الدنانير - وأشتريت منها عقارًا وحمدت الله تعالى على[1].

٩٣٧-اللهم افتح علي منك رزقًا لا تجعل لأحد علي فيه منة

دعاء أصبغ بن زيد ﷺ عن أصبغ بن زيد قال: مكثت أنا ومن عندي ثلاثًا لم نطعم شيئًا من الجوع فخرجت إلي ابنتي الصغيرة وقالت: يا أبت الجوع - تشكو الجوع - قال: فأتيت الميضأة فتوضئت، وصليت ركعتين أُلهمت دعاء دعوت في آخره: «اللهم افتح علي منك رزقًا لا تجعل لأحد علي فيه منة ولا لك علي في الآخرة تبعة، برحمتك يا أرحم الراحمين، ثم انصرفت إلى البيت فإذا بابنتي الكبيرة قد قامت إلي، وقالت: يا أبتاه جاء - رجل يقول: إنه عَمَّي - بهذه الصرة من الدراهم، وبحمال عليه دقيق، وحمال عليه من كل شيء في السوق، وقال: أقرئوا أخي السلام، وقولوا له إذا

(١) «حياة الحيوان الكبرى» (١/ ٣٢٧).

احتجت إلى شيء ادع بهذا الدعاء فتأتيك حاجتك. قال أصبغ بن زيد: والله ما كان لي أحد قط، ولا أعرف من كان هذا القائل، ولكن الله على كل شيء قدير».

٩٣٨- يا شقيق أتدلُ العباد على الله ثم تنساه

دعاء شقيق البلخي رحمه الله : عن شقيق البلخي قال: كنت في بيتي قاعدًا فقال لي أهلي: قد ترى ما بهؤلاء الأطفال من الجوع قال: فتوضأت وكان لي صديق لا يزال يقسم علي بالله إن يكن لي حاجة أعلمه بها، ولا أكتمها عنه، فخطر ذكره ببالي، فلما خرجت من المنزل مررت بالمسجد، فذكرت ما روي عن أبي جعفر قال: من عرضت له حاجة إلى مخلوق فليبدأ فيها بالله عز وجل، قال: فدخلت المسجد وصليت فيه ركعتين، فلما كنت في التشهد أفرغ علي النوم فرأيت في منامي أنه قيل: يا شقيق أتدُلُ العباد على الله ثم تنساه، قال: فاستيقظت، وعلمت أن ذلك تنبيه نبهني به ربي فلم أخرج من المسجد حتى صليت العشاء الآخرة ثم تركت الذهاب لصاحبي وتوكلت على الله، وانصرفت إلى المنزل فوجدت الذي أردت أن أقصده قد حركه الله وأجرى لأهلي على يديه ما أغناهم إن ربي لسميع الدعاء.

٩٣٩-دعاء سعيد بن ما له قطع الله صوته

كان لسعيد بن جبير ديك يقوم من الليل بصياحه، فلم يصح ليلة من الليالي حتى أصبح ولم يصل سعيد تلك الليلة - أي لم يصل قيام الليل - فشق عليه ذلك قال: ما له قطع الله صوته - يعني الديك - وكان سعيد مجاب الدعوة فما سمع للديك صوت بعد ذلك الدعاء فقالت أم سعيد: يا بُني لا تدع على شيء بعدها ذكر ذلك الذهبي في كتابه (سير أعلام النبلاء)[١].

(١) الدويش، إبراهيم بن عبد الله. يا سامعًا لكل شكوى (شريط تسجيل).

٩٤٠- يا من لا يأتي عطاؤه بإلحاح الملحين،

دعاء من وشي به عند الحجاج.

ذكر التنوخي أن رجلًا وشي به عند الحجاج، فأمر بإدخاله السجن تمهيدًا لقتله فقام الرجل المسجون في جوف الليل، وصلى أربع ركعات ثم دعا بقوله: اللهم إنك تعلم أني كنت على إساءتي وظلمي وإسرافي على نفسي لم أجعل لك ولدًا ولا شريكًا ولا ندًا ولا كفوًا فإن تعذب فعدل منك وإن تعف فأنت العزيز الحكيم، اللهم إني أسألك يا من لا يأتي عطاؤه بإلحاح الملحين، ولا يَمُن بعفوه، أن تجعل في ساعتي هذه فرجًا ومخرجًا مما أنا فيه من حيث أرجو ومن حيث لا أرجو وخذ لي بقلب عبدك الحجاج وسمعه وبصره ويده ورجله حتى يخرجني في ساعتي هذه فإن قلبه وناصيته في يدك، يا رب يا رب، قال وقد كثَّر الدعاء فوالذي لا إله غيره ما انقطع دعاؤه حتى ضرب باب السجن وقيل: يا فلان فقام الرجل وقال للسجناء: يا هؤلاء إن تكن العافية فوالله لا أدع الدعاء لكم، وإن تكن الثانية فجمع الله بيننا وبينكم في مستقر رحمته، فبلغه من الغد أنه خُلي سبيله[١].

٩٤١- اللهم ارزق ابني القرآن واجعله من أهله

يذكر الشيخ محمد المختار الشنقيطي رجلًا في ضعف وبؤس وضيق حال كان يذهب ويسعى لوالده فإذا جاء بأجرة يومه وضعها على المنضدة وذلك استحياء من أن يمدها بيده لأبيه فتكون منّة على أبيه، يقول الرجل: فكنت كلما أضع المال بين يديه يدعو الله ويقول: اللهم ارزق ابني القرآن واجعله

(١) الشويعر، محمد بن سعد. مكان الدعاء، جريدة الجزيرة، ٩٢٦٩ (الجمعة ١٦ شوال ١٤١٨هـ) (ص٩).

من أهله فبلغ أكثر من عشرين عامًا وهو تائه في الأعمال حتى شاء الله يومًا من الأيام وهو راجع من عمله إذا به يلتقي بعالم كان عمدة في بلده في الفتوى فقال العالم للرجل: ما الذي أنت فيه؟

قال الرجل: ما ترى أسعى بالرزق. قال العالم: هل لك أن تجعل لي يومًا من أسبوعك؟

قال الرجل: نعم ونعمت عيني بذلك، فما زال يتردد عليه حتى جاء اليوم الذي يُناقش فيه الرجل في رسالة الدكتوراه في تفسير القرآن الكريم، فلما دُعي للمناقشة وجلس إذا بشيخه وأستاذه يقوم مهابة له وإجلالًا لما كان له من العلم فقال: تفضل يا شيخ - ومن المعلوم أن الشيخ لا يتنزل لطالبه - وإذا به أمام الجمع قال: هالني ما رأيت فيه من العلم والمعرفة بكتاب الله فعظمته وأجللته فلما تفضل الرجل جلس وهو يبكي فقال الشيخ: تبكي ونحن نريد أن نجلك؟ قال الرجل: تذكرت دعوة أبي ﷺ: اللهم ارزق ابني القرآن واجعله من أهله، فبلَّغه الله هذه المنزلة العظيمة(١).

٩٤٢- أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ

يروي لي شاب قصة مفادها أنه كان يعيش أيام الشباب في أحلام يريد تحقيقها ولكن لا لوحده بل معه أبناؤه... وبعد أيام تحقق جزء من أحلامه فقد تزوج ولكن تأخر الحمل عند زوجته وصار الناس ينظرون إليه بنظرة إشفاق ورحمة وأخذ بعضهم يطرح عليه أسماء لامعة من الأطباء كي يتدارك العمر ليرى فلذات الأكباد فأصبح كلما جلس في مجلس نصحه الكبير والصغير ولكن ما هي هذه النصيحة؟! إنها نصيحة بالأخذ بالأسباب

(١) الشنقيطي، محمد المختار. رحمة الضعفاء، (شريط تسجيل)، [بتصرف].

الدنيوية وللأسف الشديد ربما ينسون الأسباب القوية المؤثرة ألا وهي الاتصال برب العالمين برفع قوة الإيمان.

وفي مجلس من المجالس أخذ الحاضرون يطرحون اللائمة عليه وكأنهم يظنون أن هذا بيده حتى ضاقت عليه الأرض بما رحبت ثم إن زوجته قد شُحنت كذلك من النساء اللاتي يجلسن معها والمرأة المسكينة ربما تتعلق بالكلام ولو أنه من نسج الخيال، فيقول: فحدثتني بذلك، مما زاد الطين بلة. يقول: فصليت لله ركعتين أناجي فيهما ربي في دعاء عريض عند السجود وأتذكر قول الله تعالى:

﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [النمل:٦٢]

يقول: بحمد الله لم ينقض شهر إلا وقد قدر الله الحمل عند الزوجة.

٩٤٣- كنت أريد الوظيفة أما الآن فأعمى

فهذا شاب كان يرعى الغنم لأبيه، ورأى تهافت الشباب على السفر والانخراط في السلك العسكري فطلب من أبيه أن يسمح له بالذهاب معهم فرفض الأب ذلك، حاول الشاب مرارًا فلم يأذن له الأب فقرر أن يذهب بالرغم من عدم رضا والده فقال الأب لابنه: أما القوة فما لي عليك من قوة، ولكن ما لي عليك إلا دعوة أرفعها إلى الله وقت السحر، فذهب الشاب وترك غنمه مع أحد أقرانه وذهب إلى سفره، وعلم الأب بسفره - وكان الأب صالحًا تقيًا - فرفع يديه إلى الحي القيوم وسأل الله ﷻ أن يريه في ولده ما يكره، فعمي الابن وهو في الطريق وأستقبله بعض أفراد قبيلته في الطائف وسألوه ماذا يريد؟

قال: كنت أريد الوظيفة أما الآن فأعمى لا يقبل مثلي في الوظيفة: فأتوا به

إلى أبيه وعندما دخل عليه وهو في جوف الليل وكان والده ضعيف البصر فنادى الشاب. فقال أبوه: أفلان أنت؟

قال: نعم. قال أبوه: هل وجدت السهم؟

قال: نعم. فدخل على أبيه يُقاد. لكن الأب الحنون حزن حزنًا عظيمًا وتأثر تأثرًا كبيرًا وكان يود لو كانت في غير عينيه فقام ليلته تلك يبكي ويئن يركع ويسجد ويلحس بلسانه عين ولده ويدعو الله ﷻ والله قريب مجيب فما قام لصلاة الفجر حتى عاد لولده البصر فحمد الله كثيرًا[١].

٩٤٤- أمنيات الصالحين

عن طارق بن عبد العزيز عن الشعبي قال لقد رأيت عجبا كنا بفناء الكعبة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ومصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان

فقال القوم بعد أن فرغوا من حديثهم ليقم كل واحد منهم فليأخذ بالركن اليماني ويسأل الله تعالى حاجته فإنه يعطى من سعة.

قم يا عبد الله بن الزبير فإنك أول من ولد في الهجرة فقام فأخذ بالركن اليماني ثم قال اللهم إنك عظيم ترجى لكل عظيم أسألك بحرمة وجهك وحرمة عرشك وحرمة نبيك ﷺ أن لا تميتني من الدنيا حتى توليني الحجاز ويسلم علي بالخلافة وجاء حتى جلس.

فقالوا قم يا مصعب بن الزبير فقام حتى أخذ بالركن اليماني فقال اللهم إنك رب كل شيء وإليك مصير كل شيء أسألك بقدرتك على كل شيء أن لا تميتني من الدنيا حتى توليني العراق وتزوجني سكينة بنت الحسين

(١) القرني، علي. عقوق الوالدين (شريط تسجيل)، [بتصرف].

وجاء حتى جلس.

قالوا قم يا عبد الملك بن مروان فقام فأخذ الركن اليماني فقال اللهم رب السموات السبع والأرضين السبع ورب الأرض ذات النبت بعد القفر أسألك بما سألك عبادك المطيعون لأمرك وأسألك بحرمة وجهك وأسألك بحقك على جميع خلقك وبحق الطائفين حول بيتك أن لا تميتني من الدنيا حتى توليني شرق الأرض وغربها ولا ينازعني أحد إلا أتيت برأسه ثم جاء حتى جلس.

ثم قالوا قم يا عبد الله بن عمر فقام حتى أخذ بالركن اليماني فقال اللهم إنك رحمن رحيم أسألك برحمتك التي سبقت غضبك وأسألك بقدرتك على جميع خلقك أن لا تميتني من الدنيا حتى توجب لي الجنة.

قال الشعبي فما ذهبت عيناي من الدنيا حتى رأيت كل رجل منهم قد أعطي ما سأل وبشر عبد الله بن عمر بالجنة ورئيت له[١].

(١) «كرامات الأولياء» (ص: ١٤١).

الفصل الثالث والأربعون :مع التائبين

٩٤٥- قصة ماعز والغامدية

و تأمل إلى أحوال التائبين إلى رب العالمين كيف أنهم أيقنوا أنه لا غافر للذنب إلا هو وأنه فتح باب التوبة أمام العصاة لم يقنطهم من رحمهم لما علموا سعة رحمته تابوا إليه وكلمه شوق إلى رضاه.

عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال جاء ماعز بن مالك إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله طهرني فقال ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه قال فرجع غير بعيد ثم جاء فقال يا رسول الله طهرني فقال رسول الله ﷺ ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه قال فرجع غير بعيد ثم جاء فقال يا رسول الله طهرني فقال النبي ﷺ مثل ذلك حتى إذا كانت الرابعة قال له رسول الله فيم أطهرك فقال من الزنى فسأل رسول الله ﷺ أبه جنون فأخبر أنه ليس بمجنون فقال أشرب خمرا فقام رجل فاستنكهه فلم يجد منه ريح خمر قال فقال رسول الله ﷺ أزنيت فقال نعم فأمر به فرجم فكان الناس فيه فرقتين قائل يقول لقد هلك لقد أحاطت به خطيئته وقائل يقول ما توبة أفضل من توبة ماعز أنه جاء إلى النبي ﷺ فوضع يده في يده ثم قال اقتلني بالحجارة قال فلبثوا بذلك يومين أو ثلاثة ثم جاء رسول الله ﷺ وهم جلوس فسلم ثم جلس فقال استغفروا لماعز بن مالك قال فقالوا غفر الله لماعز بن مالك قال فقال رسول الله ﷺ لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم قال ثم جاءته امرأة من غامد من الأزد فقالت يا رسول الله طهرني فقال ويحك ارجعي فاستغفري الله وتوبي إليه فقالت أراك تريد أن

ترددني كما رددت ماعز بن مالك قال وما ذاك قالت إنها حبلى من الزنى فقال آنت قالت نعم فقال لها حتى تضعي ما في بطنك قال فكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت قال فأتى النبي ﷺ فقال قد وضعت الغامدية فقال إذا لا نرجمها وندع ولدها صغيرا ليس له من يرضعه فقام رجل من الأنصار فقال إلي رضاعه يا نبي الله قال فرجمها(١).

٩٤٦- إذا لم تستحي فاصنع ما شئت

قال أبو العباس أحمد بن محمد بن الصباح البزاز قال: لم يرو القعنبي عن شعبة غير هذا الحديث الواحد وله شرح: حدثني بعض القضاة عن بعض ولد القعنبي بالبصرة قال: كان أبي يشرب النبيذ ويصحب الأحداث فدعاهم يوما وقد قعد على الباب ينتظرهم فمر شعبة على حماره والناس خلفه يهرعون فقال: من هذا؟

قيل: شعبة قال: وأيش شعبة؟

قالوا: محدث.

فقام إليه وعليه إزار أحمر فقال له: حدثني فقال له: ما أنت من أصحاب الحديث فأحدثك فأشهر سكينه وقال: تحدثني أو أجرحك؟

فقال له: حدثنا منصور عن ربعي عن أبي مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: " إذا لم تستحي فاصنع ما شئت " فرمى سكينه ورجع إلى منزله فقام إلى جميع ما كان عنده من الشراب فهراقه وقال لأمه: الساعة أصحابي يجيئون فأدخليهم وقدمي الطعام إليهم فإذا أكلوا فخبريهم بما صنعت بالشراب حتى ينصرفوا ومضى من وقته إلى المدينة فلزم مالك بن أنس فأثر عنه ثم رجع إلى البصرة وقد مات شعبة فما سمع منه غير هذا

(١) أخرجه أحمد (ح ٢١٨٦٤)، ومسلم (ج ٩ / ص ٦٨).

الحديث[١].

٩٤٧-ما أحسن هذا الصوت لو كان بقراءة كتاب الله!

روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه مر ذات يوم في موضع من نواحي الكوفة فإذا فتيان فساق قد اجتمعوا يشربون وفيهم مغن يقال له: زاذان يضرب ويغني وكان له صوت حسن فلما سمع ذلك عبد الله قال: ما أحسن هذا الصوت لو كان بقراءة كتاب الله! وجعل الرداء على رأسه ومضى فسمع زاذان قوله فقال: من كان هذا؟

قالوا: عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله ﷺ قال: وأي شيء قال؟

قالوا: إنه قال: ما أحسن هذا الصوت لو كان بقراءة كتاب الله تعالى فقام وضرب بالعود على الأرض فكسره ثم أسرع فأدركه وجعل المنديل في عنق نفسه وجعل يبكي بين يدي عبد الله بن مسعود فاعتنقه عبد الله بن مسعود وجعل يبكي كل واحد منهما ثم قال عبد الله: كيف لا أحب من قد أحبه الله عز وجل فتاب إلى الله عز وجل من ذنوبه ولازم عبد الله بن مسعود حتى تعلم القرآن وأخذ حظا من العلم حتى صار إماما في العلم وروى عن عبد الله بن مسعود وسلمان وغيرهما[٢].

٩٤٨- وأنا واللهِ لا شربتُ الخمر أبدًا

أخرج عبد الرّزّاق عن ابن سيرين قال: كان أبو محجن الثّقفيّ رضي الله عنه لا يزال يجلد في الخمر، فلمّا أكثر عليهم سجنوه وأوثقوه، فلمّا كان يوم القادسيّة رآهم يقتتلون، فكأنّه رأى أنّ المشركين قد أصابوا من المسلمين، فأرسل إلى أمّ ولد سعد أو إلى امرأة سعد يقول لها: إنّ أبا محجن يقول لك:

---

(١) «التوابين» (ج ١ / ص ٦١).

(٢) «التوابين» (ج ١ / ص ٥٧).

إن خلّيت سبيله وحملته على هذا الفرس ودفعت إليه سلاحا، ليكوننّ أوّل من يرجع إليك إلّا أن يقتل، وأنشأ يقول:

كفى حزنا أن تلتقي الخيل بالقنا وأترك مشدودا عليّ وثاقيا

إذا قمت عنّاني الحديد وغلّقت مصارع دوني قد تصمّ المناديا

فذهبت الاخرى، فقالت ذلك لامرأة سعد، فحلّت عنه قيوده، وحمل على فرس كان في الدّار وأعطي سلاحًا، ثمّ خرج يركض حتّى لحق بالقوم، فجعل لا يزال يحمل على رجل فيقتله ويدقّ صلبه، فنظر إليه سعد فجعل يتعجّب منه ويقول: من ذلك الفارس؟! فلم يلبثوا إلّا يسيرًا حتّى هزمهم الله، ورجع أبو محجن رضي الله عنه، وردّ السّلاح، وجعل رجليه في القيود كما كان.

فجاء سعد رضي الله عنه فقالت له امرأته أو أمّ ولده: كيف كان قتالكم؟

فجعل يخبرها، ويقول:لقينا ولقينا، حتّى بعث الله رجلًا على فرس أبلق، لولا أنّي تركت أبا محجن في القيود لظننت أنّها بعض شمائل أبي محجن، فقالت: والله إنّه لأبو محجن، كان من أمره كذا وكذا، فقصّت عليه قصّته، فدعا به وحلّ قيوده. قال أبو محجن رضي الله عنه أنا والله لا أشربها أبدًا، كنت آنف أن أدعها من أجل جلدكم، قال: فلم يشربها بعد ذلك[1].

٩٤٩- توبة مالك بن دينار

روى عن مالك بن دينار أنه سئل عن سبب توبته فقال: كنت شرطيًا وكنت منهمكا على شرب الخمر ثم إنني اشتريت جارية نفيسة ووقعت مني أحسن موقع فولدت لي بنتا فشغفت بها فلما دبت على الأرض ازدادت في قلبي حبا وألفتني وألفتها قال: فكنت إذا وضعت المسكر بين يدي

(١) «الاستيعاب» (٤/ ١٨٤)، وسنده صحيح، كما في «الإصابة» (٤/ ١٧٤).

جاءت إلي وجاذبتني عليه وهرقته من ثوبي فلما تم لها سنتان ماتت فأكمدني حزنها فلما كانت ليلة النصف من شعبان وكانت ليلة الجمعة بت ثملا من الخمر ولم أصل فيها عشاء الآخرة فرأيت فيما يرى النائم كأن القيامة قد قامت ونفخ في الصور وبعثرت القبور وحشر الخلائق وأنا معهم فسمعت حسا من ورائي فالتفت فإذا أنا بتنين أعظم ما يكون أسود أزرق قد فتح فاه مسرعا نحوي فمررت بين يديه هاربا فزعا مرعوبا فمررت في طريقي بشيخ نقي الثوب طيب الرائحة فسلمت عليه فرد السلام فقلت: أيها الشيخ! أجرني من هذا التنين أجارك الله فبكى الشيخ وقال لي: أنا ضعيف وهذا أقوى مني وما أقدر عليه ولكن مر وأسرع فلعل الله أن يتيح لك ما ينجيك منه فوليت هاربا على وجهي فصعدت على شرف من شرف القيامة فأشرفت على طبقات النيران فنظرت إلى هولها وكدت أهوي فيها من فزع التنين فصاح بي صائح: ارجع فلست من أهلها! فاطمأننت إلى قوله ورجعت ورجع التنين في طلبي فأتيت الشيخ فقلت: يا شيخ! سألتك أن تجيرني من هذا التنين فلم تفعل فبكى الشيخ وقال: أنا ضعيف ولكن سر إلى هذا الجبل فإن فيه ودائع المسلمين فإن كان لك فيه وديعة فستنصرك قال: فنظرت إلى جبل مستدير من فضة وفيه كوى مخرمة وستور معلقة على كل خوخة وكوة مصراعان من الذهب الأحمر مفصلة باليواقيت مكوكبة بالدر على كل مصراع ستر من الحرير فلما نظرت إلى الجبل وليت إليه هاربا والتنين من ورائي حتى إذا قربت منه صاح بعض الملائكة: ارفعوا الستور وافتحوا المصاريع وأشرفوا! فلعل لهذا البائس فيكم وديعة تجيره من عدوه فإذا الستور قد رفعت والمصاريع قد فتحت فأشرف علي من تلك المخرمات أطفال بوجوه كالأقمار وقرب التنين مني فتحيرت في أمري فصاح بعض الأطفال: ويحكم! أشرفوا كلكم فقد قرب

منه عدوه فأشرفوا فوجا بعد فوج وإذا أنا بابنتي التي ماتت قد أشرفت علي معهم فلما رأتني بكت وقالت: أبي والله! ثم وثبت في كفة من نور كرمية السهم حتى مثلت بين يدي فمدت يدها الشمال إلى يدي اليمنى فتعلقت بها ومدت يدها اليمنى إلى التنين فولى هاربًا[١].

٩٥٠- اللهم اكفنيه

خرج عطاء الأزرق إلى الجبان يصلي بالليل فعرض له لص فقال: اللهم اكفنيه قال فجفت يداه ورجلاه قال فجعل يبكي ويصيح والله لا أعود أبدًا قال فدعا الله له فأطلق قال فاتبعه اللص فقال له أسألك بالله من أنت قال أنا عطاء فلما أصبح سأل تعرفون رجلا صالحا يخرج بالليل إلى الجبان يصلي قالوا نعم عطاء السلمي قال فذهب إلى عطاء السلمي إلى الخربة فدخل عليه وقال إني جئتك تائبا من قصتي كذا وكذا فادع الله لي قال فرفع عطاء السلمي يديه إلى السماء وجعل يبكي ويقول ويحك ليس أنا ذاك عطاء الأزرق[٢].

٩٥١- مات على غير السنة

أبو إسحاق الفزاري قال كان رجل يكثر الجلوس إلينا ونصف وجهه مغطى فقلت له إنك تكثر الجلوس إلينا ونصف وجهك مغطى أطلعني على هذا فقال تعطيني الأمان قلت نعم قال كنت نباشا فدفنت امرأة فأتيت قبرها فنبشت حتى وصلت إلى اللبن ثم رفعت اللبن فضربت بيدي إلى الرداء ثم ضربت بيدي إلى اللفافة فمددتها فجعلت تمدها هي فقلت أتراها تغلبني

(١) «التوابين» (ج ١ / ص ٥٧).
(٢) «التوابين» (ص: ٢٨١).

فجثيت على ركبتي فمددت فرفعت يدها فلطمتني وكشف وجهه فإذا أثر خمس أصابع في وجهه فقلت له ثم مه قال ثم رددت عليها لفافتها وإزارها ثم رددت التراب وجعلت على نفسي أن لا أنبش ما عشت قال فكتبت بذلك إلى الأوزاعي فكتب إلي الأوزاعي ويحك سله عمن مات من أهل التوحيد ووجهه إلى القبلة أحول وجهه أم ترك وجهه إلى القبلة قال فجاءني الكتاب فقلت له أخبرني عمن مات من أهل الإسلام أترك وجهه على ما كان أم ماذا فقال أكثر ذلك حول وجهه عن القبلة فكتبت بذلك إلى الأوزاعي فكتب إلي إنا لله وإنا إليه راجعون ثلاث مرات أما من حول وجهه عن القبلة فإنه مات على غير السنة(١).

٩٥٢- إذا أردت أن تعصي الله آ فلا تأكل رزقه

توبة شاب مسرف على نفسه على يد إبراهيم بن أدهم وروي أن رجلا جاء إلى إبراهيم بن أدهم:فقال له يا أبا إسحاق إني مسرف على نفسي فاعرض علي ما يكون لها زاجرا ومستنقذا لقلبي قال إن قبلت خمس خصال وقدرت عليها لم تضرك معصية ولم توبقك لذة.

قال هات يا أبا إسحاق.

قال أما الأولى: فإذا أردت أن تعصي الله ﷻ فلا تأكل رزقه قال فمن أين آكل وكل ما في الأرض من رزقه.

قال له: يا هذا أفيحسن أن تأكل رزقه وتعصيه.

قال: لا هات الثانية.

قال: وإذا أردت أن تعصيه فلا تسكن شيئًا من بلاده.

---

(١) «التوابين» (ص: ٢٨٣).

قال الرجل: هذه أعظم من الأولى يا هذا إذا كان المشرق والمغرب وما بينهما له فأين أسكن؟

قال: يا هذا أفيحسن أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه؟

قال: لا هات الثالثة.

قال: إذا أردت أن تعصيه وأنت تحت رزقه وفي بلاده فانظر موضعا لا يراك فيه مبارزا له فاعصه فيه.

قال:يا إبراهيم كيف هذا وهو مطلع على ما في السرائر؟

قال: يا هذا أفيحسن أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه وهو يراك ويرى ما تجاهره به؟

قال: لا هات الرابعة.

قال: إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فقل له أخرني حتى أتوب توبة نصوحا وأعمل لله عملا صاحلا قال: لا يقبل مني.

قال يا هذا فأنت إذا لم تقدر أن تدفع عنك الموت لتتوب وتعلم أنه إذا جاء لم يكن له تأخير فكيف ترجو وجه الخلاص.

قال: هات الخامسة.

قال: إذا جاءتك الزبانية يوم القيامة ليأخذونك إلى النار فلا تذهب معهم.

قال:لا يدعونني ولا يقبلون مني.

قال: فكيف ترجو النجاة إذا؟

قال له يا إبراهيم حسبي حسبي أنا أستغفر الله وأتوب إليه ولزمه في

العبادة حتى فرق الموت بينهما[١].

٩٥٣- كل يوم تتلون... غير هذا بك أجمل

عن إسحاق الهروي يقول كنت مع ابن الخيوطي بالبصرة فأخذ بيدي وقال: قم حتى نخرج إلى الأبلة فلما قربنا إلى الأبلة ونحن نمشي على شاطىء الأبلة في الليل والقمر طالع مررنا بقصر لجندي فيه جارية تضرب بالعود وفي جانب القصر في ظل القمر فقير بخرقتين فسمع الفقير الجارية وهي تقول... كل يوم تتلون... غير هذا بك أجمل... فصاح الفقير وقال أعيديه فهذا حالي مع الله تعالى قال فنظر صاحب الجارية إلى الفقير فقال لها اتركي العود وأقبلي عليه فإنه صوفي فأخذت تقول والفقير يقول هذا حالي مع الله والجارية تردد إلى أن صاح الفقير صيحة وخر مغشيا عليه فحركناه فإذا هو ميت فلما سمع صاحب القصر بموته نزل فأدخله إلى القصر واغتممنا وقلنا هذا يكفنه من غير وجهه فصعد الجندي وكسر كل ما كان بين يديه فقلنا ما بعد هذا إلا خير ومضينا إلى الأبلة[٢].

٩٥٤- لا تدع عليه فإنه من أولياء الله

توبة رجل من أعوان السلطان عن الفواحش وحكي عن مالك بن دينار قال كان لي جار يتعاطى الفواحش فأتى إلي الجيران يشكون منه فأحضرناه وقلنا له إن الجيران يشكونك فسبيلك أن تخرج من المحلة فقال أنا في منزلي لا أخرج قلنا تبيع دارك قال لا أبيع ملكي قلنا نشكوك إلى السلطان قال أنا من أعوانه قلنا ندعو الله عليك قال الله أرحم بي منكم قال فلما أمسينا قمت وصليت ودعوت عليه فهتف بي هاتف لا تدع عليه فإنه

(١) «التوابين» (ص: ٢٨٥).
(٢) «التوابين» (ص: ٢٤٨).

من أولياء الله تعالى فجئت إلى باب داره ودققت الباب فخرج فظن أني جئت لأخرجه من المحلة فتكلم كالمعتذر فقلت ما جئت لهذا ولكن رأيت كذا وكذا فوقع عليه البكاء وقال إني تبت بعد ما كان هذا ثم خرج من البلد فلم أره بعد ذلك واتفق أني خرجت إلى الحج فرأيت في المسجد الحرام حلقة فتقدمت إليهم فرأيته مطروحا عليلا فلم ألبث أن قالوا مات الشاب رحمه الله[١].

(١) «التوابين» (ص: ٢٤٩).

الفصل الرابع والأربعون : قصص على فراش الموت

٩٥٥- لعنة الله على اليهود والنصارى

عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن عائشة وعبد الله بن عباس قالا: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا، يحذرهم مثل الذي صنعوا(١).

٩٥٦- أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده

عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال: لما اشتد بالنبي ﷺ وجعه قال:ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده قال عمر: إن النبي ﷺ غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا فاختلفوا وكثر اللغط. قال قوموا عنى، ولا ينبغي عندي التنازع فخرج ابن عباس يقول إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين كتابه(٢).

٩٥٧- أوصيكم بالأنصار

عن أنس بن مالك يقول: مر أبو بكر والعباس رضي الله عنهما، بمجلس من مجالس الأنصار، وهم يبكون، فقال: ما يبكيكم؟ قالوا: ذكرنا مجلس النبي ﷺ منا، فدخل على النبي ﷺ، فأخبره بذلك، قال: فخرج النبي ﷺ، وقد عصب على رأسه حاشية برد، قال: فصعد المنبر، ولم يصعده بعد ذلك

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٨/١) (١٨٨٤)، و(٣٤/٦) (٢٤٥٦١)، والدارمي (١٤٠٣)، والبخاري (١١٨/١) (٤٣٥ و٤٣٦)، ومسلم (٦٧/٢) (١١٢٤).

(٢) أخرجه أحمد (٣٢٤/١) (٢٩٩١)، والبخاري (٣٩/١) (١١٤).

اليوم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أوصيكم بالأنصار، فإنهم كرشي وعيبتي، وقد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم(١).

٩٥٨- أخاف عليكم أن تنافسوا فيها.

عن عقبة بن عامر، قال: أن النبي ﷺ خرج يوما، فصلى على أهل أحد صلاته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر، فقال: إني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها(٢).

٩٥٩- وددت أن عندي رجلا من أصحابي

عن عائشة، أنها قالت: قال رسول الله ﷺ ذات يوم: وددت أن عندي رجلا من أصحابي، فقلت: ألا ندعو لك أبا بكر؟

قال: لا، ثم قال: وددت أن عندي رجلا من أصحابي، فقلت: ألا ندعو لك عمر؟ قال: لا، ثم قال: وددت أن عندي رجلا من أصحابي، فقلت: ألا ندعو لك ابن عمك علي بن أبي طالب. قال: لا. ثم قال: وددت أن عندي رجلا من أصحابي، فقلت: ألا ندعو لك عثمان، فسكت، قالت: فامرت به فدعي، فلما جاءه خلا به، فجعل النبي ﷺ يقول له ووجه عثمان يتلون(٣).

٩٦٠- وإن لله آ حقا بالنهار لا يقبله بالليل

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣/٥) (٣٧٩٩)، والنسائي في «الكبرى» (٨٢٨٨).

(٢) أخرجه أحمد (١٤٩/٤) (١٧٤٧٧)، والبخاري (١١٤/٢) (١٣٤٤)، ومسلم (٦٧/٧) (٦٠٤١).

(٣) أخرجه الحميدي (٢٦٨)، وأحمد (٥١/٦).

عن أبي المليح أن أبا بكر ﷺ لما حضرته الوفاة أرسل إلى عمر بن الخطاب ﷺ فقال: أني أوصيك بوصية، إن أنت قبلتها عني: إن لله ﷻ حقا بالليل لا يقبله بالنهار، وإن لله ﷻ حقا بالنهار لا يقبله بالليل، وإنه ﷻ لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة، ألم تر إنما ثقلت موازينه في الآخرة بإتباعهم الحق في الدنيا، وثقل ذلك عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا حقا أن يثقل، ألم تر إنما خفت موازين من خفت موازينه في الآخرة بإتباعهم الباطل في الدنيا، وخف ذلك عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا باطلا، أن يخف، ألم (تر) أن الله ﷻ أنزل آية الرجاء عند آية الشدة، وآية الشدة عند آية الرجاء، لكي يكون العبد راغبا راهبا، لا يلقي بيده إلى التهلكة، لا يتمنى على الله ﷻ غير الحق، فإن أنت حفظت وصيتي فلا يكونن غائب أحب إليك من الموت، ولا بد لك منه، وإن أنت ضيعت وصيتي هذه فلا يكونن غائب أبغض إليك من الموت. والله أعلم. وصلى الله على محمد وآله وسلم[١].

٩٦١- المغرور من غررتموه

عن الشعبي قال: لما طعن عمر ﷺ جاء ابن عباس فقال: يا أمير المؤمنين! أسلمت حين كفر الناس، وجاهدت مع رسول الله ﷺ حين خذله الناس، وقتلت شهيدا ولم يختلف عليك اثنان، وتوفى رسول الله ﷺ وهو عنك راض، فقال له: أعد علي مقالتك، فأعاد عليه فقال: المغرور من غررتموه، والله لو أن لي ما طلعت عليه الشمس أو غربت لافتديت به من هول المطلع. والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم[٢].

---

(١) «وصايا العلماء عند حضور الموت» (ص: ٣٣)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (١/ ٣٥).

(٢) مجموع فيه عشرة أجزاء حديثة (ص: ٢٠٨).

٩٦٢- لا تغلو في الكفن فإنه يسلب سلبا سريعا

عن الشعبي لما ضرب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، تلك الضربة قال: ما فعل ضاربي؟ قالوا: قد أخذناه، قال: أطعموه من طعامي، واسقوه من شرابي، فإن أنا عشت رأيت فيه رأيي، وإن أنا مت فاضربوه ضربة واحدة لا تزيدوه عليها.

ثم أوصى الحسن رضي الله عنه أن يغسله ولا يغالي في الكفن، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تغلو في الكفن فإنه يسلب سلبا سريعا». وامشوا بي بين المشيتين، لا تسرعوا بي، ولا تبطئوا، فإن كان خيرًا عجلتموني إليه، وإن كان شرا ألقيتموني عن أكتافكم(١).

٩٦٣- الحق من ربك فلا تكونن من الممترين

ولما أصيب أبو عبيدة (بن الجراح) في طاعون عمواس استحلف معاذ بن جبل واشتد الوجع، فقال الناس لمعاذ: ادع الله يرفع عنا هذا الزجر، قال: إنه ليس برجز ولكنه: دعوة نبيكم ﷺ وموت الصالحين قبلكم وشهادة يختص (بها) الله من يشاء منكم أيها الناس أربع خلال من استطاع أن لا يدركه شيء منهن فلا يدركه، قالوا: وما هي؟ قال: يأتي زمان يظهر فيه الباطل، ويصبح الرجل على دين ويمسي على آخر، ويقول الرجل: والله ما أدري على ما أنا. لا يعيش على بصيرة، ولا يموت على بصيرة ويعطى الرجل المال من مال الله على أن يتكلم الذي يسخط الله، اللهم آت آل معاذ نصيبهم الأوفى من هذه الرحمة فطعن ابناه فقال: كيف تجدانكما؟ قال: يا أبانا ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ قال: ستجدني إن شاء الله من الصابرين.. ثم طعنت امرأته فهلكتا، وطعن هو في إبهامه

(١) «مقتل علي» (ص: ٢٣).

فجعل يمسها بفيه يقول: اللهم إنها صغيرة فبارك فيها فإنك تبارك في الصغير حتى هلك رحمة الله عليه. وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين[١].

٩٦٤- فإذا صليت صلاة فصل مودع كأنك لا تصلى بعدها

وعن الشعبي قال: لما حضر عبد الله بن مسعود الموت دعا ابنه فقال: يا عبد الله بن مسعود! إني أوصيك بخمس خصال فاحفظهن عني: أظهر اليأس للناس، فإن ذلك غنى فاضل، ودع مطلب الحاجات إلى الناس، فإن ذلك فقر حاضر، ودع ما تعذر منه من الأمور، ولا تعمل به، وإن استطعت أن لا يأتي عليك يوم إلا وأنت خير منك بالأمس فافعل، فإذا صليت صلاة فصل مودع كأنك لا تصلى بعدها[٢].

٩٦٥- إنها لإحدى المنزلتين

ولما حضرت أبا موسى الوفاة دعا فتيانه فقال: اذهبوا فاحفروا لي وأعمقوا فإنه كان يستحب العمق، قال: فجاء الحفرة فقالوا: قد حفرنا. فقال: اجلسوا بي فوالذي نفسي بيده إنها لإحدى المنزلتين، إما ليوسعن قبري حتى تكون كل زاوية أربعين زراعا، وليفتحن لي بابا من أبواب الجنة فلأنظرن إلى منزلي وإلى أزواجي، وما أعد الله ﷻ لي فيها من النعيم، ثم لأنا أهدى إلى منزلي في الجنة مني اليوم إلى أهلي، وليصيبني من روحها وريحانها حتى أبعث. وإن كانت الأخرى فليضيقن علي قبري حتى تختلف فيه أضلاعي حتى يكون أضيق من كذا وكذا، وليفتحن لي باب من أبواب جهنم، فلأنظرن إلى مقعدي وإلى ما أعد الله ﷻ لي فيها من السلاسل

---

(١) «المحتضرين» (ص: ١٢٥)، و«بغية الطلب في تاريخ حلب» (٣/ ٤١٥)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» (٥/ ٤٧).

(٢) «وصايا العلماء عند حضور الموت» (ص: ٥١).

والأغلال والقرناء، ثم لأنا إلى مقعدي من (جهنم) لأهدى مني اليوم إلى منزلي ثم ليصيبني من سمومها وحميمها حتى أبعث[١].

٩٦٦- إذا أنا مت فلا تحركوني

عن عبد بن محمد بن عقيل بن طالب الهاشمي المدني قال: لما حضرت فاطمة رضي الله عنها الوفاة دعت بماء فاغتسلت ثم دعت بحنوط فتحنطت، ثم دعته بثياب أكفانها فلبست ثم قالت: إذا أنا مت فلا تحركوني. فقلت: هل بلغك أن أحدًا فعل ذلك قبلها؟ قال: نعم كثير بن عباس[٢].

٩٦٧- كفنوني فيها

عن الزهري أن سعد بن أبي وقاص لما حضرته الوفاة دعا بخلق جبة له من صوف فقال: كفنوني فيها فإني لقيت المشركين فيها يوم بدر وإنما كنت أخبئها لهذا اليوم. وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين[٣].

٩٦٨- لئن استشهدت لأشهدن لك

عن الصنابحي قال: دخلت على عبادة بن الصامت وهو في الموت فبكيت فقال: مهلا لم تبكي فوالله لئن استشهدت لأشهدن لك ولئن شفعت لأشفعن لك ولئن استطعت لأنفعنك.

ثم قال: والله ما حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه خير إلا قد حدثتكموه إلا حديثًا واحدًا سوف أحدثكموه اليوم وقد أحيط بنفسي.

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من شهد أن لا الله إلا الله وأن محمد

---

(١) «وصايا العلماء عند حضور الموت» (ص: ٦١).
(٢) «وصايا العلماء عند حضور الموت» (ص: ٤٢).
(٣) أخرجه الحاكم (٣ / ٤٩٦)، والطبراني في «الكبير» (٣١٦).

رسول الله حرم على النار». انفرد بإخراجه مسلم. ا.هـ[١].

٩٦٩- ما أراني إلا مقتولا في أول من يقتل

عن عطاء عن جابر رضي الله عنه قال لما حضر أحد دعاني أبي من الليل فقال ما أراني إلا مقتولا في أول من يقتل من أصحاب النبي ﷺ، وإني لا أترك بعدى أعز على منك، غير نفس رسول الله ﷺ، فإن على دينا فاقض، واستوص بأخواتك خيرًا. فأصبحنا فكان أول قتيل، ودفن معه آخر في قبر، ثم لم تطب نفسى أن أتركه مع الآخر فاستخرجته بعد ستة أشهر، فإذا هو كيوم وضعته هنية[٢].

٩٧٠- والله ما مت موتا ولكني فنيت فناء

عن عبد الحميد بن عبد الله بن إبراهيم القرشي عن أبيه قال لما نزل بالعباس بن عبد المطلب الموت قال لابنه يا عبد الله إني والله ما مت موتا ولكني فنيت فناء وإني موصيك بحب الله وحب طاعته وخوف الله وخوف معصيته فإنك إذا كنت كذلك لم تكره الموت متى أتاك وإني أستودعك الله يا بني ثم استقبل القبلة فقال لا إله إلا الله ثم شخص ببصره فمات حدثنا عبد الله قال حدثني محمد بن الحسين[٣].

٩٧١- إن استطعت أن تموت فمت

عن يحيى بن أبي كثير أن أبا سلمة حدثه قال دخلت على أبي هريرة وهو وجع شديد الوجع فاحتضنته فقلت اللهم اشف أبا هريرة قال اللهم لا ترجعها قالها مرتين ثم قال إن استطعت أن تموت فمت فوالذي نفس أبي

---

(١) «صحيح مسلم» (١٥١).
(٢) «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٣/ ١٧١٦).
(٣) «المحتضرين» (ص: ٢١٥).

هريرة بيده ليأتين على الناس زمان يكون الموت أحب إلى أحدهم من الذهبة الحمراء وليأتين على الناس زمان يمر الرجل على قبر أخيه المسلم فيتمنى أنه صاحبه[١].

٩٧٢- أعوذ بالله من صباح إلى النار

عن أبي وائل قال لما ثقل حذيفة أتاه أناس من بني عبس فأخبرني خالد بن الربيع العبسي قال أتيناه وهو بالمدائن حين دخلنا عليه جوف الليل فقال لنا أي ساعة هذه قلنا جوف الليل أو آخر الليل فقال أعوذ بالله من صباح إلى النار ثم قال أجئتم معكم بأكفان قلنا نعم قال فلا تغالوا بأكفاني فإنه إن يكن لصاحبكم عند الله خير فإنه يبدل بكسوته كسوة خيرًا منها وإلا يسلب سلبًا[٢].

٩٧٣- إني كنت على ثلاثة أطباق

عن يزيد بن أبي حبيب أن عبد الرحمن بن شماسة حدثه قال: لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة بكى فقال له ابنه عبد الله: لم تبكي؟ أجزعا على الموت؟

فقال: لا والله ولكن مما بعد الموت، فقال له: قد كنت على خير، فجعل يذكره صحبة رسول الله وفتوحه الشام، فقال عمرو: تركت أفضل من ذلك كله شهادة أن لا إله إلا الله، إني كنت على ثلاثة أطباق ليس فيها طبق إلا عرفت نفسي فيه، كنت أول قريش كافرا، وكنت أشد الناس على رسول الله ﷺ فلو مت حينئذ وجبت لي النار، فلما بايعت رسول الله ﷺ كنت أشد الناس حياء منه، فما ملات عيني من رسول الله ولا راجعته فيما أريد حتى

---

(١) «المحتضرين» (ص: ٢٠٤، بترقيم الشاملة آليا).

(٢) «صفة الصفوة» (١/ ٦١٥).

لحق بالله حياء، فلو مت يومئذ قال الناس: هنيئًا لعمرو أسلم وكان على خير فمات عليه نرجو له الجنة، ثم تلبست بعد ذلك بالسلطان.

وأشياء فلا أدري علي أم لي، فإذا مت فلا تبكين علي باكية، ولا يتبعني مادح ولا نار، وشدوا علي إزاري فإني مخاصم، وشنوا علي التراب شنا، فإن جنبي الايمن ليس أحق بالتراب من جنبي الايسر، ولا تجعلن في قبري خشبة ولا حجرا، وإذا واريتموني فاقعدوا عندي قدر نحر جزور أستأنس بكم(١).

٩٧٤- إياي وحاديهم هذا

عن سعيد بن المسيب أنه قال في مرضه إياي وحاديهم هذا الذي يقول استغفروا له غفر الله لكم فأرادوا أن يحولوه إلى القبلة فقال ما لكم قالوا نحولك إلى القبلة قال ألم أكن على القبلة إلى يومي هذا ما أرى هذا ا إلا عمل فلان(٢).

٩٧٥- أجدني بخير، راجيا لله، حسن الظن به

عن محمد بن مطرف، قال: دخلنا على أبي حازم الأعرج، لما حضره الموت، فقلنا: كيف تجدك؟

قال: أجدني بخير، راجيا لله، حسن الظن به.

إنه والله ما يستوي من غدا أو راح يعمر عقد الآخرة لنفسه فيقدمها أمامه

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤ / ١٩٩)، ومسلم في «صحيحه» في باب الايمان (٥٤) (ح ١٩٢) (ص ١ / ١١٢).

(٢) «وصايا العلماء عند حضور الموت» (ص: ٧٨)، و«صور من وصايا الأنبياء والعلماء عند الموت» (ص ٣٨).

قبل أن ينزل به الموت حتى يقدم عليها، فيقوم لها وتقوم له، ومن غدا أو راح في عقد الدنيا يعمرها لغيره، ويرجع إلى الآخرة لا حظ له فيها ولا نصيب[١].

٩٧٦- أنت الحجة فيما بيننا وبين الله

قال أبو محمد الفرغاني: حدثني أبو بكر الدينوري قال: لما كان وقت صلاة الظهر من يوم الاثنين الذي توفي فيه في آخره ابن جرير طلب ماء ليجدد وضوءه، فقيل له: تؤخر الظهر تجمع بينها وبين العصر.

فأبى وصلى الظهر مفردة، والعصر في وقتها أتم صلاة وأحسنها.

وحضر وقت موته جماعة منهم: أبو بكر بن كامل، فقيل له قبل خروج روحه: يا أبا جعفر! أنت الحجة فيما بيننا وبين الله فيما ندين به، فهل من شئ توصينا به من أمر ديننا، وبينة لنا نرجو بها السلامة في معادنا؟ فقال: الذي أدين الله به وأوصيكم هو ما ثبت في كتبي، فاعملوا به وعليه.

وكلاما هذا معناه، وأكثر من التشهد وذكر الله ﷻ، ومسح يده على وجهه، وغمض بصره بيده، وبسطها وقد فارقت روحه الدنيا[٢].

٩٧٧- يا إخوتاه لا تغترن بشبابكم

عن درست القزاز قال: لما احتضر يزيد الرقاشي بكى فقيل له: ما يبكيك رحمك الله؟

قال: أبكي والله على ما يفوتني من قيام الليل وصيام النهار ثم بكى، وقال:من يصلي لك يا يزيد ومن يصوم ومن يتقرب لك إلى الله بالأعمال بعدك ومن يتوب لك إليه من الذنوب السالفة ويحكم يا إخوتاه لا تغترن

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٩٩).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٢٧٦).

بشبابكم فكأن قد حل بكم ما حل بي من عظيم الأمر وشدة كرب الموت النجاء النجاء الحذر الحذر يا إخوتاه المبادرة رحمكم الله[١].

٩٧٨-إياك ومصاحبة الأشرار

عن الجنيد قال دخلت على سري السقطي وهو في النزع فجلست عند رأسه فوضعت خدي على خده فدمعت عيناي فوقع دمعي على خده ففتح عينيه فقال لي من أنت قلت أنا خادمك الجنيد فقال مرحبا فقلت له أيها الشيخ أوصني بوصية أنتفع بها بعدك قال إياك ومصاحبة الأشرار وأن تنقطع عن الله بصحبة الأخيار[٢].

٩٧٩- وا غوثاه بالله

حبيب أبي محمد الفارسي: عن عبد الواحد بن زيد أن حبيبا أبا محمد جزع جزعا شديدا عند الموت فجعل يقول بالفارسية أريد أن أسافر سفرًا ما سافرته قط أريد أن أسلك طريقا ما سلكته قط أريد أن أزور سيدي ومولاي وما رأيته قط أريد أن أشرف على أهوال ما شاهدت مثلها قط أريد أن أدخل تحت التراب فأبقى تحته إلى يوم القيامة ثم أوقف بين يدي الله ﷻ فأخاف أن يقول لي يا حبيب هات تسبيحة واحدة سبحتني في ستين سنة لم يظفر منك الشيطان فيها بشيء فماذا أقول وليس لي حيلة أقول يا رب هو ذا قد أتيتك مقبوض اليدين إلى عنقي قال عبد الواحد هذا عبد الله ستين سنة مشتغلا به ولم يشتغل من الدنيا بشيء قط فإيش يكون حالنا وا غوثاه بالله[٣].

---

(١) «المحتضرين» (ص: ١٤٦، بترقيم الشاملة آليا)، و«العاقبة في ذكر الموت» (ص: ١٣١).

(٢) «صفة الصفوة» (٢/ ٣٨٥).

(٣) «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٣٤٧)، و«المقلق» لابن الجوزي (ص: ٤٩)،

٩٨٠-والله لو كانت نفسي في يدي لطرحتها في الحش

أبو بكر بن عياش قال دخلت على الأعمش في مرضه الذي توفي فيه فقلت أدعو لك طبيبا فقال ما أصنع به فوالله لو كانت نفسي في يدي لطرحتها في الحش إذا أنا مت فلا تؤذنن بي أحدًا واذهب بي فاطرحني في لحدي[١].

و«صور من وصايا الانبياء والعلماء عند الموت» (ص٥٧-٥٨).

(١) «صفة الصفوة» (٣/ ١١٨)، و«صور من وصايا الانبياء والعلماء عند الموت» (ص٥٨).

الفصل الخامس والأربعون قصص حسن الخاتمة

٩٨١- قولي وجاءت سكرة الموت بالحق

عن إسماعيل بن أبي خالد عن البهي قال لما احتضر أبو بكر جاءت عائشة رضوان الله عليها فتمثلت بهذا البيت:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى... إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه وقال ليس كذلك ولكن قولي وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما فإن الحي أحوج إلى الجديد من الميت هذه قراءة أبي سكرة الحق[١].

٩٨٢- فإنك تفطر عندنا القابلة

عن مسلم أبي سعيد مولى عثمان:إن عثمان بن عفان ﷺ أعتق عشرين مملوكا له ودعا بسراويل[٢] فشدها عليه ولم يلبسها في جاهلية ولا إسلام وقال إني رأيت رسول الله ﷺ البارحة في المنام ورأيت أبا بكر وعمر وإنهم قالوا اصبر فإنك تفطر عندنا القابلة ثم دعا بمصحف فنشره بين يديه فقتل وهو بين يديه[٣].

٩٨٣- شد حيازيمك للموت... فإن الموت لاقيك

(١) «المحتضرين» (ص: ٥١).
(٢) السروال: لباس يغطي السرة والركبتين وما بينهما.
(٣) «فضائل عثمان بن عفان» لعبد الله بن أحمد (ص: ١٠٩).

أخبرنا إسماعيل بن أحمد قال حدثنا محمد بن هبة الله الطبري قال أخبرنا أبو الحسين بن بشران قال حدثني عبدالله بن يونس بن بكير قال حدثني أبي قال حدثني علي بن أبي فاطمة العنوي قال حدثني الأصبع الحنظلي قال لما كانت الليلة التي أصيب فيها علي رضي الله عنه أتاه ابن النباح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع متثاقل فعاد الثانية وهو كذلك ثم عاد الثالثة فقام يمشي وهو يقول

شد حيازيمك للموت... فإن الموت لاقيك.

ولا تجزع من الموت... إذا حل بواديك.

فلما بلغ الباب الصغير شد عليه عبدالرحمن بن ملجم فضربه قال القرشي وحدثني عبدالله بن علي أن عليا لما ضرب أوصى بنيه ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قبضه الله تبارك وتعالى(١).

٩٨٤-مرحبًا مرحبًا، الحمد لله الذي صدقنا وعده

علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه لمّا حضرته الوفاة شهق، ثم أغمي عليه ثم أفاق، وقال: [مرحبًا مرحبًا، الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الجنة فقيل له: ماذا ترى؟ قال: هذا رسول الله وأخي جعفر، وعمي حمزة، وأبواب السماء مفتحة، والملائكة ينزلون يسلمون علي ويبشرونني، وهذه فاطمة قد طاف بها وصائفها من الحور العين، وهذه منازلي في الجنة، لمثل هذا فليعمل العاملون](٢).

٩٨٥- الثبات حتى الممات

سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه حضر يوم اليمامة فأخذ اللواء بيمينه

(١) «مقتل علي» لابن أبي الدنيا (ص: ٢٩).

(٢) «الأدب المفرد» (ص: ٣٩٧) قال الشيخ الألباني: ضعيف الإسناد موقوفًا.

فقطعت ثم شاله بشماله فقطعت ثم اعتنق اللواء وجعل يقرأ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم إلى أن قتل[١].

٩٨٦- يا عبدالله من جدع أنفك وأذنك

عبدالله بن جحش بن رياب رضي الله عنه سعد بن أبي وقاص قال حدثني أبي أن عبدالله بن جحش قال له يوم أحد ألا تدعو الله فخلوا في ناحية فدعا عبدالله بن جحش فقال: يا رب إذا لقيت العدو غدا فلقني رجلا شديدا بأسه شديدا حرده فأقاتله فيك ويقاتلني ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني فإذا لقيتك غدا قلت يا عبدالله من جدع أنفك وأذنك فأقول فيك وفي رسولك فتقول صدقت قال سعد لقد رأيته آخر النهار وإن أنفه وأذنه لمعلقتان في خيط[٢].

٩٨٧- فزت والله ورب الكعبة

عامر بن فهيرة رضي الله عنه: قال محمد بن عمر عن من سمي من رجاله أن جبار بن سلمى الكلبي طعن عامر بن فهيرة يوم بئر معونة فأنفذه فقال عامر فزت والله ورب الكعبة[٣].

٩٨٨- غدا نلقى الأحبة محمدًا وحزبه

عن سعيد بن عبدالعزيز قال بلال حين حضرته الوفاة غدا نلقى الأحبة محمدًا وحزبه قال تقول امرأته وابلالاه قال يقول هو وافرحاه[٤].

٩٨٩- إني لأرجو الشهادة في وجهي هذا

---

(١) «تنوير الغبش في فضل السودان والحبش» (ص: ١٢١).
(٢) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح «مجمع الزوائد» (٣٠١/٩، ٣٠٢).
(٣) «الجهاد» لابن المبارك (ص: ٧١) (ح ٨٠).
(٤) «المحتضرين» (ص: ٢٠٨).

سعد بن خيثمة بن الحارث أحد نقباء الأنصار رضي الله عنه: عن محمد بن سعد قال: لما ندب رسول الله ﷺ الناس إلى بدر قال له أبوه لا بد لأحدنا أن يقيم فآثرني بالخروج وأقم مع نسائك فأبى سعد وقال لو كان غير الجنة آثرتك به إني لأرجو الشهادة في وجهي هذا فاستهما فخرج سهم سعد فخرج فقتل ببدر(١).

٩٩٠- لا عذر لهم عند الله

سعد بن الربيع بن عمرو أحد النقباء رضي الله عنه: عن يحيى بن سعيد قال: لما كان يوم أحد قال رسول الله ﷺ من يأتيني بخبر سعد بن الربيع فقال رجل أنا يا رسول الله فذهب الرجل يطوف بين القتلى فقال له سعد بن الربيع ما شأنك قال بعثني النبي ﷺ لآتيه بخبرك قال فاذهب إليه فأقرأه مني السلام وأخبره أني قد طعنت اثنتي عشرة طعنة وإن قد أنفذت مقاتلي وأخبر قومك أنه لا عذر لهم عند الله إن قتل رسول الله ﷺ وأحد منهم حي(٢).

٩٩١- إنها لحياة طويلة

عمير بن الحمام قتل ببدر رضي الله عنه: عن أنس قال النبي ﷺ يوم بدر قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض فقال عمير بن الحمام بخ بخ فقال رسول الله ﷺ ما يحملك على قولك بخ بخ قال لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها قال فإنك من أهلها قال فأخرج ثمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال إن أنا حييت حتى آكل ثمراتي هذه إنها لحياة

---

(١) «الإستيعاب في معرفة الأصحاب» (١/ ١٧٦)، و«صفة الصفوة» (١/ ٤٦٨).

(٢) ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/٥٢٣-٥٢٤)، وذكره ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٢/٣٤-٣٥)، وابن الأثير في «أسد الغابة» (٢/١٩٦-١٩٧).

طويلة فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل[١].

٩٩٢- اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون

ثابت بن قيس بن شماس ﷺ عن أنس أن ثابت بن قيس جاء يوم اليمامة وقد تحنط ولبس ثوبين أبيضين يكفن فيهما وقد انهزم القوم فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء فبئس ما عودتكم أقرانكم خلوا بيننا وبينهم ساعة فحمل فقاتل حتى قتل[٢].

٩٩٣- والله ما أحب أن محمدًا يشاك في مكانه شوكة تؤذيه

زيد بن الدثنة ﷺ استؤسر يوم الرجيع مع خبيب فقدموه للقتل فقالوا ننشدك الله أتحب أنك الآن في أهلك وأن محمدًا مكانك قال:والله ما أحب أن محمدًا يشاك في مكانه شوكة تؤذيه وإني جالس في أهلي[٣].

٩٩٤- فلا نامت عين الجبناء

خالد بن الوليد ﷺ: عن عبدالرحمن بن أبي الزناد عن أبيه: أن خالد بن الوليد لما حضرته الوفاة قال لقيت كذا وكذا زحفا وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو رمية بسهم أو طعنة برمح وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي فلا نامت عين الجبناء[٤].

---

(١) أخرجه أحمد (١٣٦/٣) (١٢٤٢٥)، وعبد بن حميد (١٢٧٢)، ومسلم (٤٤/٦) (٤٩٥٠).

(٢) «المستدرك» (٣٨٢٦٠)، وكتاب «معرفة الصحاب»، باب (٣١) حديث (رقم ٥٠٣٤).

(٣) «صفة الصفوة» (ج ١ص ٦٤٩).

(٤) «السير» (ج١ ص ٣٨٢).

٩٩٥- اللهم إني أحب لقاءك فأحب لقائي

أبو هريرة رضي الله عنه: عن سعيد بن أبي سعيد المقبري قال دخل مروان على أبي هريرة رضي الله عنه في شكواه الذي مات فيه فقال شفاك الله فقال أبو هريرة اللهم إني أحب لقاءك فأحب لقائي فما بلغ مروان أصحاب القطا حتى مات رحمه الله[١].

٩٩٦- فخلوا بين معاوية وأرحم الراحمين

معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: قال ثمامة بن كلثوم: إن معاوية قال يا يزيد إذا وفي أجلي فول غسلي رجلًا لبيبًا ثم اعمد إلى منديل في الخزانة فيه ثوب من ثياب رسول الله ﷺ وقراضنة من شعره وأظفاره فاستودع القراضنة أنفي وفمي وأذني وعيني واجعل الثوب على جسدي دون أكفاني فإن أدرجتموني ووضعتموني في حفرتي فخلوا بين معاوية وأرحم الراحمين[٢].

٩٩٧- يا بشرى اليوم لقي أبي الخير

الربيع بن خيثم رحمه الله: عن سفيان عن سرية الربيع قالت:لما احتضر الربيع بكت ابنته فقال يا بنية لا تبكي ولكن قولي يا بشرى اليوم لقي أبي الخير[٣].

٩٩٨- لو ترى ما أنا فيه لقرت عينك

محمد بن المنكدر رحمه الله عن ابن وهب قال أخبرني ابن زيد قال أتى صفوان بن سليم إلى محمد بن المنكدر وهو في الموت فقال:يا أبا عبدالله

---

(١) «السير» (ج٢ص ٣٣٩).
(٢) «المحتضرين» (ص ٢٢٩).
(٣) «حلية الأولياء» (ج٢ ص ١١٤).

كأني أراك قد شق عليك الموت فما زال يهون عليه الأمر وينجلي عن محمد حتى لكأن وجهه المصابيح ثم قال له محمد لو ترى ما أنا فيه لقرت عينك ثم قضى رحمه الله[١].

٩٩٩- ربي خير مذهوب إليه

عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: مغيرة بن حكيم قال قالت لي فاطمة كنت أسمع عمر في مرضه الذي مات فيه يقول اللهم أخف عليهم موتي ولو ساعة من نهار قالت فقلت له يوما يا أمير المؤمنين ألا أخرج عنك عسى أن تغفى شيئًا فانك لم تنم قالت فخرجت عنه الى بيت غير بيت الذي هو فيه قالت فجعلت اسمعه يقول تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين يرددها مرارا ثم اطرق فلبث طويلا لا أسمع له صوتا فقلت[٢].

١٠٠٠- ها قد مددت يدي إليك

أبو بكر بن حبيب شيخنا رحمة الله عليه سمع الحديث وتفقه وكان يدرس ويعظ وكان نعم المؤدب فلما احتضر قال له أصحابه أوصنا فقال: أوصيكم بثلاث: بتقوى الله عز وجل ومراقبته في الخلوة واحذروا مصرعي هذا فقد عشت إحدى وستين سنة وما كأني رأيت الدنيا ثم قال لبعض إخوانه انظر هل ترى جبيني يعرق فقال نعم فقال الحمد لله هذه علامة المؤمن يريد بذلك قول رسول الله ﷺ المؤمن يموت بعرق الجبين ثم بسط يده عند الموت وقال... ها قد مددت يدي إليك فردها... بالفضل لا بشماتة الأعداء...[٣].

---

(١) «حلية الاولياء» (ج٣ ص ١٤٧).
(٢) «الزهد لابن المبارك» (ص: ٣٠٩).
(٣) «الثبات عند الممات» (ص: ١٨٠).

١٠٠١- يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين

علي بن ابراهيم البغدادي يقول سمعت أبا عبدالله الخنقاباذي يقول: حضرنا يوسف بن الحسين الرازي وهو يجود بنفسه فقيل له يا أبا يعقوب قل شيئًا فقال اللهم نصحت خلقك ظاهرًا وغششت نفسي باطنا فهب لي غشي لنفسي لنصحي لخلقك ثم خرجت روحه[١].

المراجع

كتب التفسير
١- تفسير ابن كثير
٢- تفسير الرازي -
٣- تفسير الطبري
٤- تفسير الطبري
٥- الدر المنثور
كتب السنة
٦- الأدب المفرد للبخاري
٧- السلسلة الصحيحة "للألباني
٨- السنن للبيهقي
٩- سنن أبي داود
١٠- سنن الترمذي
١١- سنن النسائي والحاكم

(١) «الثبات عند الممات» (ص: ١٧٣).

١٢- شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي
١٣- الصحابة - أحمد بن حنبل
١٤- صحيح ابن حبان ابن حبان المعجم الكبير للطبراني
١٥- صحيح الأدب المفرد
١٦- صحيح البخاري
١٧- صحيح الجامع
١٨- صحيح مسلم
١٩- ضعيف - المشكاة
٢٠- ضعيف الترغيب
٢١- مسند أبي يعلى
٢٢- مسند أحمد
٢٣- مسند الطيالسي
٢٤- مسند عبد بن حميد
٢٥- مصنف ابن أبي شيبة
٢٦- مصنف عبد الرزاق
٢٧- موطأ مالك
كتب التاريخ والتراجم
٢٨- أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز -
٢٩- أخبار أبي حنيفة / للقاضي أبي عبد الله حسين بن علي الصيمري
٣٠- أخبار القضاة / محمد بن خلف بن حيان
٣١- أخبار مكة للأزرقي
٣٢- أخبار مكة للفاكهي
٣٣- أخبار وحكايات / أبو الحسن الغساني
٣٤- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى - أبو العباس أحمد الناصري
٣٥- الاستيعاب: لابن عبد البر
٣٦- أسد الغابة: لابن الاثير
٣٧- الإصابة في تمييز الصحابة/ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل
٣٨- الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء
٣٩- أمالي ابن سمعون
٤٠- الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل / مجير الدين الحنبلي العليمي
٤١- البداية والنهاية - لابن كثير
٤٢- بغية الطلب في تاريخ حلب - عمر بن عبد العزيز بابن عديم الحلبي
٤٣- تاريخ ابن معين/ يحيى بن معين أبو زكريا
٤٤- تاريخ الإسلام بشار
٤٥- تاريخ الإسلام للإمام الذهبي

٤٦- تاريخ الخلفاء / لابن الجوزي
٤٧- التاريخ الصغير/ للبخاري
٤٨- تاريخ الطبري /لمحمد بن جرير الطبري أبو جعفر
٤٩- تاريخ المدينة -/لأبي زيد عمر بن شبة النميري البصري
٥٠- تاريخ بغداد الخطيب البغدادي
٥١- تاريخ جرجان / حمزة بن يوسف أبو القاسم الجرجاني.
٥٢- تاريخ دمشق./ لابن عساكر
٥٣- تاريخ علماء الأندلس / لأبي الوليد بن الفَرَضِيّ
٥٤- تاريخ قضاة الاندلس/ لأبي الحسن عبد الله البناهي
٥٥- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة/ السخاوي
٥٦- تذكرة الحفاظ/ للذهبي
٥٧- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب ملك / للقاضي عياض
٥٨- ترجمة الأئمة الأربعة/ لأبي حمزة الشامي
٥٩- تهذيب التهذيب / لابن حجر
٦٠- تهذيب الكمال/ جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي
٦١- الثقات للعجلي
٦٢- الجامع لسيرة عمر بن عبد العزيز/ للإمام أبي حفص عمر بن محمد الملاء
٦٣- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس /ابي عبد الله محمد بن الحميدي
٦٤- الجرح والتعديل لابن ابي حاتم
٦٥- حلية الاولياء لابي نعيم
٦٦- حياة الصحابة للكاندهلوى

٦٧- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر - تقي الدين المحبي
٦٨- خلاصة تذهيب تهذيب الكمال / صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي
٦٩- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة/ لابن حجر العسقلاني
٧٠- الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيار / علي محمد محمد الصَّلاَّبيَّ
٧١- دولة السلاجقة -لعلي الصلابي
٧٢- ذيل تاريخ مولد العلماء ووفياتهم/ لأبي سليمان الربعي
٧٣- ربيع الأبرار / للزمخشري
٧٤- رفع الإصر عن قضاة مصر لابن حجر العسقلاني
٧٥- الروض الانف / لأبي زيد عبد الرحمن ابن عبد الله السهيلي
٧٦- الرياض النضرة في مناقب العشرة / المحب الطبري
٧٧- الزهر الفاتح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح/ ابن الجزري
٧٨- سبل الهدى والرشاد محمد بن يوسف الصالحي الشامي
٧٩- سراج الملوك للإمام أبي بكر بن الوليد الطرطوسي
٨٠- سنوات الحنابلة/ علي بن محمد باخيل بابطين
٨١- سير اعلام النبلاء للذهبي
٨٢- السيرة الحلبية / علي بن برهان الدين الحلبي
٨٣- السيرة النبوي لأبي فارس،
٨٤- السيرة النبوية الصحيحة للعمري
٨٥- السيرة النبوية لابن كثير
٨٦- السيرة النبوية للندوي،
٨٧- سيرة عمر بن عبد العزيز، لابن عبد الحكم،
٨٨- سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي

٨٩- شذرات الذهب - ابن العماد -
٩٠- الضوء اللامع -/ محمد بن عبد الرحمن السخاوي
٩١- طبقات ابن سعد
٩٢- طبقات الاولياء / لابن الملقن
٩٣- طبقات الحفاظ - للسيوطي
٩٤- طبقات الحنفية / لعبد القادر القرشي
٩٥- طبقات الشافعية الكبرى تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي
٩٦- طبقات الصوفية / لأبي عبد الرحمن السلمي
٩٧- عمر بن عبد العزيز في سيرة عمر لابن الجوزي
٩٨- عيون الأثر في فنون المغازي/ ابن سيد الناس
٩٩- عيون الأخبار لابن قتيبة
١٠٠- فقه السيرة - محمد الغزالي
١٠١- الكامل في التاريخ/ لابن الأثير
١٠٢- الكامل في ضعفاء الرجال - لابن عدي
١٠٣- معجم ابن الأعرابي
١٠٤- معجم البلدان/ لأبي القاسم بن عساكر
١٠٥- معرفة الثقات أحمد بن عبد الله بن صالح أبو الحسن العجلي الكوفي
١٠٦- معرفة القراء الكبار/لشمس الدين محمد بن احمد الذهبي
١٠٧- المعرفة والتاريخ للفسوي
١٠٨- مناقب الإمام أحمد بن حنبل لابن الجوزي
١٠٩- المنتظم - لابن الجوزي
١١٠- منهج أمير المؤمنين على في الدعوة،
١١١- الوافي بالوفيات / صلاح الدين الصفدي

كتب الاخلاق والآداب والاعتقاد

١١٢- إتحاف الأزواج بفوائد الزواج للمؤلف.

١١٣- إحياء علوم الدين لابي حامد الغزالي

١١٤- الإخوان لابن ابي الدنيا

١١٥- الإبانة لأبي عبدالله عبيدالله بن محمد بن بطة

١١٦- الآداب الشرعية لابن مفلح

١١٧- أداب النفوس ابي بكر محمد بن حسين الاجري

١١٨- استنشاق نسيم الأنس لابن رجب الحنبلي

١١٩- إصلاح المال لابن ابي الدنيا

١٢٠- أصول الاعتقاد لأبي معمر: سالم بن عبد الله الهروي

١٢١- الاعتصام للشاطبي

١٢٢- اعتلال القلوب للخرائطي

١٢٣- **اعتلال القلوب للخرائطي**

١٢٤- الأموال لابن زنجويه

١٢٥- إيقاظ الهمة لطلب علم الكتاب والسنة /لعادل بن عبد الله السعيدان

١٢٦- البدع - ابن وضاح

١٢٧- بر الوالدين للحافظ الطرطوشي

١٢٨- البر والصلة لابن الجوزي

١٢٩- البر والصلة / لأبي عبد الله الحسين بن الحسن المروزي

١٣٠- التبصرة - لابن الجوزى

١٣١- تبصرة الحكام لابن فرحون

١٣٢- بستان العارفين ابن شرف النووي:

١٣٣- البصائر والذخائر - أبي حيان: علي بن محمد التوحيدي

١٣٤- بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب
١٣٥- تبيين كذب المفتري/ لابن عساكر
١٣٦- تحفة الأشراف جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي
١٣٧- التخويف من النار لابن رجب
١٣٨- التذكرة الحمدونية / ابن حمدون
١٣٩- ترطيب الأفواة / سيد حسين العفاني
١٤٠- تسلية أهل المصائب
١٤١- تسهيل الوصول لفوائد سير أعلام النبلاء / فرحان العطار
١٤٢- تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين - أبو الحسن الصفاقسي
١٤٣- تنوير الغبش في فضل السودان والحبش لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي
١٤٤- التهجد وقيام الليل / للآجري
١٤٥- التوابين لابن قدامة
١٤٦- التواضع والخمول لابن ابي الدنيا
١٤٧- التوكل / لابن ابي الدنيا
١٤٨- الثبات عند الممات لابن الجوزي
١٤٩- جامع الأحاديث للسيوطي
١٥٠- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي
١٥١- الجزاء من جنس العمل سيد حسين العفاني
١٥٢- الجليس الصالح والأنيس الناصح / المعافى بن زكريا
١٥٣- جمهرة الأجزاء -/ لأبي بكر محمد المقرئ
١٥٤- الجوهر النقي الملتقط من زهد البيهقي
١٥٥- الحث على التجارة والصناعة لأبي بكر بن الخلال

١٥٦- الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل -
١٥٧- حماسة القرشي/ القرشي الجبعي
١٥٨- حياة الحيوان الكبرى / الدميري
١٥٩- الخصائص الكبرى/ للسيوطي
١٦٠- دلائل النبوة للبيهقي
١٦١- ذم المسكر لابن ابي الدنيا
١٦٢- ذم الهوى لابن الجوزي
١٦٣- الرسالة القشيرية /لأبي القاسم عبد الكريم القشيري
١٦٤- الرضا عن الله بقضائه لابن ابي الدنيا
١٦٥- الرقة والبكاء - لابن ابي الدنيا
١٦٦- الروح لابن القيم
١٦٧- روضة المحبين لابن القيم
١٦٨- زاد المعاد لابن القيم
١٦٩- الزهد لا بن مبارك.
١٧٠- الزهد لأحمد بن حنبل
١٧١- الزهد والرقائق للخطيب البغدادي
١٧٢- الزهد وصفة الزاهدين/ ابن الأعرابي
١٧٣- سكب العبرات سيد حسين العفاني
١٧٤- سلاح اليقظان لطرد الشيطان، السلمان، عبد العزيز بن محمد
١٧٥- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي
١٧٦- الشفا بتعريف حقوق المصطفى/ العلامة القاضي أبو الفضل عياض
١٧٧- الصارم المسلول "لابن تيمية
١٧٨- صبح الأعشى/ لأبي العباس أحمد القلقشندي

١٧٩- الصبر لابن ابي الدنيا
١٨٠- صفة الصفوة لابن الجوزي
١٨١- صفقات رابحة خالد ابو شادي
١٨٢- صلاح الأمة في علو الهمة سيد حسين العفاني
١٨٣- صور مشرقة من الثبات على الايمان / للمؤلف
١٨٤- صور من وصايا الانبياء والعلماء عند الموت / للمؤلف
١٨٥- الطرق الحكمية لابن القيم
١٨٦- العاقبة في ذكر الموت / لابن الخراط الأشبيلي
١٨٧- العقد الفريد/ لابن عبد ربه الأندلسي
١٨٨- عقوق الوالدين لمجدي فتحي السيد
١٨٩- علو الهمة / لمحمد بن اسماعيل المقدم
١٩٠- غذاء الألباب بشرح صفات أولي الألباب للمؤلف
١٩١- غرر الخصائص الواضحة /محمد بن ابراهيم الانصاري الكتبي،
١٩٢- فتح الباري شرح صحيح الباري لابن حجر
١٩٣- الفكر الصوفي /عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف
١٩٤- قضاء الحوائج لابن ابي الدنيا
١٩٥- قواعد وأسس في السنة والبدعة - حسام الدين عفانه
١٩٦- الكبائر - الذهبي -
١٩٧- كرامات الأولياء هبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي.
١٩٨- الكشكول - بهاء الدين محمد بن حسين العاملي
١٩٩- لإسلام وخرافة السيف /عبد الودود شلبي
٢٠٠- اللامبالاة وأثرها علي الفرد والمجتمع للمؤلف
٢٠١- مجابوا الدعوة لابن ابي الدنيا

٢٠٢- المجالسة وجواهر العلم بو بكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري
٢٠٣- المجلة العربية
٢٠٤- مجلة بريد الإسلام العدد الثالث،
٢٠٥- مجمع الأمثال الإمام أبو الفضل الميداني
٢٠٦- مجموع الفتاوى لابن تيمية
٢٠٧- محاسبة النفس لابي عبد الرحمن السلمي
٢٠٨- المحاسن والمساوئ إبراهيم البيهقي
٢٠٩- محاضرات الأدباء /الراغب الأصفهاني
٢١٠- المحتضرين لابن ابي الدنيا
٢١١- مختصر منهاج القاصدين للمقدسي
٢١٢- المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي
٢١٣- المستجاد من فعلات الأجواد / القاضي التنوخي
٢١٤- المستطرف/ الأبشيهي
٢١٥- المستقصى في أمثال العرب أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري
٢١٦- مشاهد الناس عند الموت /عبدالرحمن خليفة
٢١٧- معالم في طريق طلب العلم / عبدالعزيز السدحان
٢١٨- المغني لابن قدامة
٢١٩- مفتاح دار السعاد لابن القيم
٢٢٠- مقتل علي لابن أبي الدنيا
٢٢١- المقلق لابن الجوزي
٢٢٢- مكارم الأخلاق لابن ابي الدنيا
٢٢٣- من عاش بعد الموت لابن ابي الدنيا
٢٢٤- موارد الظمآت لدروس الزمان/ عبد العزيز المحمد السلمان

٢٢٥- موقع اخوات طريق الإسلام على شبكة الانترنت
٢٢٦- نزهة المجالس ومنتخب النفائس للشيخ عبد الرحمن الصفوري
٢٢٧- نساء حول الرسول - محمد برهان
٢٢٨- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم / عدد من المختصين
٢٢٩- الورع للإمام أحمد

الـــفـــهرس

المقدمة	أ
الفصل الاول: قصص في الإخلاص	١
الفصل الثاني: قصص في حسن الإتباع	٧
الفصل الثالث: قصص في التوكل على الله	١٤
الفصل الرابع: قصص في اليقين بما عند الله	١٦
الفصل الخامس: قصص عن العلم وطلبه	٢٨
الفصل السادس: علو الهمة عند الأطفال	٣٩
الفصل السابع: قصص: في المحافظة على الصلاة	٤٥
الفصل الثامن: حرص ولاة الأمر على أقامه الصلاة في جماعة.	٥٠
الفصل التاسع: رهبان الليل	٥٢
الفصل العاشر: قصص المنفقين والمنفقات	٧٥
الفصل الحادي عشر:قصص عن الصائمين	٨٧
الفصل الثاني عشر: في رحاب الحج	٩٢
الفصل الثالث عشر: قصص في رحاب القران	٩٥
الفصل الرابع عشر: قصص المجاهدين في سبيل الله	١٠٥
الفصل الخامس عشر: قصص في الشجاعة والاقدام	١٢٤

الفصل السادس عشر قصص في العفو عند المقدرة	١٣٠
الفصل السابع عشر:قصص في نصح ولاة الامر	١٣٨
الفصل الثامن عشر: مع المقسطين أهل العدل	١٥٣
الفصل التاسع عشر: قصص في بر الوالدين	١٧٢
قصص عن العقوق	١٨٠
الفصل العشرون عشر:قصص في المحاسبة	١٨٥
الفصل الحادي والعشرون: قصص في الإحسان إلى الجيران	١٩٤
الفصل الثاني والعشرون: مع الصادقين	٢٠٢
الفصل الثالث والعشرون: قصص في حسن الخلق	٢٠٧
الفصل الرابع والعشرون: مع المتواضعين	٢١١
الفصل الخامس والعشرون: مع أهل الحياء	٢١٦

الفصل السادس والعشرون: قصص عن الغيرة	٢٢ ٠
الفصل السابع والعشرون: في رياض الصابرين	٢٣ ٦
الفصل الثامن والعشرون: قصص عن قيمة الوقت	٢٤ ٦
الفصل التاسع والعشرون: مع أهل الرضا بالقضاء	٢٥ ٠
الفصل الثلاثون: قصص في الكسب الحلال	٢٥ ٣
الفصل الحادي والثلاثون: قصص عن قضاء الحوائج	٢٦ ١
الفصل الثاني الثلاثون:حقوق الاخوة والحب في الله	٢٦ ٢
الفصل الثالث والثلاثون:قصص في رحاب العفة	٢٨ ٠
الفصل الرابع والثلاثون: قصص من روائع الزواج	٢٨ ٧
الفصل الخامس والثلاثون: مع قصص الزاهدين والزاهدات	٢٩ ٩
الفصل السادس والثلاثون: في روضة اهل الرفق	٣١ ٥

الفصل السابع والثلاثون: قصص عن ماء زمزم	٣٢٠
قصص عن شفاء مرضى بماء زمزم	٣٢١
الفصل الثامن والثلاثون: من عجائب بني اسرائيل	٣٢٨
الفصل التاسع والثلاثون: قصص عن عصمة الله تعالى لنبيه	٣٤٣
الفصل الأربعون: مع فراسة أهل الايمان	٣٦٤
الفصل الحادي والأربعون: كرامات الصالحين	٣٦٩
الفصل الثاني والأربعون:مجابوا الدعوات	٣٨١
الفصل الثالث الأربعون: قصص مع التائبين	٣٩١
الفصل الرابع والأربعون: قصص على فراش الموت	٣٩٩
الفصل الخامس والأربعون: قصص عن حسن الخاتمة	٤٠٩
المراجع	٤١٠

الفهرس	